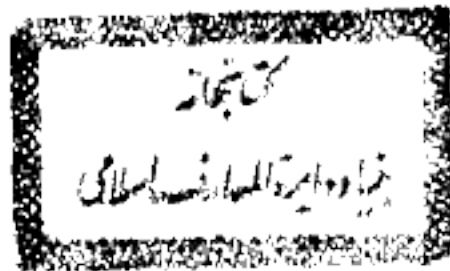


اقتراش العنت



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العددان : ٢٥ - صفر ١٤٠٧ تشرين الاول «اكتوبر» ١٩٨٦ - السنة ٧
٢٦ - جمادى الاولى ١٤٠٧ كانون الثاني «يناير» ١٩٨٧

مركز تحقيق كاسبيوز علوم

كه.كو



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات رایانه و علوم رایانه





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

Volume 14

كتابخانه
بنیاد و ایتة المعارف اسلامی

التراث العربی

مجلة فصلیة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العددان : ٢٥ - صفر ١٤٠٧ تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٨٦ - السنة السابعة
٢٦ - جمادى الأولى ١٤٠٧ كانون الثاني « يناير » ١٩٨٧ -

المدير المسؤول :

علی عقلة عرسان

رئيس التحرير :

د. عبد الحکیم الیاسی

أمين التحرير :

عبد اللطیف أرنكاووط

هيئة التحرير :

د. عبد الهادي هاشم

د. ابراهيم الكيلاني

د. نشأت الحمارنة

د. عدنان درويش

شماره ثبت ٦٧٧٦٥

تاريخ ٢٨/١١/٨٨

ترسل المواد والمراسلات الى العنوان التالي :

المدير المسؤول - اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربی ، دمشق ، ص.ب. : ٣٢٣٠ - ٢٤٤٢٩٩ - ٢٤٤٣٢٩

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها



مركز بحوث وتطوير علوم إيسدي

٢٠٢١

الاشتراك السنوي

٣٦ ل.م. للأفراد والدوائر الرسمية داخل القطر

٦٠ ل.م. أو ما يعادلها للبلدان العربية مع أجور البريد

٨٠ ل.م. أو ما يعادلها للبلدان الأجنبية مع أجور البريد

■ الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكا أو يفتح نقداً إلى : (معاسب مجلة المؤلف الأدبي)

الإخراج الفني : أكرم أهدار

المحتويات

- ☐ بهاء الدين العاملي وفكرة المتصل والمنفصل
د. عبدالكريم الياسي ٧
- ☐ أساليب القرآن الكريم في معالجة النفس الانسانية
د. محمد فتحي الدريني ٢٢
- ☐ هودة إلى موسيقى « القرآن »
د. نعيم اليافقي ٥٧
- ☐ قراءة في فكر ابن جني من خلال « الخصائص »
محمد وليد حاسق ٧٢
- ☐ تكملة لتحقيق « بديع القرآن »
د. علي ميرلوي فلاورجاني ٨٦
- ☐ الشعر العربي الحديث والتراث « القرآن الكريم دراسة في القناس »
د. عبدالنبي اصطيف ٩٧
- ☐ كتاب في التعريب و « المغرب » بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
صلاح الدين الزهبلوي ١٠٤
- ☐ من شعر الشيخ عبد الحميد الزهراوي
جمعها وقدم لها : عبدالاله نبهان ١٣٤
- ☐ أحمد أبو خليل القباني « الموسيقى »
جبرائيل سماعة ١٤٥
- ☐ الاسطول الفاطمي
التوانسي بوبكر ١٥٨



- ☐ السوط والحب ! !
نذير الحامي ١٧١
- ☐ ماني الموسوس من أشعر الناس .. ولكن !
عادل العامل ١٧٣
- ☐ وهج البردة
هند هارون ١٨١
- ☐ تراثنا مطبوعاً
مروان عطية ١٨٩
- ☐ آداب التربية الإسلامية العربية
محمد صالح برهني ٢١٠
- ☐ منافع الأغذية ودفع مضارها - لأبي بكر الرازي
تحقيق : حسين حموي
عرض : حسان الكاتب ٢٣٢
- ☐ أهواب دمشق
نادية الفزري ٢٣٩
- ☐ استدراك على ديوان « ديك الجن »
خير الدين شمسي باشا ٢٦٤
- ☐ ابن البيطار - ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد
محمد أمين الميداني ٢٧٦
- ☐ كتب تراثية وفكرية
فاطمة عصام صبري ٢٩٠
- ☐ نشاطات في خدمة التراث
أعداد: عبداللطيف أرناؤوط ٣٠٤
- ☐ رسالة من اتحاد الكتاب العرب الى الكتاب والأدباء والأصدقاء في العالم
٣٢٥

بهاء الدين العاملي

وفكرة المتصل والمنفصل

د. عبد الكريم اليافي

بهاء الدين العاملي عبقريّة من عبقريات الحضارة العربية الاسلاميّة بزغت من بلاد الشام وتقلّبت كالنوكب النّدي في ربوع العالم العربي والإسلامي الواسعة . فقد ولد لمحمد بن حسين بن عبد الصمد في بعلبك سنة ٩٥٣ هـ = ١٥٤٧ م من أسرة عربية الأصل ترجع في نسبها إلى العارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه . وكانت قبيلته حشاً من اليمن . وتوفي بهاء الدين باصفهان سنة ١٠٣٠ هـ أو ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢/١٦٢١ م من عمر يناهز الثامنة والسبعين قضاه في العلم والعمل والعبادة والسياحة . ونقل جثمانه إلى مدينة مشهد فدفن فيها .

تاريخ وفاته مختلف فيه ويقع هذا الاختلاف في مجال سنة واحدة . وأكثر المحققين على أنه سنة ١٠٣٠ . ولكن روي أيضاً عام ١٠٣٥ . وحسبنا هنا ملاحظة واحدة عابرة على هذه الروايات وهي أنه من المعروف في علم السكان أن الأرقام التي تنتهي بالصفّر أو الخمسة ذات جاذبية خاصّة بحيث تنقرب منها الأعمار فتتراكم عندها .

عاش بهاء الدين في النصف الثاني من القرن العاشر والرّبع الأول من القرن الحادي عشر الهجريين أي في النصف الثاني من القرن السادس عشر والرّبع الأول من القرن السابع عشر الميلاديين ، وهو عهد ذو أهمية كبيرة عند المؤرخين ، هو عهد الملوك العظام من أمثال السلطان العثماني سليمان القانوني (ملك في سنة ١٥٢٠ حتى وفاته سنة ١٥٦٦) ، وصلت جيوشه فعاصرت مدينة فينّة

عاصمة النمسة عام ١٥٢٩ ، والشاه عباس الأول الصفوي في ايران (ملك من سنة ١٥٨٧ حتى وفاته عام ١٦٢٩) ، والسلطان المغولي جلال الدين محمد شاه أكبر في الهند (ملك من سنة ١٥٥٦ حتى وفاته عام ١٦٠٥) ، والملكة اليزابت الأولى في انكلترة (ملكت من عام ١٥٥٨ حتى وفاتها عام ١٦٠٣) ولويس الرابع عشر في فرنسا انتحل زهوًا لقب الملك الشمس (حكم بعدهم بقليل من سنة ١٦٤٣ حتى وفاته عام ١٧١٥) .

شهر هؤلاء الملوك والسلاطين بحب العلم والاهتمام بالعمران وتحسين مرافق الدولة كما شهرت اليزابت بالتشجيع على التجارة وعلى الاستعمار البغيض . في ذلك العهد نشأ بتلك الدول علماء وفنانون كبار . نشأ في انكلترة فرنسيس بيكون صاحب الطريقة التجريبية (١٥٦١ - ١٦٢٦) التي أفاد فيها من مضمون التراث العلمي العربي ، والشاعر شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) وفي فرنسا الفيلسوف روني ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) والراهب الرياضي غاسندي (١٥٩٢ - ١٦٥٥) والشاعر المسرحي كورني (١٦٠٦ - ١٦٨٤) . وقد ولد مولير في سنة ١٦٢٢ أي في عام وفاء بهاء الدين العاملي تقريباً . وفي اسبانية الكاتب المشهور سرفانتس صاحب دون كيخوت (١٥٤٧ - ١٦١٦) والمصور الكبير فيلا سكينز (١٥٩٩ - ١٦٦٠) وفي ألمانية الفلكي كبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠) وفي ايطالية الفيزيائي والفلكي غاليلو (١٥٦٤ - ١٦٤٢) .

وفي بلاد العرب والاسلام كتاب وفلاسفة ومؤلفون ومؤرخون وعلماء يضيق هذا الحديث عن تعدادهم منهم بل في طليعتهم بهاء الدين العاملي والفيلسوف الاسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي محمد بن ابراهيم (وفاته عام ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م) . ونحن هنا ذكرنا أمثلة على المبكرات الأجنبية المعاصرة دون حصر ولا استقصاء .

لقد كان عهد تلك الدول جميعاً في اقبال ابّان تلك الحقبة .

بلغ نجم الدولة العثمانية الأوج في زمن سلطانها سليمان القانوني ثم لم يُعتمَ أن مال الى الانحدار بعده ، وبدأت الصروف تتصعب وتسوء ولا سيما في البلاد العربية ومنها بلاد الشام ، فقد أهملت هذه الربوع وغدت الولاة تسمّى عليها وهي موطن العاملي دون اختيار الجديرين والمصلحين . « تعاقب على

دمشق خلال القرن الحادي عشر الهجري واحد وثمانون والياً وعلى حلب تسعة وأربعون والياً فكان الوالي لا يتمكن من الإصلاح ان أراد وقلبه متعلق أبداً بثبات منصبه ، والغالب أنه لا يتوفر على غير جمع المال بالطرق المنوعة ليوفي ماعليه من المقرر لجماعة الآستانة من الأموال . وكان الولاة يبتاعون الولاية ابتياعاً والمزايدة الأكبر هو الذي توسد اليه » (خطط الشام ج ٢ ص ٢٣٤) . وروي أن السلطان مراداً في عهد العاملي أمر « أن يكتب الى أحمد باشا كوجك والي الشام بأن يدفع الى السلحدار باشا عشرين ألف ليرة ويبقى في منصبه فاضطر الوالي أن يؤدي المبلغ . ومن أهم أدوات التخريب في هذا القرن خروج جند الانكشارية عن حد الاعتدال وكثرة اعتدائهم على الرعية يستطيّلون على أموالها وأعراضها ويثلمون شرفها ويذلّون أعزتها وهم القوة القاهرة وإذا هم لاحق بالكبير والصغير » (المرجع نفسه) .

وقد روى المؤرخون فيما روه أنه في سنة ألف هجرية أمر قاضي دمشق مصطفى بن سنان بقيام النواب من المحاكم وأخلاق أبوابها فأغلقت أسواق البلد كلها . وسبب ذلك أن الدفتردار محموداً ارتشى من ابن الأقرع بخمسة عشر ألف دينار وولاه على بعلبك بدل ابن الحرفوش فأدى ذلك الى خراب بعلبك (مسقط رأس العاملي) ظاهراً وباطناً ورحل أهلها عنها حتى تمطلت الأحكام الشرعية وعتا بها ابن الأقرع وأتباعه وصادر الناس مصادرة ليوفي بها المال الذي التزم به للسلطة (خطط الشام ج ٢ ص ٢٣١) . ثم ان أرباب النفوذ وطائفة من العلماء في البلاد كانوا فاسدين متفرقين متملّقين للولاة والحكام . ولو كانوا صالحين متعاونين لما استطاع الحكام والولاة أن يفعلوا شيئاً ، ناهيك بالشعب يعاني أصناف العسف والاضطراب والاستغلال .

كذلك بلغت الدولة الصغوية أوجها بزعامة الشاه عباس الذي كان أعظم ملوكها . على أن العداء كان مستحكماً بين الدولة الصغوية الشيعية والدولة العثمانية السنية وجرت حروب شمواء بينهما مع أن مثلتهما الدينية من ينبوع واحد . وقد استعان الشاه عباس ببعض الضباط الانكليز لينظّموا له جيوشه ويناشوا بها الدولة العثمانية . والغريب في هؤلاء الملوك المسلمين أنهم يستعينون بأعدائهم على أبناء ملتهم . وفي عام ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م نقل الشاه عباس

العاصمة من قزوين الى أصفهان واختصها بمنية فائقة وسرعان ما زحرت المدينة بالنشاط والفنون والصنائع . وعُني الشاه بالثقافة الأدبية والفنون والعمران وبناء القصور والمزارات وتقريب العلماء واجتذابهم وان ظلت الأحوال الداخلية يخالسها الفساد والارتشاء . ثم تردت تلك الأحوال في الداخل والخارج تردياً سريعاً بعد وفاته .

ولم تكن الدولة المغولية في الهند في عهد سلطانها شاه أكبر بأقل احتفالاً بالعلم وأهله وبالعمران وضبط أحوال الرعية بل كانت أعلى شأنًا في هذه الميادين . كان هذا السلطان الذي يكاد يعرف القراءة والكتابة مشغولاً بالعلم والفلسفة متفهماً لمسائلهما عميق الإدراك لقضاياهما . كان يجمع العلماء من مختلف المذاهب لعله يستطيع توحيدها فيجمع الشعب المتفرق على منهج واحد ويريح الناس من تشبثهم أدياناً ونحلاً وطوائف .

كان عهده عهد حرية وتسامح وتعظيم للفكر في وقت كانت أوروبا تجتاحها عواصف مدمرة من التعصب اذ كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستانت في فرنسا ، والبروتستانت يذبحون الكاثوليك في انكلترا ، ومحاكم التفتيش تنكّل ببقايا المسلمين واليهود في اسبانية ، ورجال الكنيسة يحرقون جمهرة من العلماء بتهمة الهرطقة في ايطالية .

في هذا الاطار التاريخي ظلت بلاد الشام بما تأثّل فيها من علم ومجد وأماكن مقدسة مطمّح الباحثين والسائحين والعلماء . وبهذه الصورة التي عرضناها نتفهم تقلب بهاء الدين العاملي في ربوع البلاد العربية والاسلامية حتى انه قضى في سياحته كما يذكر الرواة نحو ثلاثين عاماً أضاف في هذه السياحة الى علمه خبرة واسعة بصروف الدنيا وحوادث الزمان . على أن رواية سياحته وتفرّقه هذه ان شك فيها بعض الباحثين فهي عندنا مقبولة اذا اعتبرنا محل اقامته موطنه الأول بعلبك وموطنه الأخير أصفهان لأن السياحة والهجرة لا بد فيها من النظر الى محل الإقامة الذي وطّن السائح المهاجر عزمه على اللبث فيه .

لقد نشأ بهاء الدين في بيت علم وأدب ودين وتقوى ، والده حسين بن عبد الصمد عالم فقيه رياضي شاعر ، ومن المعروف في العصر الحديث وباعتماد الاحصاء أن

النوايغ في بيوتات معروفة بالعلم أكثر احتمالاً منهم في غيرها ، اذ ينشأ الفتى فيتلقى ثمرات العلم والمعرفة دانيةً قطوفها لديه ، فلا بد من أن يفيد من هذا الجو العلمي وأن يتذوق حلاوته ويدرك علو درجات أصحابه . لقد كان هذا الأب الفاضل حريصاً على تخريج ولده في المدرسة الأولى مدرسة البيت خير تخريج سواء في الأخلاق الحميدة والمزايا الرشيدة وفي قرض الشعر والتفتح على عالم الرياضيات والعلوم وحب آل البيت، شأنه في ذلك شأن غالبية العلماء في ذلك الوقت اذ كانوا موسوعيين متبحرين في علوم شتى ، وكان العلم في ذلك الزمان الغاية المثلى للإنسان المسلم ، وكانت قيمة المرء فيما يحسن من علوم لا فيما يملك من مال ومتاع ، هذا الى وجود رعاع من الولاة والحكام لا هم لهم الا جمع الحطام وتكديس المال الحلال والحرام .

ولم يكد الفتى يترعرع حتى جمع الى حب العلم والتبحر فيه حب السفر والسياحة ، شأنه في ذلك شأن أبيه ، ويظهر أنه رافق أباه الى قزوين وكانت في ذلك العهد عاصمة للصفويين وشهدت حركة علمية واسعة ، ثم سافر أبوه الى هراة وتركه . ونجد في شعر الفتى الناشء رغبة في اللحاق بأبيه . وقد أصيب في قزوين برمد تطاول أمده فازعجه يذكر ذلك في أرجوزته الطويلة :

بليت في قزوين وقتاً برمد مفرحاً للقلب من فرط الكمد

يمنع من صرف النهار فيما يرضي اللبيب الحاذق الفهيم

من بحث او تلاوة او ذكر او درس او عبادة او فكر

ولم يكن من عاداتي البطالة لأنها من شيم الجهالة . . . الخ

ولكنه لم يلبث أن لحق بهراة التي أحبها فوصف طبيعتها ومرافق الحياة فيها وصفاً بديعاً في تلك الأرجوزة نفسها .

ان بهاء الدين لم يسجل أحداث سياحاته الطويلة التي استمرت ثلاثة عقود كما سلف آنفاً ولا أزمانها ولكنها نجد لثماً من أخبارها منشورة في ثنايا تأليفه وفي روايات معاصريه ومؤرخيه . فلقد زار بلاد الشام كلها تقريباً والقدس وتركيا العثمانية ومصر والحجاز كما أنه لم يترك ناحية من نواحي المملكة الايرانية

الا زارها ولا سيما بعد أن تلقاه الشاه عباس ومكّن له في دولته وقرّبه منه وغدا
رئيساً في دار السلطنة بأصفهان وشيخ الاسلام فيها . وقد رافق هذا السلطان في
سياحاته وحروبه فزار خراسان وأذربيجان وأران وديار الكرج .

ويذكر المؤرخون أن البهائي كان مطبوعاً على حب الحرية ومجافاة التصنع
والتكلف ، مشغولاً بمظاهر البساطة في الحياة ، حسن الاختلاط بالناس ، محباً
للخير ، ميالاً الى التصوف السليم الى جانب علومه الواسعة . ولا أستطيع أن
أملك نفسي دون ذكر هذه النادرة في علاقاته بأقرانه ، فقد حكى أن الشاه
عباساً ركب يوماً الى بعض متنزحاته وكان البهائي والداماد (صهر السلطان) في
موكبه اذ كان غالباً لا يفارقهما وكان الداماد عظيم الجثة والبهائي نحيفهما ،
فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما فقال للداماد وهو راكب فرسه في
مؤخرة الجمع وقد ظهرت عليه آثار الاعياء والتعب والبهائي في مقدمة الركب : ألا
تنظر الى هذا الشيخ كيف تقدم بفرسه ولم يمش على وقار كما تمشي أنت ؟
فقال الداماد : أيها الملك ! ان جواد الشيخ قد استخفه الطرب عن ركبه فهو لا يستطيع
التأني . ألا تعلم من ركبه ! ثم قال للبهائي : يا شيخنا ألا تنظر الى هذا
السيد كيف أتعب مركبه بجثمانه الثقيل ؟ والعالم ينبغي أن يكون مرتاضاً مثلك
خفيف المؤونة . فقال البهائي : أيها الملك ان جواد الشيخ أعيأ بما
حمل من علمه الذي لا يستطيع حمسه الجبال . فعند ذلك نزل الشاه عن جواده
وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء . وهكذا يسعد الزمان وأهله
بأمثال هؤلاء العلماء المتواضعين المتعاونين على حين نجد في العصر الحاضر من ألم
بطرف من العلم يتنطع ويطاول الذرا العالية . هذا وكان البهائي واثقاً بنفسه
عارفاً قدرها وهو القائل :

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي الى سبر أغواري

أخاطب أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بانكاري

ومع هذا فقد كان في قرارة نفسه يؤثر التفرغ للمعلم والتخلي للعبادة
واعترال الملوك والبعد عن المناصب لأن بلاط الحكم لا يخلو من دسائس ومن
حسد ومناوأة وأطماع ومنافسة . وقد كتب يحاسب نفسه أي حساب ويحن الى

وطنه العربي على الرغم من الصروف التي اعتورت هذا الوطن : « لو لم يأت
والذي قدس الله روحه من بلاد العرب ولو لم يختلط بالملوك لكنت من أتقى
الناس وأعبدهم وأزهدهم . لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه
الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتصفت بصفاتهم ثم لم
يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا الا القليل والقال والنزاع والجidal ، وآل
الأمر أن تصدى لمارضتي كل جاهل وجسر على مباراتي كل خامل » .

نقول : هذا شأن كل مبرز في العلم والمعرفة سليم القلب طيب السريرة .
أما ما جاء في كتاب الكشكول من احماض ومن شعر خليع لابن حجاج أحياناً فمحمل
ذلك على التفككه وعلى الرغبة في اجسام القلب والترويح عن النفس الدؤوب في
العمل الجاد . ويبدو لنا أن البهائي كان مجاملاً في حياته للحكام وللجهال شأنه في
ذلك شأن العلماء الذين يتحامون الشرور والاضطهاد ما استطاعوا ولكنه لم يكن
راضياً عن الأحوال الداخلية التي كانت في بلاد الاسلام . ان بيت الشعر السالف :

أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بانكارى

دليل على ما نذهب اليه من وصفه بالجمالة . ولذلك يحسن بمطالع كتبه
وأشعاره في جانب ما زخرت به من فوائد جمعها أن ينتبه الى ما أدمجه فيها من
فقرات وحكم ومواعظ . ففي الجزء الثاني من الكشكول (ص ٢٦٧ تحقيق
طاهر أحمد الزاوي) وردت رواية عن علي بن أبي رافع الذي كان على بيت علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه في شأن اعارته بنته عقداً عارية مضمونة مردودة بعد
ثلاثة أيام . فهذه موعظة للولاء والحكام . وفي الجزء نفسه موعظة للمتنفذين وهي
أنه « مر » ديوجانس الحكيم بشرطي يضرب لصاً فقال : انظروا الى لص الملاينة
يضرب لص السر . وعندنا أن قصيدته في اللغة الفارسية التي يصف فيها شاباً
تقياً صالحاً قتل أمه الفاسدة لا تفهم الا على أنها رمز يهيب مؤلفها في أغلب الظن
اهابة خفية بالشعب للثورة على الحكم الفاسد والا فان قتل الأم لا يجيزه عقل
ولا شرع . انه في ذلك يجري على نسق الشعراء الايرانيين الذين تقدموه باعتماد
الرمز في أشعارهم لافادة مقاصدهم (منطق الطير مثلاً لفريد الدين العطار) .

من أجل دراسة أفكار العاملي وبيان علومه الواسعة لا بد من العمل قبل كل شيء على تجميع تراثه الفكري الواسع الذي يناهز تسعين مؤلفاً ورسالة وعلى طبعه وإشاعته. ونحن في موضوعنا «المتصل والمنفصل في فكر العاملي» اعتمدنا نبذاً قليلة منشورة في كتاب «الكشكول» وحده لأن «المخللة» لا تشتمل على شيء من موضوعنا . ولم نستطع أن نطلع على رسالته الموسومة بالجواهر الفرد التي تهمننا في هذا الموضوع . وقد راجعنا إلى جانب ترجماته وما رواه المؤرخون عنه كتابه «خلاصة الحساب» الذي في المكتبة الظاهرية نسخة منه مطبوعة على الحجر، وكذلك عثرنا على شرح ممتاز ولكنه وجيز لكتاب العاملي «تشریح الأفلاك» ولم نمثّر على الكتاب نفسه وعجبنا لهذه الأفكار الجيدة التي في الشرح حول سقوط الأجسام في الخلاء وسقوطها الحرفي في الهواء وعلى شؤون جاذبية الشمس والثوابت والسيارات والأقمار بحيث تسبق سبقاً لا مثيل له كلام نيوتن الذي ينسب إليه الكشف عن الجاذبية وقوانينها .

وكم يسعدنا حين نقرا مسرحية لشكسبير أو لشاعر فرنسي مثل كورني وراسين وموليير أو مقالة لفيلسوف وعالم مثل ديكارت أن نجد الطبقات الكثيرة المحققة مع الشروح ومع الدراسات الكثيرة لكل منها . وكم يؤسفنا في المقابل حين نريد أن نفتش عن كتاب الجواهر الفرد للعاملي ولنبعض رسائله العلمية ألا نجد لها أثراً أي أثر في مكتبتنا العامة أو الخاصة . أوّاه كم نشعر بالمرارة وكم يحزّ في النفس أن الأموال المربية والاسلامية الطائلة تذهب هدرًا في حروب مدمرة بين الاخوة والأشقاء ، وكان من الممكن أن ينصرف عشر معشارها في خدمة التراث العربي والاسلامي لتجلى صحائفه وتصل صفائحه ، هذا إلى جانب مئات الألوف من القتلى والمشوهين وهم في ريمان الشباب ومخايل القوة والمطاء .

أما موضوع المتصل والمنفصل فهو حديث فكري فلسفي علمي طويل ومتشعب نعرض خلاصته عرضاً واضحاً لنبرز أهمية الشيخ البهائي في إطار هذا الشأن . وكما أن العالم الفيزيائي يستطيع أن يحلل سناكوكب متوهج بمقياس الطيف ليمسّم ما يشتمل عليه الكوكب من عناصر، كذلك نستطيع أن نتبين من وراء فكرة واحدة وهي فكرة المتصل والمنفصل مثلاً مدى تمقّق البهائي في علم الحكمة . قضية

المتصل والمنفصل تبحث في الرياضيات وفي الفيزياء وفي الكيمياء . ومعنى المتصل أن الخط مثلا قابل للانقسام غير المتناهي ، وكذلك السطح والمادة . ومعنى المنفصل أن الخط أو السطح والمادة يتألف كل منها من نقاط أو أجزاء دقيقة محدودة وأن الانقسام يقف عند هذه الأجزاء فهو متناه فالمتصل والمنفصل لفظان شاع استعمالهما في التراث العلمي العربي وانتقلا إلى اللغات الأجنبية على طريق الترجمة فيقال في اللغة الانكليزية والفرنسية مثلا للمتصل *continu, continuous* وللمنفصل *discontinu, discontinuous* وثمة لفظ ثالث الحَقَّ بهما وهو *discret* بمعنى المنفصل أي المتقطع يطلق على بعض الحوادث أو النقاط المفردة . اتصال الخطوط والسطوح والأجسام والطاقة والضوء أو انفصالها شغل المفكرين منذ قديم الزمان وقد عرضنا في أكثر من موضع من كتبنا ومقالاتنا هذه القضية فلا نفيض فيها بل نكتفي بمرض بعض المفارقات واللمع الفكرية في تاريخ الفلسفة والعلم لنصل إلى موقف البهائي.

الانفصال في المادة عُرِفَ في كلا المذهبين نبايا وفايششيكاً عند براهمه الهند القدماء . ولقد نوه لوقيبوس وديمقريطس ثم أبيقورس عند اليونان بأن المادة تتألف في النهاية من أجزاء لا تتجزأ . ولكن المعلم الأول أرسطو اعتمد الاتصال والانقسام اللامتناهي . وقد ضحك زينون الايلي من فكرة الاتصال حين صور الخُلْفَ في فكرة الحركة المتصلة فمثل أخيلوس ذا القدمين الخفيفتين يلحق بسلحفاة . فلو كان الطريق متصلا أي مؤلفا مما لا نهاية له من الأجزاء لكان أخيلوس كلما قطع نصف المسافة بينه وبين السلحفاة مثلا ووصل إلى النقطة التي كانت بها السلحفاة لزم أن تكون السلحفاة قد قطعت مسافة ما . وهكذا لا يمكن له أن يلحق بها منطقيا مع أن الواقع بلوغه مكانها . ولما جاء المفكر الروماني القديم لوقريطس انضم إلى أبيقورس في تنويهه بانفصال المادة .

وثارَت هذه القضية في التراث الاسلامي . فالاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ مذهب فريق واسع من المسلمين وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين . وربما كانت آراؤهم بادئ بدمٍ صادرة عن دوافع دينية . ذلك أن أبا الحسن الأشعري أخذ هذه النظرية عن سابقيه من المعتزلة واعتمدها في دعم اتجاهه الديني إذ حصر التناهي في المخلوقات والأشياء المحدثه وترك اللاتناهي لله . لقد

ورد في القرآن الكريم : « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » وورد فيه أيضاً « وأحصى كل شيء عدداً » ولا يتم هذا الإحصاء إلا بما له نهاية . وعادوا الفكرة تلميذه القاضي أبو بكر الباقلاني وأتباعهما من المتكلمين .

وكان العرب المسلمون يقولون للأجزاء التي لا تتجزأ الجواهر الفردة والذرات . وقد تسربت فلسفة أرسطو الطبيعية إلى التراث الإسلامي وهي قد أنكرت الذرات فلا غرو أن نجد بين المعتزلة من أنكر وجود الذرات أيضاً . وأبرز هؤلاء إبراهيم النظام . وردّ على النظام بمثل المفارقة التي نوّه بها زينون وذلك أن الماشي الذي يقطع مسافة متناهية يقطع ما لا نهاية له لأن هذه المسافة تقبل القسمة إلى غير نهاية . ولكن النظام تخلص من هذه الصعوبة بالطرفة ومعناها أن الجسم المتحرك لا يماس أجزاء المسافة التي يقطعها بل يصير إلى مكان دون أن يمر بالذي قبله .

وفي تاريخ التراث العربي الإسلامي صور متعددة لهذه القضية التي كانت تلوح للمفكرين وتشغل عقولهم . فالشيخ الرئيس ابن سينا من أكبر ممثلي الفلسفة المشائية (فلسفة أرسطو وتلاميذه) . وقد قالوا إن الجسم كمّ متصل وفرقوا بين الانقسام بالفعل والانقسام بالقوة فأجازوا الثانية إلى ما لا نهاية وأنكروا الأولى .

ولما تناور أبو الريحان البيروني وابن سينا جاء في السؤال الرابع الذي سأل به البيروني ابن سينا في الرد على المعلم الأول : « لم استشنع أرسطوطاليس قول القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ ؟ » وقد شعر البيروني بالصعوبة التي تكمن في القول بالجزء ولكنه وجد صعوبات أكثر في القول المقابل فأشار إلى أن « القول بأن الجسم يتجزأ إلى ما لا نهاية أشنع » ثم يسأل كيف التخلص من حرج كلا الموقفين . ويحيب ابن سينا أن أرسطو إنما أراد الانقسام بالقوة ولكن البيروني يلزمه إذ ذاك بمشكلة أن لو قسمت الأبعاد انقساماً غير متناهٍ لوجب أن يساوي قطر المربع أحد أضلاعه لأن كليهما ينقسم إلى ما لا نهاية . ويبدو من هذا أن النظرية تجاوزت الميدان الديني وغدت قضية مطروحة في الفلسفة الطبيعية عند مختلف المفكرين من ممثلي الفلسفة المشائية ومن المستقلين البارزين

أمثال البيروني وهبة الله أبي البركات البغدادي ومن علماء الدين أمثال
 فخر الدين الرازي . وقد عرض هذا المفكر العلامة فخر الدين في كتابه «المباحث
 المشرقية» مختلف المذاهب في هذا الشأن مع براهين كل فئة على مذهبها بحيث
 تتجلى صعوبة كلا الموقفين وحرجهما . وورث العلم والفلسفة هذه المشكلة في
 المصور الحديثة وتوزعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم فلاسفة وفيزيائيين
 وكيميائيين . ولا يمكن في هذا العرض السريع جلاء تلك المذاهب . ولكن لا بد
 من الامتاع ببعضها ثم تحقيق ما أفضى اليه العلم في هذا الشأن . يذكر الفيلسوف
 الانكليزي برتراند رسل في كتابه portraits from memory and other essays
 الذي ترجمه أحمد ابراهيم الشريف بعنوان «العقل والمادة» وراجعه الدكتور
 زكي نجيب محمود مثلاً عجيباً على الاستغراق في الفلسفة وهو لقاءه
 للفيلسوف اليوغسلافي برانسلاف بترونييفك سنة ١٩١٧ وانهماك هذا
 الفيلسوف في مشكلة الجزء والذرة منصرفاً عن الأحداث الخطيرة
 الجارية . يقول رسل : « وكان الصرب في ذلك الوقت قد نجحوا في الانسحاب الكلي
 الرائع أمام الغزاة الألمان وكنت متشوقاً لأن أعرف القصة منه لأنه شاهد عيان ،
 ولكنه لم يرد إلا أن يبسط رأيه في أن عدد النقاط في المكان محدود وأنه يمكن
 تقديره حسب اعتبارات مستمدة من نظريات العدد . فكان هذا
 الاختلاف في الاهتمام من جانب كل منا مدعاة لحديث على شيء من
 المعب والغرابة . قلت : « أكنت في الانسحاب العظيم ؟ » فأجاب : نعم ! ولكن
 ألا ترى أن طريقة حساب عدد النقاط في المكان هي . . . » فأقول : « أكنت ماشياً
 على قدميك ؟ » فيقول : « نعم ، ان عددها لا بد أن يكون أولياً » فأقول : « ألم تحاول
 أن تحصل على حصان ؟ » فيقول : « بدأت على ظهر حصان ولكنني سقطت من على
 ظهره ، ولا يمكن أن يصعب علينا أن نعرف أي عدد أولي هو . » وعلى الرغم
 من كل محاولاتي لم أستطع أن أحصل منه على أكثر من هذا القدر عن موضوع تافه
 (١) كالحرب العالمية ، وأحسست بالاعجاب بقدرته على التناهي بعقله عن حوادث
 وجوده الجسمي » .

أما في العلم الحديث فقد كان الاتصال أول الأمر من صفات
 الفيزياء الاتباعية التي سادت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .
 فالمكان متصل والزمان مستقل عنه وهو متصل أيضاً . ولكن العلماء بالتدريج

ولا سيما في الكيمياء اضطروا الى التغلب عن فكرة الاتصال في مجالات تجاربهم وتأملاتهم . غدوا يتصورون المادة تتألف من ذرات ولكن تصورهم كان مبهماً اضطروا اليه اضطراباً بسبب القوانين الكمية لاتحاد العناصر البسيطة بعضها ببعض كقانون النسب المحدودة لبروست وقانون النسب المضاعفة لدالتون وبسبب اعتبارات العالم الايطالي أفوغادرو لحجوم متساوية من الغازات تحتوي على عدد متساوٍ من الجزيئات وبالتالي من الذرات دون أن يستطيعوا بشكل من الأشكال أن يروا الذرة أو الجزيء ولو بأقوى المجاهر . حتى أنهم حسبوا بطريق غير مباشرة عدد الجزيئات الحقيقية فيما دعوه بالجزيء الغرامي (سمي هذا العدد عدد أفوغادرو وهو يساوي $6,023 \times 10^{23}$) وحسبوا أن الذرة لا تنقسم ثم راعهم أن الذرة التي يدعونها في لغاتهم بالأتوم أي ما لا يتجزأ قد تجزأت ، وأن بناءها يشتمل على كهارب تدور حول نوى تتألف من أويّلات وأويّيات (بروتونات ونيوترونات) وكذلك على أجزاء أخرى دقيقة اعتبروها جميعاً نهاية المادة . وكذلك الأمر في الضوء فبعد اعتباره موجياً متصلاً نظر اليه على أنه يتألف من جسيمات دقيقة هي مادعوه بالفوتون . ورأوا أيضاً أن الصاقاً عند تبادل المادة والاشعاع لها انما يحصل التبادل بصورة منفصلة . ولكن العلماء أنفسهم في الوقت نفسه كانوا مضطرين الى الحفاظ على فكرة الاتصال لأنهم قرنوا بالأجزاء الدقيقة أمواجاً ذات مقادير رياضية والموج يفيد الاتصال . وكذلك رأوا أن تلك الأجزاء الدقيقة يؤثر بعضها في بعض تأثيراً متصلاً ضمن مساحات في المكان تجاذبية وكهرطيسية وما الى ذلك . فالاتصال والانفصال بدّوا جانبيين متقابلين لحقيقة واحدة . فدعا العلماء هذا الاقتران المتقابل بالتتامية . وليست هذه التتامية الا شكلاً نظرياً للحيرة التي يحيط العالم بها بدلاً من أن تحيط به .

مثل هذه الحيرة أو التتامية . نجدها عند بهاء الدين العاملي . لقد كانت فكرة المتصل والمنفصل تشغل تفكيره اذ يتبدّى أحد الجانبين فيها تلو الآخر . فهو يعقد فقرة في كتاب « الكشكول » يبرهن فيها على ابطال الجزء فيقول : « مما سنع بخاطر جامع الكتاب تفرض دائرة مركبة من الأجزاء وتخرج فيها خطين مارين من المركز بين طرفيهما جزء واحد من محيط الدائرة فهما متقاطعان على

المركز فالانفراج الذي بينهما قبل التقاطع اما أن يكون بقدر الجزء أو أكثر أو أقل والكل باطل لاستلزام الأول كون المتقاطعين متوازيين والثاني كون المتقاربين في جهة متباعدتين فيها والثالث الانقسام» . (طبعة ١٩٦١ ج ٢ ص ٦٠) . ولكنه في الكتاب نفسه يذكر لنفسه برهاناً على امتناع اللاتناهي فقد ورد في اثبات الجزء قوله : « ليس لمشتتي الجزء حجة أقوى من حكاية وضع الكرة على السطح المستوي اذ لو انقسم موضع الملاقاة لوصل من طرفيه الى مركزها ليحدث مثلث متساوي الساقين ويخرج من ملاقاته القاعدة عمود الى المركز . فالخطوط الثلاثة الخارجة من المركز الى المحيط متساوية لأنها كذلك ويلزم أن يكون أطوال الساقين أكبر من العمود لأنهما وترتا القائمتين وهو وتر الحادتين » (ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦) .

وفي الكتاب نفسه أيضاً برهان آخر على امتناع اللاتناهي يسهل الرجوع اليه (ج ٢ ص ٥١) ويذكر المؤلف برهاناً ينسبه الى السيد السمرقندي على امتناعه (ج ٢ ص ١٩٧ - ١٩٨) ويناقشه . وهذا يدل فيما يدل على أن العاملي كان مُدمن الفكر في قضية اثبات الجزء أو نفيه . تارة يشبته وتارة ينفيه . فهو في هذه الحيرة العلمية يبدو في صف العلماء الحديثين اذ كان هؤلاء العلماء يلحون على التنافر بين هذين الوصفين المقترنين عند دراستهم للظواهر الميكروفيزيائية : يلوح فيهما الاتصال فيخفى الانفصال أو يلوح الانفصال فيخفى الاتصال ، فكانهما وجهان لمُعملة واحدة لا نراها معاً . وإن قصارانا أن نرى الوجه الواحد تلو الآخر .

وليس معنى كلامنا أننا نقبل براهين بهاء الدين العاملي في هذا الشأن ، هيئات ! ذلك أن أساليب البحث والبرهان العلميين قد تبدلت تماماً حين تجاوز العلماء مقاييس الظواهر الفيزيائية في السلم الانساني وبلغوا فيما دعوه بالميكروفيزياء شفا المادة والطاقة أي نهاية أطرافهما . ومع ذلك فهم يتساءلون هل الكهرباء أي الالكترون وحبة النور أي الفوتون قابلتان للانقسام أولاً ؟ وهم يستشفون الجواب من أشكال المعادلات الرياضية التي تفيد صيغها كلاً منهما .

المهم هو أن نسجل قلق عالم كبير مثل بهاء الدين العاملي تجاه هذه القضية . وهو يشبه قلق العلماء المعاصرين وإن كنا نرى أدلته وأدلة أمثاله قديماً من

العلماء في غاية السذاجة • ولكنه يبدو أحصافاً موقفاً وأعمق فكراً وأنفذ ذكاءً حين يتردد بين الجانبين كأن كلاهما من الجانبين يتم الجانب الآخر على حد اصطلاح فلاسفة العلوم المعاصرين • بل إن هذا القلق الفلسفي حول الاتصال والانفصال، حول الانقسام اللامتناهي أو الانقسام المتناهي جعل العالَمِي يُدخل هذه المشكلة في بعض ألغازه التي كتبها تنشيطاً للتفكير :

وصفوة القول أن بهاء الدين العالَمِي فقيه صوفي نحوي لغوي أديب راوية شاعر مهندس رياضي فلكي • وكأنما عناء القائل :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نعم لقد قل أن تجتمع هذه الصفات العلمية والأدبية عند الغربيين ، وإن كنا نجدها أحياناً مجتمعة ومؤلفة عند أعلام بارزين في الحضارة العربية الإسلامية بفضل الاسلام وحثه على طلب العلم والمعرفة والحكمة • من هؤلاء الأعلام من نحن في صدد تكريم ذكره • بل فوق ذلك كله نجده يمثل في شخصه التمازج العميق بين العرب والایرانیين في تجسيد القيم الرفيعة وفي ظل سلام العلم والمحبة •

إن التأمل في مزايا هذا العلم الحميدة وخصاله الفريدة يجعلها تسري في خفاء وتعاطف عميق الى المتأمل • ولما كان شاعراً جعلني أتفنى بهذه الأبيات التي تلخص حياته وتعيي ذكره :

شدا كل العلوم وفاق فيها	فيا لفتى المعلوم المبقرى
وبالمربي نَمَقَ كلَّ نثرٍ	وشمر رائقٍ والفارسي
لساناه تمازجتاً اثلاً	تقول عناق أم للصبي
له الكشكول والمخللة سارا	سير النور في الأفق القصي
هما كنزان من علمٍ ووعظٍ	وهندسة ومن أدبٍ وضي
يزينان التسرات على غناه	كما ازدان الفواني بالعلي
وما الأسماء إن حَقَّقَتْ الا	ثمار تواضع القلب التقى
فيا لك عالماً وأديب عصر	وصوفياً وذا خلق رضي
تناهى الفضل والعرفان فيه	وحبُّ الأهل مع حبِّ النبي
وتلك حضارة فاقَت سَمَواً	حضارة عالمٍ باغٍ غوي

حضارة عالم لا خلق فيها
ليسترقا منازلنا ونقصي
إذا صار الشقي رئيس قوم
قوى قد غطرت وطفت عتوا
كان الدهر بعد هداه أمسى
لحاهها الله من دنيا تمادت

سنمشي للملا قدما ونبني
وما أحلى التعاون في شعوب
وليس يتم إلا بالتصافي
أخاك أخاك إن أخاك حقاً
إذا أوطأنا ضمت عراها
تري الرايات تخفق في رباهها
يشع النور حلوا من حماها
وتزكي كل مكرمة ثراها
أمان للقلوب ترف فيها
لممري أفضل الأعمال علم
وما شخص الفتى إلا خيال

أتيت منوهاً بسنا بهائي
ولا يستطيع أن يكون سناه
لمل الله يكلونا ويخفي
سلام الله والآيات تهدي
الهي أنت تعلم ضعف حالي
وما عبد الكريم سوى فقير
حبيبي كل محبوب لديه

عبد الكريم الياني

أساليب القرآن الكريم في معالجة النفس الإنسانية

- ٣ -

د. محمد فتحي الدريني

منهج البحث موجهًا ومفصلاً

١ - مقدمة

ب - الفرق العاسم بين « الرجاء والأمانى » في المفهوم القرآني ، مصدرا ، ومفهوما ، وحكما .

ج - المعنى العقائدي، في الاسلام ، لا ينفصل عن العمل الديني ، وصلا للدين بالدنيا .

د - تحذير القرآن الكريم المؤمنين ، أن يميلوا عن سنن الله تعالى الثابتة المطردة ، والنافذة آثارها - منذ القدم - في الأولين ، بسبب من الغفلة ، أو عامل الاستهواء ، والافراء ، من قبل من يتبعون الشهوات في كل عصر ، أو بدواعي الرغبة في التحلل من تبعات رسالة التكليف ، ارسالا للنفس على عواهنها ، أو التلهي بالأماني الكواذب ، والتعلل بالأوهام ، على ماسياتي تفصيله ، وبيان وجه الاستدلال عليه .

هـ - القرآن العظيم ، وتقويته لمعنوية النفس الانسانية ، وتعبثتها روحيا في مواطن الجهاد القتالي ، تنفيذا لمقتضيات سننه العامة المطردة في هذا الوجود ، وتجنيبا للانسان من اعتسافها .

و - القرآن العظيم ، اذ يزجي في النفس الانسانية المؤمنة ، روح البشرى والترجية ، يقرن ذلك بالتوعية ، والتبصير ، بحقائق الوجود ، وسنن الله تعالى التي بثها في الحياة والاحياء ، ويقفها على منطلق طبائع الأشياء ، من خلال ما جاء به من « بصائر » لتكون على بينة من أمرها ، في كل ما تأتي به ، وما تذر ، وما تتخذ من « مواقف » حاسمة ، في تقرير المصير .

ز - يقف القرآن العظيم ، النفس الانسانية على مسار التاريخ الانساني الطويل ، بل والموغل في القدم ، يستعصره ، من خلال التجارب الحيوية الواقعية التي مرت بها ، وعانتها الأمم الغالية ، لتستهدي بالعوامل المؤثرة في توجيهها ، ثمرة لآثار وسنن الله المتحكمة فيها .

ح - يرسم القرآن العظيم ، المنهج الاقوم الذي ينبغي أن تسلكه الانسانية جمعاء ، في مسارها الطويل ، لو تابعت الى رشدنا ، واستهدفت المصلحة الانسانية العليا ، للبشرية كلها - وقد أعدها الله تعالى اعداداً خاصة لذلك ، لتمكنها من التنفيذ ، والاداء ، مرشدا الى موضوعية قيمه ، وانسانية مثله ، وعالية مبادئه ، وشمولية مفاهيمه ، ومقدراً تغير ظروفها ، بقوله تعالى : «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » لكنه يحذر - في الوقت نفسه - من غرور الأوهام ، وحذر الأمانى ، ليبصر بما جاء به من بصائر وبيّنات من الهدى والفرقان ، ويوفى الوعد للذات ، ويهدي الى السنن العامة التي تقوم عليها حقائق هذا الوجود ، منذ نشأة الخلق الاول .

ط - شرع القرآن العظيم ، الوسائل العملية التي تعتبر من أصل تعاليمه ، في توهين القوى المعنوية للعدو ، ومنها ، وجوب المباداة بمهاجمته اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، وتتبعه في كافة مواقعها التي لاذ بها ، او اعتصم ، لمواصلة مقاتلته ، وتحريم التواني عن اللحاق به ، حيثما ثقف ، او استشعار الوهن في مجابهته ، وهو اصل عتيد مقرر في هذا الكتاب العزيز ، بصريح النص .

ي - نهى المقاتلين عن التواني عن المباداة بالهجوم ، اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، يشمل - لزوما عقليا - نهيم عن أن يتيحوا لأسباب الوهن التي يبشها العدو من خلال وسائل اعلامه ، أن تتسرب الى نفوسهم ، وأن يغدعوا بها عن أمرهم ، ليؤد على العدو قصده من التخذيل ، والتثبيط ، والتوهين ، ومحاولة تحطيم البنى المعنوية للمجاهدين .

ك - معالجة القرآن للنفس الانسانية ، بالقيم الروحية ، ذات اثر بالغ في امكانية تحقيق الصلاح الذاتي ، توصلنا الى مهمته الكبرى من الاصلاح العالمي ، وتفسير ذلك .

ل - الاصل أن الانسان الفرد ، لا يمكن أن يساهم في تحقيق حضارة انسانية اذا كان هو نفسه ، غير متحضر انسانيا ، وسبيل ذلك هو اعتبار القيم العليا الخالدة ، في المقام الاول .

م - اقام الاسلام الدليل البيّن على صدق تلك « الحقيقة » من « فطرية الوحدة الانسانية تمهيدا لتحقيق مهمته من الاصلاح العالمي فقدت تلك « الحقيقة » - في منطقها القرآني - « معتقدا » بصريح النص القاطع ، فضلا عن أنها مما يكبر على العقلاء ، والعلماء ، والمفكرين ، جعده ، وانكاره .



ن - تاصيلا للمعنى الانساني العام في المجتمع البشري ، اعتبر الاسلام التمييز بالعنصر ، أو اللون ، أو اللغة ، نقضا لانسانية الحضارة ، فضلا عن أن هذا التمييز ، يشكل افتئاتا صارخا على مكونات الفطرة ، ومقوماتها ، وخصائصها ، التي برأ الله الناس عليها ، مما يحول بالآخرة دون امكان تحقيق منهجه العام في الاصلاح العالمي .

ص - تكوين الانسان معتقداً ، على أساس من القيم الروحية الموضوعية المطلقة ، ذواته بالغ في مدى تشكيل ابعاد تصوره للحياة والأحياء ، وأن عناصر هذا « المعتقد » ومفاهيمه الكبرى - بما هي المنطلقات الأساسية للنشاط الحيوي في كافة أنواعه ، ومناحيه ، توجيهها ، وتحديد مسار ، ولا سيما على الصعيد الدولي - من أهم العوامل المؤثرة في امكانية تحقيق مبدأ الاصلاح العالمي الذي نادى به الاسلام منذ نزوله على الأرض وحيا ، وتفسير ذلك .

ع - القيم الروحية ضرورة حيوية لتحقيق مقتضيات الاصلاح العالمي ، بدليل أن كثيرا من ساسة الاستعمار في العالم ، وفي عصرنا هذا ، بوجه خاص ، لا يعوزهم « الضمير » ولكنه معطل الأحكام ، لغلبة الهوى والأثرة ، فضلا عن أن هذا « الضمير » يتأثر حتما بعوامل شتى ، من البيئة ، والنشأة الأولى ، والتقاليد ، والعادات السائدة ، والأفكار الضالة المنبثقة عن نظريات سياسية أو اجتماعية فاسدة ، مما يفسد عليه تصوره ، أو يعتقل أحكامه .

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

★ ★ ★

أساليب القرآن الكريم في معالجة النفس الإنسانية

مقدمة :

انتهينا في البحث الأنف ، الى تقرير « حقيقة يقينية » قد أصلها القرآن الكريم ، مؤداها : أن « الانسان » بمعناه الاستفراقي العام - أفراداً وشعباً وأماً ، وفي ضوء الحكمة القرآنية - قد خلق للأمل ، والعمل : أشرفه ، وأحسنه ، وأجوده ، تمبيراً حياً واقعياً ، عن أمهات الفضائل التي صدق بها ابتداء - عقلاً وقلباً - مصداقاً لقوله - عز وجل - : « فاما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى » اذ لا يجرى التصديق بها ، دون تحقيق معانيها ، وتنفيذ مضمونها - تماماً وسلوكاً - بل ترى القرآن الكريم ، يقدم « العطاء » في الذكر ، على التصديق ببواعثه ، في منطوق الآية الكريمة التي تلونا ، في حين أن « التصديق » أو « الاعتقاد » سابق في الوجود على العمل ، ذلك ما تقتضي به طبائع الأشياء ، والسُنن المطردة في الحياة ، وانما قدم القرآن ما من شأنه التأخير - لكونه أثراً ، أو مسبباً للاعتقاد - اهتماماً بشأن العمل والعطاء ، وحثاً للناس على الاستجابة لمقتضى إيمانهم ، اذ كثيراً ما يقع « التناقض » بينهما لدى كثير منهم - تهاوناً أو انحرافاً - وبهذا ، جعل القرآن أمر التصديق بالحسنى - وهو الايمان الحق ، وما يقتضيه من الفضائل - جعل ذلك اعتقاداً سلوكياً ، لا اعتقاداً ذهنياً أو وجدانياً مجرداً ، حتى يكون للاعتقاد ما صدق " عملي " في مواقع الوجود ، وليكون « السلوك اعتقادياً » أيضاً ، بمعنى أن لقيمة لسلوك مهما كان حسناً ، اذا لم يكن نابعاً أصلاً من عقيدة صحيحة ، حتى اذا كان السلوك اعتقادياً ، كان ذا قيمة انسانية بالضرورة ، وهذا - في نظر العقل والشرع - هو الشأن في كل حي - سوي ، الأمر الذي يؤكد ما تبدى لك آنفاً ، من أن حقيقة الرجاء القرآني - في ضوء ما قررنا من السلوك الاعتقادي ، والاعتقاد السلوكي - لا مكان فيها « للأمانى الكاذبة » حريّة عن العطاء المطلق ، مقروناً بصدق الاعتقاد ، لصريح ما تلونا ، وبذلك يميز القرآن العظيم - كما ترى - تمييزاً حاسماً ، بين كل من « الرجاء والاماني » مصدراً ، ومفهوماً وحكماً ، وهو ما نتناوله بالبحث والتفصيل فيما يلي :

الفرق الحاسم بين كل من الرجاء والأمانى ، في المفهوم القرآني ، مصدرا ، ومفهوما ،
وحكما .

أ - أما مصدرا ، فلأن الرجاء في الله عز وجل ، وحسن الظن به ، تابع من معين
المقيدة نفسها ، معقودا بالعمل ، أساسا له ، أو شرطا فيه ، بصريح منطوق النص - كما
أشرنا - فكان «الرجاء» لذلك ، أمرا عقائديا ، فضلا عن كونه ديملا ايجائيا بنشأ منتجا ،
في أن معا .

أما آية كونه عقائديا في المقام الأول ، فذلك لأنه أمر تستلزمه طبيعة الاعتقاد نفسه ،
والإيمان بوجوده سبحانه ، استلزاما حتميا ، إذ ليس من المتصور عقلا ، أن يكون ثمة
اعتقاد ، أو إيمان صادق بالله عز وجل ، دون رجاء فيه ، أو حسن ظن به ، أو أمل
مستبشر في عونه ، ونصره ، وغفرانه ! والاكأن « الاستغناء » عن الله تعالى - والقيام
بالله - وهو سبب شقوة الحياة ، كما بيثنا ، ولأن « الاستغناء » لا يجتمع مع صدق الاعتقاد ،
للتناقض .

يدل على هذا ، أن القرآن الكريم جمل التضرع اليه سبحانه - ولا سيما إبان
الأزمات والضوائق والمحن - آية صدق المعبودية له ، مصداقا لقوله عز وجل : « فَاخْذِنَاهُمْ
بِالْبَاسِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ! » وقوله سبحانه - في وقعة بدر الكبرى ، حين
ادلهم الخطب ، وعظمت الكوارث ، واشتد القتال ، وحسي الوطيس - يصف حال
المؤمنين في موقفهم الحاسم : « اذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم » فكانت « الاستجابة »
وهي النصر - عقب الاستغاثة ، لأنها دليل حقيقة المعبودية لله جل شأنه ، بل ترى القرآن
الكريم ، ينمى على الذين لا يتضرعون اليه ، وقت الشدة ، ولا يلجأون الى ربهم ليكشف
ما حل بهم من أزماء ، في مثل قوله تعالى : « فلما استكانوا لربهم ، وما يتضرعون ! »
ولا ريب ، أن الاستكانة لله سبحانه ، واللجوء اليه ، تضرعا ، مظهر للمعبودية الصادقة ، ولا
مرية أن المعبودية من صميم الاعتقاد بوجود المعبود ، وحسن الظن به ، وذلك دليل كون
الرجاء - والتضرع أبلى من الرجاء معنى - اعتقاديا في المقام الأول .

هذا ، وفي الحديث القدسي فيما يرويه الرسول ﷺ عن رب العالمين : « أنا عند حسن
ظن عبدي بي » فكان الرجاء - وحسن الظن بالله أساسه - دليل صدق الإيمان ، ومظهر الثقة
العظمى به جل وعلا ، فكان - كما بينا - تابعا من المقيدة ، وأمارا على صدقها ،
ورسوخها ، ثم هو - آخر الأمر - « مناط الابتلاء فيه » ، لما تلونا ، بخلاف « الأمانى » في
المفهوم القرآني ، وبيان ذلك :

أن مصدر « الأمانى » - كما علمت - غرور الشيطان ، وإيحاءات الاستهواء ،
لصريح منطوق النص القرآني : « يمدهم ، ويمنيهم ، وما يمدهم الشيطان الا غرورا »
فيورث ذلك في « الانسان » اغترارا بوعده ، بمامل « الاستهواء » .

هذا ، وقد يكون « الاستهواء » بمامل الغريزة الممياء ، وإيحاء منها ، وتزيين ،
وإيا ماكان ، فالاغترار ، والاستهواء النفسي ، هما مصدر الأمانى الكواذب ، مما لا يمتالى

« الرجاء » الإيجابي في مفهومه القرآني بصفة، لأن منبته « المعقيدة » الصحيحة ، والوعي النفسي بحقائق الوجود ، ولذا كان « الاغترار » بجميع مظاهره ، محرماً قطعاً ، لأنه سبب « الغفلة » عن تلك الحقائق ، ويعتد الغافل في ميدان الحياة العملي ، لأمرين :

اولهما : أنه ضرب من الاتباع لخطوات الشيطان - استهواء واهرام - وهو محرم بالنص ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا، لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان ، فإنه يأمر بالفحشاء ، والمنكر » (٢) ولقوله عز وجل : « يهديهم ، وما يعدهم الشيطان الا غروراً » (٣) ولقوله ﷻ : « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى » .

ثانيهما : ان مواطن الاغترار بالأمانى الجوفاء ، أو مظائنه - كما يقول الامام الشاطبي (٤) - قد جاء فيها « التخويف » في القرآن الكريم على نحو « أغلب وأشد » ومثل ذلك بأن درء المفسد أكد (٥) ، فكانت « الأمانى » إذن - وكما ترى - من المفسد الواجب درؤها قطعاً ، وذلك آية « الحرمة » التي تفسر لنا شدة التخويف القرآني من الوقوع فيها ، بما هي أوهام ، أو رؤى حائلة ، أو غفلة عن الواقع الحي للمجتمع الانساني ، وعن سنن الله فيه !

وعلى هذا ، يتبين لك الفرق حاسماً بين مفسدة الأمانى ، وبين عقائدية الرجاء والامل في الله تعالى ، مصدراً ، على ما يقرره القرآن الكريم ، كما رأيت .

ب - وأما من حيث « المفهوم » والحقيقة ، فالرجاء - بما ورد في القرآن الكريم معقوداً بالعمل الصالح ، ارتباطاً بالشرط بالجزاء - كما قدمنا - يتضمن معنى « إيجابياً » قوامه الأمل المستبشر معقوداً بالعمل الجاد الصالح : الأمل في الله تعالى - فرحاً عن الايمان الصادق - والاستبشار بوعده ، عز وجل ، والاستيقان بانجاز ما وعد ، والوفاء به ، مصداقاً لقوله سبحانه : « ومن أوفى بعهده من الله !! فاستبشروا ببيمكم الذي بايتم به » (٦) على أن هذا المفهوم القرآني للرجاء ، ليس استبشاراً خالصاً ، بل هو مشوب بالخشية من الله وقارا ، لايمان المسلم بعتمية لقامربه يوم الحساب !!

يرشدك الى هذا ، صريح قوله عز وجل : « والذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجة ، أنهم الى ربهم راجعون » (٧) . وقوله تعالى في تضمينه « الرجاء » معنى الخشية « ما لكم لا ترجون لله وقارا » (٨) « فلم يخلص الرجاء - كما ترى - لمعنى الاستبشار ! !

هذا ، ويستقر معنى الخشية في مفهوم « الرجاء » في القرآن الكريم بتأكيد حلول أجل هذا اللقاء ، حتماً ، في مثل قوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء الله ، فإن أجل الله لآت » (٩) . على سبيل التأكيد ، من دخول اللام على خبر أداة التأكيد .

على أن هذا هو شان الايمان نفسه ، من أنه دائر بين الأمل والخشية ، على ما قرره القرآن الكريم ، وبيان ذلك :

حقيقة الايمان نفسه دائرة بين الخوف والرجاء •

يقرر الامام الشاطبي (١٠) هذه الحقيقة بقوله : « ومن هنا يتصور للعباد ، ان يكونوا دائرين بين الخوف والرجاء ، لان حقيقة الايمان دائرة بينهما » •

والأدلة قد وردت في هذا الخصوص ، من قوله تعالى : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (١١) » وقوله عز وجل « ان الذين آمنوا ، والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله » (١٢) وقوله جل ثناؤه : « أولئك الذين يدعون ، يبتغون الى ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه » (١٣)

ج - وأما من حيث « الحكم » أو الوصف الشرعي ، فان الرجاء الايجابي العامل - سواء أكان مسبقاً بأداء أمانة التكليف ، وانفاذ تعاليم الرسالة ، وتحقيق مثلها العليا ، في الواقع الحيوي المميش ، أم كان مقارناً لذلك ، أم لاحقاً له ، وبما هو فرع عن المقيدة الصحيحة ، وأمانة على صدقها ، كما بيننا ، فان هذا الرجاء الايجابي العامل ، مفروض و « مستجاب » من قبل الله تعالى ، بمقتضى وعده ، ولكونه جارياً على ستن ثابت هو من وضع الله تكويناً ، ولكونه - آخر الأمر - من اللوازم الحتمية للإيمان نفسه ، كما بيننا ، اذ لا يتصور خلوه النفس الانسانية المؤمنة ، من الأمل المرجو في الله تعالى - مغفرة ، ورحمة ، وعونا ، وانعاماً ، وتوفيقاً ، ونصراً - حتى اذا خلت من هذه البواحي والآمال ، كان مرد ذلك الى أحد أمرين ، أو كليهما :

أ - ضعف الثقة به سبحانه ، أو الاستغناء عن الله - والعياذ بالله - وهذا ليس من صدق الايمان في شيء ، بل هو مما يناكره !

ب - لكان اليأس والقنوط ، أو مظنته (١٤) والخوف من عدم الغفران ، للاسراف في الشر والاثم ، وهذا قرين الكفر ، كما أسلفنا ، بصريح قوله عز وجل : « انه لا يياس من روح الله ، الا القوم الكافرون » •

أما مجرد « الأمانى » باطراح التكليف ، والتخلل من أعباء الرسالة ، كفرأ بها ، وتكذيباً لها ، أو تهاوناً في أمرها ، أو تلهياً واغتراراً بأحلام المنى - فتلك - على النقيض من الرجاء المتقاضي الايجابي - تشكل موقفاً سلبياً تجاه حقائق الوجود ، ومنافاة بيئته للوضع الصحيح للحياة الانسانية التي وضعها الاسلام فيه ، تساوقاً مع فطرتها ، فكانت غفلة عن سنن الله الثابتة النافذة ، أو اعتسافاً لها ، وملهاة صارفة عن مقتضياتها ، ونضيعة للحياة ، وسبباً في خسارة الآخرة ، كما قدمنا ، ومن هنا كانت هذه « الأمانى » محرمة قطعاً ، للأدلة التي أشرنا •

وتأسيساً على هذا ، فان ايمان المرم وحده - في شرعة الاسلام - لا يضمنه من المسؤولية عن نفسه ، وعن غيره من الأفراد والمجتمع أيضاً ، التزاماً بأداء التكليف ، وتحقيقاً للتكافل الانساني الملزم ، ولا يعصمه بالتالي من توقيع الجزاء الوفاق على ما فرط

في جنب الله ، وتنكّب سننه الثابتة في وضعها الشرعي العام - اخلايا وتمطّيا - اذ لا ينفع نفساً إيمانها ، دون تعبير عملي واقعي عنه ، ليتم الابتلاء فيه ، وذلك بتحمل أعباء التكالييف وأدائها على الوجه الأكمل - وفي حدود السعة والاختصاص - بجهد مستمر أبداً ، وكدح دائم لا يفتّر - ليقترّب من مستوى المثل العليا ، وأمهات الفضائل - تكملة للنفس ، وتنمية لها ، وأداء لتكالييفها ، أن لم يكن في وسعه بلوغه ، مهما طال جهاد الإنسان العام ، وكدحه عبر الأجيال المتعاقبة ، لقوله تعالى : « يا أيها الإنسان ، انك كادح الى ربك كدحاً ، فملاقيه » (١٥) أي دنيا وأخرى !

يرشد الى هذا ، أن كدح الإنسان ابتغاء وجه ربه الأعلى ، يتطلب زمناً طويلاً ، وعملاً جاداً ، وعطاء كثيراً ، اذ عبّر عن هذا المعنى قوله تعالى : « ولسوف يرضى » دون الاكتفاء بسين التسوييف (١٦) .

على أن مفهوم « الابتلاء » في القرآن الكريم - بما هو غاية الحياة الإنسانية - ليس مقصوراً على العقائد - وإن كانت هي المنطلقات الأساسية للسمي المسؤول ، والا حبط العمل - بل الابتلاء معنى شامل بأبعاده ، للعقائد والشرائع العملية أيضاً ، بصريح النصوص ، فالاسلام عقيدة وشريعة معا ، والتكليف والابتلاء شامل لهما ، والشريعة بوجه خاص ، قوامها تكالييف تستهدف تشييد الحياة الإنسانية على سنن ثابتة ، ودعائم راسخة ، هي عين سنن الفطرة ، لتبلغ أرفع مستوى من المعاني الإنسانية ، والمثل الرفيعة ، في كل عصر وبيئة ، عدلاً مطلقاً ، وأحساناً ، ومساواة ، وحرية ، وأخوة ، وهزة وسيادة ، ومنعة وصلحاء ، وتزكية ، وإيثاراً وأصلاحاً ، وجهاداً بالأنفس والأموال ، وتسامحاً ، ورحمة ، وحضارة إنسانية ، بل وتحريراً للمستضعفين المقيمين في الأرض ، ولو لم يكونوا يدينون بدين الاسلام ، ولا تربطنا بهم رابطة من المواطنة ، أو اللغة ، أو الدم ، أو الدين ، محققاً لأصول الظلم والعدوان والفسى في الأرض ، وليس ثمة من ايجابية - في التصور أو الوقوع - أقوى أثراً ، وأشمل محتوى من هذه المعاني والمثل العليا الرائعة حقاً ، فيما نرى ، فدل ذلك قطعاً على أن الايمان وحده دون أداء التكالييف لا يعفي من المسئولية ، تلك حقيقة من الحقائق المستقرة في شرع الله ودينه !

على أن هذا الأصل العظيم - من العمل والأمل - لا يتنافى - كما بيّنا - ومقتضى المغفرة الشاملة ، على الرغم من اطّراح العمل فترة ، أو اقرار المعاصي ، اذا تمت الإنابة اليه تعالى كما في قوله عز وجل : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطروا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعاً ، انه هو الغفور الرحيم » (١٣) ، وأنبيوا الى ربكم . . الآية ، لاختلاف الحالين ، وبيان ذلك :

ان هذه الآية الكريمة ، مسوقة لمقصد بيّن ، هو معالجة النفس الإنسانية وهي في مقام اليأس ، أو مظنته ، واحتمال وقوعه ، على ما يرشد اليه سبب نزولها الذي يكشف عن المراد منها (١٤) ، دون أن يحُد هذا السبب من شمول حكمها ، اذ العبرة بعموم اللفظ

لا بخصوص السبب « حيث ترى القرآن الكريم في هذا المقام ، لا يني يث في النفس الانسانية روح التبشير والاطماع والتوجيه ، حماية ووقاية لها أن تتردى في حمأة القنوط ، أو تسترسل فيه بعد الوقوع ، لأن «القنوط» موت معنوي مبيد - كما أسلفنا - بخلاف « مقام الاسترسال في الهوى والشهوات » اعتماداً على « التمني » على الله تعالى في الفئران ، عجزاً ، وحمقاً ، واغتراراً بالأمانى المجردة ، دون اناة صادقة اليه عز وجل ، أو توبة نصوح ، أو عقد للزم على استئناف حياة جديدة ، قوامها « عمل ايجابي صالح » يتقرب به الى الله زلفى ، حيث ترى القرآن الكريم - في مثل هذا المقام - يؤكد وجوب « الجزاء » على الامعان في اجتراح المعاصي ، والاصرار على انتهاك الحرمات ، ايقاظاً للنفس الانسانية من غفلتها ، وتبصيراً لها بمآل امرها ، لقوله تعالى : « ليس بامانيكم ، ولا امانى اهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجداً له من دون الله ولياً ولا نصيراً » (١٥) .

ج - المعنى العقائدي في الاسلام ، لا ينفصل عن العمل الديني ، وصلاً للدين بالدنيا .

وعلى هذا ، فالمعنى العقائدي - كما ترى - لا ينفصل عن العمل الديني ، بل هو روحه وملاك امره ، انفاذاً لرسالة الله في الأرض ، ووصلاً للدين بالدنيا ، وتفسيراً للوجود الانساني فيها ، بل العمل الديني - بشتى صوره ومناحيه - هو المظهر العملي الواقعي للمعنى الديني ، وتجسيد حي له ، حالة الأداء والتنفيذ ، فلا فصل - كما ترى - بين الدين والدنيا ، وفي هذا من الدلالة البينة على ان المعاني العقائدية في الاسلام ، حقائق وجودية ، تنفيذاً ومآلاً ، وليست مجرد تجريدات ذهنية ، أو فلسفية تأملية ، أو ترفي فكري ، أو مفاهيم ميتافيزيقية - كما يقال - ليس لها « ما صدقات » في الواقع العيوي للمجتمع الانساني !! اذ لا يجوز شرعاً ، الاجتزاء بالمعنى العقائدي دون العطاء المطلق الذي يعبر عنه تعبيراً واقعياً حسياً واميناً - كما بينا - فكانت العقائد - في الاسلام - سلوكية ، والسلوك اعتقادياً - كما ترى - وهذا ستنّ الهى ثابت ونافذ في الحياة الانسانية ، منذ النشأة الاولى ، لقوله تعالى : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (٢٠) لينهض بالوضع الصحيح للحياة الانسانية ، وهي - على التحقيق - سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها - كما أسلفنا - لا تبديل لها ، ومن هنا يشكل تمطيلها ، أو الاخلال بها ، أو الخروج عليها ، نقضاً لطبيعة الفطرة نفسها ، ولن يحقق عمل للانسان خيراً في حياته ، ولا صلاحاً في امره ، اذا جاء على النقيض من طبيعة فطرته !!

وعلى هذا ، يتبين لك ، أن « التحريم » أو « الايجاب » أو الامر والنهي في الاسلام ، لم يكن تحكماً ، ولا اماناً ، وانما هو تدبير الهى للحياة الانسانية ، وتوجيهها الى ما تقتضيه طبيعة فطرتها ، وما تستلزمه « معقولة » سنن هذا الوجود !!

د - تحذير القرآن الكريم المؤمنين ، ان يميلوا عن سنن الله تعالى الثابتة المطردة ، والنافذة اثارها - منذ القدم - في الاولين ، بسبب من الغفلة ، أو عامل الاستهواء والاضراء ،

من قبل من يتبعون الشهوات في كل عصر ، أو بدواهي الرغبة في التحلل من تبعات رسالة التكليف ، أرسالا للنفس على عواهنها ، أو التلهي بالأمانى ، والتحلل بالأوهام ، على ما سيأتي تفصيله ، وبيان وجه الاستدلال عليه .

هذا ، وأرشدهم - سبحانه - تطهيراً لهم من رجس الأمم المخالفة السابقة ، وتوبة منه - تعالى - عليهم ، رداً لاعتبارهم - أقول من أجل ذلك كله ، أرشدهم الى وجوب أن يستأنفوا - مع الاسلام - حياة انسانية جديدة هائلة آمنة ، ملتزمة هدية الأقوم ، وسالكة سواء السبيل ، لتعبر بذلك عن خصائص فطرتها ، ولتتبوا مركزها الصحيح الذي أعده الله لها ، مستعينة - لانجاح سعيها ، وبلوغ غايتها المرسومة لها - بما تزخر به مواطن العبر من التجارب الانسانية الواقعية مع هذه السنن ، عبر القرون ، بما هي خنية بالمعظات البالغة ، وعناصر الاسترشاد الموجهة ، مما يقيم الدليل القاطع ، على صدق تلك السنن التاريخية ، وحتمية آثارها ، بوضع الله تعالى ، قصداً منه سبحانه ، الى ايقاظ الوعي الانساني ، وتبصيره بالعقائق الاجتماعية والكونية الثابتة ، وتغليب جانب « الحكمة » والنظر العقلي الرشيد على منازع الهوى والشهوة وعوامل الاستهواء والتفريط ، وإثبات التقليد والمحاكاة العمياء ، تمكيناً لهم من الاستواء على جادة الحق ، وتجنب مواقع الميل والانحراف ، باجتراح المعاصي ، وانتهاك الحرمات ، وممارسة البغي والمدوان على الشعوب الآمنة والمستضعفة في الأرض ، واقتراف صنوف الاجرام الدولي في حقهم ، استلاباً للثروات ، وابتغاء الاستعلاء في الأرض والهيمنة الدولية ، ظلماً وعلواً ، مما حذر القرآن الكريم من انتهاج سبيله - سياسياً وعسكرياً - في مثل قوله تعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ليذيقهم بعض الذين عملوا ، لعلمهم يرجعون » (٢١) وقوله تعالى الذي يصف خصائص الممتدين ، والمجرمين دولياً ، بوجه خاص : « وإذا تولى سعى في الأرض ، ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (٢٢) مما تمثرت ، بل انتكست به الحياة الانسانية في مسارها التاريخي الطويل ، فالضى بها ذلك حتماً الى الخروج عن طبيعة فطرتها ، ووضعها الانساني الرشيد ، حيث كان الهبوط ، والتدني ، والارتكاس ، واستشراف الظلم والفساد في الأرض ، ومماناة أسباب الشقاء ، واضطراب حبل الأمن والسلم العالمي ، مما اتخذ مظهره في الحروب الشرسة الضارية المدمرة التي تمتد بسبب قوي الى عهد البدائية الاولى ، ولكن على نحو أكثر وحشية ، وأظهر بربرية ، بفضل تطوير أدوات الفتك والتدمير ، ولا سيما في هذا القرن العشرين .

يؤكد هذا ، بل ويؤصله ، قوله تعالى : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الدين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات ، أن تميلوا ميلاً عظيماً » (٢٣)

وتفصيل ذلك ، أن القرآن الكريم اذ يحذر المؤمنين ، أن يمتسفوا ما وضعه الله تعالى من السنن الفطرية الثابتة ، والمطرودة ، والنافذة آثارها في الأولين ، منذ النشأة الاولى ، لقوله تعالى : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً » (٢٤) أو يميلوا

عن حقائق القيم الإنسانية ، والمثل العليا الموضوعية الثابتة المطلقة التي هي من مقتضيات الفطرة الإنسانية وسننها ، أو يميلوا ميلا يخرجهم عن طبيمة فطرتهم ، أقول ان القرآن الكريم اذ يفعل ذلك ، يحضر لهم صورا من الماضي الانساني المريق في القدم ، وما عليه ، تاريخا حافلا بالتجارب الإنسانية ، يحضره أمام النظر العقلي ، في كل عصر - تدليلا منه على صدق ما يبصر به من حقائق ثابتة مطلقة ، بما هي تجارب حيوية واقعية للامم السابقة ، أثرا لتعاملهم مع تلك السنن، ووفقا لطبيعة مواقفهم منها - سلبا أو ايجابا - وأرشدتهم الى وجوب استخلاص مواطن العبرة منها ، بما هي مادة خصبة للدرس والبحث والاستنتاج والاعتبار ، لقوله تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » (٢٥) وقوله عز وجل : « قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا في الأرض » (٢٦) .

هذا ، وانما عرض ذلك ، تبيانا لحقائق تلك السنن التاريخية ، وتبصيرا بآثارها الختمية ، كما أشرنا ، لأنها تجارب واقعية حقيقية ، لا وهمية : « ما كان حديثا يفترى » (٢٣) مما يتضمن توجيها قويا للمؤمنين ، أن يفيثوا الى تلك السنن الثابتة اذا ما انحرفوا عنها ، كيلا يصيبهم ما أصاب السابقين ممن تنكبوا ، لأن قصد الشارع من الالزام بها ، عملا ، تطهير عباده المؤمنين ، روحيا ، ونفسيا ، وماديا - مما التاثت به الأمم المخالفة من رجس حين اتبعوا الشهوات - ايثارا لها على حقائق القيم وأصول الفضائل - والارتقاء بهم الى مستوى انسانيتهن ، وتجنبيهن ما قد آل اليه أمر أولئك من سوء المصير في وجودهم الدنيوي ، وهو المعنى بقوله عز وجل : « والله يريد أن يتوب عليكم » .

هذا ، وتمثل حقائق السنن الالهية ، وأبعادها في الوجود الانساني التي أثمرت تلك التجارب الواقعية الفنية بالمبررات العظيمة ، واستخلاص عناصر الاسترشاد منها ، انما يتم عن طريقين :

أولهما : النظر العقلي ، والبحث العلمي الموضوعي الحر ، مما ينهض بالحكمة ، لقوله تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٢٨) .

الثانية : تعصين النفس الإنسانية بالتزكية عن طريق تعاليم الوحي الالهي : وقد أفلح من زكاها « (٢٩) أن تؤخذ بتأثير اغرام أو استهواء الذين يتبعون الشهوات في كل عصر ، افتتانا بها ، واستجابة لمنازع الهوى في المطامع المادية القريبة المأجلة والخاصة ، وتحللا من أعباء التكاليف التي لا تتفق وتلك المطامع والأهواء ، ليخرجوا بالحياة الإنسانية عن الوضع الصحيح الذي وضعا الاسلام فيه .

هذا ، ويستخلص من مواقع هذا « التحذير » الحقائق القرآنية التالية :

أولا - وجوب تغليب جانب الحكمة ، والنظر العقلي الرشيد ، كيلا تتحكم في النفس الإنسانية ، شهواتها ، وتهيمن عليها أهواؤها ، فتسد على العقل منافذ التفكير الموضوعي الحر ، أو تعطل أحكامه ، فيكون حينئذ ، « الميل » الحتمي عن سنن الحياة الإنسانية الفطرية السوية ، وحقائق مثلها ، وقسمها الموضوعية الخالدة ، ويفضي الى سوء المصير .

ثانيا - واقعية هذه السنن التاريخية التي تنتظم الحياة الانسانية منذ القدم ، وعبر أحقابها المتطاولة ، مما جهد القرآن الكريم في ايقاظ الوعي الانساني بحقائقه وأبعاده ، كيلا يستغرقه الاستهواء ، أو تنتابه الغفلة ، أو يستبد به الوهم والافتقار ، أو يتردى الانسان معه - آخر الأمر - في مهاوي القنوط عجزاً ، وحمقاً .

ثالثاً - حتمية آثار تلك السنن الالهية الثابتة بوضع الله تعالى ، تكويناً : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (٣٠) وقوله تعالى : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً » (٣١) وقوله سبحانه : « سنة الله التي خلت في عباده ، وخسر هنالك الكافرون » (٣٢) .

هذا ، وقد كانت تجارب الماضين - بما هي ثمرة حسية واقعية لتلك السنن ، وفالطبيعية مواقفهم منها - إيجاباً أو سلباً - برهاناً ساطعاً على صدقها ، وحقيقتها وحتمية آثارها ، وهذا يفسر لنا السر في كثرة ورود النصوص الأمرة بوجوب التماس المبرة من تلك التجارب ، ترشيداً للسمي الديني على مقتضى من الحكمة ، والنظر العقلي ، والبحث العلمي ، ليخلص الى القياس المنطقي الاجمالي في المحسوسات ، بعد البحث والنظر ، أي « اعتبروا انفسكم بهم ، حتى اذا عملتم عملهم ، وسلكتم مسالكهم ، وسكنتهم في مساكنهم ، ظلموا وعلوا ، أصابكم ما أصابهم » وهذا نوع من مجاوزة حال النفس الى حال الغير ، أو العكس ، مقارنة وقياساً - كما ترى - وهو ما تقضي به الحكمة والتعقل ، وعمق الادراك ، وصواب التقدير .

رابعاً : السنة الالهية الثابتة ، والناذرة في الخلق منذ القدم ، قدر مقدور ، بوضع الله تكويناً ، بمقتضى نصوص الآيات التي تلونا ، وهي تقضي بأن الغفلة عن مآل التحلل من أمانة التكليف ، وإطراح رسالة الوجود الانساني ، والافتتان بالشهوة والهوى والتلهي بالأمانى الكواذب ، ميلا عنها ، أقول تقضي بأن الغفلة عن مآل هذا التحلل تؤدي - لامحالة - الى الخروج بالحياة الانسانية عن وضمها الفطري الصحيح ، والتسبب في انتكاسها ، مما يعقب المذلة والهوان والشقاء في الدنيا أولا ، جزاء وفاقاً ، فضلا عن خسار الآخرة ، ووقائع التاريخ ، وتجارب الأمم ، أصدق شاهد على ذلك .

هـ - القرآن العظيم ، وتقويته لمعنوية النفس الانسانية ، وتعبثها روحيا في مواطن الجهاد القتالي ، تنفيذاً لمقتضيات سننه العامة المطردة في هذا الوجود ، وتجنبيا للانسان من اعتسافها .

ليس مسيراً على الباحث في آي القرآن العظيم التي تتعلق بتقوية النفس الانسانية ، وتغبير طاقاتها الكامنة ، وإيقاظ غواي ملكاتها وقدراتها ، أن يلحظ ، أن هذه التقوية ، والتعبئة ، والإيقاظ والاستثارة « تبدو - أكثر ما تبدو - في مواطن الجهاد القتالي ، ومجابهة أهوال الصراع المر العاتي ، بين الحق والباطل ، ليحملها على « الشبات » في

تحمل مشاقه ، والصبر على لأوائه ، على الصيد الدولي ، بوجه خاص ، حيث ترى القرآن العظيم ، يثبت في خلدها ، أن هذا الجهاد المستبسل في مجابهة العدو ، دفعاً لمدوائه ، وإزالة لأثاره ، واسترداداً لما اغتصب من الحق عنوة ، أن هذا الجهاد المستبسل في سبيل ذلك ، هو من « صميم التقوى » المتورعة ، باعتبار أن الجهاد - في منطق القرآن الكريم - هو التعبير العملي الواقعي عن « التقوى » ، وصدق العبودية ، لله جل وعلا ، أو بالأحرى ، هو الأمانة الظاهرة اليقينية على تغفل العقيدة في أعماق النفس الإنسانية ، ترى ذلك بيئاً في مثل قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا آمناً ، وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين (٣٣) » فالغسل الحاسم بين الصدق والكذب في الاعتقاد - كما ترى - هو الجهاد ، أمضاء لسنة الابتلاء ! !

هذا ، وما لا ريب فيه ، أنه سبحانه يعلم ما تكنه الأنفس ، وما تخفي الصدور ، وعلى هذا ، فإنه سبحانه يعلم ما سيكون من المكلف قبل وقوعه ، ولكن الآية الكريمة جاءت لتفيد تقرير سنة الابتلاء عملاً ، ليرى المكلف نفسه ، ما يصدر منه واقماً ، وليقيم الله تعالى الحجة عليه من واقع تصرفه ، قطعاً لجلائل المعاذير : « قل فله الحجة البالغة » ولقوله عز وجل : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره » (٣٤) وترى هذا الاقتران بين الاعتقاد والجهاد ، مبثوثاً في مواضع كثيرة من القرآن العظيم ، ترسيخاً لهذه السنة الماضية في الأمم ، في مثل قوله سبحانه : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون (٣٥) » وقوله عز شأنه : « والصابرين في البأساء والضراء ، وحين الباس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (٣٦) فأمارة الصدق على الإيمان والتقوى ، هو الصبر على احتمال أهوال الحرب ، والتمرس بأفاتها وكوارثها ، لأنها من أشد صنوف البأس والضراء ، فتكاً وتديراً . وعلى هذا ، فالقرآن العظيم يوقظ في النفس الإنسانية كامل وعيها بحقائق الوجود ، ويبصّرهما بالسُنن الإلهية الماضية في الحياة الإنسانية ، ولا سيما فيما يتعلق بتقرير مصيرها في الدنيا أولاً ، ويلفتها لفتاً قوياً ، إلى أن الجهاد القتالي ، والثبات في مواعنه ، والصبر على كوارثه ، هو (المصدق) للإيمان والتقوى ، ولهذا كان الجهاد ذروة سنام الإسلام ، كما جاء في الحديث « وذروة سنامه الجهاد » فلا يجتزى الإسلام بالإيمان وحده في تدبير الحياة الإنسانية على وجه هذه الأرض ، كما ترى ، وإن كان هو المنطلق الأساسي للسمي المستول عن إقامتها ، إذ الإسلام لا يعرف الفصل بين المعتقد الديني ، وواقع الحياة الإنسانية ، توجيهها وتديراً ، مما يدل على أن عقائده عملية حيوية إيجابية سلوكية ، بدليل ما قدمنا ، من ربطه الإيمان والتقوى بالتكليف وتبعات الجهاد ، ربطاً محكمًا وعلى أساس أداء التكليف ، والنهوض بمسبب الجهاد ، يكون تقويم الاعتقاد ، حقاً وصدقاً ، أو زيفاً ونفاقاً ، فهذا الاعتقاد الحق - كما ترى - أمراً سلوكياً عملياً ، بل « مواقف كبرى حيوية حاسمة مجسدة لأرقى ما يتصوره العقل من القيم الإنسانية ، بالعطاء المطلق ، والإيثار المنبعث من النفس الإنسانية ، سجية روحية عارمة ، تضمحل أزماءها كافة الاعتبارات

المادية العارضة ، بحيث تبلغ حد التضحية بذات النفس ، فضلا عن المال ، بل والتلف على « الاستشهاد » في سبيل المثل العليا التي أمنت بها ، بما أطلق القرآن الكريم عليها « كلمة الله » وأنها هي « العليسا » معنى ، وقيمة ، ووجودا ، يستमित في سبيلها المجاهد ، ليفيّر ما قد حاق بالأمة من ظروف قاسية ، وما نزل بساحتها من كوارث ، حفاظا على عزة كيانها ، وسؤدد وجودها الدولي ! ! ولا نعلم للانسان الحر ، بمد هذا ، وجهها من التضحية والغدأ ، أشرف ولا أنبل ، ولا أسمى ، في سبيل الحق الذي آمن به ، والمعتقد الذي أشربته روحه لتحقيق عزة وجوده !!

• سنة الجهاد القتالي رسالة ، وثيقة الصلة بسنة التغير وسيلة •

هذا ، سنة الجهاد القتالي في الاسلام ، رسالة ، وثيقة الصلة بسنة التغير وسيلة ، لقوله عز شأنه : « ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم » ومقتضاها : أن تغير الله تعالى أحوال الناس ، وأمانتهم عليه ، وتيسر سبله لهم ، انما هو رهن بتغييرهم هم أولا ، لما بأنفسهم ، سنة الهية مطردة ، مما يجعل للارادة الحرة ، والاختيار الانساني ، الدور الاصيل في تحقيق التغير واقعيا ، والقرآن العظيم صريح الدلالة على ما أولى الارادة الانسانية الحرة من قيمة كبرى ، وأثر فعال ، في التدبير والتصرف في مصير الأمة ، سياسيا ، وعسكريا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، وعلميا ، لاطلاق النص ، مما ينفي « أصل الجبرية » في عقائد الاسلام نفيًا قاطعا ، تقريراً لمبدأ المسؤولية والابتلاء ، عدلا •

و - القرآن العظيم ، اذ يزجي في النفس الانسانية المؤمنة روح البشرى والترجية ، يقرن ذلك بالتوعية والتبصير ، بعقائق الوجود ، وسنن الله تعالى التي بثها في الحياة والايام ، ويقفها على منطق طبائع الأشياء ، من خلال ما جاء به من « بصائر » لتكون على بيئة من أمرها ، في كل ما تاتي به وماتذر ، وما تتخذ من « مواقف » حاسمة في تقرير المصير !

وتفصيل ذلك ، أن القرآن العظيم ، اذ يث في المجاهدين روح البشرى والترجية ، نصرا ، أو استشهادا ، وظفرا بنعيم الآخرة - وهي خير وأبقى - تراء - في الوقت نفسه - يقرن ذلك ، بايقاظ « الوعي » في النفس الانسانية ، وتبصيرها ، بعقائق الحياة ، وسنن الوجود ، وآثارها الحتمية ، بجعل الله تعالى ، فترا - على سبيل المثال - يبشر بالنصر المبين ، على أنه « وعد » منه تعالى لمبادء المؤمنين المجاهدين الصادقين في جهادهم ، بل هو « حق » قد قطعه الله تعالى ، وأوجه على ذاته العلية : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ويقول جل ثناؤه « ان تنصروا الله ، ينصركم ، ويثبت أقدامكم » فقد جعل النصر المبين على الأعداء ، موقودا بنصر شرائعه ، ومبادئه ، وسننه في الوجود ، عملا ، والتزاما وادام ، فقد الشرط بالجزاء ، كيلا يستبد بأنفسهم الوهم ، أو يخالجهما خدر الأمان ، أو تستغرقها غفلة أو عماية عن مكونات الواقع ، فتسبح في متاهات من الأخيلة والتصورات ، أو تستأثر بها منازع الهوى والأثرة ، اسرافا في المادية والشهوة وحب

الذات ، فتتحرف عن ممدلة الطريق ، وعما تقتضيه حقائق القيم ، عمداً ، أو جحداً ظاهراً مع استيقان النفس الانسانية بحقيقتها ، وسمو مضمونها ، وبالف أثرها ، مكابرة ، وافتئاتاً ، لقوله عز وجل : « وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ، ظلماً وعلواً » (٣٧) « انسياقاً وراء منازع الأهواء ، أيا كانت صورة الهوى التي نزعَت إليها ، من العصبية ، أو العنصرية ، أو الطائفية ، أو حب الهيمنة والاستعلاء على الشعوب المستضعفة المقهورة في بلادها ، انتهاياً لغراتها ، وثروراتها ، تجد هذا بيتاً في مثل قوله عز شأنه : « قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها » (٣٨) « وقوله تعالى : « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٣٩) « ومن تلك البصائر ما ينتظم الوجود الانساني من سنن هي عين السنن التي انتظمت الأمم الغالية ، قدراً مقدوراً ، من نشأة الخلق الأول ، مصداقاً لقوله عز جل : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله ، قدراً مقدوراً » (٤٠) وفي هذا المعنى يقول الامام الشيخ محمد عبده ، مانصه : « يصرح الكتاب أن الله في الأمم والاكوان ، سنناً لا تتبدل ، والسنن هي الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشئون ، وعلى حسبها تكون الآثار ، وهي التي تسمى شرائع ونواميس ، والذي ينادي به الكتاب ، أن نظام الجمعية البشرية ، وما يحدث فيها ، هو نظام واحد لا يتبدل ولا يتغير ، وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع ، أن ينظر في أصول هذا النظام ، حتى يرد إليها أعماله ، ويبني عليها سيرته ، وما يأخذ به نفسه ، فإن غفل عن ذلك ، فلا ينتظرن الا الشقاء » (٤١)

وعلى هذا ، فلا يملك أحد جحد سنن الله تعالى في الخلق ، أو انكار آثارها فيهم ، كما لا يملك أحد لها تبديلاً : « فهل ينظرون الا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً » (٤٢)

هذا ، وقد تمثلت هذه السنن وآثارها في الوقائع التاريخية الثابتة ، فغرت مسار التاريخ في عهد الرسالة المحمدية ، وما تلاها من المصور ، بل غيرت معالم الجغرافية السياسية للعالم الوسيط ابان انتهاجها ، والسير على مقتضاها باخلاص وتجرد .

ز - القرآن العظيم ، اذ يملأ النفس الانسانية أملاً مستبشراً ، ووطيداً ، تقوية لمعنوياتها ، ولا سيما في مواطن الجهاد القتالي ، ويوقظ وعيها بما جاء به من « بصائر » ليبصرها بمكونات الواقع ، وسنن الوجود ، وآثارها فيه ، كما نوهنا ، تراه يقفها أيضاً ، على مسار التاريخ الانساني الطويل ، يستعرضه ، من خلال التجارب الحيوية الواقعية التي مرت بها ، بل وعانتها الأمم الغالية ، لتستهدي بالعوامل المؤثرة في توجيهها ، ثمرة لأثار سنن الله فيها .

تبين بجلاء مما قدمنا آنفاً - فيما نحسب - أن القرآن العظيم ، اذ يملأ النفس الانسانية ، أملاً مستبشراً يشيع بين جنباتها ، ورجاء واثقاً في الله تعالى ، وعداً قوامه العون ، والتوفيق ، والنصر في الدنيا - فضلاً عن الأجر العظيم في الآخرة - ليصوغها على أشد

ما تكون صلابة وعنفوانا في مواجهة الحياة ، بأحداثها ، وصروفها ، وأرزائها ، ثم يمسرها بحقائق هذا الوجود ، لتكون واقعية ، وعلى بيئته من أمرها ، في كل ما تأتي به وما تذر ، لأن خوارق العادات ليست أصلا من أصولنا ، بعد الأنبياء والرسل ، ولتتبيّن منطق طبائع الأشياء ، وما يسلكها من سنن ثابتة مطردة آثارها ، كيلا يفجؤها ما ينزل بساحتها من كوارث وفواجع ، لأنها كانت - كما بينا - على وعي من ارتباطها بأسبابها ، أقول إن القرآن العظيم ، إذ يتخذ هذا المنهج القويم في معالجة النفس الانسانية ، ترجية ، وتبشيرا ، وتوعية وتبصيرا أيضا ، تراه يقف النفس الانسانية - في الوقت نفسه - على مسار التاريخ الانساني الطويل ، يستحضره ، من خلال التجارب الحية الواقعية التي هانتها الأمم الماضية ، لتستهدي بالعوامل المؤثرة في توجيه وقائعه وأحداثه ، سواء من طريق « القصص الواقعية » التماسا للمبرة ، بمدنمقلها ، وامان النظر في الأسباب الكامنة وراء أحداثها ، لقوله عز وجل : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثا يفترى » (١٣) أم كان من خلال الاشارة الى ما ينظم الحياة من سنن الهية مطردة ، حتمية الآثار - كما قلنا - لقوله جل شأنه : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (١٤) « تمكينا لها من أن تتخذ مواقف حيوية حاسمة ، على ضوء من هذه العبر المستخلصة ، وآثار تلك السنن الماثلة في تجارب الماضين ، سواء أكانت تلك الآثار سلبية أم ايجابية ، تبعا لطبيعة « المواقف » المتخذة ، واتجاهاتها ، ولا سيما ما يتعلق منها بالقضايا الكبرى المعاصرة ، فتلخص ، أن أي القرآن العظيم التي تتعلق بتقوية النفس الانسانية ، وتمبنتها ، معنويا ، وروحيا ، وباستشارة كرام ملكاتها العليا ، وتغبير طاقاتها الفطرية ، تبدو - أكثر ما تبدو - في مواطن الجهاد القتالي ، حملا لها على « الثبات » في ميدان الصراع المرّ العاتي ، وتحمل لوازمه ، ونتائجه الطبيعية ، من الكوارث ، والفواجع ، لأن هذه النتائج ، من مستلزمات القتال ، وسنة الله فيه ، ولذا أشار القرآن الكريم الى أنها « قدر مشترك » بين المجاهد وعدوه ، لقوله تعالى : « ان تكونوا تالمون ، فانهم يالمون كما تالمون » (١٥) والفارق هو أنكم : « ترجون من الله ما لا يرجون » (١٦) فالرجاء في الله تعالى في النصر المغم به قلب المؤمن بربه ، قوة نفسية ، وطاقه روحية هائلة ، لا تنفصل أبدا عن القتال المستميت في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، والا كان خوام ، وضربا من الأمانى الكواذب ، وليس « التواكل » عن هذا المعنى الأخير ببعيد .

هذا ، وإذا كان الجهاد - كما قدمنا - من صميم « التقوى » لصريح قوله تعالى : « والصابرين في البأساء ، والضراء ، وحسين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (١٧) فانه - في الوقت عينه - أمانة ، ومظهر بيّن على صدق الايمان ، ورسوخ العقيدة ، بل هو مما تقضي به سنة الابتلاء التي هي الغاية القصوى من هذا الوجود الانساني على وجه هذه الأرض ، لقوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ، ليبلوكم أيكم أحسن عملا » فالابتلاء هي السنة الماضية في الاناسي منذ نشأة الخلق الأول ، قدرا مقدورا ، لقوله عز شأنه : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا » (١٨)

ومن هنا ، تدرك ، أن القرآن الكريم ، يربط العقائد - ومن أجل ثمراتها التقوى - بالتكاليف بوجه عام ، والجهاد بوجه خاص ، وصلا لعقائك الدين بنظام الدنيا ، وصلا عضوياً واقعياً محكماً ، بحيث يكون أداء الثانية ، وإقامتها ، دليلاً بيئياً على صدق الأولى ، أو مظهراً مجسداً لمضمونها ، ومقتضياتها ، وحتى لا تبقى تلك العقائد مجرد تجريدات ذهنية فلسفية لا صلة لها بالواقع الحيوي ، وتدير شئون الأمة ، بما يحقق مصيرها ، وليقيم الحجة البالغة على المكلفين أنفسهم من واقع تصرفهم في حياتهم ، وما كانوا يتخذون من « مواقف » حيوية حاسمة ، تجاه أحداث عصرهم ، ومصائر شعوبهم ، وبذلك حسم القرآن العظيم ، الفرق بين الرجاء الإيجابي العامل الجاد المثمر البشّاء ، وبين التواكل ، أو الأمانى الخوادم في النصر ، أو في الحياة بعمامة ، مجردة عن اتخاذ الأسباب العملية المناسبة والفعالة من الاستبسال في الجهاد ، وبخاصة ، وأدام التكاليف ، وإقامة الحياة الإنسانية المثلى بعمامة .

ح - القرآن العظيم ، إذ يرسم المنهج « الأقوم » الذي ينبغي أن تسلكه الإنسانية جمعاء في مسارها الطويل لو ثابت إلى رشدها ، واستهدفت المصلحة العليا للبشرية كلها - وقد أعدها الله تعالى أعداداً هائلة ، لتتمكينها من التنفيذ والأداء ، مرشداً إلى موضوعية قيمه ، وإنسانية مثله ، وعالمية مبادئه ، وشمولية مفاهيمه ، ومقدراً تغيّر ظروفها ، بقوله سبحانه : « أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » يحذر - في الوقت نفسه - من غرور الأوهام ، وخدر الأمانى ، ليبصّر بما جاء به من بصائر ، وبيّنات من الهدى والفرقان ، ويوقظ الوعي للذات ، ويهدي إلى السنن العامة التي تقوم عليها حقائق هذا الوجود ، منذ نشأة الخلق الأول .

هذا ، وترى القرآن العظيم ، ينص صراحة ، على أن « أمانى المرء » التي تحمله على التواكل ، والاعتزال ، والاسترخاء - بما هي خلوة من المعطاء ، والتضحيات الجسام عند الاقتضاء ، ولا سيما في مواطن البأس والضراء ، وحين البأس ، أي دون جهاد مضن ، وتعمّل لأشدّ مشاق القتال ، أقول أن تلك الأمانى ليست من السنن الإلهية في شيء ، بل « الأمانى » المجردة ، أو هام وأخيلة ، أو هي من غرور الشيطان ووعد ، لمناقضتها لسنة الحياة نفسها ، ولكونها مضادة لمراد الشارع من وضعها ، ومفضية - آخر الأمر - إلى نتائج عكسية ، ولأن الممتنى على الله الأمانى ، مجردة من تبعات التكاليف بعمامة ، والجهاد بخاصة ، يطمس في نفسه « أصول المسؤولية الكبرى » عن مصير أمته ، ويتجاهل سنة إحراز النصر لها في جهادها الواجب مع عدوها ، ولأن النصر - في منطق القرآن العظيم - ليس هبة تمنى ، وليس ثمنه مجرد أمنية تطوف بالخيالة ، أو دعاء يتضرع به ، أو أمل سانح في سماء الأوهام ، والرؤى الحائلة ، بل « النصر » - في شرعة الإسلام - باهظ التكاليف في الأنفس والأموال ، بما يتطلب من النفس الإنسانية أن تستفرغ كافة طاقاتها ، وتبذل من ذات نفسها ، وتصبر في مواطن المعن صبرا يكاد يشارف على ما يشبه اليأس ، ولكن لا يقع فيه ، لقوة إيمانه ، إذ « النصر » - كما تصوره الآيات الكريمة - وإن كان من عند الله تعالى القوي العزيز الحكيم ، غير أنه « مطلب عزيز » لا يناله إلا أولو العزم ، ولو

كانوا من الرسل !! حتى ليكاد الجهاد من أجل الظفر بالنصر ، يذهب بصبر المؤمنين ، ويأتي على رباطة جأشهم ، وقوة عنفوانهم ، بل قد يحمل - لشدة مأساه ، وكوارثه - على الدخول في مداخل تشبه « الاستيئاس » لفرط ما كان الرسول نفسه ﷺ وأصحابه يتحملون من أهوال ، ويمانون من ويلات ورهق ، تجدهم جلياً ، فيما تعبر عنه الآية الكريمة من قوله عز شأنه : « مستتهم الباساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول ، والذين آمنوا معه ، متى نصر الله (١٩) ! ! » .

هذا ، والتعبير عن « زلزلتهم » بصيغة الماضي ، تأكيد للوقوع ، هذه هي سنة الحياة ، وتلك آثارها العتمية ، قدر مقدور ، لا تبديل له ، وقد جاءنا من نبي الدين من قبلنا ، ممن سلكوا سبيلها ، والتزموا بها التزاماً طوعياً إيمانياً صادقاً ، فاجتروا ثمارها جنيّة بمد تمرس شديد بأفات الجهاد ونتائجه ، احراز النصر المؤزر ، ما يدل على أن من ابتنى « نصراً » من غير هذه الطريق ، أو دون سلوك هذه السنة الثابتة المطردة في الحياة والأحياء ، فلن يحرزها أبداً ، لأنه في غفلة عن سنن الله التي أقام عليها هذا الوجود الانساني ، تفسيراً له ، نشأة واستمراراً ، ومصيراً ، وقد بصّره القرآن العظيم بحقائقه ، ليستهدى بها ، إذ الأسباب التي وضعاها الله تعالى في أيدي المؤمنين ، ينبغي اتخاذها ، لتحقيق ما يرتجون ، ولتقرب عليها مسبباتها ، بإرادة الله تعالى وجملة ، ونظام شرعه في كونه ، وفي حياة المخلوقين على السواء ، مما يدل دلالة قاطعة على أن من يضاد الله تعالى في سننه ، كمن يعصي الله في شرعه .

هذا ، واتخاذ « مواقف » مناقضة لسنن الله تعالى ، ثم العكوف على التمني ، أو الانعطاف على النفس - اقناعاً لها ، بأن الله تعالى سيتولى نصرها - هو محاولة للتخفيف من أعباء التكاليف التي أوجبها الله تعالى لاحراز النصري شرائعه ، ومبادئه ، فضلاً عن عقابده ، ولا ريب أن التخفف منها مناف لمطروق النص الصريح رأساً ، في مثل قوله جل وعلا : « ولينصرن الله من ينصروه » أي في شرائعه وتعاليمه ومبادئه وسننه الثابتة ، لأن هذا هو المعنى المراد ، وإلا فاته تعالى لا يفتقر الى من ينصرذاته العلوية ، وانما المراد انفاذ كل أولئك عملاً وأداء .

هذا ، وقد جاء الربط - كما ترى - بين نصر الله تعالى للمؤمنين ، في كافة شئون حياتهم ، لا في الجهاد القتالي فحسب ، لإطلاق النص في منطوق الآية ، وبين نصرهم هم أولاً لشرائعه ، وسننه عملاً ووقوعاً ، وأفرغ في صورة قسم ، للتأكيد ، « ولينصرن الله من ينصروه » والله تعالى بارء بقسمه ووعد ، دون ريب ، وقد أكد الله تعالى هذا الربط أيضاً في سورة أخرى ، كسنته ثابتة من سننه في الوجود ، هي صورة الشرط والجزاء ، في مثل قوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم (٥١) » .

وعلى هذا ، فلن يكون ثمة جزاء ايجابي اذا غاب شرطه ، ذلك من بدائه العقل والشرع ، لأن مثل هذا الارتباط بين الشرط والجزاء ، قد جرى الأسلوب القرآني على اعتباره « سنة الهية ثابتة مطردة ، حتمية الآثار ، بجعل الله تعالى ، ووضعه تكويناً ،

لا تنتقض ولا تتخلف ، فكانت نظاما الهائباتا ، قد اقام الحياة الانسانية عليه ، ليؤتي ثماره ، والا كان النقيض !! وهذا ما يقتضيه منطق طبائع الأشياء أيضا ، فضلا عن منطق الشرع ، اذ لا يُقتل في مواقع الوجود ، أن يتم نصر" مؤزر دون جهاد قد تم اعداده وعدته ابتداءً ، وانطلق المجاهدون بدافع عقائد صحيحة ومثل عليا ، هي روح العمل القتالي ، وغاية أمره ، والا كان مجرد اقتتال على منافع مادية ، وتكالب عليها ، كما هو الشأن في شريعة الغاب ، وما أهون ! لأن هذا انتكاس ، وتقهقر الى عهد الجاهلية الأولى ، حيث كانت « القوة » هي التي تحتكم في العلاقات بين الناس ، ليصبح ما تمليه القوة الفاشعة ، وما تنتهي اليه ، هو « العدل » المزعوم ، مما يرفضه العقل ، والوجدان ، والضمير ، والدين : « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً ، لقوم يوقنون (٥٢) »

لهذا ، ترى القرآن الكريم ، يعتبر « الأمانى » على الله في تحقيق النصر ، دون أن يأخذوا أنفسهم بسنة الجهاد القتالي التي أرساها القرآن العظيم بصريح نصوصه في مواضع شتى ، مصوغة في أسلوب قسسي تارة ، أو شرطي تارة أخرى - كما بينا - اعتبر هذه الأمانى مضیعة للحياة ، وملهاة صارفة عن الوقوف على حقائق الاسلام في هذا الوجود ، بل قد أشار الى أن هذا التمني الأجوف - ومنه التواكل - من سمات الكفر ، بصريح قوله عز شأنه : « فزهم ياكلوا ، ويتمتعوا ويلههم الأمل ، فسوف يعلمون (٥٣) » .

هذا ، ولا يخفى ما في تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : « فسوف يعلمون » ومن التهديد ، مما يدل على أن التلهي بالأمال والمنى الكواذب منشؤه الكفر بالله تعالى ، وشرعه ، وسننه .

ط - شرع القرآن العظيم ، الوسائل العقلية التي تعتبر من أصل تعاليمه في توهين القوى المعنوية للعدو ، ومنها ، وجوب المبادرة بمهاجمته ، اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، وتتبعه في كافة مواقفه التي لاذ بها ، أو اعتصم ، لمواصلة مقاتلته ، وتحريم التواني عن اللحاق به ، حيثما وجد ، أو استشعار الوهن في مجابهته ، وهو أصل عتيق مقرر في هذا الكتاب العزيز ، بصريح النص ، نفصله فيما يلي :

ان من أصل مبادئ القرآن العظيم ، فيما يتعلق بهذا الصدد ، أعني الجهاد القتالي ، ما قرره ، من وجوب المبادرة بمهاجمة العدو ، والنهي عن التواني عن مبادرة العدو بها ، اذا تعينت هذه المبادرة بالمهاجمة خير وسيلة للدفاع ، حسب الأحوال ، ومقتضيات الظروف ، ومعطيات الخبرة العسكرية ، مما تمليه ظروف « الموقف » .

هذا ، وقد حرّم الله تعالى التخاصس عن مواصلة مقاتلة العدو ، وتتبع مواقفه التي لاذ بها ، واعتصم ، بعد شن الهجوم عليه ابتداء ، اشاعة للرعب في صفوفه ، واحباطا لخطه المدبرة قبل تمكنه من تنفيذها ، وصداً له عن التمكن من المبادرة بالهجوم علينا ، اتقام لشره ، ودفعاً لعدوانه قبل الوقوع ، ولاريب أن هذا من قضايا العقل والدين !

هذا ، ومناطق حكم وجوب شن الهجوم على العدو ابتداءً ، وتتبعه حيثما شُكف ، هو « العداء السافر » بما هو شعورٌ حادٌ جارف يقذف بحمم من الغيظ الذي من شأنه أن يحمل العدو على تبني نية العدوان ، بل والمباداة به أن استطاع ، وتنفيذ كل خطة ترمي إلى تحقيق ذلك كلما واثته الظروف ، وهذا أمرٌ « واقع » لا سبيل إلى تجاهله ، أو إنكاره ، ومن هنا ، كان الأمر بالمباداة بمهاجمته ، بنص الكتاب العزيز ، وتحريم التقاعس عنها ، معاملة له بنقيض قصده ، وأحباطاً لسميه ، وإفساداً لخطمه عليه ، ولأن هذا « الهجوم المبتدأ » قد تمين أنه خير وسيلة للدفاع ، على ما افترضنا .

أما النص الصريح الذي ينهض بوجوب المباداة بمهاجمة العدو ، فذلك في قوله عز شأنه : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، فإن تكونوا تالمون ، فإنهم يالمون كما تالمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » (٥١) .

وجه الدلالة ، أن « الابتغاء » في منطوق الآية الكريمة بمعنى « الطلب » وطلب العدو لفة ، هو مباداته بالهجوم مقاتلة وجاء النهي صريحاً بمنطوق النص ، عن التواني والاسترخاء عن النهوض بمبدأ هذه المباداة ، والنهي عن الشيء ، أمرٌ بخصه ، والأمر يفيد الوجوب ، وهو وجوب شن الهجوم ابتداءً ، يؤكد ذلك ، سياق الآية الكريمة من العث على تحمل أوزاء الحرب ، وكوارثها : « فإن تكونوا تالمون ، فإنهم يالمون كما تالمون » وهذا القدر المشترك من الآلام ، بين المجاهدين وعدوهم ، لا يكون إلا في ميدان القتال !

ي - نهى المجاهدين عن التواني عن المباداة بالهجوم يشمل نهيمهم عن أن يتيحوا لأسباب الوهن أن تتسرب إلى نفوسهم

على أن النهي عن التواني عن المباداة بالهجوم يشمل - فيما يشمل - نهى المجاهدين أيضاً عن أن يتيحوا لأسباب الوهن أن تتسرب إلى نفوسهم ، لاضعاف قواها وملكاتهما ، وعزمها ، بأن يصيخوا إلى ما يبثه العدو من خلال وسائل إعلامه - من عوامل « التثبيط » و « التخدير » في إطار ما يسمى « الحرب النفسية » ليفت في عضدهم ، أو يقدمهم من مواصلة القتال ، تهيأ وضعفاً ، أو أن يخذعوا بها .

والنهي عن الشيء نهى عن لوازمه ، كل ذلك مشمول بقوله عز وجل : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم » مما يدل قطعاً على أن الشارع الحكيم ، قد قصد تدمير القوى النفسية للعدو أولاً ، وتحطيم بنيته العسكرية بهذه المباداة ، والمتابعة ، للتغلب عليه ودحره !

تشير أي القرآن العظيم ، إلى أن مقصد الشارع الحكيم ، من الجهاد القتالي ، هو مواصلة مقاتلة العدو ، حيثما شُكف ، وفي كافة مواقفه ، بعد المباداة بمهاجمته ، بما يكون المجاهدون قد أعدوا له من الخطط العلمية الحربية المدروسة ، وبما تملكه الخبرة والتجربة العملية في كافة فروع الاختصاص الحربي ، نتيجة للاحاطة بظروف

« الموقف » ومقوماته ، ومستلزماته ، « والموازنة » الدقيقة بين قوى الطرفين ، ومسدى
امكانياتهما ، وبما أعد المؤمنون من صنوف « القوة المرهبة » من أقوى الأسلحة ، فتكا
ومضام ، بل وعلى أرفع مستوى بلغه العصر في تصنيعها وإبداعها ، وبأقصى جهد مستطاع ،
استثنائا لشافة العدو ، إذ ليس المقصود منه مجرد إشعال نار الحرب ، ارتجالا ، أيا كانت
مآلاتها ونتائجها !

يرشدك الى هذا ، وجوب المبادرة بالهجوم الساحق على العدو بنص الآية الكريمة التي
تلونا ، وتتبع مواقفه حيثما ثُقف ، للقضاء عليه نهائيا ، في مثل قوله عز وجل : « واقتلوهم
حيث ثقفتموهم » (٥٥) وتشتيت شملهم ، وتشتيت من خلفهم ممن يناصرهم ، في مثل
قوله عز وجل : « فشرذ بهم من خلفهم » (٥٦) وأوجب الثبات العنيد في مواطن القتال ،
مهما عظمت الكوارث ، واحلوك الفواجع ، وادلهمت الخطوب ، لقوله عز وجل : « ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يقتل فبما نفوسه أجر عظيم » (٥٧) حيث قدم الاستشهاد
على النصر - كما ترى - مما يوحي بأن المجاهد الحق هو من يضع نصب عينيه ،
احتمال الموت ، قبل احتمال الظفر بالنصر ، ثم جرّم عليه التولّي من الزحف عند المجابهة
والتقاء الجمعين : « يا أيها الذين آمنوا ، إذا القيم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الأدبار » (٥٨) واعتبر التولّي من الزحف من الكبائر ، ومواقف الاثم الكبرى ، وإن المتولّي
ييوم بغضب من الله مصيرا ، فالؤمن الحق ، لا يعرف الجبن أو الخور الى قلبه سبيلا ،
إذ لا يجتمع في قلبه إيمان وجبن ولا ذلة ، فكانت « الاستماتة » في القتال ، أولى ثمرات عقيدة
الاسلام ، كما ترى .

وأما اعداد القوة المرهبة ، فللقوله عز شأنه : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن
رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم (٥٩) ومعلوم أن « عنصر الارهاب » لا يتأتى
وقوعه في نفوس الأعداء ، الا اذا كانت القوة الممدة لدى المجاهدين ، أقوى مضام ، وأشد
فتكا ، مما يملك عدوه من قوة ، ولكل عصر نوعية أسلحته ، وأدواته القتالية ، ومعداته
التي أنتجها مستوى العلم التجريبي فيه !

إن عنصر « الارهاب » في منطق الآية الكريمة : « ترهبون به عدو الله وعدوكم »
هو مناط الاستدلال على وجوب تطويع الأسلحة المعدة ، ليلبغ أعلى مستوى مسن
النوعية ، مضام وقوة ونفاذا ، مما أنتجه العلم في كل عصر ، حتى اذا تغلفت نوعيته ،
فلن يتأتى « الارهاب » الذي هو الغاية من الاعداد .

أما الدليل على أن الشارع قد قصد تدمير قوى العدو النفسية ، وتوهين معنوياته ، فذلك ،
لأن الشأن في المبادرة بالهجوم الساحق ، وعلى كافة المواقع الحربية للعدو ، برا وجوا وبحرا ،
لاملاق النص : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم » أقول : إن الشأن في مثل هذا الهجوم الساحق ،
أن يشيع « الترويع » في صفوفه ، وهذا « الترويع » شامل أيضا ، لشمول مواقفه ،

فكان أشد وقعا على النفوس ، وأنتك بقواها من « الارهاب » الذي مبعثه ، مجرد اعداد القوة قبل المهاجمة ، بصريح قوله عز وجل: « ترهبون به عدو الله ، وعدوكم » فهو «ارهاب» منشؤه اعداد القوة قبل استخدامها- كما ترى - بخلاف « الترويع » بالقوة المهاجمة فعلا .

وعلى هذا ، فان تدمير « القوى النفسية » للعدو ، سواء بالترويع بالمباداة الهجومية، أم بالارهاب باعداد القوة على أرفع مستوى من المضام ، والنفاذ ، مقصد شرعي قطعي، وحقيقة من الحقائق التي تقتضيها العلاقات الدولية في الاسلام زمن الحرب .

هذا ، ويتناول النص -ولكن بمعقوله- سائر وسائل « الدعاية » على اختلاف أنواعها، وطبائنها، مما ينهض به فن الاعلام في الدولة، اذ يعتبر من « جزئيات » ذلك المقصد الشرعي العام ، أو من لوازمه .

وتفصيل القول في « تاصيل » هذا المبدأ في الجهاد القتالي ، يتجلى في النقاط التالية:

أولا : لمقام النهي الصريح عن التواني عن طلب العدو « ولا تهنوا في ابتغاء القوم » والنهي عن الشيء ، أمرٌ بضده ، كما قدمنا، وهي مباداة الهجوم « والبيدار اليه ، والأمر يقتضي الوجوب ، فكانت المباداة بالهجوم مفروضة .

ثانياً : ما يفيد منطوق الآية التي تلونا، من استواء المجاهدين وأعدائهم ، في تحمل أرزاء الحرب وأوزارها ، لأنها « نتائج » طبيعية للحرب وحتمية ، فكان ما يمانيه المجاهد من ويلاتها ، مماثل لما يمانيه العدو من ذلك ، وقد أكد القرآن العظيم هذا « المعنى المشترك » في أكثر من موضع ، من مثل قوله سبحانه : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » (٦٠) وهذا ما يؤكد قوله عز شأنه : « ان تكونوا تالمون ، فانهم يالمون كما تالمون (٦١) » فلا ميزة اذن، ولا فضل لفريق على فريق في تحمل مشاق القتال ، لأنه قدر مشترك ، اذ أرزاء الحرب نتائج طبيعية لها ، والا ما كانت حرباً .

هذا ، ولا سبيل الى التخفف مما تقتضي به طبائع الأشياء ، وفي هذا من تهوين وقع آثار الجهاد على نفوس المجاهدين ما فيه احتمالاً لهم على المباداة بالمهاجمة ، وتشجيعاً عليها ، وأغراء بها ، والأغراء بالشيء فرع عن ثبوت أصله شرعاً بلا مرأ .

ثالثاً : وما يؤكد هذا الأصل أيضاً ، من ألوان الاغراء به ، والحمل عليه ، أن القرآن العظيم، اذ يقرر منطلق طبائع الأشياء، من وجوب الصبر على احتمال ما هو نتائج طبيعية للحرب ، وأهوالها ، وحتمية الاشتراك في أرزاءها ، يوحى الى المجاهدين - في الوقت نفسه - بأنهم أولى من العدو بتحمل آثار هذه المباداة ، وكوارثها ، ذلك ، لأن « العدو » اذا كان يشترك في تحملها ، ويصبر عليها ، وهو مبطل ، ظالم ، ومعتد ، فلان يحتملها ،

ويصبر عليها ، المؤمن الحق ، من باب أولى، ذوداً عن قيمه ، وحقه ، ووطنه ، وتحقيقاً
لعزة وجوده ، واستئصالاً لجذور المدوان والظلم والبغي ، ومحققاً لأسباب الفساد في
الأرض !!

ومؤدى هذا ، أنه ينبغي ألا تضمت نفوس المجاهدين ، أو تتوانى همهم عن المبادأة
بشن الهجوم على العدو ، ما دامت عداوته سافرة ، ونواياه ظاهرة ، وخططه واضحة .

رابعا : ان القرآن العظيم ، لا ينيي بحث في نفوس المجاهدين روح الاستبشار
بالنصر المؤزر ، أو الشهادة : « ومن يقاتل في سبيل الله ، فيقتل أو يغلب ، فسوف نؤتيه
أجراً عظيماً » (٦٢) اغراء لهم بالاقدام على المبادأة بالهجوم ، قبل أن يبادئهم العدو
بمهاجمة ديار الاسلام ، ولأن دفع الضرر قبل الوقوع ، أولى وأجدر من معالجته بعد الوقوع ،
وقد يطول امد ازالة آثاره .

ترى ذلك بيئنا فيما جعله الله تعالى ، فيصلا حاسماً بين المجاهدين وعدوهم ، من
الترجية والاطماع والبشرى في الآية التي تلونا: « وترجون من الله ما لا يرجون » أي من نصر
الله لكم ، بحكم ايمانكم ، وجهادكم واستيسالكم في سبيل الحق الذي أنتم به ، ونهوضكم
بالمبادأة بالمهاجمة فعلا ، أو ما ترجون من الظفر بنميم الآخرة بالنسبة الى من كتبت
له الشهادة ، لأنها احدى الحسينين : النصر أو الشهادة ، وهو أمر لا يرتجيه العدو ، بل لا
يخطر بباله ، لانتفاء أصل الرجاء لديه ، أولا اعتراه من نوازع اليأس الذي هو قرين
الكفر ، لشدة ما يلقي من بأس المجاهدين واستيسالهم في ميادين القتال ، مما أفقده
« الرجاء » أو « الأمل » في النصر ، وفي هذا تقوية لروح المجاهدين ، واستشارة لغواي
طاقاتهم ، لمبادأة الهجوم ، وتأسيس للعدو في الوقت نفسه - لتدمير معنوياته ، وأيا ما كان ،
فان افتقاد عنصر الرجاء في نفسية العدو ، فرغ عن فقد أصله ، وهو الايمان ، ومن فقد
الأصل ، فقد كل ثمراته .

الخير بأسلوب القرآن الكريم ، يرى أنه اذ يربط وقائع ماضي البشرية ، بأحداث
حاضرها ، ابان نزوله ، ليستحضرها في أذهان المؤمنين ، ويجليها لبصائرهم ، ثم يشير الى
ما نجم عن ذلك كله من ثمرات ونتائج حاسمة ، تراه يوجه الى ما ينبغي أن يكون
عليه أمر مستقبلها ، منبهاً الى وجوب تفادي أسباب الانحراف الذي يورث الشقاء الدنيوي ،
فضلا عما يزول اليه مصيرها في الآخرة ، أقول : ان القرآن الكريم ، اذ يسير في أسلوبه
البياني على هذا المنهج من الربط والتوجيه ، فانما يقصد بذلك الى ايقاظ العقل ،
ليقوم بدوره في التفكير والبحث والتأمل في تلك الوقائع والأحداث ، للوقوف على ما يسلكها
من نواميس هذا الوجود ، لاستخلاص المغزى العميق الذي يكمن وراءها ، وهو ما يطلق
عليه القرآن الكريم ، كلمة « العبرة » التي هي على غاية من الخطر والأهمية ، نتناولها
فيما يلي بإيجاز :

الأول : اشارة قدرات الانسان ، وملكاته ، لادراك وجوه النشاط البشري ، ودوره
وتأثيره في هذا الوجود ، والنتائج العتمية التي تمثلت على مسرح الحياة بحيث ترى بالعين المجردة ،

لأنها واقعة تحت الحس، بل إن القوم قد خاضوا غمارها ، بأنفسهم ، رطباً للماضي الموهل في القدم ، بالحاضر الشاهد ، كأنه يقول لهم : إن كنتم لم تشهدوا وقائع التاريخ السحيق الذي استحضره لكم ، وأقص وقائمه عليكم ، فعليكم أن تفكروا في الواقع المائل أمامكم ، وعلى مرمى من أبصاركم ، لتوقنوا بصدق المبدأ الذي تجنون ثماره اليوم بأيديكم ، فإن في هذا لعبرة لكل ذي بصر ، فضلاً عن ذي البصيرة ، يقول سبحانه عقب بيان حال الأقدمين ، في هذا الشأن قولاً يصف لنا الآية الكبرى المستخلصة من غزوة بدر : « لقد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم ، رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (٦٤) » .

هذا ، وقوله تعالى : « إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » أي من اليسر استخلاص العبرة ، ولا تفتقر إلى طول تأمل ، وتفكير ، لأنها بادية للعيان ، مما يدل - بالمفهوم المخالف - على أن الذي يتناقل عن ذلك ، فليس من ذوي الأبصار ، بل هو في عمية أو ضلالة ، يتمش بها ، أو يشقى في هذا الوجود ، مصداقاً لقوله سبحانه : « ومن أعرض عن ذكرى ، فإن له عيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حسرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً ، قال كذلك ، أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » (٦٥) .

وفي هذه الآية الكريمة - كما ترى - إشارة إلى أن نسيان الآيات - في شرعه وكونه وسُننه الثابتة - سبحانه - وما تنطوي عليه من تشريع أمر ، وتوجيه ، وعبر مستخلصة من وقائع التاريخ - قديمه وحاضره - وما لاتها التي استلزمها جريان سنن الله تعالى عليها ، أقول : أن نسيان ذلك ، والتغافل عنه ، عمية فكرية وعقلية ونفسية تستلزم عمية أخروية ، إذ الجزاء من جنس العمل : « قال رب لم حسرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك ، أتتك آياتنا ، فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » (٦٦) أي تُلقي وتطرح في مصير محتوم !

هذا ، والواقع أن ما عبّر عنه القرآن من التغافل أو الإعراض عن آيات الله باطلاق ، شرعاً ، وتوجيهاً ، وهداية ، وسنناً كونية ، عبّر عن التغافل عن كل أولئك بالنسيان ، إنما هو - في ضوء المفاهيم القرآنية - نسيان للذات الإنسانية نفسها ، لفقدانها الوحي الكامل المستبصر لكيانها ، وشخصيتها المعنوية ، يؤكد هذا المعنى قوله عز وجل : « نسوا الله فنسيهم » (٦٧) .

ولا ريب أن هذه « مشاكلة لفظية » والافان الله تعالى لا ينسى ، وهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وإنما المقصود من النسيان ، الضياع ، والخسر ، مصداقاً لقوله تعالى : « والمصران الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » (٦٨) فمصره في الدنيا أن يندو مضيقاً منسياً ومهملاً في زوايا التاريخ ، يعاني صنوفاً من الذلة ، والشقاء ، وفقدان الذات والشأن ، والوجود المعنوي ، ومصره في الآخرة على هذا الوزن ، كما قدمنا ، إذ وحدة المصير يستوجبها وحدة السبب ، عدلاً ، وجزاء وفاقاً .

يرشدك الى هذا التوجيه الالهي في مثل قوله سبحانه : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله ، فانساهم انفسهم (٦٩) » .

هذا ، وانى اذكر « الانسان وسعيه الدنيوي ، ومواقفه تجاه رسالة خلافته في هذا العالم ، سلباً او ايجاباً ، فانما أقصد «الانسان» بمعناه الاستغراقي العام ، أفراداً ومجتمعات ، وشعوباً ، وأماً » .

الثاني : وجوب تبين « الأصول العامة » التي تنتظم تلك الوقائع بنتائجها الحتمية ، مستخلصة من جزئيات تلك الأحداث ، كل طائفة منها متشابهة في طبيعتها ونوعيتها ، ترتبت على مقدمات متشابهة أيضاً طبيعة وظروفاً ، من حيث البواعث ، والقصود ، وما تتخذ من ألوان السمي ، والنشاط ، والفاعلية . وما يستلزم ذلك كله من (الآثار المادية الظاهرة التي هي من مدركات الحس تجسدت على أرض الواقع ، وتعكمت في مجرى التاريخ أثراً لسنن الله فيها ، مما يقيم البرهان الساطع ، والحجة البالغة ، على صدق تلك الأصول العامة في مقتضياتها ، اذ ليس ثمة أدل على صدق الأصل العام من تحقق آثاره ، صدق لقوة نفاذه ، واستحالة تخلفه ! وهوما يطلق عليه القرآن الكريم « سنّة الله » وهي نظام نافذ في الحياة والأحياء ، بما هو من وضع الله تكويناً ، بل هي - بنص الكتاب العزيز - قدر مقدور ، لقوله جل ثناؤه : « سنّة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله ، قدراً مقدوراً » وقوله عز وجل : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (٧٠) ٢٦ / النساء .

يوضح هذا ، مما يتصل بموضوعنا ، بل ويؤكد ، ما تجده صريحاً في آيات متتالية ، من سورة آل عمران ، قد جمعت فيما بينها « وحدة الموضوع » حيث ترى القرآن الكريم ، في مثالنا الذي أوردناه ، يربط ما كان من آل فرعون ، بل والأمم الذين من قبلهم ، في التاريخ الموهل في القدم ، يربط كل اولئك بما كان من مشركي قريش ، في وقعة بدر الكبرى في عهد النبوة ، وما آل اليه أمرهم جميعاً ، ماثلاً تحت سمعهم وأبصارهم ، ربطاً محكماً ، ليقم الدليل البيّن ، على أن وحدة السبب تستوجب وحدة المآل ، لا محالة ، ولا نمضي بالسنة الالهية العامة الماضية النافذة الا هذا المعنى ، وبيان ذلك :

انه فيما يتعلق بالأمر الأول ، تجد القرآن العظيم صريحاً في مثل قوله تعالى : « كذاب آل فرعون ، والذين من قبلهم ، كذبوا بآياتنا ، فآخذهم الله بذنوبهم ، والله شديد العقاب » ١١ / آل عمران .

وأما فيما يتعلق « بوقعة بدر الكبرى ، مما يلي هذه الآية الكريمة التي تلونا آنفاً ، فتجده صريحاً أيضاً في قوله تعالى : « لقد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » آل عمران / ٣ .

ولا ريب أن شدة العقاب ، تؤذن بمظم أسابه • هذا ، وتاويل الآية الأولى ، أن « الداب » - كما يقول الامام الطبري (٧١) • هو في الأصل العمل المستمر ، ويعني الامام الطبري ، أنه صار شانا ، أو عادة مطردة متعكمة فيهم وفيمن قبلهم من الذين ترسموا خطاهم ، وساروا على سنتهم ، من تكذيبهم بآيات الله الدالة ببراهينها الدامغة على الحقيقة الكبرى لهذا العالم ، وارتباطه بالالوهية خلقا وتدبرا ومصيرا ، وهو تكذيب بعد قيام الحجة ، مما يعتبر مكابرة أو عنادادافعا الى النكوص عن أداء أمانة التكليف ، وهي رسالة الاستخلاف في هذا العالم ، عمراناً ، وحضارة انسانية ، وإقامة للحق والعدل فيه ، وتحقيقا واقميا للمثل العليا ، والفضائل ، والقيم الروحية ، بحيث تصبح أوضاعاً قائمة في المجتمع ، وتكذيبهم أيضاً يتصل بتلك الحقيقة الكبرى لهذا العالم ، من أن الحياة الدنيا فيه موصولة بالآخرة ، مما يفسر غاية الأولى تفسيراً ينفي عنها معنى العبث ، والسذوقية ، واللامعقولية ، كما يستبعد عن الفكر الانساني ما يشل طاقاته ، من فكرة الفناء الأبدي الرهيب ، لقوله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون » (٧٢) •

هذا ، ولا ريب ، أن التكذيب بعد قيام الحجة الدامغة - كما قلنا - مكابرة بل كفر • لا يسوغه منطق انساني سليم ، ومن هنا ، عوجلوا بالعقوبة من أخذهم نكالا ، واهلاكهم جزاء وفانا •

هذا في التاريخ الموهل في القدم ، والذي رويت لنا وقائمه تواترا ، فضلا عن ثبوت صدقه في قصص القرآن الكريم : « أن هذا هو القصص الحق (٧٣) » ولقوله تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ، ورحمة لقوم يؤمنون » (٧٤) •

أما فيما يتعلق بوقعة بدر الكبرى بوجه خاص ، ففيما تلونا آنفاً ، من قوله تعالى : « لقد كان لكم آية في فئتين القتلتا ، فئة قتلت في سبيل الله ، وأخرى كافرة » تجد ربط هذا الحاضر المشاهد في ساحة القتال ، في عهد النبوة ، بالماضي السحيق ، كما نوهنا ، فإذا كان النصر المؤزر للفئة المؤمنة على قتلها ، عدداً وعدداً ، فإن ذلك أكبر مظهر حسني لانجاز وعد الله تعالى فيهم « ومن أوفى بمعهده من الله » وتفسير ذلك :

أن ذكر الطائفتين ، مقرونة احدهما بصفة منافية لصفة الأخرى ، من الإيمان والكفر ، فيه إشارة بيئية الى أن « الإيمان » نفسه سنة كونية لا تتخلف آثارها فيمن أخذها بحقها ، وعلى شروطها ، وأن وعد الله تعالى في ترتيب ثمراتها لا تتخلف البتة ، وآية ذلك ماثلة عيانا في هاتين الفئتين ، والإيمان تبعات جسام ، وأولها الجهاد والتفاني في سبيل انقاذها ، لتصون الكيان والوجود والعزة ، وإن الاستغاثة والضراعة الى الله تعالى ، ولا سيما في أشد المواقف حرجاً ، وإثبات الأزمات المعصية العادة المقعدة - مما يحقق معنى « العبودية » لله تعالى خالصة مخلصاً لا بد أن تتدخل عقبتها العناية الربانية إزاء تلك المواقف

بالاستجابة التي تعني النصر والتأييد : « اذتستغيثون وبكم فاستجاب لكم » وهي استغاثة أعقبها الاستجابة ، وقد تأسوا فيها برسول الله ، لما رأى من رقة حال أصحابه ، فقرأ ، وجوعاً ، وحفام ، بل وعُرياً ، فضلاً عن قلة المدد والمدة ، حتى جاش فؤاده الشريف ﷺ يجار بالضرعة والدعاء : « اللهم انهم حفاة ، فاحملهم ، وعُراة فاكسهم ، وجياع فاشبهم ، وعالة فأنعمهم من فضلك » مما يقطع بأنه قد كان لعون الله تعالى ومدده مكان في وقعة بدر الكبرى ، لا يمكن انكاره ، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بأبلغ عبارة وأروعها في قوله عز وجل : « ولقد نصركم الله ببدر ، وانتم اذلة » (٧٥) على سبيل الامتنان ، وسيظل وقعها عميقاً في النفوس المؤمنة الى يوم القيامة .

هذا ، وتجد ذلك بيئاً أيضاً في بث « روح الثبات » من الغيب في نفوس هؤلاء المؤمنين ، وتقوية معنوياتهم ، مصداقاً لقوله سبحانه : « اذ يوحى ربك الى الملائكة ، اني معكم ، فثبتوا الذين آمنوا » ذلك ، لأن من لم يتخذ للحرب أهبتها الكاملة ، لا بد أن يداخله شيء من الوهن النفسي ، وهذا واقع في موازين البشر وتقديراتهم ، مدلولاً عليه في الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين أصحابه هؤلاء ، حيث قالوا : « يا رسول الله ! ما خرجنا لقتال ، انما خرجنا للمير (القافلة التجارية) هلا ! أخبرتنا أنها الحرب ، ففعلنا لها عدتها ، ونتأهب لها أهبتها (٧٦) » ولقد قرر القرآن الكريم هذا المعنى ، وأنهم انما خرجوا للاستيلاء على الأموال الوفيرة التي تموج بها القافلة التجارية المضلة من الشام الى مكة ، وهي غير قريش ، عوضاً عما استولى عليه كفار قريش من أموال المهاجرين وديارهم في مكة ، أقول : لقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى : « واذا يعدكم الله احدى الطائفتين ، انها لكم ، وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم (٧٧) - أي تودون «القافلة» لا جيش قريش المدجج بالسلاح ، والالتقام به ، لمقاتلته ، وقطع دابر الشرك ، ولكن تدبير الخالق جل وعلا ، قد تبدى في ارادته الثقام الفريقتين للحرب ، وأن المير انما كانت وسيلة للاغراء بهذا الالتقام في ساحة القتال ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، وهو المعنى الذي اتبعه سبحانه الآية التي تلونا أنفاً بقوله عز وجل : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون » (٧٨) ووصفهم بالاجرام ذو صدى بعيد في حكم أسراهم ، على ما سيأتي .

تدبير الهى قد تجلّى في هذه « الارادة والمشيئة العليا » التي اتجهت على خلاف ما اتجهت اليه ارادة هذه الطائفة المؤمنة ابتداءً ، بل ان الرسول نفسه ﷺ لم يخرج الى هذه الحرب ، ولم يسع اليها ، أو يقصدها ، بل أخرجه الله تعالى اليها اخرجاً ، ودون أن يعلم بما يكون من أمرها بادىء الأمر ، مصداقاً لقوله عز وجل : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين ، كأنما يساقون الى الموت ، وهم ينظرون (٧٩) »

وعلى هذا ، فقد اتجهت ارادة الله تعالى الى تحقيق الثقام هاتين الطائفتين في مجابهة قتالية ليحسم أمراً يتغير به مجرى التاريخ ، وهو اسمى مقصداً ، وأعظم أثراً في حياة البشرية كلها ، حتى كانت وقعة بدر الكبرى كما أسماها القرآن الكريم بحق « فرقاناً »

في قوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا ، يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير » (٨٠) ويوم الفرقان هذا هو يوم وقعة بدر الكبرى ، بأجماع المفسرين (٨١) حيث فرق به الله تعالى - جلّت قدرته - بين الحق والباطل ، أو هو - في حقيقة الأمر - فرقان حاسم بين جاهلية بادت ، وبين حضارة انسانية وعالمية قد ابتدأت ، لتأخذ مسارها في الحياة البشرية الى الزمن المقدر لبقاء هذا العالم !

هذا ، وفي تدليل الآية الكريمة التي تلونا أنفأ ، بقوله تعالى : « والله على كل شيء قدير » أيحاط قوي بأن هذا الفرقان الحاسم ، لم يكن أمراً هيئاً ، ولا سهلاً ، ولا سيما اذا لاحظنا ، أن الطائفة المؤمنة - بما فيهم الرسول ﷺ - لم تكن تقصد الحرب ، بادئ الأمر ، وأن فريقاً منهم كان كارهاً لها ، وإنما أخرجوا إليها أخرجاً بتدبير منه تعالى ، بصريح قوله تعالى الذي تلونا أنفأ : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » (٨٢) ولهذا لم يتأهبوا للحرب أهبتها ، بادئ الأمر ، كما أسلفنا ، فلم تتوفر لديهم من أسباب لامة الحرب ، وعدتها ، وعتاها ، ما يضاهي أو يداني قوة العدو ، فاختل بذلك « توازن القوى » اختلالاً بيئياً ، ولهذا ، كان هذا « الفرقان الحاسم » مفتقراً أشد الافتقار الى مدد من الغيب ، من عون الله تعالى ، وقدرته وتثبيتته ، والا ما كان لهذا التدليل من معنى ، وقد بدت مظاهر ذلك كله ، حسية ، مجسدة على أرض المعركة ، يشاهدها الفريقان كلاهما ، بأعينهم ، لوقوعها بين ظهرائهم ، مما يقطع بأن صلة « الغيب » بالحياة البشرية ، أمرواق ومشهود ، بحيث يمكن القول - بصدد موضوعنا - بأنه لولا الغيب والقدرة الالهية ، لما كان هذا النصر المؤزر ، لأن تقديرات البشر ، وموازينهم ، لا تنتج تحقق ذلك « الفرقان » الحاسم باطلاق ، لاختلال توازن القوى اختلالاً بيئياً - كما أسلفنا - من حيث القوى المادية والنفسية ، بادئ الأمر - « كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » (٨٣)

يؤكد هذا قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى » (٨٤) ولكن من حيث تحولت ارادة الاستيلاء على الغنيمة الى ارادة القتال ، بعد أن أخذ الرسول ﷺ مشورتهم فيه ، بل الى الارادة العامة للتضحية والتفاني ، نصر الله تعالى في شرعه ودينه ، وطمعاً في نعيم جنته ، كان المدد الالهي والعون الغيبي الذي اتجه حيث اتجهت الارادة العامة للطائفة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ، وهنا حققت كلمة ربك ، انفاذاً لسنته ووعده ، في قوله سبحانه : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون » (٨٥) « ما يؤكد ما قررنا أنفأ ، من أن الايمان نفسه اذا أخذ بحقه ، وشروطه ، وتبعاته الجسم ، باخلاص وتفان ، هو بذاته سنة الهية كونية ثابتة حتمية النتائج ، ورد تأكيدها بالاسلوب البياني البليغ على ما سيأتي بيانه ، وأن مدد الله العلي القدير ، من الغيب ، ملازم لهذه السنة ، يتجه حيث تتجه الارادة العامة المؤمنة ، ويؤكد هذا قوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (٨٦)

هذا ، ويؤكد اتجاه الارادة العامة للطائفة الى القتال ، بعد أن كان الهم منصباً على الاستيلاء على الغنيمة ، ما جاء في استشارته ﷺ للمهاجرين والأنصار ممن كانوا معه

في بدر حيث قام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال قوله المشهورة : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا الى بئر الكعقاد (موضع بناحية اليمن) لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلفه ، فقال له رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له به (٨٧) هذا موقف المهاجرين !

غير أنه ﷺ أراد أن يستوثق من أمر الأنصار ، حيث كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد على أن يعموه ويدافعوا عنه ، وعن دعوته ، كل من دأبه في « المدينة » ولم يكن المهد شاملا للالتزام بالدفاع عنه ﷺ خارجها ، فطفق يستطلع رأي الأنصار ، وموقفهم من الحرب ، فقال : أشيروا علي أيها الناس - وهو يريد الأنصار - حتى إذا كان موقفهم من الحرب ايجابيا ، فقد اتحدت الارادة العامة للمهاجرين والأنصار على السواء ، فبرز سعد بن معاذ رئيسهم ، وقال : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال : فقد آمنا بك ، وصدقتك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته ، لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد (٨٨) »

هذا ، ولا مرية أن المقصود بقوله تعالى « كلمتنا » في الآية الكريمة التي تلونا آنفا « ولقد سبقت كلمتنا لمبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون (٨٩) » هي وعده سبحانه ، بل سنته فيمن اتجهت ارادته لنصر الله ودينه وشرعه ، على النحو الذي رأينا في موقف كل من المهاجرين والأنصار ، وقد كان « النصر » والغلبة في وقعة بدر الكبرى ، مظهرا حسيًا ومشهودا ، لصدق هذا الوعد ، بل آية كبرى لأولي الأبصار في هاتين الفتنين يوم التقى بنص الكتاب العزيز ، وهي سنة نافذة في رسل الله وجنده ، بل جاء التأكيد لهذه السنة التي تشمل بحكمها القادة والأمة من المسلمين ، إذا اخلصوا لله دينهم ، والا ما كان لوجوب استخلاص « العبرة » في بدر أي معنى ، قلت : جاء التأكيد لهذه السنة بالأسلوب القرآني البليغ من دخول « لام التأكيد » على خبر أداة التأكيد « أنهم » فاجتمع تأكيدان قاطعان ، لنفاذ هذه السنة ، ولحتمية آثارها ، في كل من قوله تعالى « انهم لهم المنصورون » « وان جندنا لهم الغالبون » .

ك - معالجة القرآن الكريم للنفس الانسانية بالقيم الروحية ، ذات اثر بالغ في امكانية تحقيق الصلاح الذاتي وصولا الى مهمته الكبرى من الاصلاح العالمي ، وتفسير ذلك :

لا مرام أن « الانسان » من حيث عناصر تكوينه ، وخصائصه الذاتية - بما منح من الملكات العليا ، والفرائض الدنيا ، فطرة - لا يتغير على الدهر ، لقوله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله (٩١) » فالانسان هو الانسان ، أنى كان ، ذلك لأن

تلك المقومات والخصائص ، أو الملكات والفرائض ، من سنن الفطرة ، على ما أشارت اليه الآية الكريمة ، غير أن « الانسان » من حيث هو كائن حي ، مفكر ، ذو ارادة حرة ، يتغير من حيث وجوه نشاطه الفكري ، والوان سعيه الديني ، وطبيعة ما ينشؤه من علاقات بينة وبين افراد مجتمعه الذي يعيش فيه ، وما يتخذ من « مواقف » حيوية حاسمة ، مما يعتبر اثراً لموامل عدة : بيئية ، وتيارات فكرية ، وسياسية ، واجتماعية ، وقيم انسانية رفيعة .

هذا ، ومن الثابت ، أن « القيم » والمفاهيم الكبرى ، والقواعد الفكرية او العقائدية التي تعتبر منطلقات أساسية لنشاط الانسان ، قد تبلغ من الرسوخ في أعماق النفس الانسانية - اعتقاداً واقتناعاً - بحيث تنازع الوراثة أثرها .

ومما لا ريب فيه ، أن وجوه النشاط الانساني - المادية والمعنوية - تعتبر مظهراً لطاقتها ، وقدراته ، وانمكساً لبواعثه ومشاعره ، وما يجري في وجدانه ، تحت تأثير ما استقر في عقله ونفسه من قيم ، وما تقتضيه القواعد الفكرية ، التي انطلق منها ، عن تفهم ، وقناعة ، ورضا .

ومن هنا ، كان التفاوت بين الأفراد ، من حيث « نوعية » السعي ، ومدى آثاره ، وغاياته وتختلف بالتالي المجتمعات البشرية ، باعتبار أن المجتمع ظاهرة يكونها الأفراد ، أو بمباراة أخرى ، أن المجتمعات البشرية تختلف ، بل قد تكون متباينة من حيث نوعية العضارة ، وسماتها الاصلية ، ومستواها الانساني ، تبعاً لاختلاف افراد كل مجتمع ، بما يسوده من قيم ، وما يتحكم في توجيهه نشاطه مما اعتنقوه من مثل عليا ، اتجه سعيهم المسئول تجاه تحقيقها .

اذن ، منشأ طابع كل مجتمع واتجاهاته ، هو « المكونات المعنوية » لشخصيات افراده وعناصرها ، وما استكن في أنفسهم من بواعث ، ومقاصد توجه طاقاتهم ، وتتحكم في ارادتهم ، لتحقيق غايات معينة ارتسمت في أذهانهم .

ل - الأصل أن الانسان الفرد ، لا يمكن أن يساهم في تحقيق حضارة انسانية ، اذا كان هو نفسه غير متحضر انسانياً ، وسبيل ذلك ، هو اعتبار القيم العليا الغالبة في المقام الاول .

لذا ، رأى الاسلام - وبحق - أن هذا الأصل « لا يعقل أن يكون ممكن التطبيق عملاً الا على أساس ربط الخليقة البشرية كافة بمفهوم « الانسان العام » الذي يستلزم تلك « الحقيقة » الغالبة ، ألا وهي « وحدة النوع الانساني » لوحدة مصدره ، ومن هنا ، جعل تلك « الحقيقة » « معتقداً » حيث أشار اليها في مواطن عدة من الكتاب العزيز ، بنصوص صريحة قاطعة ، قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً (٩٢) » .

وتأكيداً لهذه « الحقيقة » وترسيخها في ضمير المجتمع البشري - ولا سيما في وجدان القادة ، والزعماء ، والمفكرين ، والساسة ، والمصلحين - أشار الى أن « التمايز » أو

التفاضل ، انما يكون بمدى تحقيق الخير الانساني العام ، دون أن يكون لاختلاف الأعراق ، والألسنة ، والألوان ، دخل في هذا التفاضل ، بل بما يمدود على المجتمع البشري نفسه من أسباب الارتقاء في مدارج المعنى الانساني ، وممرج العلم والحضارة ، تحقيقاً للمصلحة الانسانية العليا في المجتمع الدولي ، لقوله تعالى : « يا أيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً ، وقبائل ، لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (١٣) . وليس هذا الجعل الالهي من الانتماء الى الشعوب والقبائل ، بمغل بالوحدة الانسانية فتيلاً ، ذلك لأن هذه الانتماءات الجزئية بدءاً طبيعياً ، وتدرج واقعي ، بحكم الولادة والنشأة الأولى ، سبيلاً الى الارتقاء الى مستوى الوحدة الانسانية الشاملة - صلاحاً واصلاحاً - بحيث يتسع شموله ، ليفدو انسانياً عالمياً ، اذ الاصلاح الحق ، ينبغي أن يتسع نطاقه ، كيلا يحرم من مزاياه أي شعب من شعوب الأرض ، اذ النعمة ينبغي أن تتم ولا تخص ، والعدل أو الرحمة ينبغي أن لا يتجزأ ، والا كانت المعاباة ، والتفرقة بالعنصر ، وهو ما حاربه الاسلام حرباً لا هوادة فيها .

م - أقام الاسلام الدليل البيّن على صدق تلك « الحقيقة » تمهيداً لتحقيق الاصلاح العالمي ، فكانت - في منطقها - القرآني - معتقداً ، بصريح النص القاطع ، كما نوهنا - مما يكبر على العقلاء ، والمفكرين ، جعده وانكاره .

لا أدل على صدق هذا المعتقد ، من « وحدة التكوين الفطري » منذ أن أهدع أصل هذا « النوع البشري » على وجه هذه الأرض ، انساناً : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » (١٤) . ولا ريب أن هذا نظراً موضوعي حقيقي واقعي ، يقرره العلم ، مما لا يستطيع أحد فيه جدلاً .

ن - تاصيلًا للمعنى الانساني العام في المجتمع البشري ، اعتبر الاسلام التمييز بالعنصر ، أو اللون ، أو اللغة ، نقضاً لانسانية الحضارة ، فضلاً عن أن هذا التمييز ، يشكل افتئاتاً صارخاً على مكونات الفطرة ، ومقوماتها ، وخصائصها التي برأ الله الناس عليها مما يحول بالأخرة دون امكان تحقيق منهجه العام في الاصلاح العالمي : ذلك ، لأن مآل هذا « التمييز » ومعتقداته ، أو الادعاء به ، مذهباً سياسياً ، أو قاعدة فكرية « ايدولوجية » مآل ذلك ، نشوء نزعة « الاستعلاء » والاستكبار في الأرض بنسب الحق ، على ما هو واقع ومشهود على الصعيد الدولي ، تلك النزعة البدائية التي هي أشبه ما تكون بالمصيبة القبلية الجاهلية ، ولا سيما اذا أتيح لها من المناخات والأجواء والظروف ما ينميها ، ليستشري فسادها في أرجاء العالم ، بما أوتيت من أسباب القوة المادية المدمرة التي أنتجت التقنية الحديثة ، أو العلم لتجريبي ، حتى أضحت تلك « القوة » الرهيبة المدمرة ، هي « المتحكمة » في العلاقات الدولية في عصرنا هذا .

هذا ، والدليل على استشراف الفساد ولاضطراب العالمي ، ما نراه اليوم ، من افضاء تلك النزعة من الاستكبار ، والاستعلاء ، الى شن حروب استعمارية شرسة على الشعوب

الآمنة ، فتسلب حقوقها ، وتدمر معالم حضارتها ، وتشردها من أوطانها ، ظلما
وعتوا ، وما أمر الصهيونية ، ومن خلفتها ، ممن يغذي نزعتها التوسعية الاستيطانية في
البلاد العربية ، هنا ببيد ! ! .

هذا ، ومن أسف أن نرى مبدأ التمييز العنصري الظالم ، قائما متحكما حتى في هذا
القرن العشرين ، بل وفي أرقى الدول حضارة مادية ، إذ تراه يتخذ من قوانينها الداخلية
سبيلا الى تنفيذه قسرا وبسلطان الدولة ، ليصبح وضعا اجتماعيا ، وسياسيا قائما فيها .

وتأسيسا على هذا ، يمكن القول بأن الحضارة المادية « مهما كان حفظها من التقدم
التقني ، لا تستلزم » الحضارة الانسانية « بالضرورة ، ولا تعتبر معيارا لها ، بل قد
تكون ضدا عليها ، وهو ما جاء الاسلام على نقيضه تماما ، فثبت يقينا - فيما نحسب -
أن « القيم الروحية » الموضوعية ، المطلقة ، والمثل العليا الخالدة ، قد باتت اليوم ، ضرورة
حيوية ، ولا سيما لتحقيق مبدأ « الإصلاح العالمي » المبرم من نزعة الاستعمار والاستكبار ،
صدى للتمييز بين البشر فيما ليس لهم كسب في ايجاده ، من اختلاف اللون ، أو العنصر ،
أو اللغة ، ذلك المبدأ من الإصلاح الشامل المبني على المساواة ، والحرية ، والتكافل الانساني ،
والعدل المطلق بين البشر ، بل وعلى الرغم من اختلاف الدين ، إذ « لا اكراه في الدين ،
قد تبين الرشد من الغي » .

ص - تكوين الانسان « معتقدا » على اساس من « القيم الروحية » الموضوعية
المطلقة ، ذو اثر بالغ في مدى تشكيل ابعاد تصوره للحياة والاحياء ، وأن عناصر هذا
« المعتقد » ومفاهيمه الكبرى - بما هي المنطلقات الأساسية للنشاط الحيوي في كافة
أنواعه ومناحيه ، توجيهها ، وتحديد مسار ، ولا سيما على الصعيد الدولي - من أهم
العوامل المؤثرة في امكانية تحقيق مبدأ الإصلاح العالمي الذي نادى به الاسلام ، منذ
نزوله على الأرض وحيا ، وتفسير ذلك :

أن الاسلام حين اقام حضارته الانسانية على اساس من المفهوم الحقيقي الموضوعي
الواقعي للانسان العام ، حيثما كان ، دون تزييف أو تحوير ، أو اجتراء لذلك
المفهوم الفطري ، أو تمييز باللون ، أو العنصر ، أو اللغة ، أو الدين ، وشرع هذا
المبدأ تشريعا عالميا انسانيا ، وأبلغه للناس كافة ، في خطاب الهي انساني عام ، أقول :
أن الاسلام إذ شرع ذلك ، كان منطقيا مع نفسه حين اعتبر « الانسان » من حيث هو ،
وحيثما كان « القيمة الكبرى » في هذا الوجود ، بل ومهيمن على ، باعتبار أن هذا
« الكون » بل وما في السموات ، قد خلق مسخرا له ، يتصرف فيهما بطاقاته وملكاته
التي فطر عليها ، تصرف ابداع ، واصلاح ، وتعمير ، وانتفاع ، واستثمار ، بل جمل ذلك ،
مادة ابتلائه في حسن العمل وصلاحه مدى حياته ، بل اعتبره « الغاية القصوى » من
الوجود الانساني كله على وجه هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة ، تجد هذا صريحا في
قوله تعالى : « وسخر لكم ما في السموات ، وما في الأرض » أي من أجل اصلاح هذا
العالم ، وقال تعالى : « تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق
الموت والحياة ، ليبلوكم أيكم أحسن عملا »

وقال جل شأنه : « هو الذي أنشأكم من الأرض ، واستعمركم فيها » أي طلب اليكم
أعمارها ، مادة ومعنى ، لاطلاق النص .

هذا المنطق القرآني ، واتساقه ، بين تشريعه الانساني العام وقيمه ، من جهة ،
وبين مقتضيات مبدئه المعلن على الناس كافة من الاصلاح العالمي ، قد ارتفع بالانسان الفرد
عن تصور العنصرية ، وسائر ألوان المصيبة البدائية المحدودة ، أساساً لمنطلقه ، أو محوراً
لنشاطه الفكري ، أو غاية لسميه الدنيوي بعامه ، حرصاً من الاسلام على تحقيق مهمته
الكبرى ، من الاجتياز بالانسان - بعد تكوينه بنيته المعنوية ، معتقداً ، وبناء شخصيته
الكاملة - المعبة الكاداء التي تحول دون تحقيق « انسانية الحضارة للمجتمع البشري كله ،
حيث جعل « التفاضل » مشتقاً معياره من معدن هذا المبدأ ، عملاً صالحاً مبدعاً نابهاً من
الذات الانسانية ، وليس معياراً منحوتاً من أمر خارج عنها ، أو لا كسب لها في ايجاده .

فتلخص ، أن الاسلام قد أقام منهجه في الاصلاح العالمي ، على أساس من « المفهوم
الحقيقي الموضوعي للانسان العام » .

واعتبره « القيمة الكبرى » في هذا الوجود ، وحمّله « أمانة التكليف » لينهض
بمقتضيات هذا الاصلاح العالمي الشامل ، وقد أعد لذلك اعداداً فطرياً خاصاً ، وفي أحسن
تقويم ، خلقاً وتكويناً ، تمكينا له من أدائها ، وتفسيراً لاستخلافه في الأرض واقعاً ، وتبريراً
لتفضيله وتكريمه على سائر المخلوقات ، بدليل تسخيرها له ، بل وتسخير ما في السموات
أيضاً ، ولم يكن ذلك أمراً وهمياً يستمضي على التطبيق ، والتنفيذ ، بل رأيناه يتحقق
فملاً فيما قام به من منجزات مذهلة ، كانت مظهرًا لإبداعه العلمي ، ولا يزال مستمراً
في ابداعه هذا ، مؤذناً بانجازات مستقبلية ليس من اليسير على العقل تصورهما ، أو
تعدد مداهما .

تبين لنا ، أن نزعة العنصرية ، والاستعلاء ، كأثر لها ، من المستحيل تصورهما بالنسبة
الى الانسان المسلم ، باعتبار أن طبيعته « القيم الروحية » التي هي مناط التوجيهات
في الاسلام ، تأبأها أباء يجعل من المستحيل استساغتها ، بل هي عصيان واثم كبير ،
وفساد عريض ، بدليل أن النصوص القاطعة التي نهضت بتلك التوجيهات ، جاءت لتحذر
منها بما يوجب خسران الآخرة ، « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ،
ولا فساداً (٩٥) » ولا جرم أن « الاستعلاء والافساد » كليهما ، سبب الاضطراب العالمي ،
فثبت ، أن تقيضيها هما سبب الاصلاح العالمي ، وهو ما جاء به الاسلام ، كما ترى .

ع - القيم الروحية ضرورة حيوية - ولا سيما في عصرنا هذا - لتحقيق مقتضيات
الاصلاح العالمي ، بدليل أن كثيراً من ساسة الاستعمار في العالم ، وفي هذا القرن بوجه
خاص ، لا يهملونهم « الضمير » ولكنه معطل الاحكام ، لقلبة الهوى ، والأثرة ، فضلاً عن
أن هذا « الضمير » يتأثر حتماً بعوامل شتى ، من البيئة ، والنشأة الاولى ، والتقاليد
والعادات السائدة ، والأفكار الفسالة المنبثقة عن نظريات سياسية فاسدة ، مما يفسد عليه
تصوره ، أو يعطل احكامه .

ان عدم الايمان بالقيم الروحية ، والمثل العليا ، ومبادئ الأخلاق التي اعترفت بها البشرية جمعاء منذ أقدم العصور ، وسلخها عن السياسة ، أو عدم تبنيها « ايدولوجيا » كمنطلقات أساسية للتصرف السياسي العام - ان تعذر اعتناقها دينياً - سبب رئيسي من أسباب الفساد الحياة الانسانية على وجه هذه الأرض ، لقوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الفاوين ، ولو شئنا ، لرفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض ، واتبع هواه (١٦) » ، ولقوله تعالى : « ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض » وما عرفنا كالكهوى عابثاً بالتشريع ، لا طراحه قواعد العدل ، والحق ، والمساواة ، والحرية ، والتكافل الانساني العام الملتزم بتلك المفاهيم ، وغير ذلك من القيم الخالدة وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن تأثير « القيم الروحية » في ميدان النفس الانسانية ، لا يضاهيه تأثير الضمير الانساني فيه ، بل لا يدانيه باطلاق على ما هو واقع ومشهود على الصعيد الدولي بوجه خاص .

لذا ، كانت هي ميزان العمل الانساني العظيم المبرم من شرعة الهوى ، ونزعة العنصرية ، توقظ الضمير ، وتزكي النفس الانساني ، وتسمو بها الى ما تتشوق هي اليه من الفضائل والمثل ، وتسدد الارادة ، مما يشكل بالآخرة الأساس المكين لاصلاح هذا العالم الذي لن يتم على الوجه الأكمل الاصلاح المعتقد ، وما يتفرع عنه من القيم الانسانية الخالدة !

هذا ، وبالله التوفيق .

الدكتور محمد فتحي الدريني
عميد كلية الشريعة ورئيس قسم العقائد
والأديان في جامعة دمشق

□ الحواشي :

- ١ - النساء / ١٢ .
- ٢ - النور / ٢١ .
- ٣ - النساء / ١٢٠ .
- ٤ - الموافقات - ج ٣ - ص ٣٥٨ وما يليها - للامام الشاطبي .
- ٥ - المرجع السابق - ج ٣ - ص ٣٦١ - يقول الشاطبي ما نصه : « ومواطن الافتراء يطلب فيها التهويل أكثر من طلب الترجية ، لأن هذه المفاسد أكثر » .
- ٦ - التوبة / ١١١ .
- ٧ - المؤمنون / ٦٠ .
- ٨ - نوح / ١٣ .
- ٩ - المتكبر / ٥ .
- ١٠ - الموافقات - ج ٣ - ص ٣٦٥ - ص ٣٦٦ .
- ١١ - المؤمنون / ٥٧ .
- ١٢ - البقرة / ٢١٨ .
- ١٣ - الاسراء / ٥٧ .
- ١٤ - المائدة هي الاحتمال .
- ١٥ - الانشقاق / ٦ .
- ١٦ - راجع تفسير جزء « م » - تفسير الشيخ محمد مهدي .
- ١٧ - الزمر / ٥٣ - ٥٤ .
- ١٨ - الموافقات - ج ٣ - ص ٣٦١ .
- فقد جاء فيه ما نصه : « ان اناساً من اهل الشر ، كانوا قد قتلوا واكثروا ، ووزنوا واكثروا ، فالوا محبداً - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : « ان الذي نقول ، ولندعو اليه ، لسن ، لو تخبرنا اننا فعلنا ، كلمة ، فنزلت » .
- ١٩ - النساء / ١٢٣ .
- ٢٠ - الاحزاب / ٣٨ .
- ٢١ - الروم / ٤١ .
- ٢٢ - البقرة / ٢٠٥ .
- ٢٣ - النساء / ٢٦ - ٢٧ .
- ٢٤ - الاحزاب / ٦٢ .
- ٢٥ - يوسف / ١١١ .
- ٢٦ - آل عمران / ١٣٧ .
- ٢٧ - يوسف / ١١١ .
- ٢٨ - البقرة / ١٢٩ .



- ٢٩ - الشمس / ٩ .
 ٣٠ - الأحزاب / ٢٨ .
 ٣٢ - طاهر / ٨٥ .
 ٣٣ - المنكيات / ٢ - ٣ .
 ٣٤ - القيامة / ١٤ .
 ٣٥ - الحجرات / ١٥ .
 ٣٦ - البقرة / ١٧٧ .
 ٣٧ - النمل / ١٤ .
 ٣٨ - الأنعام / ١٠٤ .
 ٣٩ - الأعراف / ٢٠٣ .
 ٤٠ - الأحزاب / ٣٨ .
 ٤١ - الإسلام دين العلم والمدنية - ص ٩٧ - للإمام الشيخ محمد عبده .
 ٤٢ - طاهر / ٤٣ .
 ٤٣ - يوسف / ١١١ - ١١٢ .
 ٤٤ - النساء / ١٠٤ .
 ٤٥ - النساء / ٢٦ .
 ٤٦ - النساء / ١٠٤ .
 ٤٧ - التلك / ١ - ٢ .
 ٤٨ - الأحزاب / ٣٨ .
 ٤٩ - البقرة / ٢١٤ .
 ٥٠ - الحجج / ٤٠ .
 ٥١ - محمد / ٧ .
 ٥٢ - المائدة / ٥٠ .
 ٥٣ - العنجر / ٣ .
 ٥٤ - النساء / ١٠٤ .
 ٥٥ - البقرة / ١٩١ .
 ٥٦ - الأنفال / ٥٧ .
 ٥٩ - الأنفال / ٦٠ .
 ٦٠ - آل عمران / ١٤٠ .
 ٦١ - النساء / ١٠٤ .
 ٦٢ - النساء / ٧٤ .
 ٦٣ - النساء / ١٠٤ .
 ٦٤ - آل عمران / ١٣ .
 ٦٥ - طه / ١٣٦ .
 ٦٦ - طه / ١٣٥ - ١٣٦ .
 ٦٧ - التوبة / ٦٧ .
 ٦٨ - العصر / ١ - ٥ .
 ٦٩ - العنجر / ١٩ .
 ٧٠ - النساء / ٢٦ .
 ٧١ - تفسير الطبري - ج ٦ - ص ٢٢٣ طبع دار المعارف - القاهرة .
 ٧٢ - المؤمنون / ١١٥ .
 ٧٣ - آل عمران / ٦٢ .
 ٧٤ - يوسف / ١١١ .
 ٧٥ - آل عمران / ١٣٣ .
 ٧٦ - الأنفال / ١٢ .
 ٧٧ - سيرة ابن هشام - ج ٢ - تحقيق محيي الدين عبد الحميد .
 ٧٨ - الأنفال / ٧ .
 ٧٩ - الأنفال / ٧ - ٨ .
 ٨٠ - الأنفال / ٦ .
 ٨١ - الأنفال / ٤١ .
 ٨٢ - تفسير الطبري - ج ١٣ - ص ٥٦٠ - ص ٥٦٣ .
 ٨٣ - الأنفال / ٦ .
 ٨٤ - الأنفال / ٦ .
 ٨٥ - الأنفال / ١٧ .
 ٨٦ - الصافات / ١٤١ .
 ٨٧ - الرعد / ١١ .
 ٨٨ - سيرة ابن هشام - ج ٢ - ص ٦١٤ - تحقيق الأستاذ مصطفى السقا .
 ٨٩ - المرجع السابق .
 ٩٠ - الصافات / ١٤١ .
 ٩١ - الروم / ٣٠ .
 ٩٢ - النساء / ١ .
 ٩٣ - الحجرات / ١٣ .
 ٩٤ - الحجرات / ١٣ .
 ٩٥ - القصص / ٨٣ .
 ٩٦ - الأعراف / ١٧٥ .

□ المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
 - السنة النبوية المطهرة .
 - الموافقات في أصول الشريعة - للإمام الشاطبي .
 - تفسير الطبري - طبع دار المعارف .
 - سيرة ابن هشام - تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد .
 - الإسلام دين العلم والمدنية - للإمام محمد عبده .
 - تفسير جزء عم - للإمام محمد عبده .
 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

عمدة إمام موسيقى القرآن

د. نعيم اليافي

تنزلت الكتب السماوية بلغة إيقاعية موزونة كما يرى علماء الأديان الثقات . وغاية كاتب المقال أن يشرح ما استطاع الوزن والإيقاع في التنزيل الكريم . وهو يستعمل لفك الموسيقى بهذا المعنى لقوية ما يذهب إلى الظاهر منهما في ذلك البيان المعجز . ويدرك الدكتور نعيم ذلك فهو يقول : « حقا أنه لا يوجد فيه ولا في الأدب عامة موسيقى بالدلالة العلمية الدقيقة لهذه الكلمة ما دام مقام الصوت منعما ... » وعلى هذا فاستعمال لفك الموسيقى هنا من باب المجاز .

وقد قسم الكاتب بحثه أقساما دوس في المقدمة أوزان الإيقاع في الفواصل ثم مصدر النغم يريد به الإيقاع والوزن في النص ، ثم مصدر المقريء يريد به فن التلاوة التجويدية ، ثم مصدر المتلقي يريد به أثر التلاوة في النفس الإنسانية ، ونحسب أن الكاتب كان يفكر من خلال الأقسام في مكانة المؤلف وأنواعه من لازم ومنعرج وجائز ومتعاقب مع بقية مصطلحات الضبط سواء كان ذلك في إبراز الإيقاع والوزن أو في تجويد التلاوة أو في أثرها العميق لدى السامع . وتلك القواعد تغطي التلاوة نصيبا آخر من حرية التجويد الخاصة بالمقريء ، كما تلون أثر التلاوة في النفس المنصتة .

هذا وقد إبان الدكتور نعيم أمورا مهمة في إيقاع النص ووزنه وكذلك بعض الخصائص في تلاوة ثلاثة من كبار المقريئين . أما بيان أثر التلاوة في النفس فقد أجمله في الفقام وربما هادئ المستقبل فتناول هذا الأثر بشيء من التفصيل زيادة على تناول بعض العلماء القدماء له من أمثال الفزاري وذلك في كتابه « الأحياء » حين بحث آداب التلاوة وأعمال الباطن في التلاوة .

ع. ك. ي

★ ★ ★

ينبع اهتمامي بموسيقى القرآن من أمرين : أولهما تأكيد التلاحم الوشيق في طبيعة التعبير الأدبي بين الإثارة الوجدانية ونظام الأصوات ، وثانيهما إبراز مكانة الإيقاع في أعجاز النص وقدرته على الإبلاغ . وقد سبق أن نشرنا مقالتين في هذا الشأن (١) .

وقد أرضت تلك المقالات فريقاً وأغضبت آخر ، ومن غضب أو من لم يستحسن احتج بأن القرآن كتاب مقدس لا يجوز أن نخضعه لمصطلحات العلم البشري الوافد إلينا من الغرب أو من الشرق ، وكان يخلط في بعض ما ذهب إليه - كما أظن - بين فن الأداء الخاص لقارئ النص ، وبين مكونات النص الالفاظية أو طرائقه في تشكيل النغم .

أحاول في هذه المقالة أن أناقش هؤلاء وهؤلاء وأعرض وجهة نظري تحت عنوانين: القرآن والموسيقى ، ومصدر النغم في هذه الموسيقى . هذا مع الاحتراز الدائم بأن التنزيل الكريم فوق كل الاعتبارات البلاغية والموسيقية ولكن هذه الاعتبارات تعين بعض الشيء على تفهم آثاره البليغة والعميقة .

□ القرآن والموسيقى :

ملاحظة: الموسيقى في القرآن أمر يرفضه قوم ، ويتحرج من ذكره آخرون ، يرفضه أولئك الذين يزاولون بين الموسيقى والوزن الشعري قافية وروياً وتفاعيل فينزهون القرآن عن هذا الوزن قافية وروياً وتفاعيل . ويتحرج منه هؤلاء الذين يحسون فيه نغماً وجرساً وإيقاعاً ، ولكنهم يجدون في المصطلح مادة غريبة ونابية عنه وعن مستلزماته من ورع وتقى وصلاح .

وموقفنا هو المقابل لهؤلاء وأولئك ، فنحن لا نرفض دعوى الموسيقى ولا ملاحظتها في القرآن لأن الوزن أو العروض لا يشكلان إلا وجهاً واحداً لقضية لها جانبان ثانيهما هو الإيقاع ، وإذا كان القرآن ينأى عن وزن الشعر ولو تلامحت فيه بعض أشطره وأبياته فإنه لا ينأى عن الإيقاع بل يتوسل به في نسقه العالي الجميل حقيقة لا ادعاء ، ولا نتحرج من استعمال المصطلح ما دام هذا المصطلح أو سواه مما يعمل معناه قد دخل مجملنا ولقننا ونقدنا وأصبح جزءاً من فكرنا التراثي ، ونحن في زمن يميننا فيه أن نوضح خصوصية كتابنا المقدس ومبلغ إعجازه فنا وأداء أكثر مما تعيننا أو تحرجنا حساسية فائقة أو زائفة تجاه بعض المصطلحات ، وأنه لخير لنا - فيما أتصور - ولقرآننا أن نستعمل مصطلحاً عالمياً هو من خصائص التعبير السامي الرفيع فنثبت أن أسلوب القرآن - معجزة العربية الأولى - يتوسط به ويتوسل ، ويبدع في هذا التوسط والتوسل من أن نأى عن استعماله ونتحرج ونؤثر عليه كلمات لا يفهما سوى أصحابها ، كلمات أصبحت اليوم من الماضي البعيد . ثم لنا أن نتساءل ما جدوى الرفض أو الحرج ما دام المصطلح لا يمس العقيدة ولا الشريعة بقدر ما يوضح روعة القرآن أسلوباً وأداءً ، ويبين أو يساعد على بيان مدى إعجازه .^٩

لا جناح عليّ اذن ولا تشريب اذا استعملت مصطلح الموسيقى في القرآن بالدلالة التي أوضحتها ، وسأصرف همي في هذا الفصل للتدليل على أن الكتاب الكريم في تفسيره وطريقة أدائه يسمى نحو الموسيقى ، ويتوخاها بدقة كبرى ، يفتياها عن قصد وهدف حتى يكون في أسلوبه أوقع وأحكم ، وفي تعبيره أكثر أناقة وأشد إشرافاً وتأثيراً .

سأفرق تفريقاً اعتبارياً بين الظواهر الأسلوبية التي تساعد على الأداء الموسيقي والظواهر الإيقاعية أو قواعد التشكيل ، في الظواهر الأسلوبية سواء أكان ذلك في فواصل الآيات أو سياقها تختار الكلمة غريبة أو مألوفة ، تقدم أو تؤخر ، تحذف أو تذكر يمدل عنها أو إليها لأسباب عدة من بينها الموسيقى . أما في قواعد التشكيل أو الظواهر الإيقاعية فإن وضع الحرف أو الكلمة أو الجملة على هذا النحو من الأنحاء إنما يكون للملاح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقى ، وبذلك يضحي التعبير أبهر والتأثير أروع ، ولما كنا لا نفصل في طريقة دراستنا بين المعنى والمبنى ، بين دلالة التركيب وشكله فليس لزاعم أن يزعم بأن وضع اللفظ على هذا النحو إنما كان لمعنى في السياق وليس لضرورة الإيقاع ومن أجله .

لقد لاحظ بعض القدماء مبلغ اتزان الإيقاع في الفواصل فنقل السيوطي في الالتقان (٢) عن شمس الدين بن الصائغ أربعين وجهاً ونيفاً سماها « الأحكام التي وقعت في آخر الآية مراعاة للمناسبة » ورحنا نتتبع هذه الأحكام وسواها من الضروب المختلفة فاستطعنا معظمها لعدم وضوح المسوغ النفسي أو لأنها أقرب إلى أن تدرس في علم المعاني من أن تدرس في ميدان الظاهرة الأسلوبية - الإيقاعية (٣) ، وأضفنا غيرها ، ولم تقتصر في رصد الوجوه والأحكام على الفواصل وحدها بل عمدنا إلى نسق الآيات وسياقها فكانت لنا جملة من الظواهر الموسيقية نحاول أن نمثل لها :

الظاهرة	الصورة العالية	الصورة القياسية
١ - التقديم :		
- تقديم المفعول على الفاعل	برب هارون وهوتى	برب موسى وهارون
- تقديم الضمير على ما يفسره	فاوجس في نفسه خيفة موسى	فاوجس موسى خيفة في نفسه
- تقديم ما هو متأخر في الزمان	فلله الآخرة والأولى	فلله الأولى والآخرة
- تقديم خبر كان على اسمها	ولم يكن له كفواً أحد	ولم يكن أحد كفواً له
- تقديم المفعول على الفاعل	لقد جاء آل فرعون النذر	لقد جاء النذر آل فرعون
٢ - الحذف :		
- حذف المفعول	ما ودعك ربك وما قلى وما قلاك
- حذف ياء الإضافة	فكيف كان مذاهي ونذر ونذري
- حذف ياء المتعصم	فكيف كان عقاب عقابي
- حذف ياء المتعصم	الكبير المتعالم ، يوم التناد	.. المتعالي ، التعادي
- حذف ياء الفعل غير المجزوم	والليل إذا يسر / ذلك ما كنا نبغ	يسري ، نبغي
٣ - الذكر :		
- أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى	ومناة الثالثة / أو / الأخرى	
- تلك - إذن - قسمة ضيزى	تلك قسمة ضيزى	



الظاهرة	الصورة العالية	الصورة القياسية
---------	----------------	-----------------

٤ - الخطف :

- الذي خلقتني فهو يهدين .. ويستين ..
- يشفين .. يحيين
- يهديني ويسقيني ..
- يشفيني .. يحييني

٥ - صرف ما لا ينصرف :

- قواريرا ... قوارير (*)
- قوارير .. قوارير

٦ - العدل عن الافراد الى سواء والعكس :

- فلا يخرجكم من الجنة فتشقى
- واجملنا للمتقين إماما
- لا بيع فيه ولا خلة
- ... فتشقى
- ... أئمة
- ... ولا خلة

٧ - ايراد أحد الجزاين غير مطابق للآخر :

- واليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
- أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون
- ... الذين كذبوا
- ... الذين اتقوا

٨ - تغيير بنية الكلمة :

- طور سينين
- طور سيناء



نختار بعض هذه الظواهر لدراساتها :

● يقول تعالى: «أفرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى»، لو قرأنا بحذف الثالثة مرة والأخرى مرة لاختلت الفاصلة وتأثر الايقاع لأن الآية تنقسم الى جملتين موسيقيتين متوازنتين ومتناسبتين كلتاهما مؤلفة من ثلاث وحدات «أفرايتم اللات والعزى»، «ومناة الثالثة الأخرى»، فلو حذفنا من الجملة الأخيرة إحدى الوجدتين الثانية أو الثالثة لبقيت وحدتان وفقدت الآية تناظرها واختل بالتالي تناسقها الصوتي أو النغمي .

● ويقول : «الكم الذكر وله الأنثى؟ تلك - أذن - قسمة ضيزى»، لو قرأنا الآية بحذف كلمة أذن لاختل الايقاع الذي لا يستقيم ويتوازن إلا بها وذلك :

١ - لأن التناظر بين جزأي الآية يتلشى فكلاهما مؤلف من أربع وحدات ، نحن بأزاء سلم موسيقي تام ، أربعة أزمنة صاعدة ، وأربعة أخرى هابطة ، ولكل منها قرار وجواب .

* قراءة نافع والكسائي وعاصم في زوايا أبي بكر بالتثنية فيهما وحمز هـ وابن عامر والى عمرو وحفص بغير تنوين فيهما ، وابن كثير تنوين الأول .

٢ - تمثل كلمة اذن سكتة موسيقية أو وقفة ، ان النفس عندها يستريح قبل أن يصل الى النهاية الموسيقية التي فرضت اللفظ الغريب فيزى مراعاة للفاصلة ولو لم تكن هذه الوقفة لاندلع الصوت حتى ارتطم بهذه المفردة الخشنة الثقيلة التي تحمل معناها ، ولا تقوم مقامها كلمة أخرى .

● ويقول: « أفرايتم ما تعبدون ، انتم وأباؤكم الأقدمون ، فانهم عبدوا لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » ، لقد خطفت ياء المتكلم في نهاية الآيات محافظة على رؤوسها حتى تتناسب أو تنسجم مع كلمات تمبدون والأفسون والعالمين والدين ، ولو أعدنا الياء وقرأنا لشعرنا بنوع من الاختلال يبدو جلياً لكل ذي سمع رهيف .

● ويقول : « يوم يدعو الداع الى شيء نكر ، خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجناس كأنهم جراد منتشر ، مهطعين الى الداع » ، القياس في الآية أن نقول الداعي بارجاع ياء المنقوص ، وإذا نحن لم نخطف هذه الياء أو نحذفها في أثناء الثلاثة لوجدنا ما يشبه الكسر في ايقاع العبارة ، ولما توازنت لفظة الداع مع كلمة عسر في رأس الآية .

● وقد لا يكون هناك حذف ولا تقديم ولا عدول عن صيغة الى صيغة ومع ذلك فانا نلاحظ في الآية الموسيقى الكامنة في التركيب والتي تختل لو غيرنا نظامه ، ولنقرأ قوله تعالى : « وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل .. » ، ان التوازن أو التقابل بين المد في إبراهيم والمد في اسماعيل واضح ويتناسق فلو جعلنا اسماعيل يأتي مباشرة بعد إبراهيم وقرأنا لتوالى مدان وأحسنا بالتالي أن الوزن سيختل لا محالة .

حين نتملى هذه الأمثلة والنماذج ، وننعم النظر فيها فانا نلاحظ أن التناسب أو الاتزان في التعبير هو مظهر في بيان القرآن، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السماع أو التلقي ، فالأذن ترفض أن تقبل الارتكاز المتتالي أو النبر الشديد في كلمتين متعاقبتين ، بل انها ترفض صيغة النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان أو زمان ضميئان وإعادة ذلك بصورة معكوسة أو صيغة نقرة قوية لضعيفة ثم أخرى قوية فراهمة ضعيفة تساوي زمن الثانية ، وانما تقبل أو تستريح للتوازن وتلد به وتنعشي .

لنقرأ قوله تعالى : « ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى به ناداء خفياً ، قال رب اني وهن العظم مني ، واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً » ، تشكل وسط الآية الإيقاعي حسب لواطن الارتكاز أو النبر ، أو حسب النقرات القوية والضعيفة هو على الصورة التالية :

قال رب إنني وهن العظم مني

• • • • • •

وهي صورة متوازنة ومنسجمة تقبلها الأذن وتستريح لها ، فلو صرفنا السمع عن موسيقى الفواصل مؤقتاً ، وحاولنا أن نفروض كلمة منتهى فنجعلها سابقة لكلمة العظم ، وأعدنا الياء المحذوفة أو المخطوفة الى كلمة رب حتى يصبح التشكل النفسي هكذا :

قال ربي إنسي وهن مني العظم

لأحسننا ما يشبه التقلقل أو الاضطراب في نغم الايقاع ، والسبب في ذلك واضح لأن الأذن ترفض صورة الارتكاز المتتابع أو توالي النقرات القوية والضعيفة بالصورة السالفة ، صورة التردد الرتيب وتؤثر عليه التنوع مع التناسق ، أو الانسجام في توالي المقاطع .

ان دور الموسيقى في القرآن - هذا الدور الكبير - لا تنبع أهميته من أنه أحد عناصر الأسلوب الفني أو وسيلته البارزة وسيلة التصوير والتعبير والتأثير فحسب بل لأن له هدفاً دينياً أولاً ، ولأننا نستطيع أن نجعله - ثانياً - أساساً أو معياراً أو مفتاحاً - اختر ما شئت - لأحد علوم القرآن الكريم .

فالإيقاع ذو هدف ديني من جانبين جانب الحافظ وجانب المستمع ، الأول يساعده على حفظ القرآن وتذكره وتلاوته ، والثاني يجعله يفعل له ويتأثر به ويهتز ، ويحدثنا اليوم علماء اللغة وعلم النفس الموسيقي أن ادراك الطفل لنغم الكلام وجرسه يسبق ادراكه لمعناه وأحيلته ، ويقولون أن لدى الإنسان ميلاً هينياً أو استعداداً فكرياً لالتقاط وتذكر جملة من المقاطع الصوتية المنفصلة والمتكررة أكثر بكثير من استمداده لالتقاط بعض المقاطع العادية غير الموسقة من الكلام ، وكل من شاهد حفظة القرآن من الولدان يعرف أنهم يجدون سهولة واضحة في حفظه وتذكره أكثر مما يجدون في حفظ غيره من النصوص وتذكرها لأن الإيقاع يساعدهم على هذا .

وما يقال من الحفظة الأطفال يقال عن المتلقين الكبار الذين يفعل فيهم القرآن فعل السحر حين يتلونه أو يستمعون اليه من قارئ مجود يرتل على أذانهم آياته البينات بأحكام ، انهم يجدون له في أنفسهم أثراً من صور الخشوع والعز وال تأمل والبشرى والحماسة والانفعال والاندفاع والبكاء ، وربما صاحبها لدى المامة هزات جسمانية وآهات داخلية وصيحات عالية . . ذلك كله بسبب النشوة الموسيقية ، نشوة النغم المجيب ، نغم القرآن الذي يملك القدرة على تكبيرنا بالزمن والقدرة على محو شعورنا به في آن .

وبالإيقاع أو بالموسيقى نستطيع أن نعرف المكي من المدني لا سيما في تلك السور التي وقع حولها خلاف فقيل انها مكية كما قيل انها مدنية (٤) ، ويمكن عن طريق فحص الموضوع والأسلوب وطريقة الأداء والوقوف عند نغم الآيات وإيقاعها أن نحدد - ونحن مطمئنون - مكية بعضها مثل التكاثر والعاديات والزلزلة والرعد والرحمن ، ومدنية بعضها الآخر مثل الجمعة ومحمد والحج والنساء ، ولتأخذ سورة الزلزلة مثالا :

يقول تعالى :

« إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ماله ، يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

تبدأ حركة النص عنيفة قوية ، انه يوم القيامة حيث ترجف الأرض وتزلزل ، وتنفض ما في جوفها ، تتخفف من أثقالها التي حملتها ونأت بها ، مشهد مروع مخيف أين منه مشاهد الدنيا في زلازلها وبراكينها ١٩٠٠ ، ويقف الإنسان دهشاً ضائعاً مذعوراً يتساءل : ما الأمر ؟ ما لهذه الأرض ترج وتزلزل ، ماذا أصابها ؟ ، وتحدث الأرض ، تصف ما جرى لها ، انه أمر الله ، أسرها أن تمور فمارت ، أن تقذف ما في بطنها فلقذفت ، هنا والإنسان مشدوه يكاد لا يلتقط أنفاسه ، حائف يترقب ، في لحظة سريعة يعرض مشهد القيامة من البعث حتى الحساب ، الناس يصيدرون كالجراد ، وينتشرون موزعين متخالفين ، بقوة الزلزلة ، هول البركان العظيم فرقمهم ، جعلهم مذعورين خائفين أشتاتا أشتاتا حيارى يهرعون في كل اتجاه ، ولكن إلى أين ؟ إلى الميزان ليحاسبوا ، ليروا أعمالهم ، فمن يعمل الخير أو الشر مهما يكن هذا أوداك ضئيلاً ودقيقاً سيجده ماثلاً إزاءه ، يراه رأي العين .

إيقاع النص يساق هذا المعنى ويحملة فهو مثله لاهث سريع يرجف كالأرض وكالإنسان هزاً واضطراباً ... كل ما فيه متحرك بارز مائل ، الكلمات في جرسها ، في طباقها وتوافقها ، فيما تنشره من أفياء وظلال ... الزلزلة ، أثقال ، مثقال ، ذرة ، أشتاتا ، ليروا ، يره ... تشي بالموقف وتعبئ عنه ، ومع ذلك فهذه الكلمات وسائر ما في المعجم من أمثالها لا تبلغ في وصف المشهد قدوماً يبلغه الخيال السعدي والبصري حين يتملى النص ، فالسورة هزة ، وهزة عنيفة للقلوب الغافلة ، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي ، انها صيحة قوية من زلزلة للأرض ومن عليها ، فما يكادون يفقهون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضغ فقرات قصار ، فهل هذا أو بعض هذا مما يجيء في السور المدنية ، أو تعبئ عنه وتصفه السور المدنية ١٩

هذه هي الموسيقى في القرآن تأخذ مجراها ، وتفعل فعلها ، تهز القلوب والنفوس والأرض والسما ، تصور ، توحى ، تؤثر ، تميز ، تحكم ... فهل لنا أن نضيق بها ذرعاً ولها هذا الدور ٩٠

على أولئك الذين يرفضونها ، أو يحرجهم الحديث عنها ، عن مكانتها ووظيفتها وطبيعتها أن يتذكروا أن هذا الكتاب قد نزل على قلب محمد ﷺ بلسان عربي ، بيانه غناء ، وآياته حكم وأمثال ، ولفظه موسيقى وإيقاع ، وترتيل قرآنه عبادة ، ومطاف نبيه المنسوب إليه يملأ الآفاق :

« ليس منا من لم يتغن بالقرآن » .

وسمناه كما يذكر الشراح ليس من الماملين بسنتنا الجارين على طريقتنا من لم يحسن صوته به لأن التطريب به أوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء .

□ مصدر النغم :

استعمل كلمة نغم هنا بدلالة خاصة وواسعة لتشمل الايقاع والتنظيم معاً وأتساءل: ما مصدر النغم في القرآن إلام يرجع ؟ أو يرجع الى الآيات بما فيها من قيم موسيقية ؟ أم يرجع الى التنظيم بما فيه من قيم انشائية، أم يرجع نالشة الى مصدر غيبي بما له من سحر خفي نحس أشره في النفس ولا نعرف منبمه ؟ وبكلمات أخرى هل يعود النغم في القرآن الى النص أو الى المقرء أو الى المتلقي ؟ نناقش المصادر الثلاثة .

أولاً : مصدر النص - الايقاع :

ميزنا في مقالة سابقة بين الوزن وبين الايقاع، وراينا أن الأول من خصائص الشعر، وأن الثاني من خصائص الشعر والنثر معاً، وعلينا الآن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الايقاعات النثرية :

- ايقاع النثر العادي أو العام الذي يفلت من عنصري الانتظام والتوقيت .
- وايقاع النثر الفني الذي يعتمد بالصنعة عليهما .

وايقاع القرآن الذي يباينهما لينشئ وتدرجات صوتية مختلفة وكيفيات نغمية تتراوح بين الانتظام والتناسب ، بين التوازن والتقابل تبعا للفكرة أو للموضوع ، للموقف أو للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه أو يوصله .

في كل سورة أو نص قرآني ينبع الايقاع من اندماج عنصريين : من نغمة خاصة تناسب الفكرة ، وتقوم القافية فيها بدور المفتاح ، ومن لحن ينتظم النغمات جميعاً على اختلاف درجاتها وفي شكل منسجم ومتناسب يخلف في روح المتلقي شعوراً ما ، بالنغمات يوقع القرآن ايقاعات شتى على أوتار النفس ، وباللحن المتساق يترك وحدة الأثر ، والملاقة بين النغمات التي تصنع اللحن علاقة ذات أساليب شتى ، فقد تقوم على الشوق أو الترقب ، أو على الترجيع أو على سواها من قواعد التشكيل حتى يشير القرآن في أنفسنا ألواناً من الانفعالات تنصهر أخيراً في بوتقة الاحساس النهائي حين تتجه الى غايتها المنشودة .

ندرس أحد النصوص :

- ١ - والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبعا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا .

- ٢ - يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ، ابصارها خاشعة ، يقولون إنا لمردودون في العافرة ، أنذا كنا عظاما نغرة ، قالوا تلك إننا نكبر خاسرة ، فانما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة .

٣ - هل اتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكلب وعصى ، ثم أدبر يسمي ، فحشر فنأى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى .

٤ - انتم اشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاًها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعاً لكم ولأنعامكم .

٥ - فإذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبرزت الجعيم لمن يرى ، فاما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجعيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى .

٦ - يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، إلى ربك منتهاها ، إنما أنت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها .

موضوع السورة يوم البعث ، شغل القرآن الشاغل في الآيات المكية ، فهذا اليوم الذي ينكره ويهزأ به الكافرون كيف يثبته في نفوسهم ؟ يلفت نظرهم أولاً الى واقع مادي مائل يشاهدونه كل يوم ، منظر الخيل المفيرة السابحة التي تكابد وتنزع في أعنتها حتى تنهي العرب ، وتدبر أسر الظفر والغلبة . . . ويستحضر لهم في المقابل واقعاً آخر غيباً يرفضونه ولا يؤمنون به ، ومثل ما يحدث فيه من هزة عنيفة تغير الثابت من نظام الكون مثل تلك الهزة التي أعقبت الغزاة ، ثم يأخذ بهم ثانياً في الماضي وفي الحاضر ، فيما يسمعون وفيما يرون ، ويمود بعد ذلك الى القضية ، يوم القيامة فيصف مآل الناس فيها الى نعيم مقيم أو عذاب خالد ، ويختتم بالسؤال عن موعد هذا اليوم وعن ترقبه الداهم .

يتألف ايقاع السورة من ست جمل موسيقية :

١ - الجملة الأولى واجفة مسرعة ، تركض ركضاً ، وتنزع نزاعاً ، وتستحيل في ارتفاع درجتها ، وحدة جيشانها الى خمسة تركيبات متساوية كأنها موزونة وزن الشعر (مستفعلن لمعلن) ، وهذا المطلع السريع يتفق مع ظل المعنى الفامض وإيماءاته المتعددة وما يثبته في النفس من هزة ورهبة وتوجس ، أن الأنفاس تكاد تتقطع ذعراً وارتجافاً وانبهاراً مرة بالموسيقى الخاطفة القارعة ، ومرة بنفي المعنى الفامض .

٢ - ثم تجيء الجملة الثانية - المشهد الأول - طابعا من طابع المطلع ، وإيقاعها من إيقاعه كأنما المطلع لهذا المشهد إطار ، الموسيقى ما زالت واجفة ، هزاتها في الحس قوية ، وتوجساتها في الشموخ تهول وتروع .

٣ - تخير النغمة أو الايقاع في العبارة الثالثة - المشهد الثاني - فجاء الحكاية وعرض الماضي واستحضار الذكريات لا تناسبه نغمات قارعة ولا واجفة ، معها يهدأ الايقاع وينساب

تمتد العبارة ، وتطول الجملة ، ويتحول الخيال السعدي الى خيال تأملي استرجاعي ،
وسما يوافق هذا الخيال - شريط الذكريات - نفحات لا تعنف ولا تشتت بل تبطل وتسترخي .

٤ - ترتفع نبرة النغمة في الجملة الرابعة - المشهد الثالث - حين تنتقل من ساحة
التاريخ والذكرى الى كتاب الكون المفتوح ومشاهده الهائلة ، هنا يبدو التعبير قوي
الأسر قوي الايقاع ولكنه لا يصل الى درجة المطلق أو المشهد الأول ، فزمنه أضعف ،
ونقراته أخف .

٥ - يجيء المشهد الرابع في الجملة الخامسة ، مشهد المطامة الكبرى فتعود النغمة
حاددة كما كانت في المطلق ، تتسق معه قوة وهنفا وبروزا .

٦ - في اللحظة التي يغمر فيها الوجدان ذلك الشعور المنبعث من التوقعات المختلفة
واللمسات الموحية يرتد السياق في الجملة الأخيرة الى المكذبين بيوم الساعة بايقاع حازم
هائل وسريع يزيد من روعة الساعة وهولها وضخامتها في الحس وفي النفس ، وتشارك
الهاء الممدودة في تجسيم الهول وتشخيص الضخامة .

ولقد كانت القافية في النغمات جميعاً تقوم بدور المفتاح فتلون النغمة وتمنحها
درجتها ، وتمددت القوافي بتعدد النغمات حتى بدت كأنها النهايات الطبيعية التي كانت تصل
إليها كل موجة متدفقة من موجات التعبير الزاخر بالحركة والجيشان .

أما لحن السورة ، مجموع النغمات بمفاتيحها وقوافيها ، في ارتفاعاتها
وانخفاضاتها فإنه يعتمد على لونين من الايقاع هادئ بطيء هو اللون الثانوي كما في
الجملة الثانية ، وايقاع شديد بارز هو نغمة القرار الرئيسة ، ويبدو في حدة نقراته ،
وشدة نبراته : النزغ ، الفرق ، الراجفة ، الرادفة ، الزاجرة ، الطامة ، طفي ، برزت ،
الجعيم (لم يقل جهنم) . وكان يتم الانتقال من نغمة الى نغمة ، أو من جملة الى جملة
ضمن اللحن العام بالشوق أو المشابهة ١-٢ أو بالمغايرة ٢-٣ أو بالتناسب ٣-٤ أو الترجيع
٤-٥-٦ ، وجميعها صور من صور التماثل أو التآلف تسري فيها حركة واحدة رغم
تموجها ، حركة الايقاع وحركة الصورة ، حركة الكون الخارجي وحركة النفس الداخلية ،
حركة تقوم على الرجف والوجف والاضطراب ، وتكون النتيجة أن القلب البشري يحس في
ذاته آثار الزلزلة والهول ، ويهتز هزة الخوف والوجل ، ويتهيأ لادراك ما يصيب القلوب
يوم الفزع الأكبر من ارتعاش لا ثبات معه ، وبذلك تبلغ الحركة قرارها ، ويصل القرآن
الى مقصده .

هذا هو المصدر الأول لنغم القرآن ، موسيقى النص أو ايقاعه يتجلى واضحاً لكل
من عاش القرآن ، واستلهم روحه ، وأدرك السمع لنغماته ، حقاً انه لا يوجد فيه ولا في
الأدب عامة موسيقى بالدلالة العلمية الدقيقة لهذه الكلمة ما دام مقام الصوت منمناً ، الا
أن فيه عنصراً موسيقياً ما دامت الكلمات ذاتها قد تكون سريمة أو بطيئة ، خفيفة أو متثاقلة ،
حاددة أو خشنة ، صلبة أو لينة ، فيه عنصر موسيقي لأننا نشعر في طريقة تبيره بجوهر
ما يطرأ على الأشياء من حالات أو تبدلات : من صمت أو حركة ، من هبوط أو ارتفاع ،

من جيشان أو انحسار ، من توافق أو تطابق ، من تنافر أو انسجام ، من توقع أو مفاجأة ..
كل ذلك موسيقي أو عنصر موسيقي يتوسل به النص ، ويمكن تحليله ودراسته .

ثانيا : مصدر المقرئ - التنغيم :

نميز تلاوة القرآن من تنغيمه ، فالتلاوة بطرائقها الثلاث : الترتيل والتدوير والحدرد علم شرعي يتناول الحروف في مخارجها وصفاتها ، وهو علم قديم له أصوله وقواعده التي ثبتت عبر العصور فلم تتغير ، ولعل القرآن من هذه الجهة هو الحافظ الوحيد الذي حفظ العربية وطريقة نطق حروفها ، ومن يستمع الى المصحف المرتل يستطيع أن يتمثل أحكام النطق ومواقع النبرات في لغتنا (٦) .

أما التنغيم أو التغني فامر آخر مختلف ، انه فن المقرئ الخاص ، كيفية أدائه للقرآن ، يظهر من مظاهر الابداع ، أو محاولة من المرتل ل اظهار براعته علاوة على تعميق أثر النص الذي يقرؤه في نفوس سامعيه ، وبهذه الدلالة للتغني يكون أقرب الى الموسيقى منه الى التلاوة ، فهو والغناء صنوان يلتقيان في الأصل الايقاعي وفي الجذر اللغوي ثم يفترقان أو يتخالفان .. كل في طريق فيلتزم الغناء باللحن المؤلف المكتوب غالباً ، ويتقيد بالزمن الايقاعي قيوداً صارماً في حين يجنح التغني الى الترنم المفتوح المرتجل أو الحر .

ويبدو أن التغني مثله مثل الغناء والموسيقى يتطور خلال العصور ويتأثر بهما في هذا التطور ، وإذا ما وازنا مثلاً بين طبيعة التغني في الصدر الأول وبين طبيعته في العصرين الأموي والعباسي فس نجد الفارق كبيراً ، في العصر الأول كان التغني لطيفاً وبسيطاً ، كان مد الصوت وترقيته ورفع طبقة يتم دون درجة صوتية ولا معرفة موسيقية ، فلما أن اتسعت علوم الغناء والموسيقى بعد ذلك اتسع معها التغني بالقرآن وتنوع ، حلت أصوات مدربة مصقولة مثقفة محل الأصوات الفطرية الأفقية ذات النغمات المتقاربة ، اعدت الدائرة التي تتحرك فيها أوتار العنانجر ، ظهرت كيفيات من الأداء تتغنى بأحكام ، وتعرف مواقع النغم ، وهذا معنى ما نقوله من أن التغني كالفناء يختلف من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ، ومن مقرئ الى مقرئ .

لكي نفهم نوع العلاقة بين القيم الموسيقية للقرآن وبين القيم الموسيقية لفن المقرئ لا بد أن نميز بين طراز الصوت المعبر به وعنه وبين كيفية أدائه ، طراز الصوت هو نظمه وطريقة تواليه ، هو عنصره الايقاعي الكائن في نغم العبارة الفنية ، أما كيفية أدائه فهي تنغيمه ، أي تلوين حالات التعبير من اخبار وتأكيد واستفهام وتمجيد وارتفاع في الطبقة ، أو تنفير في موجاتها ، صحيح أن كيفية الأداء هي تحقيق لطراز الصوت بيد أنه تحقيق فردي أو شخصي يضاف اليه ، وقد يعرف أصلاً من أصوله ويشوّهه ، انه عنصر ذاتي خاص بالمقرئ ، وإذا كنا نزع لانفسنا أننا نستطيع دراسة موسيقى طراز الصوت فانا لا نزع أننا نستطيع أن نقيم علماً للإيقاع ولا حتى دراسة جادة له من خلال كيفيات الأداء الفردية .

لقد أتاحت لي الفرصة خلال ربع قرن أن أستمع غير مرة إلى أشهر المقرئين وفي مقدمتهم ثلاثة: محمد رفعت ومصطفى اسماعيل وعبدالباسط عبدالصمد ، سمعت لأول معظم ما أذيع له ، واستمعت إلى الآخرين حيث كانوا يقرآن في الجامع الأزهر ومسجد الإمام الشافعي في القاهرة ووجدت أن لكل منهم طريقة في الأداء تباين طريقة صاحبيه وتتحكم فيها أمور عدة منها خلقية (امكانيات الصوت وطاقته) وثقافية (مدى المعرفة بالنغم والمقامات الموسيقية) وأبداعية (موهبة القارئ وحسه الموهب) ، وسنوازن فيما بينهم من منظور ذاتي لنبين أن التفاوت في الأداء لا يعود إلى موسيقى القرآن بل هو في منأى عنه .

لا أدري لم يتمثل لي مصطفى اسماعيل بالصانع الماهر ، وعبدالباسط عبدالصمد بالمطرب المحبوب ، ومحمد رفعت بالفنان المتخصص الموهوب ؟ ولعل السبب يعود إلى طريقة كل منهم في تغنيه للآيات ، حين نستمع للأول (ولا أقول نسمع فشتان ما بين السمع والاستماع نحس صوتاً جميلاً تغلبه صفة صاحبه ، يغلبه وقاره وجلاله والأسول الدقيقة لعلم التجويد وان خولفت في بعض الأحيان ، فمصطفى ماهر في الإبانة والالطهار والتفخيم والترقيق والتشديد والفنة والحركة ، وربما كان من أجل هذا المقرئ الرسمي للدولة حتى وفاته .

أما عبدالباسط فهو المطرب وأبلغ ما يتصف بهذه الصفة حين يلتقي بالجماهير ويتغنى في المسجد ، عندها يحاول أن يشيرو ويستثير ، يروض الانفعالات في النفوس ويطلقها فتملو التأوهات والصيحات ، وهو يلجأ - لكي يحقق ذلك - إلى أداء الآية الواحدة بأكثر من صورة كما يلجأ إلى شتى الطرائق التي تحرك الجماهير ، وتؤثر في عواطفهم مثل الترميد والترقيص والتطريب والترديد والتخزين ، قد نقول أنه ظاهرة في قراءة القرآن ، وهذا لا ريب فيه ، غير أن هذه الظاهرة جنحت نحو النغم وفضلته على صحة التلاوة .

يبقى أولهم محمد رفعت المقرئ التقى الضرير الذي مات بالفالج فقيراً مدمساً فهو الفنان الذي لا يضارع ، لقد وهب الله له - إذ فقد البصر - البصيرة والحس السليم ، وآتاه حظاً من الثقافة في النغم والموسيقى ، ومنحه صوتاً ثرياً رغم صغر حجمه وخفوته إلا أنه يمتد على مساحة واسعة مكنته من التنقل صعوداً وهبوطاً دون مكابدة ولا مماناة ، والذي ينصت إليه حين يتلو « طه » أو غير « طه » من أي الذكر يحس كأنما أتى هذا الشيخ إلى الدنيا بشيراً ونذيراً ، في آيات الرحمة يندى صوته بالفرحة والبشرى ، وفي آيات الزجر والعقاب يهتز هزة الوجمل والاستغفار ، مع ذكر الجنة تشم الأنوف عطرها ، وتنسم أريجها ، وينعم الانسان بظللها ومائها السلسبيل ، ومع ذكر الجحيم يتسمر الجلد فرقا من العذاب ، وتتلفظ النفس برمضاء النار ، ويمج الفم طعم الزقوم والفلسين ...

ليس هذا كله نوعاً من أنواع التدبير ؟ سئل - رحمه الله - مرة كيف تختار لكل آية من الكتاب أداء يناسب معناها ؟ أجاب - حين أتلو يذهب أدائي إلى معاني الآيات ويذهب صوتي إلى إدائي وينجاب من حولي الظلام فأرى كل شيء في السور .

- وما حكاية فنك العجيب الباهر الذي تتشكل به نبرات صوتك حسب الأصول الموسيقية ؟

- ما تسمونه فناً أسميه تغنياً على الأصول الشرعية .

قد يكون حكمي على قراءة الثلاثة حكماً شخصياً وقد لا يكون فالهم ان لكل منهم طريقة في الأداء أو التغني وهذه الطريقة شخصية الى أبعد الحدود ولا تدخل في تقديرنا عندما ندرس مسألة الايقاع ، اننا نعدّها - بشكل أو بآخر - مصدراً من مصادر النغم في تلاوة الكتاب الا أنها لا يمكن أن تمد في أي حال مصدراً من مصادر موسيقى القرآن .

ثالثاً : مصدر المتلقي - النفس :

الذين يتحدثون عن الايقاع في فن الأدب - شعره ونثره - ينتهون الى أن الفيمصل في وجود هذا الايقاع يتوقف الى حد كبير على الاحساس به ، والذين تناولوا بشكل عام وسريع موسيقى القرآن يعترفون بأن في القرآن نوعاً من الموسيقى الخفية تلفظ ولا تشرح ، او تدرك بهبة لدنية (٧) ، فهل يعني هذا أو ذلك أن ثمة عقبة كأداء تعترض في أثناء الدراسة تسمى مرة الاحساس وأخرى الخفاء ؟ في ظني أن الموقفين لا يبرزان عقبة بقدر ما يثيران مشكلة هي التلقي ، كيف نتلقى القرآن ؟

ان الدراسات النفسية والجمالية (٨) لعملية التلقي أثبتت أن تركيب الأثر الفني لا يكون تاماً ولا كاملاً الا اذا التقت في رحابه وتداخلت طاقتان الطاقة الكامنة في النص والطاقة المنبثقة من التلقي ، ولقد كانت معظم الدراسات القديمة - اللهم الا تلك التي أشارت الى تأكيد العامل النفسي في إثبات الإعجاز - تذهب الى فصل الصورة عن المادة ، فصل المدرك عن المدرك ، وبالتالي ترى أن القرآن يحمل قيمة الفنية الى الجاهل والعالم على السواء ويؤثر فيهما .

رؤيتنا اليوم تختلف لأن تحليل عملية الإدراك يختلف ، القرآن - الموضوع - يلتقي فيه عالمان عبر عنهما بالاستماع والتدبر ونمبر عنهما بمالم النص وعالم المتلقي ، الأول حياة تمج بالحركة والامتداد ، كلمات تعبيرية ، صور فنية ، قيم موسيقية ، تركيبات بلاغية ، والثاني حياة وخبرات جمالية وثقافية تتصف هي الأخرى بالحركة والتقابل والامتداد ، في عملية الإدراك تتصالح الحياتان ، تلتقي الطاقتان - الطاقة الكامنة في النص ، والطاقة المنبثقة عن القارئ ، ولن يكون التلقي كاملاً ، ولن يدرك القرآن ادراكاً كاملاً ، الا اذا حدث المعجزة ، وتداخل العالمان وتناهما .

يملك القرآن قيمة الروحية والفنية الخاصة به ، وهذه القيم لا تحضر اليه أو تفرض عليه ، والمتلقي الذي يكابد قراءة وتدبره ، ويميش عالمه ، ويحلله لا يجلب معه قيماً يتخيلها ، أو لا يوجد في النص الذي بين يديه قيماً غير موجودة ، انه يكشف القيم الكامنة فيه ، وفي حالة القرآن تبدو العلاقة بين النص وقارئه أقوى لأن الأمر يتعلق بالايمان ، بتلك الحالة النفسية التي اشترط بعضهم وجودها لإدراك ما في الكتاب من جمال ومن أداء ومن إعجاز .

حين يعيش المتلقي عالم موسيقى القرآن يجد نفسه في واحد من أربعة مواقف :

- ١ - أن يشعر بالايقاع وجوداً ونوعاً ويعلمه .
- ٢ - ألا يلاحظ شيئاً اسمه ايقاع .
- ٣ - أن يرى تناقضاً بين المعلومات التي يعرفها عن الايقاع وهذا الذي يجده في النص .
- ٤ - أن يحس الايقاع ولكنه لا يستطيع أن يشرحه ويعلمه ، أو يحدد مصدره .

الموقف الأول منطقي ومتناسك ، والثاني يشير الى أن إحدى الطائفتين الكامنة أو المنبثقة معطلة ، والثالث يدعونا الى أن نجعل من معلوماتنا في خدمة الاحساس والا حكمنا بفسادها ولو جزئياً اذا ناقضته ، أما الرابع فقد أغنانا عن التعليل عليه الخطابي حيث ذهب في رسالته عن اعجاز القرآن (٩) الى أن السبب قد يخفى وأثره في النفس واضح ، وهذا لا يقتنع في باب العلم ، ودون أن نصل الى ذلك نقول ان مجرد المحاولة لتلمس الظواهر الايقاعية الداخلية في التعبير القرآني مهما خفيت تظل ضرورية بغض النظر عن نتائجها .

موسيقى القرآن هي موسيقى النفس ، للتعبارة معنيان - أولهما أن الايقاع هو احساس المتلقي يضفيه على النص وهذا هو الغطل بعينه ، وقد بينا فساده لأن القارئ لا يحضر الى النص قيماً ليست فيه ، والنظرية الانفعالية في معالم الجمال التي كانت ترى انه حالة شعورية في النفس أكثر منه قيمة مستكنة في الموضوع ذهبت الى غير رجعة .

المعنى الثاني أن موسيقى القرآن تعبر عن حالات النفس ، وترتبط بحركة شعورها ، وهذا أمر نقصد اليه ونقرره ونسمي الى بيانته ، أجبل صوت الموسيقى في القرآن هو صوت النفس البشرية ، صوت حالاتها المتباينة ، صوت فرحها وحزنها ، أملها ويأسها ، غضبها وسعادتها ... لقد لامس أعصابها ، ووقع على أوتارها ، وصور حركة احساسها ، وكان صدى مشاعرها وانفعالاتها ، وبلغ في ذلك الفساية ، وأربى على الفساية تعبيراً وتأثيراً .

كانت هذه مصادر النغم في القرآن - مصدر النص والتلاوة والنفس لا نستطيع أن نضمها على مستوى واحد ، ولا أن نقبلها على علاقتها دون مناقشة ، فالأخير مقبول بمعنى ومرفوض بآخر ، مقبول بمعنى التعبير والتأثير ، ومرفوض بمعنى الاحساس ، والثاني أمر متبدل يتعلق بكيفية الأداء ، ولا يمت الى موسيقى الأثر بعلة ، وكلا المصدرين خارج من حدود هذه الدراسة ، يبقى المصدر الأول - النص - فهو الظاهرة الفنية الجمالية التي يمكن تلميحها وتحليلها بكل اطمئنان .

□ الحواشي :

١ - من هذه المقالات :

- ١ - قواعد تشكّل النظم في موسيقى القرآن ، التراث العربي ع/١٥ - ١٦ ص/١٢٢ نيسان ١٩٨٤ .
- ٢ - ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن ، التراث العربي ع/١٧ ص/٨٩ تشرين الأول/٨٤ .
- ٣ - حروف القرآن ، دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات مجلة الفيصل ع/١٠٢ ص/١٠٣ ايلول/١٩٨٥ .
- ٢ - انظر جلال الدين السيوطي . الاتقان ص/٩٩ ج/٢ القاهرة ١٩٥١ .

٣ - من الأمثلة التي تساق :

تقديم الكلمة لتقنعها في الزمن أو العمل ، أو للترقي من القليل إلى الكثير . أو لتقديم هذا على ما دونه ، أو للاختصاص وإجراء فيه العاقل مجرى العاقل .

استخدام صيغ المباعدة ، الفصل بين المتعاطفين ، الفصل بين الصفة والموصوف ، إيقاع الظاهر موقع الضمير ، ولوع مفعول موقع فاعل والعكس ، إيقاع حروف مكان حروف ، العدول عن صيغة الماضي إلى المستقبل اللف والنشر ... ولنا أن معظم هذه الضروب يمكن أن تدرس في باب علم المعاني فهي به أولى ، وإن كان لا يعني ذلك ابتعادها عن الهدف الإيقاعي ولا دلالة التوخاة .

٤ - انظر - بدر الدين الزركشي . البرهان في علوم القرآن ١/١٨٧ القاهرة ١٩٥٧ . والسيوطي . المرجع السابق ١/٦ .

٥ - روي الحديث بصيغ عدة ، أحداها للبشاري عن أبي هريرة . وثمة أحاديث كثيرة حول هذا الموضوع يستدل بها العنقية والشافعية على جواز القراءة بالتلحين . انظر في ذلك محمد علي الصايوني روائع البيان/٦٣٠ دمشق ١٩٨٥ .

٦ - هذا الحكم فيه شيء من المجازفة وشيء من التجسؤ لتلقي فيه مع إبراهيم آيس وشكري عباد وتمام حسان انظر للأول « موسيقى الشعر » و « الأصوات اللغوية » وللثاني « موسيقى الشعر العربي » وللثالث « اللغة العربية معناها ومبناها » و « اللغة بين الوصفية والمياريية » مراجع سبق ذكرها .

٧ - انظر في ذلك - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، الرماني والخطابي والجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله ، القاهرة .

٨ - من هذه الدراسات - جون ديوي « الفن خبرة » وكولفورد « مبادئ الفن » مرجعان سبق ذكرهما . وأرجع في بسط المسئلة ومناقشتها إلى المؤلف في كتابه « الشعر بين الفنون » الفصلان الثالث والرابع .

٩ - انظر . الخطابي ، رسالته في اعجاز القرآن . المرجع السابق .



قراءة في فكر ابن جني من خلال «الخصائص»

على ضوء عام اللغة الحديث

محمد وليد حافظ

ينتمي ابن جني مثل معظم اللغويين الكبار في تاريخنا ، سيبويه والفراء والفارسي والزمخشري وغيرهم الى المعتزلة ، وهم الجماعة المعروفة بتحكيم العقل ؛ فالاعتزال « منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي » (١) . وقد كانت ثقة المعتزلة كبيرة بالعقل لا يحدّها إلا احترام أوامر الشرع ؛ فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل ؛ فما قبل أقرّوه ، وما لم يقبل رفضوه (٢) .

وجعلته هذه الأرضية الفكرية وتمثله لتراث سابقه يلج على جعل اللغة علما . واليه يمكن أن ننسب باطمئنان وضع القاعدة اللغوية المطردة الشاملة التي لا يطن فيها طامن ، فهو بهذا ذو عقل شمولي متميز ، خطّ لمن بعده أسس البحث اللغوي وأساليبه .

ألّف ابن جني كتاب الخصائص لبحث النظام العام للغة منطلقاً من تمثله لأراء استاذة أبي علي الفارسي القائمة على دراسة اللغة دراسة بنيوية وظيفية ، فشرح عموميات اللغة في استهل الخصائص ، كالفرق بين القول والكلام ، ومعنى النحو والإعراب والبناء . وتطرق الى أصل اللغة ؛ أوحى" هي أم اصطلاح ، ولم يجزم بواحدة منهما ، وقبل بنظرية ثالثة هي نظرية الأصل الطبيعي . ولم يتوقف طويلا عند هذا الموضوع ما دام لا يغير شيئا من حقيقة القوانين اللغوية . وأوضح أن هدفه تأسيس أصول للنحو على غرار أصول الفقه ورفع العلل النحوية التي كانت مضرب المثل في الضعف الى مرتبة الملل الكلامية ؛ فخطط أسلوب البحث العلمي ، وطريقة وضع القواعد الشاملة . وأكد أن اللغة قوانين تحافظ عليها ، وأقرّ أبوابا كثيرة للقياس الذي يتزعم مدرسته الى جانب دراسات صوتية تصب في مجرى النظام العام للغة .

بواه الأستاذ أحمد أمين زعامة مدرسة القياس (٣) . ورآه الأستاذ سعيد الأفغاني
أعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها، وأغوصهم عامة على أسرار علم العربية ،
والإهتمام إلى النظريات العامة فيها . ونسب إليه ابتداع نظريته الاشتقاق الأجر ،
وتأسيس فقه اللغة ، وإمارة علم التصريف بلا منازع (٤) . وكذلك أقر الأستاذ محمد علي
النجار محقق الخصائص بنبوه في الصرف ، وسعة درايته وروايته وفضله على
المؤخرين (٥) . ونسب إليه الدكتور شوقي ضيف وضع القوانين الكلية في التصريف (٦) .

وهاجمه ، وسائر النحاة الممتزلة ، كثيرون بتهمة اضطراب الرؤية اللغوية نتيجة
لإقحام المنطق في النحو . وعلق أبو علي الفارسي نفسه على مزج أحد النحاة الممتزلة
في عصره ، وهو الرماني ، النحو بالمنطق قائلاً : « إن كان النحو ما يقوله الرماني
فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء » (٧) .

ولتلمس موقع الرجل بين هذه الأطرامات والاتهامات ، ولبيان مدى نجاحه في
محاويله ، لا بد من العودة إلى شيء من علم اللغة العام .

يعود تاريخ علم اللغة العام إلى بدايات القرن العشرين ، عندما أعلن عالم اللغة
ماييه عام ١٩٠٦ : « أن التاريخ لن يكون بالنسبة للغوي غاية بل وسيلة » (٨) مشيراً
بذلك إلى أن جهود علماء اللغة في القرن التاسع عشر وما قبله انصبحت على الأبحاث
التاريخية والمقارنة ، وعلى إثبات القرابة بين اللغات : ولا سيما بعد اكتشاف اللغة
السنسكريتية ، وردة الفعل العنيفة ضد قواعد بور رويال . وفي العام نفسه بدأ
عالم اللغة الشهير سوسور في جامعة جنيف محاضراته في « علم اللغة العام » فأسس
عملياً هذا العلم .

و هكذا أدار علم اللغة ظهره للدراسات المقارنة التاريخية ، وأكد إمكان إخضاع
كل حالة من اللغة إلى دراسة سكونية متزامنة بغض النظر عن التطور الذي تعد هذه الحالة
امتداداً له ؛ وبناء على هذا المفهوم طرح سوسور التمييز بين « التطورية » التي هي
دراسة التغيرات عبر الزمن ، و « التزامن » الذي هو دراسة حالات محدودة من اللغة في
فترة محدودة من التطور . فانقسم علم اللغة إلى فرعين : علم لغة تعاقبي أو تطوري
(Une linguistique diachronique ou évolutive) وعلم لغة تزامني أو سكوني
(Une linguistique synchronique ou statique) وتنضم الطريقتان التزامنية والتعاقبية
موضحة أحدهما الأخرى (٩) وينطبق هذا التقسيم السوسوري على اختصاص ابن جني
بالدراسة التطورية للغة ، واختصاص الإمام الجرجاني بالدراسة التزامنية لها في دلائل
الاعجاز . وتنضم الدراستان في مدرسة واحدة يطلق عليها اسم مدرسة أبي علي الفارسي .

لماذا علم اللغة العام ؟ وما مدى اسهام ابن جني فيه ما دام عمله لا يمتد إلى حدود
اللغة العربية ؟

و إذا كان هناك علم لغة عام فلأنه يمكن صياغة مبادئ تنطبق انطباقاً عاماً على وظيفة
اللغات وتطورها وعملها ؛ وهذا هو مفهوم علم اللغة العام أو الكلي (Panchronique)

مقابل علم اللغة الخاص (Idiochronique) الذي هو دراسة سكونية أو تطويرية للغات خاصة « (١٠) » .

« ويرتبط علم اللغة العام بعلم اللغة الخاص بلغة ما ، كالعربية ، لأنه يقسم على ما هو عام ومشترك بين اللغات جميعها ؛ كما أن علم اللغة الخاص يستفيد بدوره من النتائج التي يتوصل إليها علم اللغة العام بتطبيقاتها على اللغة التي يختص بدراستها » (١١) .

« ولذلك فإن لعلم اللغة العام في المرحلة الأولى ، قبل مرحلة البحث عن القوانين العامة مهمة وصفية ؛ فمن مجموع الدراسات الخاصة المنفذة على اللغات المختلفة تستخلص تعليمات ذات طابع عام عن نماذج الأنظمة المتحققة في اللغات » (١٢) .

ترتبط الخصائص العامة للغة بحقيقتين كبيرتين :

١ - كل لغة هي نظام اشارات .

٢ - كل لغة تتجلى في اطار اجتماعي يحدد انتظام عملها وتطورها .

تعرف الاشارة اللغوية بأنها « الكل المحصل من ضم دال ومدلول » ويرتبط الدال بالصورة السمعية ، والمدلول بالتصور أو المعنى المجرد ، وتمثل ظاهرة التلفظ وظاهرة الاصغاء الجانب الفيزيولوجي - النفسي ؛ أما موضوع علم اللغة فهو الجانب النفسي الصرف ، أي التلازم بين الفكرة والصيغة . وقد شبه سوسور العلاقة بين الدال والمدلول بوجهي الورقة الواحدة ؛ فكما أن من المحال تصور ورقة بوجه واحد ، فمن المحال تصور دال بدون مدلول ؛ والعكس صحيح . وإذا انعدم التلازم بين الدال والمدلول كان لدينا تعاقب صوتي لا يصح أن نعده اشارة لسانية ، فتعاقب (ك ت ب) أو (ك ب ت) يعطي اشارة لسانية ؛ أما تعاقب (ت ب ك) فلا يعطي اشارة لسانية . والعلاقة بين الصيغة اللفظية وما تحيل اليه هذه الصيغة هي علاقة اعتباطية (Arbitraire) موضوعة بالاتفاق أو التواطؤ (Convention) فليست الاشارة للسانية من قبيل الرمز بمعناه المحدد لأننا لا نستطيع التصرف بالرموز كما نشاء ؛ فنحن نرمز الى العدالة مثلاً بالسيف أو الميزان ، أو بهما معاً ؛ ولكن لا نرمز اليها بكتاب أو مصباح . أما الاشارة للسانية فانها لا تتقيد بمثل هذه الرموز ، فالاشارة للسانية الى (الطويل) تساوي الاشارة الى (القصر) .

صيغ مصطلح الاعتباطية في الفرنسية من (Arbitre) التي تعني الحاكم المستبد أو السيد المطلق . وفي العربية من فعل (اعتبط) ، ومعناه القتل ظلماً ، أو ذبح الدبيلة سميعة فتية لا حلة فيها . وعلى هذا يلتقي المصطلحان عند فكرة الظلم والتعسف . ومن الجدير بالذكر أن اللغويين العرب القدامى استعملوا هذا المصطلح بمعنى اللاسببية (١٣) . أما سوسور فقد شعر بأن المصطلح الفرنسي لا يعبر تمام التعبير عن العلاقة بين الاشارة للسانية والشيء الخارجي ، فاستخدم مصطلحاً أوضح وهو (Immotive) ، أي اللاسببية ، أو دون علاقة طبيعية . وبدهي أنه تستثنى من هذه العلاقة

الاعتباطية الألفاظ التي لها ارتباط طبعي بالأشياء كالخبرير والزرققة ، والألفاظ ذات الدلالات النفسية ، مثل (أف) و (أه) ، وهي محدودة في كل لغة .

أوضح ابن جني أن الاعتباط أحد أسس اختيار الأصول الثلاثية في اللغة العربية ، وهي أصول الإغلبية العظمى ، قائلا : « اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها ، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها ، وعلم أنه لا بد من رفض ما شنع تألفه منها ، نحو (هع) و (قج) . ففناه عن نفسه ، ولم يمرره بشيء من لفظه ، وعلم أن ما طال وأمل بكثرة حروفه لا يمكن فيه من التصرف ما يمكن في أحد الأصول وأخفها وهو الثلاثي . . . فلما كان الأمر كذلك اقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض ، وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم ، وعارضة أنفسهم على تغيرهم ، جرت لذلك عندهم مجرى مال ملقى بين يدي صاحبه ، وقد أجمع اتفاق بعضه دون بعضه ، فميز ردشه وزائفه ، ففناه البتة ، كما نفوا عنهم تركيب ما قبح تأليفه . ثم ضرب بيده إلى ما أظف له من عرض جيدة ، فتناولوه للحاجة إليه ، وترك البعض لأنه لم يرد استعمال جميع ما بين يديه منه لما قد مذكروه ، وهو يرى أنه لو أخذ ما ترك مكان أخذ ما أخذ لأغنى عن صاحبه ، ولأدى في الحاجة إليه تاديته : ألا ترى أنهم لو استعملوا (لجع) مكان (نجع) لقام مقامه وأغنى مفناه » (١٤) .

يكشف النص السابق تصور ابن جني مراحل وضع ألفاظ اللغة على النحو التالي :

- ١ - رفض ما شنع تألفه من الأصوات ، وغالباً ما تكون - حسبما يشرح في مكان آخر من الخصائص - الأصوات التي لها مخرج واحد ، مثل (هع) .
- ٢ - الابتعاد ، لا الرفض المطلق ، عن الأصول الطويلة ، أي عن الرباعي والخماسي .
- ٣ - الانتقاء من بين الأصول الثلاثية ، لأنه لا يمكن استيعاب كل هذه الأصول . ويتعلق هذا الانتقاء بقانون آخر سنتعرض له في حينه .
- ٤ - لا مقياس في هذا الانتقاء إلا مقياس الاعتباط .

ومن مظاهر الاعتباطية التي تخرج عن ساحة البحث ، والتي ساقها ابن جني في الخصائص ظاهرة عدل بعض الكلمات دون بعضها الآخر ؛ يقول في الباب الذي استقيناه منه النص السابق : « فقد نجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصاة ، ولا محصلة ، ولا نعرف لها سبباً ، ولا نجد إلى الإحاطة بجللها مذهباً ؛ فمن ذلك إهمال ما أهمل ، وليس في القياس ما يدهو إلى إهماله ، ومنه أنهم عدلوا (فملاً) عن (فاعلاً) في أحرف محفوظة ، وهي ثعلل وزحل وعسر . . . وما يقل تعداده ، ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد ، وغير ذلك ، ولسنا نعرف سبباً أوجب هذا العدل في هذه الأسماء التي أرى ناكها دون غيرها » (١٥) .

ومن مظاهر الاعتباطية التي لها علاقة باجتماعية الظاهرة اللغوية أوثق من علاقتها باعتباطية الإشارة اللغوية ظاهرة الاستفناء ، إنما تعيننا منها هنا الكيفية التي تم بها

الاستغناء ؛ فلماذا استغني عن ماضي (ذَر) و (دَع) ولم يستغن عن الماضي (وثب) اذا جرت هذه الظاهرة على الأفعال المبسوطة بالواو ، ومثل هذا التساؤل في الاستغناء بجمع القلة عن جمع الكثرة أو العكس .

ان الخوض في المظهرين الأخيرين ، العدل والاستغناء يتطلب الكثير من العذر ، وأعتقد أنهما يحتاجان الى بحث تاريخي تطوري .

ومظهر رابع للاعتباطية ، وهو التصادفات الواقعة في اللغة أو ما يسميه ابن جني « تلاقي اللغة » ويستشهد له باسمي العلم (سلمان) و (سلمى) : « ألا ترى أن فتلان الذي يقاوده فتلى انما باباه الصفة كفضبان و غضبي وعطشان وعطشى ؛ وليس سلمان وسلمى بصفتين ولا نكرتين ، وانما سلمان من سلمى كقطعان من ليلي . غير أنهما كانا من لفظ واحد فتلاقي في عرض اللغة من غير قصد لجمعهما ، ولا ايثار لتقاودهما » (١٦) .

ويتطلب الحديث عن اجتماعية الظاهرة اللغوية التقديم بأصل الكلام الانساني . ونستطيع اجمال النظريات التي ظهرت لتفسير أصل الكلام الانساني في الاتجاهات التالية :

- ١ - النظريات الطبيعية التي نسبت أصل الكلام الى تقليد اصوات الطبيعة .
- ٢ - النظريات الأنثروبولوجية التي نسبت الى العلاقة الرمزية المتبادلة بين وقع المصدر الصوتي ومعناه ، أو الى الاصوات المرافقة لجهد عضلي ...
- ٣ - النظريات الفلسفية التي نسبت الى العقل الانساني المتمتع بفريزة خاصة زود بها جميع أفراد الجنس البشري .
- ٤ - النظريات اللاهوتية التي عدت اللغة هبة من الله .

وقد وقعت النظريات السابقة في خطأ اهمال العامل الاجتماعي في نشوء الكلام . وهذا ما أدركته وتداركته كلتا المدرستين اللغويتين المنبثقتين في القرن العشرين ، وهما البنيوية في الغرب ، والمدرسة اللغوية السوفييتية .

اما مدرسة الفارسي فقد أدركت هذا منذ مئات السنين ، يقول الإمام الجرجاني « فان الناس انما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده » (١٧) ويؤكد على أن المفردات لم توضع لتعرف معانيها بأنفسها ، وانما ليضم بعضها الى بعض ، فيعرف ما بينها من فوائد ، أي أن نشأة الكلمة المفردة ارتبطت بنشأة الكلام ، ولم تقتصر مهمة الكلمات المفردة منذ نشأتها على التسمية ، بل كانت مهمتها الإخبار أي الوظيفة الأساسية للغة هي كونها أداة اتصال بين الناس .

وينتمي الإمام الجرجاني بهذا الى مدرسة الفارسي ، يقول ابن جني في (باب في هذه اللغة ، أي وقت واحد وضمت أم تلاحق تابع منها بفارط) : « اعلم أن أبا علي رحمه الله كان يذهب الى أن هذه اللغة - أعني ما سبق منها ثم ما لحق به بعده - انما وقع كل صدر منها في زمان واحد . وان كان تقدم شيء منها على صاحبه فليس بواجب أن يكون

المتقدم على الفعل الاسم ، ولا أن يكون المتقدم على الحرف الفعل ... وإنما يعني القوم بقولهم : « أن الاسم أسبق من الفعل » أنه أقوى في النفس ، وأسبق في الاعتقاد من الفعل ؛ لا في الزمان ؛ أما الزمان فيجوز أن يكونوا عند التواضع قدموا الاسم قبل الفعل ، ويجوز أن يكونوا قدموا الفعل في الوضع قبل الاسم ، وكذلك الحرف . وذلك لأنهم وزنوا حينئذ أحوالهم ، وعرفوا مصائر أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني ، وأنها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف ؛ فلا عليهم بأيها بدؤوا ؛ أبالاسم أم بالفعل أم بالحرف لأنهم أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهن جميع ؛ إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن . هذا مذهب أبي علي ، وبه كان يأخذ ويفتي « (١٨) » .

يؤكد علم اللغة الحديث بدوره على اجتماعية اللغة ، وعلى أنها تتمثل لنا خارجياً كأداة للتواصل بين الناس ؛ فهي تظهر في كل مكان حيث يمشي أناس في مجتمع . ولا تمارس لغة دون أن تستخدم وسيلة اتصال . ويعرف اللغة على تنوع أشكالها ؛ الفصيحة ، العامية واللهجات المحلية على أنها « وظيفة إنسانية تستند إلى ضم محتويات الفكرة إلى أصوات منتجة بواسطة الكلام » (١٩) .

وتتوضع اللغة لتكونها وسيلة اتصال ضمن مجموعة الأنظمة اللغوية المستخدمة للتواصل ، مثل أنظمة المرور وطقوس الزواج والوفاة . وعلى هذا وجدت - ولا تزال - لغات غير منطوقة بجهاز النطق الإنساني مثل نداءات الإنذار ، وقرع الطبول في الريقية ؛ ولكن الأساس هو وجود لغة منطوقة يتكون نظام عملها من بث واستقبال أصوات منتجة بعملية الكلام . وهذه اللغة هي موضوع علم اللغة .

وأدت الحاجة إلى التواصل بين الناس الذين يتكلمون لغات مختلفة ؛ لا إلى تعلم إحدى المجموعتين لغة المجموعة الأخرى فحسب ، وإنما إلى ظهور لغات خاصة تسمى « لغات الاتصال » تتميز عن اللغات القومية ، مثل لغة البنجين (Pidgin) المكونة من عناصر إنكليزية وصينية وماليزية ، ولغة السابير (Sabir) ذات الأصول الرومانية ، التي كانت تستخدم سابقاً على شواطئ البحر المتوسط (٢٠) .

كيف تؤدي اللغة وظيفتها بصفتها أداة اتصال ؟

١ - يجب أن يكون للغة نظام . يقول ابن جني في معرض حديثه عن الاختلاف بين لغة تميم ولغة العجاز : « هذا الخلاف لقلته ونذارته غير محتفل به ولا مبيع عليه . وإنما هو شيء من الفروع يسير ، فأما الأصول وما عليها العامة والجمهور فلا خلاف عليه . وكل واحد محافظ على لفته ، لا يخالف شيئاً منها ، ولا يوجد عنده تمام منها ؛ فهل ذلك إلا لأنهم يحتاطون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون » (٢١) . و « لو كانت هذه اللغة حشواً مكبلاً وحشواً كثيراً خلفها وتمادت أوصالها فجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف إليه » (٢٢) .

إذن ما يختلف فيه العرب قليل بالقياس إلى ما يتفقون عليه ، ثم إن ما يختلف فيه

العرب قليل بالقياس الى ما يختلف فيه العلماء؛ وذلك لأن العلماء اختلفوا في الاعتلال لما اتفقت عليه العرب ، كما اختلفوا ايضا فيما اختلفت العرب فيه .

ويعود الفضل في اتساق النظام اللغوي في رأي ابن جني الى القياس .

٢ - يجب أن يكون هذا النظام قائما على حاجة الناس الى اللغة ، وعلى استعمالهم لها ؛ فاللغة ملك الجميع . كما أنه ليس بوسع فرد أو أفراد ابتكار لغة خارج نطاق المجتمع . ولهذا أخفقت المحاولات التي قام بها في القرن السابع عشر خاصة بعض الفلاسفة مثل ديكرت ولايبنز لوضع لغات اصطناعية .

٣ - ويجب أن يتصف هذا النظام بالمرونة لتلبية الحاجات المتزايدة من الألفاظ . ان الأساس الوطيد لهذه المرونة هو الاعتبار ، ثم القياس . فكيف فهم ابن جني العلاقة بين الاستعمال والقياس ؟

يمهد ابن جني لشرح هذه العلاقة بتقسيم كلام العرب الى أربعة أضرب :

١ - مطرد في القياس والاستعمال جميعا ؛ وهذا هو الغاية المطلوبة ، نحو : (قام زيد) و (مرت بسعيد) ؛ يعني رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المجرور .

٢ - مطرد في القياس ، شاذ في الاستعمال ؛ وذلك نحو الماضي من (يلدر) و (يدع) ؛ يعني ان القياس يجيزهما ، غير أنهما شاذان في الاستعمال .

٣ - مطرد في الاستعمال ، شاذ في القياس ؛ نحو (استصوب) و (استحوذ) . والقياس أن يقال : استصاب واستحاذ ، بأعلال العين .

٤ - شاذ في القياس والاستعمال جميعا ، مثل تنعيم (مفعول) فيما عينه واو ، نحو (فرس مقوود) و (ثوب مصوون) ، والقياس يحذف الواو الثانية منهما .

ثم يشرح العلاقة بين الاستعمال والقياس على النحو التالي :

١ - اذا تمارضا ، أي اطرد في الاستعمال ، وشذ عن القياس أخذت بالأول ، أي بالاستعمال لأنك تتكلم كلام العرب ؛ ولكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره .

٢ - اذا شذ في القياس وكثر في الاستعمال أخذت بما كثر في الاستعمال ؛ وان لم ينته قياسه الى ما انتهى اليه استعماله ، أي وان لم تكن قوته في القياس على قدر قوته في الاستعمال . والعربي قد يتكلم اللغة وغيرها أقوى في القياس عنده .

٣ - اذا أوصلك القياس الى شيء ، ثم سمعت العرب تنطق بغيره فدع ما كنت عليه الى ما هم عليه .

٤ - اذا أهد قياسك سماع فانت مغير فيه ؛ فان صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك كنت على ما أجمعوا عليه البتة ، وأعددت ما كان قياسك أدراك اليه لشاعر مولد ، أو لساجع ، أو لضرورة لأنه على قياسهم .

٥ - وإذا فشا الشيء في الاستعمال ، وقوي في القياس ؛ فذلك ما لا غاية ووراءه ،
نحو منقاد اللغة من النصب بحروف النصب والجبر بحروف الجبر .

٦ - وأما ضعف الشيء في القياس وقلته في السماع فمردول مطرح ؛ غير أنه قد
يجيء منه الشيء إلا أنه قليل .

ويؤكد ابن جني أهمية العامل الاجتماعي في مواضع أخرى من الخصائص على
النحو التالي :

١ - لا يقصد بالاستعمال استعمال فرد أو أفراد ، بل الاستعمال الاجتماعي ؛ يقول
« فإن ورد عن بعضهم شيء يدلعه كلام العرب ، وبآباء القياس لا يقتنع في قبوله أن تسمعه
من الواحد ، ولا من العدد القليلة ؛ إلا أن يكثر من ينطق به منهم » (٢٣) .

٢ - يحذر ابن جني من أن الخطأ إذا تكرر توطن ، يقول « ومنهم - من العرب -
من إذا طال تكرار لغة غيره عليه لصقت به . ووجدت في كلامه - يعني أبا علي - : ألا ترى
إلى رسول الله ﷺ وقد قيل : يا نبي الله ، فقال : لست بنبي الله ولكنني نبي الله .
وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أنكر الهمز في اسمه ، فردده على قائله ، لأنه لم يدر بما
سماه ، فاشفق أن يمسك على ذلك » (٢٤) .

٣ - يجب أن يرتبط القياس بالاستعمال ، أي بالواقع الموضوعي ، ولا يجوز أن
يؤخذ بمعناه النظري الصرف أخذاً مطلقاً ، ولذا يستنكر وفقاً لهذا الفهم أن يكون قولهم
« رفع عقيرته » مشتقاً من (عقر) مثلما أوله أبو اسحاق ، ويوافق على أن معنى الصوت في
(عقيرته) مأخوذ افتراضاً من أن أحدهم قطع رجله ، فرفع رجله المقورة ، وصرخ ؛ فقالوا :
رفع عقيرته . ثم يقول ابن جني « ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا : أو لأن الأول وصل
إليه علم لم يصل إلى الآخر ؛ يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل » (٢٥) .

ويبلغ على أن مشاهدة حال المتكلم في أثناء الكلام ، أي ربط الكلام بالموقف الذي يجري
فيه أشد نفعاً للغوي من شعر الغزدي إذا أخبر به ولم يحضره ينشده .

٤ - لا تستدرك اللغة كلها قياساً ؛ فمنها ما لا بد من إيرادها ، ونص الفاظه إذا
لم يجدوا بداً منها ، ولا منصرفاً عنها ؛ ومعاذ الله أن ندعي أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة
قياساً » (٢٦) .

٥ - وهناك حدود لا مكان التصرف في اللغة لا يمكن تجاوزها ، مثل حدود الحذف
والفصل والتقديم والتأخير .

ولا شك أن المسموع الذي وصل إلى عصر التدوين من كلام العرب قليل بالنسبة
إلى حجم اللغة وإمكاناتها التوليدية . يقول عمر بن الخطاب « كان الشعر علم القوم ، ولم
يكن لهم علم أصبح منه . فجاء الإسلام فتشاهلت عنه العرب بالجهاد ، وألهمت عن
الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب في الأمصار راجعوا

رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم كثيره « (٢٧) » .

ولا يعقل طبعاً أن ترد اللغة الصحيحة كلها عن طريق السماع ، ولا يعقل كذلك أن تتجدد اللغة على المسوع ؛ فكيف تفتني اللغة وتتجدد ؟ وكيف يتأصل الجديد ؟

١ - لا شك أن اقتران الاستعمال بالقياس الصحيح يؤصل القياس ، بدليل قوله « اذا فشا الشيء في الاستعمال ، وقوي في القياس فذلك ما لا غاية وراءه ، نعو منقاد اللغة » (٢٨) .

٢ - ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب « ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ؛ وانما سمعت البعض منه ، فقت عليه غيره ، فاذا سمعت : (قام زيد) أجزت (ظرف بشر) و (كرم خالد) » (٢٩) .

٣ - وينطبق هذا على الألفاظ الأعجمية التي تدخل اللغة « قال أبو علي الفارسي : اذا قلت : (طاب الغشكان) فهذا من كلام العرب ؛ لأنك بأعراك إياه قد أدخلته كلام العرب » (٣٠) .

يعني الإعراب اذن اخضاع اللفظة الأعجمية لنظام العربية صوتياً وصرفياً ونحوياً، فاللفظة حين تنتقل من لغتها الى العربية تغير أصواتها ، ويتصرف في وزنها بحيث تندرج في أقرب وزن من أوزان العربية ، ويحرك آخرها بحركات الإعراب ، ويشق منها ، فيقال : (درهم الغبازي) ، أي صارت كالديراهم ، فاشتق من الدرهم ، وهو اسم أعجمي . كذلك يدخلون على هذه الألفاظ الدخيلة لأم التعريف تشبيها لها بأصول كلام العرب ، أي التكرات « (٣١) » .

٤ - عن طريق التدرج ؛ وهو « أن يشبه شيء شيئاً من موضع ، فيُمنى حكمه على حكم الأول، ثم يرقى منه الى غيره » (٣٢) . ومن أمثلته قلب الدال دالا في (الدكر) ، ثم تدرجوا منه الى غيره بأن قلبوها دالا في غير (الفتل) ، فقالوا : (الدكر) . وفي شرح مثال آخر للتدرج يستخدم ابن جني لفظة هامة المدلول ، وهي الاعتياد ، يقول : « لاعتيادهم عليها حتى صارت كأنها كانت أصلاً » (٣٣) .

٥ - استمارة اللفظة والاستعمال الطويل لها ؛ يعمل ابن جني اجتماع لفتين فصيحيتين أو أكثر في لغة رجل واحد قائلاً : « وقد يجوز أن تكون لفته في الأصل احداها ، ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال مهده بها ، وكثر استعماله لها ؛ فلحقت لطول المدة ، واتصال استعمالها بلفته » (٣٤) . ويقول في موضع آخر : « ومن العرب من اذا طال تكرار لغة غيره عليه لصقت به ، ووجدت في كلامه » (٣٥) .

ويلخص علم اللغة الحديث تولد اللفظة بالقوانين التالية (٣٦) :

اعتباط × وضع ← اصطلاح . أي أنه تم وضع الألفاظ على أساس الاعتباط .

اصطلاح × استعمال ← عرف • أي أن الاصطلاح يجب أن يؤيده الاستعمال ليصبح عرفاً •

عرف × تواتر ← أطراد •

ويتفق هذا مع مفهوم ابن جني في أن كثرة الاستعمال مع طول المدة تلحق اللفظة بالغة • ويعمل هذا المفهوم عجزنا عن تصحيح الأخطاء الشائعة ، وعجز المجامع اللغوية عن فرض مصطلحاتها •

لماذا اصرار ابن جني على أن الاستعمال هو الأصل مع أنه وريث مدرسة القياس البصرية ؟

١ - اللغة عقد اجتماعي ، كما يقول علم اللغة المعاصر ، ومؤسسة موضوعية ، بمعنى أنها لا تتعلق بأرادة فرد أو أفراد من المجتمع ؛ فلا قيمة للغة خارج استعماله •

٢ - يحد الاستعمال من استطالة القياس ، فيحد من اتساع اللغة الناجم عن الاسراف في القياس • ويرجع السبب في هذا إلى :

١ - أن الامكانيات النظرية للغة هائلة • يعمل ابن جني قلة استعمال الأصلين الرباعي والخماسي قائلاً : « ذلك أن الثلاثي يتركب منه ستة أصول ، والرباعي يتركب منه أربعة وعشرون أصلاً » • وإذا كان الرباعي مع قربه من الثلاثي إنما يستعمل الأقل النذر منه فما ظنك بالخماسي ؛ ألا ترى أنك لا تجد شيئاً من نحو (سفرجل) قالوا فيه : (سرفجل) ، ولا نحو ذلك ؛ مع أن تقليبه يبلغ به مائة وعشرين أصلاً ؛ ثم لم يستعمل من كل ذلك إلا (سفرجل) وحده ، (٢٧) •

ثم هناك إمكان تقليب كل أصل ثلاثي من الأصول الستة تسع مرات بتغيير حركة الميم في الماضي والمضارع ، وهناك صيغ الزوائد أيضاً • إن هذه الامكانيات إذا أطلقت ستؤدي إلى ما يشبه التضخم الاقتصادي • وتحتفظ اللغة بهذه القدرات إلى حين اللزوم ؛ وعلى هذا يطلق على اللغة اللاتينية التي لم تعد تستخدم لغة اتصال مصطلح (En conserve) أي قيد الحفظ ، تشبيهاً بالمخزون الغذائي يستجر منه على قدر الحاجة •

ب - وما دامت اللغة وسيلة اتصال فإنها يجب أن تكون مفهومة من قبل كل الذين يتكلمون بها ليستطيعوا التفاهم عن طريقها ، ولتكون عامل توحيد لهم ؛ وإلا فقدت وظيفتها الإبلافية الاجتماعية ، وعليه تشبه وظيفة الإبلاغ بالقرود الذي يوجه اللغة انتشاراً أو تقليصاً •

٣ - ينتمي ابن جني بشكل ما إلى مدرسة البصرة التي أدركت حقيقة هامة ، وهي أن اللغة نظام ، بمعنى أنه يجب احتواؤه يمكن احتواؤه من كلام العرب ضمن النظام اللغوي ، واعتبار ما يقع خارج تلك الحدود شاذاً يحفظ ، ولا يقاس عليه ، ويكون حسب مفهوم ابن جني منبهة على أصل بابه •

إذا كان الاستعمال قوة ضاغطة على اللغة باتجاه التقليس : فما القوة التي تجعل النظام اللغوي مرناً يستجيب لمتطلبات التواصل من جهة ، ومتطلبات التطور من جهة ؟ أنها مرونة القياس ومن مظاهرها في فكر ابن جني :

١ - جواز القياس على ما يقل ، ورفضه على الأكثر منه إذا كان الأكثر غير قياس .

٢ - ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

٣ - للإنسان أن يرتجل من المذاهب ، ما لم يلو بنص ، أو ينتهك حرمة شرع . وليس اجماع أهل البلدين - يعني البصرة ، والكوفة - بحجة عليك إذا لم تخالف المنصوص : يقصد حرية الاستنتاج والبحث العلمي .

٤ - يحمل على الظاهر ، وإن أمكن أن يكون المراد غيره ، تسهيلاً للبحث وللغة ، ومثاله حمل سيبويه كلمة (سيئد) على الياء لأنه الظاهر : وإن كانت الواو أكثر وروداً في هذا الموضع ، أي عين الاسم .

٥ - الاستحسان ضرب من الاتساع والتصرف ، ومن أمثلته ترك الأخف إلى الأثقل من غير ضرورة ، والحق نون التوكيد باسم الفاعل تشبيهاً له بالمضارع ، وما خرج منبهة على أصل بابه ، مثل (استحوذ) و(استصوب) .

٦ - إذا انفرد العربي بشيء نظر إلى كلامه : فإن كان كلامه فصيحاً قبل منه : فقد يكون من لغة قديمة . أن ابن جني يتجاوز هنا قاعدة الاستعمال الجماعي ، ويقبل الاستعمال الفردي لتسهيل احتواء النظام للغة .

٧ - الحمول والإضافات والألحاقات لكثرة هذه اللغة وسعتها وغلبة حاجة أهلها إليها للتصرف : يقول سيبويه : « وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يعاولون به وجهاً » (٣٨) .

٨ - قبول لفتين أو أكثر « لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخلد إليه ، وليس لك أن ترد أحدي اللفتين بصاحبتهما » (٣٩) ، ومثاله أعمال (ما) وإهمالها .

٩ - لا تجوز المبالغة في التشكك بكل لهجة أو لغة أو قياس : لأن هذا التشكك « يوحشك من كل لغة صحيحة لأنه يتوجه منه أن تتوقف عن الأخذ بها مخافة أن يكون فيها زيغ حادث لا تعلمه الآن ، ويجوز أن تعلمه بعد زمان ... » وإن اتجه هذا انخرط عليك منه ألا تطيب نفساً بلغة : وإن كانت فصيحة مستحكمة « (٤٠) » وكذلك « لا يجوز ترك الحاضر الذي له وجود من القياس لغائب مجوز ليس عليه دليل » (٤١) .

١٠ - ولا بد أن نضيف إلى ما سبق باباً واسماً في الخصائص سماه المؤلف « شجاعة العربية » يعني بها الحذف والفصل والتفريق والتقديم والتأخير .

كيف تحافظ اللغة على توازنها بين هاتين القوتين المتماكستين : قوة التقصص المتأدية من قيود الاستعمال الاجتماعي ، وقوة الانتشار الناتجة من مرونة القياس ؟

١ - لا يتغير النظامان الصري والنحوي للغة إلا ببطء شديد ، وما دام هذان النظامان قادرين على استيعاب الدخيل من الألفاظ ، فلا خوف على اللغة .

٢ - أما المعاني الجديدة التي يفرضها التطور الحضاري فإن اللغة تتمكن من التعبير عنها دون اللجوء إلى التوسع المعجمي في غالب الأحيان عن طريق العبور باللفظة من الحقيقة إلى المجاز ، وتتحقق كذلك عبر السياقات المختلفة لللفظة ؛ يقول ابن جني عن الحقيقة والمجاز « الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان ضد ذلك . وإنما يقع المجاز ويمدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد » (١٢) .

ويقول الدكتور عبدالسلام المسدي : « إن العملية التي ساهمها العرب في وقت ما المجاز ، من فعل جاز ، هي عبور باللفظة من حقل دلالي إلى حقل آخر ، وكذلك الاستعارة ؛ فاللفظة قادرة على التحول الذاتي ، أي على أن تتحول دلالتها ضمناً عبر الزمن . وتشبه هذه العملية عملية الانسلاخ في الكائنات الحية ، حيث تجدد اللفظة معناها دون أن تفقد جوهرها » (١٣) .

وتخفف اللغة حملها المعجمي من طريق الاستفناء ، وهو على أنواع :

١ - نوع استعمالي ؛ حيث تموت اللفظة المهجورة زمناً طويلاً وفقاً للقاعدة نفسها التي تثبت بها اللفظة الجديدة عن طريق الاستعمال .

٢ - نوع تمنعه قواعد القياس ، وهي القواعد التي تسمح في الوقت نفسه بتوسع اللغة ، مثل صيغ التعجب والتفضيل من بعض الأفعال .

٣ - نوع اعتباطي لا ضابط له ، كالاستفناء بجمع القلة عن الكثرة أو بالعكس ، والاستفناء عن صيغ بعض الأفعال ببعضها الآخر كالاستفناء عن (فقر) و (شد) بصيغتي (افتقر) و (اشتد) والاستفناء عن الأصل المجرد بما استعمل مزيداً ؛ وهو صند صالح من اللغة كما يقول ابن جني ، نحو (كوكب) و (حوشب) إذ لم يرد في كلامهم (ككب) ولا (حشب) .

وينطوي تحت عنوان اجتماعية الظاهرة اللغوية ما يسميه الاستغفاف والاستثقال وحس المتكلم ، يقول في باب (علل العربية أكلامية هي أم فقهية) : « قال أبو إسحاق (الزجاج) في رفع الفاعل ونصب المفعول : إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، ثم سأل نفسه فقال : فإن قيل : فهلا عكست الحال ، فكانت فرقاً أيضاً ؛ قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ؛ فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة ؛ وذلك ليقول في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستغفون » (١٤) . وبمثل ابن جني لهذا يثقل الواو الساكنة بعد كسرة في نحو موزان ، وثقل الياء الساكنة بعد ضمة في نحو ميسر ؛ فقلبوا الواو ياء والياء واوا .

ولهذا الحديث أكثر من موضع في الخصائص : وإنما أوجز أبرز مظاهره
فيما يلي :

- ١ - اختيار الأصل الثلاثي دون الرباعي والخماسي لغفته ولثقلهما .
 - ٢ - الهروب من الحركة الثقيلة الى الخفيفة، مثل تسكين المتحرك في نحو (عَجَزْ) وورود معظم الحروف المنفردة على الفتح كآلف الاستفهام وواو المطف : وما ورد منها مكسوراً إنما كسر لمعنى ، مثل لام الأمر : وورود الأحرف المثناة كلها مفتوحة الأول ، مثل هَلْ وَلَمْ .
 - ٣ - الإعلال الذي سبقت أمثلته : بالإضافة الى أنه يشبه تغليب الأصول الثلاثية بالإعلال ، ويجعل هذا الشبه أحد أسباب النفور من التعقيلات الممكنة .
 - ٤ - اختلاس الحركة ، مثل قراءة بعضهم « مالك لا تأمننا على يوسف » (١٥) مختلساً حركة النون .
 - ٥ - الإشمام ، ومعلوم أنه للمعين ، لا للأذن ، وليس هناك حركة البتة ، يقول ابن جني « فإذا قنعوا من الحركة بأن يؤمّثوا إليها بالآلة التي من عاداتها أن تستعمل بها عن النطق بها من غير أن يُخرجوا الى حس السمع شيئاً من الحركة ... لم يبق وراء ذلك شيء يستدل به على هنايتهم بهذا الأمر (يعني الاستخفاف) » (١٦) .
 - ٦ - ادراج همزة الوصل .
 - ٧ - الحذف ، سواء بحذف الكلمة كلها ، أم بحذف جزء منها .
 - ٨ - ظاهرة أسماء الشرط والاستفهام التي يسأل بها عن الكثير .
 - ٩ - الإلحاق بالأفعال من أولها ، وبالأسماء من آخرها ، وزيادة الألف فقط على الخماسي لغفتها ، مثل (قبمثرى) و (ضيفطرى) .
- وفي علم اللغة الحديث ما يسمى بقانون المجهود الأدنى (١٧) . يشرحه الدكتور عبدالسلام المسدي على النحو التالي « تنزع اللغة الى ابلاغ أكثر عدد من الشحنات الاخبارية ، أي أكبر عدد من المعلومات بأقل ما يمكن من الجهد العضلي ، ومن أمثلته في العربية تحول اللغة العربية الى لهجات والوقوف على ساكن » (١٨) ويعسن هنا ذكر ملاحظة ثابتة لابن جني يضيفها الى حديث الاستخفاف والاستثقال ، وهي أن اللغة تنزع أحياناً الى الأطول والأثقل دفعاً للتلل وطلباً للتنوع ، كالعدول عن الياء مع خفتها الى الواو على ثقلها في كلمة (حيوة) ، وحققا أن تقلب واوها ياء ، وكذلك العدول عن الإعلال مع تولد الملة في نحو (استصوب) و (استعوذ) . ويمثل الدكتور المسدي هذه الظاهرة بأنها وظيفة نفسية واجتماعية للغة ، وهي وظيفة تركيز دعامات الاستثناس التي يتكلم بها مع المخاطب » (١٩) .
- ونشير أخيراً اشارة عابرة ، لتشعب الموضوع ، الى صنيع آخر لابن جني يصب في التيار نفسه ، وهو توجيهه للقراءات الشاذة في كتابه « المحتسب » لأن هذه القراءات إنما هي لهجات تكلمت بها مجموعات بشرية ، فقلت أو كشرت . واكمل ابن جني بهذا صنيع أستاذه أبي علي الفارسي الذي وجه القراءات السبع في كتابه « العجسة » .

□ الحواشي :

- ١ - في أصول النحو للأستاذ سعيد الأفصاني ط ٣ مطبعة جامعة دمشق ص ٩١ .
- ٢ - المذاهب الإسلامية . أحمد أبو زهرة ص ٢١٥ .
- ٣ - في أصول النحو ص ١٠٣ .
- ٤ - المصدر السابق ص ١٠٤ .
- ٥ - مقدمة الفصائل ، مطبعة دار الهندى ، الطبعة الثانية ص ٤٧ .
- ٦ - المدارس النحوية . د. شوقي شيف ص ٢٦٨ .
- ٧ - في أصول النحو ١٣٧ .
- ٨ - La linguistique, Jean Ferrat, 11^e édition, P. 98 .
- ٩ - المصدر السابق ص ٩٩ .
- ١٠ - المصدر السابق ص ١٠٠ .
- ١١ - «الدور الإيجابي للمتكلمين والمعتزلة في علم اللغة العربية» محاضرة للدكتور جعفر دك الباب . أقيمت في المؤتمر المالي لتاريخ الحضارة الإسلامية بدمشق عام ١٩٨١ .
- ١٢ - La linguistique, P. 100 .
- ١٣ - انظر مثلاً مثني اللبيب ص ٣٦ مطبعة دار الفكر - الطبعة الثانية .
- ١٤ - الفصائل ١/٦٤ - ٦٥ .
- ١٥ - الفصائل ١/٥٢ .
- ١٦ - الفصائل ١/٣٢٢ .
- ١٧ - دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني منشورات دار المعرفة ص ٤٠٨ .
- ١٨ - الفصائل ٢/٣٠ .
- ١٩ - La Linguistique, P. 8 .
- ٢٠ - المصدر السابق ص ٣٤ .
- ٢١ - الفصائل ١/٢٤٤ .
- ٢٢ - الفصائل ١/٢٤٤ .
- ٢٣ - الفصائل ٢/٢٥ .
- ٢٤ - الفصائل ١/٣٨٣ .
- ٢٥ - الفصائل ١/٢٤٨ .
- ٢٧ - الفصائل ١/٣٩٨ .
- ٢٨ - الفصائل ١/١٢٦ .
- ٢٩ - الفصائل ١/٣٥٧ .
- ٣٠ - الفصائل ١/٣٥٧ .
- ٣١ - الفصائل ١/٣٥٧ .
- ٣٢ - الفصائل ١/٣٤٧ .
- ٣٣ - الفصائل ١/٣٤٩ .
- ٣٤ - الفصائل ١/٣٨٣ .
- ٣٥ - الفصائل ١/٣٨٣ .
- ٣٦ - مجموعة محاضرات للدكتور عبد السلام المسدي أقيمت على طلبة الدراسات العليا بجامعة دمشق عام ١٩٨١ .
- ٣٧ - الفصائل ١/٦١ - ٦٢ .
- ٣٨ - الفصائل ١/٢١٤ .
- ٣٩ - الفصائل ٢/١٠ .
- ٤٠ - الفصائل ١/٢٥٢ .
- ٤٢ - الفصائل ١/٤٤٢ .
- ٤١ - الفصائل ١/٢٥٢ .
- ٤٣ - محاضرات الدكتور عبد السلام المسدي .
- ٤٤ - الفصائل ١/٤٨ - ٤٩ .
- ٤٥ - يوسف ١١/١٢ .
- ٤٦ - الفصائل ١/٧٣ .
- ٤٧ - La Linguistique, P. 121 .
- ٤٨ - محاضرات الدكتور عبد السلام المسدي .
- ٤٩ - المصدر السابق .

تكملة لتحقيق بديع القرآن

د. علي ميرلوي فلاورجاني

الدكتور علي ميرلوي مدرس اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة اصفهان . وقد كلف ترجمة « بديع القرآن » لابن أبي الاصبغ العدواني . وهذا الكتاب من افضل الكتب التي تناولت بلاغة القرآن الكريم . فكلف الدكتور علي علي نقله الى الفارسية نقلاً دقيقاً واثباتاً . هذا والقارئ لنص الكتاب ربما لا يقف عند بعض المواضع الغامضة او الخلقة او المعرفة . ولكن المترجم الحقيقي ينعم النظر عند كل جملة بل عند كل كلمة فيحققها ويتفهم معناها في السياق . وهكذا كان شأن المترجم . فانه لما عالج النص معالجة علمية متفهمة ورجع الى كتاب المؤلف الاول « تحرير التجبير » والى ملان الشواهد في غير الكتابين استطاع ان يصحح بعض الجمل وينبه على سهو المؤلف والمحقق واراها ان ينشر تكملة لتحقيق « بديع القرآن » خدمة لوجوه البلاغة في القرآن الكريم وخدمة للغة العربية الاصيل .

ع . ك . ي .

□ مقلمة :

رب ان دراسة المخطوطات وتحقيقها تحقيقاً علمياً وفق المناهج المتبعة اليوم من اهم الوظائف التي القيت على عاتق الباحثين والعلماء الذين اعتنوا باحياء ما ورثه لنا المتقدمون من آثار قيمة وكتب نفيسة . فكم هنا وهناك من دور ثمينة هي من ثمار جهود العلماء السالين ما زالت محبوبة وراء ستار الغفلة والذهول ؛ وبينها كتب تحتوي على طرائف الافكار وبدائع الآراء ، ومصاييح مضيئة تنير طريق البحث وتساعد على تقدم العلم في شتى المجالات .

ومن حسن الحظ قام العلماء المعاصرون بتحقيق المخطوطات وعرضها للنشر عرضاً يفيد الدارس والباحث الى حد بعيد . ولكننا مع ذلك بحاجة الى مزيد من النشاط وبذل الجهود في هذا المجال ؛ اذ ان المخطوطات التي نشرت حتى الان لا تغلو عن ثلاثة اقسام :

قسم طبع عن نسخة واحدة او وحيدة دون أي تحقيق ، وقسم نشر عن تحقيق غير

مكتمل ، وقسم طبع بمد التحقيق الكامل والمقابلة بأقدم النسخ وأصحها : مع براعة المحقق واضطلاحه في موضوع للكتاب المحقق ، وهذا القسم الأخير هو القليل عددا والكثير فائدة .

وأما كتاب « بديع القرآن » هذا الكتاب الذي ندرس ونكمل تحقيقه في هذه المحاولة فهو كتاب حققه الأستاذ حفني محمد شرف ونشر عام ١٣٧٧ هـ ، ولما قرأت الكتاب وجدت فيه من الأخطاء ما يعثني على كتابة هذا المقال تكملة لتحقيقه ، فكم ترك الأول للآخر .

وقبل الخوض في البحث ، ينبغي أن نشير إلى موضوع الكتاب وأهميته وإلى مؤلف الكتاب وشخصيته :

أما موضوعه . فهو - كما يظهر من اسمه ، عرض لأنواع البديع التي وردت في القرآن الكريم ؛ ولا يخفى ما فيه من الأهمية ، لأنه وجه من الوجوه التي بها ينظر إلى أعجاز القرآن الكريم ، وهو المعروف بالأعجاز البياني . وقد اعتنى به الأدباء منذ العصور الإسلامية الأولى ؛ فترى بعضهم قد تكلموا على بلاغة القرآن ونظمه المجيب وبيانه البديع (١) ، ولكن ليس بينهم قبل ابن أبي الأصبع من خصص كتاباً بدراسة بلاغة القرآن : فكتابه « بديع القرآن » يعد أول كتاب إفرده مؤلفه لهذه الدراسة ، ويعتبر الكتاب الوحيد الذي استخرج مؤلفه ما استطاع من آيات القرآن التي اشتملت على الوجوه البديعية ؛ وأنه كثيراً ما يعرض على القارئ أنواعاً بديعية عديدة تحويها الفاظ قليلة من آية واحدة .

أما مؤلف الكتاب ، فهو أبو محمد زكي الدين عبد الحليم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبدالله بن محمد المصري المعروف بابن أبي الأصبع المدواني (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) (٢) ، كان أديباً شاعراً مفسراً ومتضلماً في علوم البلاغة ولا سيما البديع منها ، وهو صاحب الإبداع في فن البديع ؛ لأنه اخترع أنواعاً بديعية كثيرة أوردتها في آخر كتابه هذا « بديع القرآن » ، وفي كتابه « تحرير التعبير » ، وفي كتابه بديع القرآن لمحات دالة على أنه قد نال نصيباً من علم المنطق ، والكلام والفلسفة والحديث وبعض العلوم الأخرى .

وقد اعتمدت في تبیین موارد الخطأ وإيضاح الوجه الصواب على النص نفسه ، وأخذت الدليل منه عليه ، وربما استنبطت الصواب بمعونة القرائن المكتنفة بالنص أو بمراجعة بعض مصادر علم البديع ولا سيما « تحرير التعبير » الذي يعتبر أصلاً لهذا الكتاب (٣) .

وبعد هذا العرض الموجز عن بديع القرآن ومؤلفه نبداً ببحثنا عن نصه ، وبيان موارد الخطأ ووجه الصواب فيها :

مقدمة المؤلف « في مساق الحديث عن أبواب الكتاب » ص ١٥ جاء ما نصه :
« ... فاستنبطت واحداً وثلاثين باباً » .

والوجه الصواب ينبغي أن يثبت « اثنين وثلاثين باباً » ، ودليل ذلك أن الأبواب التي أوردها المؤلف في آخر الكتاب ونسبها الى نفسه هي اثنان وثلاثون باباً ، أولها باب التخيير ، ص ٣٣ : وأخراها باب حسن الخاتمة .

باب الاستعارة :

« في معرض الكلام على استعارة المحسوس للمعقول » ص ٢٢ ، س ٦ ، أتى النص كما يلي : « ٠٠٠ ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » (٤) فالمستعار منه الزجاجة والمستعار الصدع وهو الشق والمستعار له [عقوق] المكلفين » .

والصواب « ٠٠٠ (عقول) المكلفين » لأن معنى « العقوق » لا يتناسب وسياق الكلام إطلاقاً ، ويؤيد هذا الوجه ما جاء من لفظة « القلوب » بعد تلك العبارة ، التي يراد بها نفس معنى المعقول : جاء بعدها : « والمعنى صريح » بجميع ما أوحى اليك وبين كل ما أمرت ببيانه ، وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت » ونقل المحقق عن نسختي « ١ » و « ب » الوجه الذي استصوبناه .

باب المذهب الكلامي :

« في معرض الحديث عن المذهب الكلامي الواقع من الآيتين الأوليين من سورة الكوثر » ص ٤٠ ، س ١٦ ، ورد النص كالتالي : « ٠٠٠ عطية الكوثر تعدل جميع العطايا ٠٠٠ وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات (لأنه يبيح أمر بالصلاة والنحر والصلوة جامعة لجميع العبادات) فهي تعدل جميع العطايا ، وانما قلنا ذلك لأن المأمور به جميع العبادات البدنية » .

ويلاحظ القارئ أن الكلام بهذا النظم لا يفيد المعنى ، وفيه قلق واضطراب : وانما يغطي المعنى إذا أحرثت العبارة الموضوعية بين الهلالين الى ما بين « جميع العبادات » و « البدنية » فينتظم الكلام على الشكل التالي : « ٠٠٠ وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات فهي تعدل جميع العطايا وانما قلنا ذلك لأن المأمور به جميع العبادات (لأنه يبيح أمر بالصلاة والنحر والصلوة جامعة لجميع العبادات) البدنية ٠٠٠ » .

باب الالتفات :

١ - « في البحث عن أقسام الالتفات » ص ٤٤ ، س ١٢ ، جاء ما نصه : « ٠٠٠ أو الانصراف عن التكلم الى المخاطبة كقوله تعالى : ٠٠٠ » .

والصواب « أو الانصراف عن التكلم الى الأخبار » ودليله كلام المؤلف بعيد ذلك : « ثم قال منصرفاً عن التكلم الى الأخبار ٠٠٠ كما يشهد لذلك نفس الآية أيضاً » .

٣ - أيضاً في معرض الكلام على الالتفات « ص ٤٥ ، س ١ ، جاء نص كالتالي : « ٠٠٠ أو الانصراف من التكلم الى الأخبار كقوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ٠٠٠ وما ذلك على الله بعزيز » .

وكما يلاحظ القارئ ليست الآية مثالا لهذا القسم من الالتفات ، بل هي مثال للالتفات من الضمير الى الاسم الظاهر .

باب الكناية :

« في تعريف الكناية » ص ٣ ، س ٧ : عرف الكناية بالنص التالي : « هي عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن النجس بالطاهر وعن الفاحش بالمفيد ، هذا اذا قصد نزاهة كلامه عن المييب (وقد يقصده بالكناية عن ذلك) وهو ان يعبر عن الصعب بالسهل ... »

وعندي ان العبارة الموضوعة بين الهالين محرفة لأنها لا تفيد معنى لائقا بموضوعها من الكلام . ويبدو أنها حُرِّفت عن « وقد يقصد بالكناية غير ذلك » .

باب التشبيه :

« في بيان وجوه التشبيه » ص ٥٨ ، س ٣ : جاء النص في عبارة هي : « منها (اخراج ما تقع عليه العاسة) ... » .

والصواب (اخراج ما لا تقع عليه العاسة) الى ما تقع عليه العاسة [ودليل ذلك تكرار النص بوجهه الصواب بعد ذكره بقليل .

باب المساواة :

« في معرض الحديث عن المساواة الواقع في الآية الكريمة : (وقيل يا أرض « ٥) ص ٨٠ ، س ١٤ جاء ما نصه : « وذلك أنه لما قال سبحانه في أول القصة : « وكلنا منكم » عليه ملا من قومه سخرؤا منه « (٦) ، وقال بعد ذلك : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » (٧) . »

ولا يستقيم المعنى الا اذا قلنا ان الآيتين وقع في نقلهما تعريف بتقديم المؤخرة وتأخير المقدمة : وذلك ان الآيتين متعاقبتان وهما بالترتيب : « واصنع الفلك بأمرنا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون . واصنع الفلك وكلما من عليه ملا من قومه سخرؤا منه ... » .

باب الايفال :

« في البحث عن الايفال الواقع في الآية الكريمة : « ولا تسمع الصم الدعاء ... » (٨) ، ص ٩١ ، س ١٤ ، جاء النص كالتالي : « ولما أخبر سبحانه - وهو أعلم - بذكر توليهم متمما للمعنى في حال الخطاب » .

والصواب » ولما أخبر سبحانه - وهو أعلم - [أنهم صم لا يسمعون أراد]
بذكر ٠٠٠ » .

يلاحظ أن الكلام ناقص دون زيادة العبارة الموضوعة بين الهمالين ، وهذه
الزيادة وردت في نص التحرير ، نفس الموضع ، ص ٢٣٥ .

باب المواربة :

« في معرض التمثيل بالآية الكريمة : « ٠٠٠ إن ابنك سرق(٩) » ص ٩٥ ، ص ٩
جاء في شرح الآية على قراءة « سُرِّقَ » ما نصه : « فان يوسف عليه السلام سُرِّقَ
ولم يسُرِّق » .

والصواب » فان أخا يوسف عليه السلام ٠٠٠ » لأن المراد من « الابن » في الآية هو
أخو يوسف لا هو نفسه .

باب الاستثناء :

« في توضيح الاستثناء الواقع في الآية : فاما الذين شقوا ٠٠٠ » ص ١٢٢ ، ص ١٨
ورد النص كالتالي : « فانه سبحانه علّم أن أهبل الشقاوة الذين ٠٠٠ استثنى
سبحانه ٠٠٠ » .

يلاحظ أن العبارة لا يوجد فيها ما به ترتبط جملة « استثنى بجملة « علم » مع
ما نفهم من الكلام من معنى الترتب فيصرف الذهن الى سقط أداة تربط الجملة
الثانية بالأولى . وأسلوب المؤلف في الكتابة يرشدنا الى أن الأداة الساقطة لا تكون الا
« لما » فأتى بها قبل « علم » فالصواب » فانه سبحانه [لما] علم ٠٠٠ » .

باب التوهيم :

« في توضيح الآية : قل تمالوا اتل ما حرم ربكم ٠٠٠ » (١١) .

١ - ص ١٣٣ ، ص ٤-٥ جاء ما نصه : « ولذلك عطف بضم دون حروف النسق » .
والصواب » ٠٠٠ من بين حروف عطف النسق » كما نقل النص كذلك في أنوار
الربيع ، ص ١٣٢ .

٢ - وأيضاً في نفس الباب والصفحة ٦ وردت عبارة نظيرة العبارة السابقة ، وهي
« فان ثم دون حروف العطف » .

والصواب فيها نفس الصواب في سابقتها .

٣ - وأيضاً في البحث عن الآية السابقة، ص ١٣٤-١٣٥ ، ص ٢١ ، جاء النص
كالتالي : « فان قيل : فلم عدل عن لفظ التأويل ، ولم لا جاء التنزيل به ، ولفظ

التأويل على ما بينتم ابلغ واخصر ، به يرتفع الإشكال الوارد على ظاهر الكلام ؟ وتحريم الشرك هو اهم ما في هذه الوصايا ، فان الايمان اصل الدين واسسه عليه تبتني هذه الوصايا وغيرها من الدين وتتفرع فروعه منه ، ولا جرم انه قدم الاهتمام به ، فافتضت البلاغة التصريح بلفظ التحريم لذلك ، فان قلت « ٠٠٠ » .

يلاحظ ان الشرط لم يأت له جواب في مساق هذه العبارة الطويلة . فلا جرم انه سقط من قلم النساخ او سها عنه المؤلف ، وعلى اية حال ، لا يكون الا « قلت » فيجب ان يزداد حيث تنتهي جملة الشرط ، والظاهر انها تنتهي عند قوله « على ظاهر الكلام » فنزيد جملة « قلت » بعده ، وقبل « وتحريم الشرك » ، فيصير نظم الكلام على الشكل التالي : « فان قيل : فلم عدل ٠٠٠ على ظاهر الكلام [قلت ٠٠٠] وتحريم الشرك ٠٠٠ » ، ويبدو ان صدر جملة الجواب سقطت منها علاوة على « قلت » اجزاء اخرى .

باب نفي الشيء بايجابه :

في الحديث عن الباب في قوله تعالى : « اللهم آمين ٠٠٠ » (١٢) ص ١٥٢ ، س ٥ ، ورد النص كالتالي : « فان ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح وباطن الكلام يقتضي ٠٠٠ » .

والصواب : « فان ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح [وملزمه يقتضي اثبات الإلهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح] وباطن الكلام يقتضي ٠٠٠ » والعبارة المثبتة بين المعقوفين زدناها من التحرير نفس الباب ص ٣٧٧ .

باب الاتساع :

ص ١٧٣ ، س ١٥ ورد الشطر الثاني لبیت شريح بن أوفى ، كالتالي :

« فهلا تلا قبل التقدم » .

والصواب : « فهلا تلا حاسم قبل التقدم » كما ورد في التحرير نفس الباب ، ص ٤٥٦ .

باب المجاز :

١ - « في بيان حذف المفعول » ص ١٨٨ ، س ١٢ جاء النص كما يلي : « واذا كان كذلك قال : قد طلبنا مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده لم يقع نفي الوجود على المثل وأوقعه على ضميره ٠٠٠ » .

والصواب : « واذا كان كذلك [فلو] قال ٠٠٠ بزيادة « فلو » وبدونها تظل العبارة خالية عما يربط جملة « لم يقع » بجملة « قال » ، ويبقى الكلام غير متماسك الاجزاء » .

٢ - « في بيان وجوه المفاضلة بين آية القصاص » وقول العرب « القتل أنفى للقتل » التي نقلها عن الامام فخر الدين ص ١٩٣-١٩٧ ، وقعت أخطاء عجيبة من التعريف والتقديم والتأخير ؛ هي كالآتي :

أ - في بيان الوجه السادس من كلام الإمام فخر الدين ، ص ١٩٣ ، س ١٠ ، جاء ما نصه : « وهذا الوجه أيضاً جيد » .

ليس هنا موضع هذا الكلام ، وليس قبله ما تشير اليه لفظة « أيضاً » بل موضعه حيث اعاد المؤلف ذكر الوجه السادس بصدد التعليق عليه ، ولمزيد الايضاح نورد تعليق المؤلف على الوجه الخامس وما جاء بعده بصدد التعليق على الوجه السادس - كي يتضح كيف وقع هناك فراغ ينبغي أن يملأ بكلامه هذا الذي أقحم أثناء الوجه السادس نفسه - ، جاء في التعليق على الوجه الخامس وبعبده على الوجه السادس ، ص ١٩٧ ، س ٧ ما نصه : « والوجه الخامس لعربي هو جيد لا مقال فيه ، وهو قوله : ان حروف القصاص حياة عشرة ، وحروف كلامهم اربعة عشر حرفاً وهذا أمر معتبر في الابهاز ، والوجه السادس وهو قوله : انه ليس في قولهم : « القتل أنفى للقتل » كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع واحد ، بل كلها الا ذلك الموضوع اسباب خفيفة أكثرها متوالية وذلك ينقص من سلاسة الكلمة ، بخلاف قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » [١٠٠٠] .

فلناحظ أن تعليق المؤلف هذا ناقص لا يتم الا بقوله : « وهذا الوجه أيضاً جيد » الذي أقحم أثناء ذكر الوجه السادس . زد على ذلك أن لفظة « أيضاً » في سياق الكلام هذا تجد مرجعها اللائق في الوجه الخامس .

ب - وفي كلام المؤلف نفسه على ترجيح آية القصاص ، وقع انفصال بين أجزائه وتقديم وتأخير فيها ،

وبيان ذلك أن معظم كلامه جاء متحماً بين الوجه السادس والسابع من كلام الإمام فخر الدين ، وهو قوله في الصفحة ١٩٣ ، س ١٤ : « والذي يجب أن يرجح به نظم القرآن على نظمهم ما جاء في تلك اللفظتين من البديع الذي لم يأت في نظمهم على طوله بالنسبة ؛ فانهما جاء فيهما المجاز والادماج ، والايضاح ، وحسن البيان ، والاراداف ، والطباق ، وأما الاراداف فان الأصل أن يقال : « موت القصاص حياة » فتجاوزت الحقيقة بحذف المضاف ، فجاء الاراداف مدمجاً في المجاز لأنه مبرر عن المعنى بغير لفظة الموضوع له ، وأما الطباق ففي اللفظتين ، فان الحقيقة فيهما [الموت المخصوص حياة مخصصة] وهذا طباق ممنوي (فهذه ستأضرب من البديع في لفظتين عدة حروفهما عشرة) والايضاح فيهما فهو ايضاح ما على نظم العرب ...

فأنت ترى أن كلام المؤلف هنا لم يتم بعد ؛ لأنه فصل ما أجمل بيانه من المجاز والادماج ، والاراداف ، والطباق ، ولم يتم تفصيله حول الايضاح ولم يرد شيء من التفصيل حول حسن البيان ، فنبحث عن تفصيلهما ، فنجد في آخر الفقرة الأولى ،

ص ١٩٧ ، س ١٢ ، وهو قوله : « ... الإشكال من جهة انه لا يدل على المعنى المراد بظاهره وحسن البيان من حيث أن السامع يفهم منه المعنى المراد من غير مراجعته بخلاف الأول [٠٠٠] والله أعلم . »

ولكي يمكننا ضم الجزء الأول من كلام المؤلف الى الجزء الثاني الذي انفصل عنه ، يجب أن نزيد كلمة « من » بينهما ؛ لأنها هي التي تربط الجزء الثاني بالجزء الأول . وهنا ينبغي الانتباه الى أن الجملة المثبتة بين الهلالين في الجزء الأول من كلامه ، وقعت في غير موقعها ، ويجب أن تثبت حيث فتحنا لها المقوفتين في الجزء الثاني .

فيعد ما شرحناه من ضم الجزء الأول الى الثاني ، ورد الجملة المتقدمة عن موضعها الى مكانها ينتظم كلام المؤلف على الشكل التالي : « والذي يجب أن يرجع به نظم القرآن ... ايضاح ما على نظم العرب [من] الاشكال من جهة انه لا يدل على المعنى المراد ... بخلاف الأول [فهذه ستة أضرب من البديع في لفظتين عدة حروفهما عشرة] والله أعلم . »

ونظم الكلام يقتضي أن يثبت كلام المؤلف هذا بعد انتهائه من التعليق على الوجوه المذكورة للإمام فخر الدين ، لا متوسطاً ومتموضاً بين تلك الوجوه .

ج - وفي كلام المؤلف على الوجوه السبعة ، ص ١٩٥ ، س ١٥ ، جاء ما نصه : « وفي هذه الوجوه السبعة مقال اذا لا يسلم منها الا الأول » .

ولا شك أن الكلام اما وقع فيه الخطأ من قبل النساخ ، أو اختلط الأمر فيه على المؤلف نفسه ؛ لأن مفهومه يخالف ما يورده من الاشكال على الوجه الأول ، وما ينص عليه من تأييده للوجهين الخامس والسادس .

د - ويبدو من قول المؤلف : « وفي هذه الوجوه السبعة مقال » ان كلامه حول الوجه السابع سقط من المتن .

٣ - « في معرض الكلام عن الإيجاز المختصر » ص ١٩٨ ، س ١٧ جاء ما نصه : « فان قوله هذا تأويل رؤيائي من قبل » حتى « وخرجوا له سجداً » مقتصراً .

والصواب : « فان قوله » وخرجوا له سجداً « حتى » هذا تأويل رؤيائي من قبل » مقتصر (أو جاء مقتصراً) .

باب الايضاح :

في شرح الايضاح الواقع في الآية « إن الله فائق الحب والنوى » (١٣) ، ص ٢٤٩ ، س ٤ ، جاء ما نصه : « ويجب أن يقتصر على ذكر الحب دون النوى » .

والصواب : « ... أن لا يقتصر ... » .

باب الافتنان :

« في بيان الجمع بين التمزية والتهنئة » ص ٢٩٨ ، س ١٥ جام ما نصه : « وإما قول أبي نواس ٠٠٠ » .

ولا يوجد لأما هذه جواب بعدها ولا توجد قرينة تدل على حذفه ، فلا بد من القول بأنه سقط من النص ، وقد يكون عبارة كالعبرة التالية : « أما قول أبي نواس ٠٠٠ [فأحسن شعر فتن فيه بالجمع بين تهنئة وتمزية] وقد زدناها هنا عن التحرير (نفس الباب ونفس الموضوع ص ٥٨٩) ووقعت هناك كمبتدأ للكلام .

باب المقارنة :

« ص ٣١٩ ، س ٧ » جام النص كما يلي : « فان هذا الشاعر قرن الاستعارة ٠٠٠ » .

والصواب : « ٠٠٠ قرن الاستعارة [بالتشبيه] » بزيادة بالتشبيه وبدونها لا يتم الكلام .

باب الانفصال :

١ - « في إيضاح الانفصال الواقع في الآية » وما من دابة ٠٠٠ (١٤) « ص ٣٢٧ ، س ٤ ، جام ما نصه » لأنه لا يطلق الجناح حقيقة الا على العضو الذي ليس له ريش ٠٠٠ » .
وانما يصح النص بخذف « الا » أو « ليس » وهذا معلوم لا خفاء فيه .

٢ - « في بيان الانفصال الواقع في الآية » ٠٠٠ فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحجج « ص ٣٣٨ ، س ١٢ ورد النص كما يلي : « فانه يقال لِمَ خصص هذين الحرفين ٠٠٠ (ويقال) : ان النحاة ٠٠٠ » .

والصواب : « فانه يقال لِمَ خصص ٠٠٠ (ولا يقال) ان النحاة ٠٠٠ » وقد اشتبه الأمر على المحقق حيث أثبت الوجه الخطأ في النص وأورد الصواب في الحاشية ، وخطأه بقوله : « وهي مفسدة للمعنى » ؟

هنا ينتهي ما قصدت إيضاحه من مواضع الخطأ التي وجدت في كتاب « بديع القرآن » ، وحاولت أن أبين وجه الصواب قدر المستطاع « ولا يكلف الله نفساً الا وسعها » .

وبقي موارد من الخطأ لا أرى من الضروري اثباتها ؛ لأنها من الواضح بدرجة لا تحتاج الى اقامة دليل . فنثبت هنا وجه الصواب مشيرين الى موضعها من الأبواب والصفحات والسطور :



الباب	الصفحة	السطر	الغطاء	الصواب
الاستعارة	٢٦	٦	المستعار	المستعار له
الطباق	٣٥	٣	معنويًا	منموتا
الالتفات	٤٣	٣	مَنْ حَجَزَ	مِنْ حَجَزَ
التشبيه	٥٨	٦	وقد أصبحتا	وقد اجتمعا
التشبيه	٥٨	١٣	وقد اجتمعتا	وقد اجتمعا
صحة التفسير	٧٦	١٥	كما	كلّما
الاشارة	٨٢	١٦	فَاتِلْهُمْ	فَاتِلْهُمْ
باب اثتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام	٨٩	٤	في موضوعها	في موضعها
التمطّف	٩٧	٢	المشاركة	المشاركة
التفويظ	٩٩	١٨	والاعتراف	الاعتراف
التورية	١٠٣	١١	أَنْ يَسْتَنِي	ان يورثي
القسم	١١٢	٩	القسم عليه	المقسم عليه
الاستدراك والرجوع	١١٨	٧	من القتل والرّمى	من القتل الى الرّمى
الاستثناء	١٢١	٩	ولأنّ	لأنّ
التوهم	١٣٤	١١	لا هذا	الا هذا
التوهم	١٣٥	٧	الا تشاركوا	ان تشاركوا
التكميل	١٤٤	٤	موجب	موجبًا
المناسبة	١٤٦	١٠	الباب الابصار	اولى الابصار
التذييل	١٥٧	١٤	واحدما	واحدما
التذييل	١٥٨	٢	وفي ذكر البيتين	وفي عَجَزِ البيتين
التذييل	١٥٨	١٤	من المواضع الاول	من المواضع الاول
براعة التخلص	١٧١	١٨	وغيرما	وغيره ممّا
الابهاز	١٨٤	١٨	ابهجازهما	اتجازهما
الابهاز	١٨٥	١٠	ازْلِفَتْ	ازْلِفَتْ
الابهاز	١٨٧	١٥	اكرمتني	اكرمت
التنكيك	٢١٥	١٣	الرابع	الواقع
التنكيك	٢١٣	٥	وقوا	تفاوتوا
التدبيح	٢٢٤	٨	التحويل	التهويل

الباب	الصفحة	السطر	الغطاء	المصواب
البسط	٢٥٦	٧	الماملين	المالين
المنوان	٢٥٨	١٢	الكتاب	الباب
الايضاح	٢٦٩	٤	ان يقتصر	أن لا يقتصر
الايضاح	٢٦٤	١٣	الى مَنْ	الى ان مَنْ
الايضاح	٢٦٤	١٥	دون حروف النسق	دون بقية حروف النسق
الايضاح	٢٧١	١٢	اكل بيته	أكل من بيته
الايضاح	٢٧٤	٥	في جزء	في جزاء
الايضاح	٢٧٦	١٢	عن قولهم	عَنْ قَوْلِهِ
النزامة	٢٩٤	١٠	ليبقى	لينفى
الافتنان	٢٩٩	١٣	ومشى	وما مشى
المراجعة	٣٠٢	٤	باستخلاصه	باستخلافه
التفريق والجمع	٣١٣	١٦	كلّما	حتى اذا
حصر الجزئي والحاقد	٣١٨	٢	يوم القيامة	يوم لقائه
بالكلبي				

انتهى بمون الله تعالى

د. علي ميرلوي فلورجاني

مدرس قسم اللغة العربية
في كلية اللغات بجامعة اصفهان

★ ★ ★

□ العواشي :

- ١ - راجع مقدمة المحقق لكتاب بديع القرآن ص ٤٠ .
- ٢ - راجع مقدمة المحقق لكتاب بديع القرآن ص ٦٧ .
- ٣ - راجع مقدمة المؤلف ص ١٥ .
- ٤ - سورة الحجر : ١٥ ، آية ٩٤ .
- ٥ - سورة هود : ١١ ، آية ٤٤ .
- ٦ - سورة هود : ١١ ، آية ٣٨ .
- ٧ - سورة هود : ١١ ، آية ٣٧ .
- ٨ - سورة النمل : ٣٧ ، آية ٨٠ .
- ٩ - سورة يوسف : ١٢ ، آية ٨١ .
- ١٠ - سورة هود : ١١ ، الآيات من ١٠٦ - ١٠٨ .
- ١١ - سورة الانعام : ٦ ، آية ١٥١ .
- ١٢ - سورة الاعراف : ٧ ، آية ١٩٥ .
- ١٣ - سورة الانعام : ٦ ، آية ٩٥ .
- ١٤ - سورة الانعام : ٦ ، آية ٣٨ .

الشعر العربي الحديث والتراث

القرآن الكريم

دراسة في التناسق
د. عبد النبي مصطفى**

□ مقبلة :

يستطيع المتأمل في طبيعة الأدب العربي الحديث أن يقع فيه على نوعين من المكونات Constituents : داخلية وخارجية ؛ داخلية Internal تشمل البنى Structures اللغوية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية - هذه البنى التي يشكل مجموعها السياق Context الذي يحكم إنتاج هذا الانشاء Discourses اللغوي الذي توظف فيه اللغة على نحو خاص؛ وخارجية External تشمل البنى المتنوعة المتصلة بواقع المواجهة مع أوروبا والعالم بشكل عام - هذه المواجهة المتعددة الوجوه والأبعاد ، والتي تنعكس عادة في الإشارات الضمنية Implicit والصريحة Explicit ، الثقافية وسواها، إلى هذا المكون الخارجي ، والتي تدرس من قبل المعنيين بالأدب المقارن بصفاتها مؤثرا اجنبيا له دور معين في حفظ أنماط Modes من التغير على مختلف المستويات في هذا الأدب .

وإذا ما رغب المرء في التركيز على واحد من المكونات الداخلية هو اللغة ، فإنه يمكن

★ التناص ، أو تفاعل النصوص ، ترجمة لمصطلح Intertextuality .

★ عبد النبي مصطفى هو مدرس النقد الحديث (العربي والأوروبي) في جامعة دمشق ، ومدرس مشارك لمادتي الأدب المقارن و النقد الأدبي في قسم اللغة الانكليزية في جامعة البعث في حمص . حصل على درجة الدكتوراة في النقد المقارن (عربي - أوروبي) من جامعة أكسفورد ، وله مساهماته المعروفة في مختلف المؤسسات الجامعية والثقافية والإعلامية . نشر أكثر من مائة وخمسين بحثا ودراسة ومقالة وترجمة باللغتين العربية والانكليزية في دوريات القطر العربي السوري والوطن العربي وأوروبا ، وحضر العديد من المؤتمرات المتصلة بحقل تخصصه داخل القطر وخارجه .

أن يشير إلى أن هذه اللغة بالنسبة إلى منشئها هذا الأدب العربي الحديث ليست مجرد نظام لغوي Langue يحكم إنتاج انشائه الفردي Individual discourse ويكفل له الوصول إلى الآخرين وحسب ، بل هي أيضاً أداة للتفكير لها إجراءات وعادات وأعراف معينة تفرض نفسها على مستخدم هذه اللغة . وفوق هذا وذاك ، أن اللغة هي الأداة الأهم من غيرها التي تتجلى من خلالها الثقافة الموروثة لمن يستخدم هذه اللغة . أن ممارسة أية لغة لا يعني مجرد استخدام أداة توصيل وتفكير فقط ، بل أنه يتضمن أيضاً استيعاباً لجملة متفاوتة من الثقافة التي دونت فيها . بل أن عملية الاستيعاب هذه تتأثر وتتوثر بمدى استيعاب مستخدم اللغة لها ، حتى أن المرء ليخال أنها عملية واحدة ، أو أنهما وجهان لعملة واحدة تستهدف استيعاب العالم فينا ومن حولنا ، وإدراكه ، وأسرره ، والتحكم فيه .

أن التكوين الثقافي Cultural formation للأدب العربي الحديث يشمل - دون شك - عناصر متنوعة جداً . ولكن ليس ثمة من يماري في أن موروثة الثقافي الذي ينتقل إليه عبر اللغة كما تقدم ، والتي هي من الناحية العملية بالنسبة له على الأقل مجموعة نصوص Texts أدبية وغير أدبية من مختلف العصور يواجهها هذا الأدب في مختلف مراحل تكوينه الثقافي . أن القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي من الجاهلية إلى العصر الحاضر ، ونصوص التاريخ العربي ، والقصص ، والفكر في مختلف تجلياته ، هي مكونات صغرى لهذا العنصر الذي يتسرب إلى خلفية الأدب الثقافية عن طريق اللغة ، ويتجلى فيما بعد في الانشاء الأدبي نفسه ، في النص الذي ينشئه والذي هو في الحقيقة تراكم نصوص سابقة .

ومعنى هذا أن دراسة مجدية للأدب العربي الحديث لا يمكن أن تتم دون أخذ دور هذا المكون Constituent الداخلي بعين الاعتبار ، والواقع أن هذه الدراسة ينبغي أن تشمل الجوانب التالية :

- ١ - تحديد الشكل الذي يتجلى به هذا المكون الداخلي في النص الجديد أي في الانشاء الأدبي العربي الحديث .
- ٢ - بيان أصوله من جهة ، والتحولات التي طرأت عليه في النص الجديد من جهة أخرى .
- ٣ - ربط هذه التحولات بالوظيفة الجديدة التي أسندت إليه في معرض انتاج الدلالة الكلية للنص الجديد .
- ٤ - الحكم على أهمية هذا المكون الداخلي من خلال تقويم مدى حيوية الوظيفة التي يؤديها في السياق الجديد .

وربما كان من الهام هنا التأكيد على أن دراسة هذه الجوانب ينبغي أن تتم في إطار الدراسة الشاملة للنص الجديد - هذا الإطار الذي تحدده بشكل عام طبيعة هذا النص .

وما دام هذا اللون من الدراسة لا يزال في مراحله التكوينية الأولى ، وفي طور التجريب ، فإنه ربما كان من الأفضل أن يبدأ المرء ببعض النماذج التطبيقية التي ربما توضح بعض هذه الجوانب المشار إليها آنفاً . وقد تم اختيار نص للسياب أحد أعمدة الشعر العربي الحديث لبيان جوانب تأثير النص القرآني فيه ، ومدى الفادة السياب منه . وربما كان من لوازم فائدة دراسة كهذه زعزعة رأي ساد الكثير من دراسات السياب ، وهو أنه مدين أساساً في شعره للمؤثرات الأجنبية التي كانت وراء ما فيه من عبقرية .

★ ★ ★

□ القصيدة - النص الجديد :

لاني غريب

لأن العراق العجيب

بعيد ، واني هنا في اشتياق

اليه ، اليها ... انادي : عراق

فيرجع لي من ندائي نجيب

تفجر عنه الصدى

احس بانني عبرت المدى

الى عالم من ردى لا يجيب

ندائي ،

وما هزئت الفصون

فما يتساقط غير الردى :

حجار

حجار وما من ثمار ،

وحتى العيون

حجار ، وحتى الهواء الرطيب

حجار ينسديه بعض الدم

حجار ندائي ، وصخر فمي

ورجلاني ريح تجوب القفار

□ التعليل :

مهما اختلفنا حول طبيعة الأدب ، أو حول ما يشكل أدبيته - على حد تعبير رومان جاكسون - فإن ثمة اجماعاً على أنه انشاء لغوي توظف فيه اللغة توظيفاً خاصاً ، وهو بمعنى ما نسيج مؤلف من خيوط متنوعة ، مختلفة الشيات والألوان ، والجيد منه نسيج محكم هاية الأحكام ، يصعب تمييز خيوطه المكونة ، وإن كان بالطبع لا يستحيل .

وإذا كان الأدب نسيجاً ، فإن دراسته تندو تفكيكاً لهذا النسيج من أجل تبين مكوناته . فالنص ، أي نص ، هو انشاء في نهاية الأمر ، حصيلة تراكمات لنصوص مختلفة في مخزون المنشئ الثقافي . ومعنى ذلك أن من ضمن مهام الناقد معرفة الطريقة التي تراكت فيها هذه النصوص لتكون فيما بعد النص الجديد .

والحقيقة أن لكل نص مفتاحاً رئيسياً يمكن من خلاله الوقوع على النقطة الحساسة التي تمكن القارئ - والناقد قارئاً متمم - من وضع يده على مكوناته ، خيوطه ، عناصره التي تراكت وكونت النتاج الجديد . اذتكاد تتجمع في هذه النقطة - نقطة الفك - نهايات الخيوط المشكلة للنسيج . ومن هنا كانت أهمية وضع اليد على هذه النقطة اذ دونها يستفلق النص ، ويحجب دلالاته الأساسية عن مستهلكه ، أو تتمرد عملية التواصل بينه وبين القارئ ، فينصرف الأخير عنه انصراف اليأس ، المتشكك ، الزاهد أحياناً . وبالطبع فإن هذا يحمل خطراً ما يمدد خطر على عملية الانتاج الأدبي ، فالأدب في النهاية انتاج بحاجة الى مستهلك مهما كان شأنه . ولعل إحدى أهم وظائف الناقد تسهيل عمليتي انتاج الأدب واستهلاكه وتطويرهما باستمرار .

وإذا ما حاول قارئ قصيدة السياب «لاني غريب» أن يلج الى عالمها ، أن يقع على مفتاح يكشف له دلالتها الأساسية ، فإنه ربما وجد في موقف القطيعة ، الذي تحمله الغربة ، مع الآخر والعالم ، النقطة الحساسة التي تتجمع فيها نهايات خيوط نسيج القصيدة .

فتمة انقطاع عن الآخر (وطناً وحبيبة - وأنني هنا في اشتياق اليه ، اليها...) ، وهناك مسافة فيزيائية ونفسية بين أنا الشاعر والآخر الذي يهمه شأن التواصل معه . الشاعر كما تذكر كتب السيرة المتعلقة به كان في بيروت للاستشفاء (١) . ومعنى ذلك أن حاجته الى التواصل مع الآخر تتكثف ، تتركز ، فالمرض ضعف ، شعور بالعجز وبالحاجة الى الآخر ، والغربة كذلك ضعف ، شعور بالعجز والحاجة الى الآخر . وعندما يتزامن ، يتكثف الحنين نحو الآخر ، ويتجمع في بؤرة تصدر عنها هذه الصرخة الضاربة :

أنادي : هراق

ولكن ما هي حصيلة هذا التمرد باتجاه الآخر ، وهذا النداء الحار له . انها النحيب ،

رجع الموت ، رجع عالم من ردى لا يجيب النداء . وهكذا يتمق الشمور بالقطعية ،
ويكتسب مأساوية جديدة تضاف الى مأساوية الموقف الأساسي (تزامن الغربة والمرض) .

ان الشمور بالانقطاع عن الآخر (وطنًا وجيبية) واستحالة التواصل معه بسبب سيادة
الموت ، يضع الشاعر في موقف يشبه الى حد كبير موقف السيدة مريم التي تدرج انقطاعها
عن الآخر ، على نحو مماثل .

ولنقرأ ما ورد من آيات كريمة بشأنها . يقول الله عز وجل :

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم
حجابا فارسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن
كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم
يمسننى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس
ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فاجاءها المخاض
إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فتادها من تحتها إلا
تعزني قد حمل ربك تحتك سريا * وهزي إليك الجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا *
فكلي واشربي وقرئي هيناً » (٢) .

والحقيقة أن نقاط التشابه في الموقفين لا تقتصر على الانقطاع عن الآخر ، ذاك
الانقطاع المتكثف تدريجيا (السيدة مريم تنتبذ من أهلها مكانا شرقيا ؛ وتتخذ من دونهم
حجابا ؛ وتنتبذ بعد حملها بجنتها مكانا قصيا . والسياب منقطع عن الوطن والحببية
لغيرته ، ومنقطع عنهما بضعفه وعجزه لمرضه) ، بل تشمل كذلك حضور الموت (السيدة مريم
تتمناه لنفسها ، هو شفاء دائها الوحيد (٣) ، والسياب يضرع الى عالم من ردى لا يجيب ،
وهو الى جانب ذلك يرقب في مرضه شبحه الذي يلوح في الأفق القريب) . وأهم من ذلك
كله مأساوية الموقف نتيجة تعمق الشمور بالحاجة الى الآخر من ناحية ، وسعفة استحالة
تواصل كهذا من ناحية أخرى بسبب طبيعة الظرف الخاص بكليهما (البعد الفاصل بين
بيروت وبغداد لدى السياب المريض المأجور ، والعمل غير المعهود ، والذي لا سبيل الى
تفسيره هو عقبة التواصل مع الآخر لدى مريم) .

مهما كان الأمر فإن لمعاناة السيدة مريم نهاية ممكنة ، هي ولادة السيد المسيح الذي
سيقوم بشرح كل شيء ، وبذلك يعمد قنوات التواصل بين أمه والآخر . ولوق ذلك فانه
بمجرد ولادته سيحمل عزاء من نوع ما للسيدة مريم . ومعنى هذا أن ثمة ما يمكن أن تنتظره
في المستقبل القريب ، وفي هذا عون من نوع ما على تحمل ما هي فيه . ولكن يبدو أن ذلك
كله لم يكن كافيا للأطمئنان من السيدة مريم بالنسبة للخالق الرحيم وهكذا تادها مناد
« من تحتها إلا تعزني قد حمل ربك تحتك سريا * وهزي إليك الجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا * فكلي واشربي وقرئي هيناً » .

إن لحظة حضور الموت الممكن (الموت المرغوب فيه شفاء لدى السيدة مريم ، والموت المنادى ، والمهدد لدى السياب) جعلت السياب مباشرة يفكر في هزّ الفصون الذي قد يحمل له بعض ما حمله للسيدة مريم، وثمة ما يجعل هذا المؤمل أقرب وأدنى فهو محمول على الفصون وهزها أسهل وثمرها أقرب متناولا . إن مأساوية موقف السياب التي تضارع إلى حد بعيد مأساوية موقف السيدة مريم الجأت إلى الأمل الوحيد المتاح أمامه ، خاصة أنه لم ينسأه منادٍ يطمئنه ، أو يشير عليه بهزّ الفصون . وهكذا كان ، هزّ السياب الفصون طمعا في الرطب الجني ، في أن يأكل ويشرب وتقر عينه . ولكن ماذا كانت الحصيلة ؟

إنها لم تكن غير تعميق مأساة الانقطاع عن الآخر ، إذ هو غير موجود . ليس هناك غير الحجارة ، الثمار حجارة ، والعيون حجارة ، والهواء الرطيب حجارة ، ونداؤه كذلك حجارة ، بل إنه ليس ثمة من دلالة على وجود حياة ما في هذا الدفق من الحجارة غير بقايا الدم - دمه هو ، دليل الجرح ، دليل المأساة . وهكذا يسود التعجر ، والإقفار ، كل ما يحيط بالسياب ، وقد كان يطمع في الرطب الجني ، في أن يطعم ويشرب ، وفي ولادة تحمل معها السلام ، وقرارة النفس ، وطمأنينتها وسكينتها . إن حس مأساته يتمم ، فهو مشرف على الموت ، وهو لذلك أقرب إلى عالمه وما فيه ومن فيه ، من هذا العالم الحي بما فيه ومن فيه .



إن قصيدة السياب ، كما يلاحظ القارئ ، تبدأ بذرة هي لحظة الانقطاع عن الآخر وطناً وحبوبة . ومع نمو القصيدة تتسع اللحظة ويتمم الإحساس بها ، حتى إن الشاعر لا يكاد يظفر بالصدى ، برجع ندائه ، إذ لا يأتيه إلا النحيب الآتي من عالم الموت ، متمدداً هو أيضاً باتجاهه ليأتي عليه بشكل أو بآخر .

وكأخـر سهم في جعبة الشاعر الذي يصارع الموت ، يهزّ الفصون ، وبدلاً من الرطب الجني ، والطعام والشراب والسكينة ، تأتيه الحجارة التي تنهال على رأسه وتتندى بدمه ، ويكاد الكون كله يتحجر ، يتحول إلى حجارة (هي المعادل الموضوعي لانعدام استجابة الآخر، ليقينية القطيعة بينه وبين الشاعر) تجسد الانقطاع وتشير إلى استحالة التواصل .

وربما كان من أهم ما يلفت النظر في هذه القصيدة هو الاستخدام المبكر للصورة القرآنية . والواقع أن السياب يطورها تطويراً يملئ عليه موقفه هو ، ويحاول أن يزيل حجاب الألفة عنها ، ويخون بذلك توقعات القارئ ، وبالتالي يقدم له في النهاية صورة جديدة على نحو مثير . إنه يكاد يفجرها حيوية وطاقمة تعبيرية ، بل يجعلها محورا للقطيعة التي تحيط به ، إذ تجسد ما يبدو في ظاهره الطريق إلى نقيض هذه القطيعة ولكنها ترتد في النهاية لتصبح أقصى التطرف في عملية التواصل السلبي بينه وبين الآخر . إن الإنسان

ليحن شوقاً ، ويذوب وجداً نحو الآخر ، وأنه ليضرع اليه ، وأقصى ما يمكن أن يتوقعه من
سلبية منه هو الصمت المميت القاتل . ولكن أن يلقاه بالحجارة التي تتراكم عليه ، وحوله ،
حتى لتكاد تأتي على الكون كله ، فذلك تواصل هو في جوهره قمة القطيعة ، تكثيف لها
ما بعده تكثيف ، وتركيز إلى الدرجة القصوى التي ما بعدها تركيز . هكذا تنمو
القصيدة ، وهكذا تتمتع القطيعة حتى تشمل الكون ، ويقف الشاعر وحيداً ، ويفرق فرقا
شديداً ، وتتحول رجلاه إلى ريح تجوب القفار .

جامعة دمشق
أيار ١٩٨٥

* * *

□ هوامش :

١ - انظر :

• عبد الكريم حسن ، الموضوعية الهيوية : دراسة في شعر السياب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،
بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ص (٣٨٤ - ٣٨٦) .

• احسان عباس ، بندر شاكر السياب : دراسة في حياته وشعره ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ص
(٣٤٥ - ٣٦٧) .

٢ - القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآيات (١٦ - ٢٦) .

٣ - إشارة لقول المتنبي :

كلني بك داء إن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

* * *

في التعريب و"المعرب"

وهو المعروف بـ "حاشية ابن بري على كتاب "المعرب"

لابن الجواليقي

بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
صلاح الدين الزعبلاني

- ٤ -

وجاء في الكتاب (ص / ٣٥ و ٣٦)

قال أبو منصور : و (إرمينية) (١) كذلك . وكان القياس في النسب اليه (إرميني) ، إلا أنه لما وافق ما بعد الراء منها ما بعد الحاء من (حنيفة) حذفت الياء كما حذفت من (حنيفة) في النسب وأجريت مجراها في (رومي) و (روم) و (سندي) و (سندر) أو يكون مما غير في النسب (٢) .

قال ابن بري : شاهد (أرمني) قول سيثار (٣) [من الطويل] .

ولو شهدت أم القديد طعاننا بمرعش خيل الأرمني لرنث

ويعني أن الياء في (رومي) للفرق بين الواحد والجماعة ، كتمر وتمررة (٤) .

وقال ابن بري أيضا : انه لما كانت الياء مع الميم المكسورة قبلها بمنزلة الياء مع (حنيفة) مع النون المكسورة قبلها . وكان ما بعد النون من (إرمينية) ياء النسب المنزلة منزلة تام الثاثير التي بعد الفاء من (حنيفة) نزلت منزلتها في حذف الياء منها وصح ما قبلها ، فليل (أرمني) كما قيل (حني) . والياء في (إرمينية) هي عنده مخففة من ياء النسب كما أن الياء في (انطاكية) والألف (٦) في (يمان) للنسب ، وان لم يكن في معنى نسب .

١ - فات المعقق أن يحكم ضبط (إرمينية) فقد أثبتتها بكسر الهمزة وضم الراء . ولعل الخطأ خطأ في الطبع سها المعقق عن تصحيحه . (إرمينية) في المعرب (المطبوع ١٩٤٢)

بكسر الهمزة وسكون الراء وتخفيف الياء الثانية ، وهي كذلك في أدب الكاتب وتقويم
اللسان . وحكى ياقوت فيها جواز فتح الهمزة ، كما حكى القاموس جواز تشديد
الياء .

قال المحقق : (المغرب / ٢٩) . ونص الخبر فيه كالنص الذي أثبتناه ، وهو في الأصل .
ولا أرى من صلة بين الكلام على (إرمينية) و (حنيقة) في مسألة النسب اليهما ، وبين
قول ابن الجواليقي . . . وأجريت مجراها في (رومي وروم) و (سندي وسند) . . .

أقول : أني للمحقق أن يتبين معنى ما قاله الجواليقي وهو لم يحاول أن يضبط
النص الوارد في الأصل ، ويعارض ما بينه وبين ما جاء في (المغرب / ٢٩) . فقد زعم
أن النص في المغرب كالذي أثبتته في الأصل ، وليس الأمر كذلك . فقد سقط من الأصل
بعد قوله (وأجريت . .) عبارة لو أثبتت لاستبان من المعنى ما لم يتبين . إذ جاء في
المغرب (وأجريت ياء النسب في إرمينية مجرى تاء التانيث في حنيقة كما أجريت مجراها
في رومي وروم وسندي وسند . .) وهذا ما جاء في حواشي المخطوط (٩٠١٢) وفي
معجم البلدان لياقوت وفي التاج . ولا فارق فيما جاء بين هذه المظان ، من ذلك ، غير أن
نص المغرب (كما أجريناها مجراها) بدل (كما أجريت مجراها) في نص المخطوط ،
وبدل (كما أجرينا مجراها) في معجم البلدان والتاج . وغريب على هذا ، أن
يمضي المحقق في التعقيب على النص فيقول : (ولا أدري صلة بين الكلام على إرمينية
وحنيقة في مسألة النسب) قبل أن يقف على معناه . وسيأتي تفسير قول أبي منصور
وتعقيب ابن بري على ذلك مفصلاً فيما بعد .

٣ - قال المحقق : البيت في معجم البلدان غير منسوب ، والرواية فيه : ولو شهدت
طماننا . . .

أقول : لم يأت (طماننا) في معجم البلدان كما ذكر المحقق ، ولعله رآه في مرجع آخر ،
وهو غريب على كل حال . وجاء صدر البيت في الأصل ومعجم البلدان ومعجم ما استمعهم واللسان
(ولو شهدت أم القديد طماننا) ، وقد نسب البيت في هذين إلى سيار بن قصير الطائي .
وجاء عجز البيت فيما عدا الأصل (بمرعش خيل الأرمني أرثت) ، وجاء في الأصل
(لرثت) .

وتفسير البيت أن أم القديد لو شهدت طماننا لغيل الأرمني بمرعش لأرثت ، أي
صاحت .

وفي اللسان : رنت ترن رنيناً ورنت ترن ترنناً ، وأرثت : صاحت .

٤ - أقول فعوى كلام أبي منصور أن الأصل في النسبة إلى (إرمينية) كما قال
أبو علي ، أن تثبت الياء الأولى ، لكنهم حذفوا هذه الياء فقالوا (أرمني) والعقوا بذلك
فتح الهمزة والميم . وعلى ذلك بأن (إرمينية) قد شبه ب (حنيقة) . فوافق ما بعد الراء
في الأولى ما بعد العاء في الثانية ، فحذفت الياء الأولى من (إرمينية) كما حذفت ياء
(حنيقة) .

يقول أبو منصور : (وأجريت ياء النسب في إرمينية مجرى تاء التانيث في حنيفة كما أجريت مجراها في رومي وروم) . والمقصود بهذا أن ياء النسب أنزلت منزلة تاء التانيث . وقد مثل لذلك بموضعين : الأول حين حذف ياء النسب في (إرمينية) وهي الياء الثانية المخففة ، كما حذفت تاء التانيث في حنيفة ، عند النسب اليهما . وذلك كما لو نسبت إلى (شافعي) و(طلحة) فانك تحذف ياء النسب المشددة في الأول ، كما تحذف التاء في طلحة . أما الموضع الثاني فإن ياء النسب في (أرمني) قد أنزلت أيضاً منزلة تاء التانيث حين دلت على الواحد ، وكان (أرمني) يدل على الجماعة . وكذلك رومي وروم وسندي وسند . وقد جاء ذلك في كثير من المظان .

قال الجوهري في الصحاح (يقال رومي وروم مثل زنجي وزنج ، فليس بين الواحد والجمع إلا الياء المشددة ، كما قالوا ثمرة وتمر ، ولم يكن بين الواحد والجمع إلا الهاء) . وجاء ابن سيده في المخصص (١٠١/١٦) بكاء وكهم . وأشار إلى أن الأول يدل على الواحد ، والثاني على الجمع ، وقال : (وجري مجرى تاء التانيث في هذا ياء النسب فقالوا : زنجي للواحد ، وزنج للجماعة . وعلى هذا قالوا رومي وروم وسندي وسند) .

وقال أبو منصور : (أو يكون مما غير في النسب) وتام النص في معجم البلدان والتاج (أو يكون ذلك مثل بدوي ونحوه مما غير في النسب) . والقصد أن قولك (أرمني) في النسب إلى (إرمينية) أما أن يكون على حنفي وحنيفة ، أو يكون مما غير في النسب كبدوي في النسبة إلى البادية) .

والنسب إلى (إرمينية) : أرمني بفتح الهمزة والميم مع سكون الراء ، كما جاء في الصحاح واللسان والتاج ، وجاء في أدب الكاتب بكسر الهمزة والميم ، وهو في معجم البلدان بفتح الهمزة وكسر الميم .

٥ - أقول الصواب : بمنزلة الياء من (حنيفة) لا مع حنيفة .

٦ - قال المحقق : هذا هو الصحيح أي (والألف) وفي الأصل (والياء) . وذلك أن الألف في (يمان) عوض عن ياء النسب . انظر اللسان (يمن) .

- أقول: الذي أتى به المحقق أي (والألف) غير صحيح ، والصحيح ما جاء في الأصل وهو (والياء) . وبيان ذلك أن الياء المخففة في آخر - يمان - وهي تحذف بالتنوين كيما قاض - هي للنسب ، وإن لم يكن فيها معنى النسب . أما ما جاء في اللسان من أن ألف - يمان - عوض عن ياء النسب ، فذلك أن للنسب في الأصل ياء مشددة ، وقد أثبت أحدهما في - يمان - طرفاً ، وجاءت الألف عوضاً عن الثانية . قال ابن جني في الخصائص (٥٠٤/١) : (ويزيد عندك في وضوح ذلك أنهم قالوا في الإضافة إلى اليمن والشام وتهامة : يمان وشام وتهام ، فجعلوا الألف قبل الطرف عوضاً عن إحدى اليامين اللاحقتين بعدها) .

وجاء في الكتاب (ص / ٣٦ و ٣٧) :

قال أبو منصور : و (الأبييل) الراهب ، فارسي معرب ، قال الشاعر : (١) [من الطويل]
وما سبَّح الرهبان في كل بيعة أبيل الأبيلين المسيح بن مريما
قال ابن بري : و (الأبيلين) (٢) مثل (الأشعرين) في حذف ياء النسب . وقيل هذا البيت من الشعر في القصيدة : (٣)

أما ودماء هادوات (٣) نخالها على قلنة العزى وبالنسر عندما

وجواب القسم في البيت الثالث ، هو :

لقد ذاق منا عامر يوم لعلع حساما اذا ما هزء بالكف صمما (٤)

قال المحقق : في الأصل زيادة هي (وهو جاهلي) ، وفي اللسان (قال ابن عبد الجن) وفي شرح القاموس (عمرو بن عبد الحق) ولعل الذي في شرح القاموس مصحف والصواب ما جاء في اللسان . والذي يقوي هذا أن الشاعر جاهلي ، ولم يعرف في الجاهلية (عبد الحق) من أعلامهم .

- اقول كل ما حكاه المحقق هنا في تحقيق اسم الشاعر وأنه (عمرو بن عبد الجن) ، هو بعض ما جاء به الأستاذ أحمد محمد شاكر في تحقيقه على المغرب (٣٠) . أما قول السامرائي (في الأصل زيادة هي : وهو جاهلي) فليس بشيء . ذلك أنه مثبت في المغرب المطبوع ، وفي مخطوطه (٩٠١٢) فضلا عن الأصل ، فليس هو اذا زيادة على النص ، وابن عبد الجن ، هو شاعر جاهلي حقا . فالزيادة ليست قلقة في موضعها ، وقد حلت بمركزها . وجاء في معجم - المازباني (١٨) :

وقال ابن عبد الجن :

أما ودماء ماثرات نخالها على قلنة العزى او النسر عندما

وما قدس الرهبان في كل هيكل أبيل الأبيلين عيسى ابن مريما

ورواية النهاية (وما سبَّح الرهبان في كل بلدة) ورواية اللسان (وما قدس الرهبان في كل هيكل) وعجز البيت فيهما وفي المغرب وفي تاريخ الطبري (أبيل الأبيلين المسيح ابن مريما) .

٢ - قال المحقق : في الأصل وأبيل الأبيلين .

اقول : فات المحقق أن يوضح معنى قول ابن بري (الأبيلين مثل الأشعرين) ، وأن يبحث أصل لفظ الأبييل . فقول ابن بري (الأبيلين مثل الأشعرين) يعني أنك اذا جمعت (الأشعري) بياء مشددة قلت الأشعرون والأشعرين بحذف ياء النسب المشددة ، وقد ذكر ذلك سيويوه في الكتاب (١٠٣/٢) ، وكذلك الأبيلون والأبيلين جمع الأبيلي .

أما لفظ (الأبييل) فقد ذهب الجواليقي إلى أنه فارسي معرب ، لكنه لم يذكر أصله الفارسي أو يستدل على عجمته بدليل وحكاة عنه الخفاجي في الشفاء ولم يزد على ما قاله الجواليقي .

والذي يستبين بالبحث أنه عربي ، ذلك أن ابن دريد ذكره في الجمهرة فقال (والأبييل الذي يضرب بالناقوس) ولم يشر إلى أنه دخيل (٣٢٥/١) . وكذلك فعل صاحب المقاييس فقال (قال الخليل الأبييل من رؤوس النصاري) . وجاء به الجوهرى فقال : (والأبييل راهب النصارى . . كانوا يسمون المسيح عليه السلام أبييل الأبييلين . .) كذلك فعل صاحب الأساس لكنه ذكر أصله فقال (وقد أبل أبالة فهو أبييل ، كما تقول فقه فقاة فهو فقيه . وتقول فلانة لو أهرها الأبييل لضاق به السبيل) .

هذا وقد ذكر الميداني النيسابوري (المتوفى ٥١٣ هـ) الأبييل في كتابه (السامي / ٤٤) على أنه عربي وأتى بما هو في معناه بالفارسية ، فليس هو ، على هذا ، فارسياً .

وجاء في النهاية لابن الأثير (كان عيسى عليه السلام يسمى أبييل الأبييلين . الأبييل بوزن الأمير الراهب . سمي به لتأبله من النساء وترك غشيانهن ، والفعل منه أبل يأبل أبالة إذا تنسك وترهب . قال الشاعر : وما سبغ الرهبان . .) .

وذكر الأستاذ عبدالوهاب عزام ، رحمه الله ، في مقدمة كتاب المعرب المطبوع أن (الأبييل) ليست فارسية بل سريانية ، ومعناها في الأصل الحزين ، وتقال للراهب . قلت قد رأيت أن الأبييل عربي ، وقد اتضح اشتقاقه . وليس كل لفظ عربي عرف في السريانية ، دخيلاً على العربية ، كما ذكرنا قبل ، وأشار إليه الأستاذ عزام نفسه ، فيكون (الأبييل) إذاً من الألفاظ السامية المشتركة ، فهو عربي وسرياني .

على أن ثمة (الأبييل) على فيعل بفتح فسكون فضم ، وهو بمعناه ، ويبدو أنه أعجمي ، إذ ليس في كلام العرب (فيعل) بهذا الضبط كما قال سيبويه في الكتاب (٣٢٥/٢) . وسيأتي الكلام عليه ، في باب الطاء .

٣ - قال المحقق : في اللسان : مائرات .

أقول : (مائرات) هو الصواب ، وفات المحقق أن يشبهه بدلاً من اللفظ المصحف وهو (هادرات) . والذي جاء في المظان (أما ودماء مائرات تغالها) لا (نغالها) كما بيناه قبل . ومار يمر الشيء إذا تردد في عرض ، وفار الدم يمر على وجه الأرض إذا انصب فتردد عرضاً . والقننة من الجبل أعلاه كالقننة والجمع القنن والقنن . ونسر : صنم ، وقد تدخله الألف واللام ، والعندم صبغ أحمر .

٤ - أقول : ثمة خلاف في نسبة الأبيات الثلاثة ، وقد جعلها ابن بري في قصيدة واحدة ، وفات المحقق أن يشير إلى ذلك . قال ابن بري (وقبل هذا البيت من الشعر في القصيدة - أي وما سبغ . . - أما ودماء . وجواب القسم في البيت الثالث : لقد ذاق .) . والغريب أن المحقق قد أثبت (وقيل هذا) بالياء ، بدلاً من (وقبل هذا) بالباء .

فالبیت الأول (وما سبّح الرهبان ٠٠) والثاني (اما ودماء مائثات ٠٠) منسوبان الى عمرو بن عبد الجن الشاعر الجاهلي ، كما جاء في المظان لا سيما معجم المرزباني . أما البيت الثالث (لقد ذاق منا عامر يوم لملع ٠٠) فقد تبين أنه بيت من قصيدة طويلة تجاوزت مئة بيت منسوبة الى حميد بن ثور الهلالي ، جاءت في ديوانه المطبوع بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني ، ولم يذكر فيها البيتان الآخران . وقد نسب هذا البيت (لقد ذاق ٠٠) الى حميد في شرح الحماسة للمرزوقي (١١٢٥) واللسان (لملع) . وحميد هذا شاعر اسلامي مجيد شهد الأسمي أنه أحد عظماء شعراء العرب الأربعة في الاسلام، وهم : (راعي الابل النميري ، وتميم بن مقبل المجلاني ، وعمرو بن أحمـر الباهلي ، وحميد بن ثور الهلالي) ٠٠

ولملع اسم جبل ، وقد ذكر في الحديث وكانت به وقعة مشهورة .

وجاء في الكتاب (ص ٣٧ و ٣٨) :

قال أبو منصور : ومن ذلك قولهم لبیت المقدس (أوري شلم) (١) قال الأعشى [من المتقارب] :

وقد طفت للمال آفاقه عثمان فحصى فاوري شلم (٢)

قال ابن بري : (شلم) اسم بيت المقدس ، بالتشديد عند سيبويه ، فينبغي أن يكون عند التخفيف (شلم) بفتح اللام في بيت الأعشى ، وقد روي بكسر اللام ، وينبغي أن يكون بالتخفيف (شلم) بالفتح (٣) .

قال أبو منصور : (ايلياء) بيت المقدس أيضاً ، وهو معرب (٤) .

قال ابن بري : (ايلياء) فيليام مثل كبرياء وجريام . وفي كتاب سيبويه (جليطاء) غير مجمه (٥) .

وحكى ابن دريد عن أبي حاتم (جليطاء) بالخاء (٦) .

قال أبو منصور : وهي الأرض الحزن .

١ - قال المحقق : قال ياقوت انه يروى بفتح اللام أيضاً ، وقال : هو بيت المقدس بالمبرانية وفي اللسان : المشهور (أوري شلم) بالتشديد . أقول (أورشليم) كما ينطق بها في عصرنا هو معرب (أورشالايم) ومعناها مدينة السلام .

القول : الذي نص عليه أبو منصور في المعرب أن لام (شلم) بالكسر والتخفيف ، واستشهد على ذلك ببيت الأعشى . واعترض ابن بري فقال : جاء به سيبويه بالفتح والتشديد ، فإذا خفف كان بالفتح لا بالكسر خلافاً لروايته في بيت الأعشى ، ورواه أبو عبيدة بالكسر أيضاً ، كما حكاه المعرب . وذهب ياقوت ، كما ذكر المحقق ، أن الرواية قد أتت بالكسر والفتح جميعاً .

وممن جاء به مشددا ابن خالويه في كتابه (ليس) اذ قال : (لم يصرف الاسم اذا جاء على فمثل لأنه يشبه الفعل ٠٠٠ وقد جاء منه عشر وبذر موضعان ، وخضم قبيله ، وبقم صبح ، وثلثم : اسم بيت المقدس / ١٤٣) ، وقد قصد بالاسم اسم العلم .

أما عن أصل اللفظ فقد ذهب أبو عبيدة الى أنه عبراني معرب ، وكذلك قال ياقوت . وقيل معناه (بيت السلام) على أن نسبة الاسم الى العبرية لا تمنع أن يكون في الأصل اسماً كنعانياً . والكنعانية لغة سامية ، قوية الشبه بالبابلية والعبرية . وقد انتهى المؤرخون حديثاً الى أن (اورشليم) أو (اورشالم) هو اسم القدس الكنعاني ، وأن المدينة قامت في العصر الحجري النحاسي . ودلت حفائر (ابله) بسورية على أنها احدى المدن الكنعانية المعروفة منذ نحو (٢٥٠٠ ق م) . واسمها مشتق من اسم الاله الكنعاني (شالم) أو (شليم) . وقد أسى الكنعانيون كثيراً من مدنها باسماء آلهتهم .

٢ - أقول : هذه رواية البيت في ديوان الأعشى (٤١) ، أما في معجم البلدان (٢٧٩ / ١) فهو طوّفت للمال ٠٠) .

٣ - أقول : قد فات المحقق أن في كلام ابن بري ما هو محذوف لا بد من ذكره ، وما هو مزيد لا بد من حذفه . أما المحذوف فهو (بالفتح لا غير) بعد كلمة (شلم) وسياق الكلام يقتضي ذلك ، وأما المزيد فقوله في آخر الكلام (وينبغي أن يكون بالتخفيف شلم بالفتح) وهو قول مكرر فصحة العبارة (فينبغي أن يكون عند التخفيف شلم بالفتح لا غير ، وقد روي بكسر اللام) كذا جاء في حواشي المغرب (٩٠١٢) . ولعل الناسخ قد سها فأعاد كتابة (فينبغي أن يكون ٠٠) آخر الكلام .

٤ - قال المحقق : (المغرب / ٣١) .

أقول : (ايليام) اسم لبيت المقدس ، وهو معرب من أصل رومي . تصوروا أنه ثلاثي الأصل فقالوا انه (فعليام) ككبريام من الكبر وجريام لريح الشمال من جرب . وتصوروا أنه فوق الثلاثي فقالوا انه (فعلام) بكسرتين بينهما سكون ملحق بجلحطاء للارض لا شجر فيها ، بالطاء ، كما ذهب اليه سيبويه في كتابه ، هذا ما حكاه ابن بري . وذكر ابن سيده (٧١ / ١٦) في مخصصه وجهاً ثالثاً فقال انه (فيعلام) نحو سيمياء للعلامة ، وقد يذكر (سيمياء) على أنه فعليام أيضاً .

وقد جاء (ايليام) بالمد والتخفيف ، وقد تحذف الهمزة الأولى فيقال (اليام) وقد يقصر فيقال (ايليا) وقد تشدد الياء الثانية فيقال (ايليّا) (اللسان ومعجم البلدان) .

وجاء في المظان التاريخية أن العاهل الروماني هادريان أو أدريان (١١٧ - ١٣٨ م) قد أسى بيت المقدس باسمه (اليا) لأناسه في الأصل (اليوس) : (تاريخ سورية ليويس ديس / ٣٢٢ / ١) .

٥ - فات المحقق هذا أن يرم الأصل بروداً ما سقط منه . فقد أثبت قول ابن بري (وفي كتاب سيبويه جلحطاء غير معجمة) ولا معنى له ، والأصل الصحيح (وفي كتاب

سيبويه ، فعلاؤه جلعطاء بطاء غير معجمة) قال سيبويه في الكتاب (٣٣٨ / ٢) : (ويكون على مثال فعلاؤه بالكسر ، وهو قليل ، قالوا طرمساء وجلعطاء ، وهما صفتان) . فقد جمل ابن بري (فعلياء) وزنا لا يلياء اذا كان الأصل ثلاثيا ، و (فعلاؤه) كجلعطاء ، اذا كان الأصل فوق الثلاثي . وأرض جلعطاء اذا خلطت ووعرت ، وهذا ما قصد اليه أبو منصور حين قال : (وهي الأرض الحزن) .

٦ - أقول حكاية سيبويه (جلعطاء) بهاء وطاء ، وحكاية الجهمرة (جلعطاء) بهاء وطاء (٤١٢ / ٣) ، وهي في اللسان ، وفي التاج انها حكاية ابن أخي الأصمعي . وجاء ابن دريد في الجهمرة بـ (جلعطاء) بهاء وطاء أيضا ، وقيل انها حكاية ابن أخي الأصمعي . وثمة حكاية رابعة هي (جلعطاء) بهاء وطاء ، شك فيها ابن دريد خلافا لما أثبت في النص (٣٢١ / ٣) ، وعزاها ابن أخي الأصمعي الى عمه ، وجاء بها اللسان وعزاها التاج الى الصاهاني .

وجاء في الكتاب (من / ٣٨) :

قال أبو منصور : قال أبو علي : وساجاه على لفظه من الفاظ العرب (ايئل) وهو فيئل ويكسر على (أيايل) (١) .

قال ابن بري : ذهب ابن حبيب الى أن (الأيئل) من الحيوان هو الواحد بوزن (سيئد) والجمع منه (ايئل) بكسر الهمزة ، والذي ذكره أبو علي (ايئل) في الواحد بكسر الهمزة . وكذلك يروي ابن حبيب (٢) قول النابغة (٣) [من الطويل] :

وقد شربت من آخر الليل أيلا

على وزن سيئد .

قال أبو منصور : قال أبو حاتم : قالوا في النسب اليه (٤) (إسطنخري) كما قالوا في (مرو) : (مروزي) .

قال ابن بري : وانما قالوا في (مرو) (مروزي) لأن المعجمي اذا نسب اليه قالوا (مروجي) (٥) بين الجيم والزاوي ، فأحالتها العرب زايأ (٦) .

١ - قال المعقق : (المغرب / ٣٣) . والايئل بكسر الهمزة وتشديد الياء المفتوحة هو الذكر من الأوعال ، ويجوز فيه ضم الهمزة مع فتح الياء المشددة ، ويجوز فيه فتح الهمزة مع كسر الياء المشددة ، وأيايل هو الجمع ، بالياء ولا تقلب همزة .

- أقول : هذا كلام الأستاذ أحمد محمد شاكر محقق المغرب ، وقد جاء به السامرائي على سبيل النسخ (المغرب / ٢٣) وفاته أن يقول شيئاً فيما ذكره ابن بري خلافاً لأبي منصور . فمن جعل المفرد كقنب بكسر ففتح مع التشديد فقد جعل الجمع (أيائل) بالياء وحسب ، وهو ما ذكره الجواليقي وحكاه عن أبي علي الفارسي . وأما من جعل المفرد كسيّد بفتح فكسر مع التشديد فقد اعتدّ جمعه كقنب بكسر ففتح مع التشديد أو كخُلَّب بضم ففتح مع التشديد أو أيائل بالياء ، وهو ما حكى عن الخليل وتابعه فيه ابن حبيب ، وذكره ابن بري حين جعل جمع (أيّل) كسيّد على (أيّل) كقنب . وإذا أخذ بالروايتين صح قولك في المفرد (أيّل وإيّل) كسيّد وقنب . أما (أيّل) بالضم كخُلَّب ، فقد قال الطوسي أنه مفرد ، وقال الخليل وابن جنّي أنه جمع . ولا ننس أن لفظ (الأيّل) عربي ، وفارسيته (كوزن) بكاف فارسية وفتح ما بعدها أو (كوز) بالتخفيف (اللسان والمعجم الذهبي) .

٢ - قال المحقق : هو محمد بن حبيب البغدادي ، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب واللغة والشعر ، نسب إلى أمه (انظر تاريخ بغداد - ٧٧/٢) و (معجم الأدباء - ٦/٤٧٣) .

- أقول : هو أبو جعفر محمد بن حبيب اللفوي النحوي صاحب ثعلب ، توفي (٢٤٥هـ) ومن كتبه : المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم ، ونقائض جرير (إنباه الرواة - ٣/١٢٩) ، والبلغة للفيروز آبادي (٢١٥) .

٣ - قال المحقق : هو النابغة الجعدي يهجو ليلي الأخيلية ، وصدر البيت :

وبيرذونة بلّ البراذين ثفرها

- أقول : روي البيت في اللسان (وقد شربت من آخر الصيف . .) وضمت الهمزة في (أيّلا) ، ورد ابن حبيب الضم وروي (وقد شربت من آخر الليل أيّلا) بوزن سيد ورأى ابن بري صواب رواية الصدر (بريدنة) بالرفع والتصغير ، مستنداً إلى ما جاء قبله . وقد فسر (الأيّل) في شعر الجعدي باللبن الغائر ، وذهب ابن حبيب إلى أنه الوعل في الأصل ، وقد حذف المضاف ، والمعنى المراد (لبن أيّل) [اللسان والتاج] .

٤ - قال المحقق : الضمير في (إليه) يعود إلى (اصطخر) السابق في كلام ابن الجواليقي في المغرب .

- أقول فات المحقق هنا أن يثبت ما سقط من كلام أبي منصور ، وهو (قال أبو منصور : و اصطخر اسم البلد أعجمي أيضاً ، وقد ورد في أشعارهم . . قال أبو حاتم : قالوا في النسب إليه : اصطخري ، كما قالوا في مرو : مروزي) . وقد اعتاد ابن بري أن يبدأ قوله برواية كلام صاحبه الجواليقي ثم يضي في التعقيب عليه . ويحسن الإشارة هنا إلى أنه جاء (اصطخري) على القياس في النسبة إلى (اصطخر) كما حكاه الصنفاني في شوارده ، عن أبي حاتم السجستاني .

وجاء في النسبة الى (مرو) : (مروى) أيضاً بفتح وسكون (اللسان)
وممن نسب الى (اصطرخر) أبو سعيد الحسن الاصطرخي القاضي أحد أئمة الشافعية (ت
٣٢٨ /) وأبو سعيد عبدالكريم بن ثابت الاصطرخي الجزري وسواهما ، واصطرخر من
كور فارس .

٥ - قال المحقق : (المراد بالمعجمي : اللسان المعجمي) .

- أقول الغريب أن يثبت المحقق الأصل على هذا الوجه (لأن المعجمي اذا نسب
اليه قالوا : مروجي) ويعتذر من ذلك بقوله (المراد بالمعجمي : اللسان المعجمي) . فصحة
العبارة : (لأن المعجم اذا نسبوا اليه قالوا : مروجي) ، ويصح قولك (لأن المعجمي اذا
نسب اليه قال : مروجي)

٦ - فات المحقق أن يوضح كلام ابن بري في تعليل كون النسبة الى (مرو) بالعربية
(مروزي) .

قال ابن بري (لأن المعجم اذا نسبوا اليه قالوا : مروجي ، بين الجيم والزاي) .
وقد جاء (مروجي) في الأصل ، كما أثبت هنا ، بالجيم ، وليس في الفارسية جيم بين
الجيم والزاي ، وإنما ثمة (زاي) فارسية بين الجيم والزاي ، والنسبة الى (مرو)
بالفارسية (مروزي) بزاي فارسية أحييت بالتمريب الى (زاي) خالصة . وهكذا القول
في النسبة الى (الري) بالفارسية فإنها (رازي) بزاي فارسية آلت بالتمريب الى
(زاي) خالصة . ويبدو أن (الزاي الفارسية) في (مروزي) قد أصبحت تلفظ فيها زايماً
خالصة أيضاً ، فقد جاء في المعجم الذمهي وهو معجم فارسي (مروزي) بزاي خالصة ، ولو
كانت زايماً فارسية لكتبت بثلاث نقاط .

وجاء في الكتاب (٣٩ و ٤٠) :

قال أبو منصور : وروي عن أم الدرداء أنها قالت : زارنا سلمان من (المدائن) الى
الشام ماشياً وعليه كساء و (أندرا ورد) يعني سراويل مشمرة ، وهي كلمة أجنبية
ليست بالعربية (١) .

قال ابن بري : المشهور عند أهل اللغة والنحو في (الشام) للناحية المرولة بنهر
الف بعد الهمزة ، وربما جاءوا بالألف ، كما يجيء في النسب (٢) ، قال الفرزدق [من
الكامل] :

أبلغ معاوية الذي يمثته امر العراق و امر كل شام (٣)

وقال النابغة [من الوافر] :

على اثر الأذلة والبغايا وخفق الناجيات من الشام (٤)

وقال النحام التغلبي (٦) [من الوافر] :

تركت مخترجات (٦) وراء ظهري وسرت من العراق الى الشام

وقال أبو الأخزم (٧) [من الرجز] :

من دير صيفين الى الشام

١ - قال المحقق (المغرب / ٣٧) .

١ - أقول : هكذا جاء لفظ (أندرا ورد) في الأصل ، وفي مخطوط المغرب (٩٠١٢) وفي المغرب المطبوع (١٨٦٧ م) والمطبوع (١٩٤٢) . وذكر محقق المغرب الأستاذ أحمد محمد شاکر أنه جاء بالألف (أندرا) ودون ألف (أندر) كما في اللسان . وأنه بالألف في الأصول المعتمدة للمغرب ، ودون ألف في طبقات ابن سناء ، وبالبزاي (أندروزد) في النهاية . قال ابن الأثير (في حديث علي - رض - أنه أقبل وعليه أندروزدية ، قيل هي نوع من السراويل . . . ومنه حديث سلمان - رض - أنه جاء من المدائن الى الشام وعليه كساء أندروزد ، كان الأول منسوب اليه) .

على أن أدتي شير أورده (أندر ود) بدال تلي الواو ، اذ قال (الأندرد والأندر ودية ، اسم لنوع من السراويل مركب من - أندر - أي داخل ومن - ور - أي ذو) ويؤيد المعجم الذهبى معنى (أندر) ومعنى (ور) كما جاء به أدبي شير ، فاذا صح هذا كانت (الدال) آخر اللفظ مزيدة بالتمريب .

٢ - أقول ما جاء في الشام بلا همز : (الشام) بفتح أوله وسكون الهمزة ، و (الشام) بفتحتين و (الشام) بالمد . ويقال في النسبة الى (الشام) : (شامي) بالهمزة ويا مشددة و (شام) بالمد ويا مخففة تعذف بالتثوين و (شامي) بالمد ويا مشددة ، حكاه سيبويه . وتقول في التأنيث : امرأة شامية بالهمزة وتشديد الياء وشامية بالمد وتخفيف الياء .

٣ - قال المحقق : في الديوان (ط . صادر) (ص / ١٨٣) : أبلغ معاوية الذي

بيمينه :

- أقول : صحة الرواية للبيت (أبلغ معاوية الذي بيمينه امر العراق ..) برفع (امر) . كما أثبت في الديوان وفي الأصل وفي حواشي المخطوط (٩٠١٢) . ولست أدري كيف تراعى للمحقق أنه في الأصل (.. الذي يمينه امر العراق ..) بنصب (امر) ، ولا مكان له في سياق الكلام .

٤ - قال المحقق : كذا في الأصل ، وأما في الديوان (السام) .

- أقول : أثبت المحقق رواية البيت (على اثر الأذلة ..) بالذال المعجمة ، كما جاء في الأصل ، وفاته أن الصحيح (على اثر الأذلة ..) بالذال غير المعجمة ، كما في الديوان . وهو جمع دليل ، والبغايا الطلائع تتقدم الجيش ، والغفق الاضطراب ، وهو في

الأصل الضرب بشيء عريض والناجية السريعة . والذي في الديوان (السأم) لا (الشأم) ، وهو الملأل . وقد أخذ على النابغة قوله (السأم) بالمد ، وقيل ان صوابه (السأم) بلا مد . وقد نص على (السأم) في غير معجم معتمد .

٥ - قال المحقق : لم أعتد الى (النحام التغلبي) ولمله (النحام) واسمه نعيم بن عبدالله بن أسيد ، قتل يوم مؤتة شهيداً (انظر الاشتقاق لابن دريد / ١٣٦) .

- اقول : (النحام) الذي ذكره صاحب الاشتقاق (١٣٦) هو من بني عدي بن كعب ، وبني عدي ليسوا من بني تغلب ، وقد ذكر ابن دريد شعراء تغلب (٣٣٥) ولم يذكر منهم (النحام) . وقد جاء اسم الشاعر في حواشي المخطوط (٩٠١٢) : (أبو النحام) وأحسب أنه (أبو النجم المجلي) وهو القائل :

المرء كالعالم في المنام يقول اني مدرك امامي
في قابل ما فاتني في المنام والمرء يدينه من العمام

كما جاء في معجم الشعراء للمرزباني (١٨٠) وجاءت ترجمته في طبقات فحول الشعراء للجمعي (٧٤٧ / ٧٥١) .

قال المحقق : لا أدري ا (معبرجات) هي أم (مخبرجات) بالغاء المعجمة ، أم شيء آخر ؟ فلم أستطع معرفتها ولا وقفت على شيء منها في كتب المواضع والبلدان .

- اقول : الذي جاء في حواشي المخطوط (٩٠١٢) : (تركت أرتجان) بفتح الهمزة وتشديد الراء المفتوحة ، وهو بلد بفارس ، وقد يكون (جويخان) بضم فكسر ، وهو بلد بفارس أيضاً ، وهو أشبه ما يكون بالأصل ، أو (خوجان) بضم ففتح وجيم مشددة ، من قرى مرو .

٧ - قال المحقق : لا أدري ا (أخزم) أم (أخرم) أم (أكرم) لم أعتد الى ذلك في المصادر ، ولكنني أميل الى (الأخزم) لأنه من الأسماء التي سُموا بها . انظر الاشتقاق ، ولم أعتد الى الرجز و (صفين) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات . انظر (معجم البلدان) .

- اقول : قد نسب الرجز في حواشي المخطوط (٩٠١٢) الى راجز هو (أبو الأحرز) بالعام والزاي ، وصحته (أبو الأخرز) بالغاء والزاي . وجاء في المؤلف والمختلف للأبيدي (٦٦) : ومنهم أبو الأخرز العماني بكسر العام وتشديد الميم ، الراجز . وهو القائل :

انا أبو الأخرز ذو استكمام لا حصري ينغشى ولا ضرامي
قد كنت أهوى البيض في الكمام والرجع من اصواتها الرخام
فقد تاهبت عن التهيام بهن الا مئج الكلام

وقد يكون البيت الذي جاء به ابن بري من هذه الأرجوزة وذكر صاحب اللسان أن اسمه (قتيبة) ولقبه (أبو الأخضر) . وقد اهتدى إلى هذا الدكتور الضامن في تعقيبه على تحقيق الدكتور السامرائي وجاء البيت الثالث (فقد تناهت عن التهام) وذكر محقق المؤتلف أن الصواب (فقد تناهت) . ويتجه لي أنه (تأبث) بمعنى تنزهت .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٠) :

قال أبو منصور : قال العربي (١) : قال أبو عمرو (٢) : الأسايد (٣) قوم من الفرس كانوا مسلحة المشقر ، منهم المنذر بن ساوى (٤) من بني عبدالله بن دارم ، ومنهم عيسى الخطبي وسعد بن دعلج (٥) .

قال ابن بري : المشتقر حصن قديم بالبحرين . قال لبيد [من الطويل] :

وانزلني بالدومي من رأس حصنه وانزلني بالاسباب رب المشقر (١)

والدومي هو الندب (٢) (صاحب دومة الجندل) .

١ - قال المحقق : هو أبو اسحاق ابراهيم العربي ، كان قديماً بالأدب جماعاً للغة حافظاً للحديث ، توفي ٢٨٥ هـ . (نزعة الألبام / ١٤٥ ، إنباء الرواة - ١ / ١٥٥) .

٢ - قال المحقق : لا أستطيع أن أقطع في (أبي عمرو) هذا ، أبو عمرو بن العلاء أم أبو عمرو الشيباني .

- أقول : أبو عمرو الشيباني هو اسحاق بن مرار (ت ٩٦ هـ) وأبو عمرو بن العلاء هو زيان بن العلاء بن عمار أحد القراء السبعة (ت ١٥٤ هـ) وشمة أبو عمرو حفص بن سليمان الأسدي (ت ١٨٠ هـ) . وليس في ترجمة أبي اسحاق ابراهيم العربي ما يشير إلى أنه كان يروي عن أحد هؤلاء خاصة . على أن الراجح أن الذي قصده العربي وحكى عنه هنا هو أبو عمرو الشيباني ، لا سواه ، إذ جاء في معجم البلدان لياقوت (١ / ١٧١) أنه قد حكى عنه تفسير لفظ (أسبد) وصلته بأصحاب حصن المشقر .

٣ - أقول : فات المحقق أن يقول شيئاً في (أسبد) ، وهو بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الباء ، وقد اختلف فيه ، إذ جاء في المغرب (٣٨) أنه اسم قائد من قواد كسرى . وجاء في كتاب الفتوح للبلاذري (١٠٦ / ١١٠) أنه اسم قرية بهجر ، وجاء في الألفاظ الفارسية لأدبي شير أن (أسب) بمعنى حصان و (باد) بمعنى حارس .

أما (أسبدي) بياء النسبة ففي المغرب (أن الأسبديين ضرب من المجوس من عبدة البراذين كانوا حماة لحصن المشقر . وفي الفتوح أن (الأسبدي) نسب إلى قرية بهجر يقال لها (الأسيد) وأن الأسبديين قوم يمدون الخيل بالبحرين ، فلما كان سنة (٨) وجه الرسول ﷺ العلاء بن عبدالله الحضرمي إلى البحرين يدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية فأسلم منهم العرب ، ورضي المجوس واليهود بالجزية . وكان ممن أسلم المنذر بن ساوى

والي البحرين . وجاء في معجم البلدان عن هشام بن محمد بن السائب (وقيل لهم
الأسبديون لأنهم كانوا يعبدون فرساً ، قلت ، ان الفرس بالفارسية - أسب - زادوا معه
ذالا تمرية) .

٤ - قال المحقق : المنذر بن ساوى كان والياً على البحرين . انظر الاصابة - ٦ /
١٣٩ ، وطبقات ابن سعد ١٩/٢/١ .

- اقول : هذا بعض ما جاء في تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر للمعرب نسخة
المحقق بالعرف . وفي السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٢/٤) : (وقد كان رسول الله
ﷺ يبعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة الى المنذر بن ساوى العبدي فأسلم فحسن اسلامه
ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة البحرين والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على
البحرين) . وجاء في معجم البلدان (وكان بالبحرين من قبل الفرس المنذر بن ساوى بن
عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة . . . وعبدالله بن زيد هذا هو
الأسبدي نسبة الى قرية بهجر) .

٥ - اقول : في المعرب المطبوع (١٨٦٧) : (عيسى الخطي) بدلا من (الخطبي) و
(سميد بن دعلج) بدلا من (سعد بن دعلج) .

٦ - قال المحقق : الديوان (ص / ٥٦) وروايته فيه (وأحسن بالدومي . .) .

- اقول : في الصحاح (دوم) : (وأعصفن . .) أي ذهبن به وأهلكن . . وفي
الديوان (وأنزلن . .) بمعنى انقلبن به ، وفي الصحاح (شقر) : (وأنزلن بالرومي)
وهو معروف لأن الكلام على (الدومي) بالدال نسبة الى (دومة الجندل) . والمشقر بضم
الميم وفتح الشين وتشديد القاف حمص بالبحرين ، ورب المشقر هو (أكيدر) بضم
الهمزة وفتح الكاف على صيغة التصغير ، صاحب دومة الجندل ، وهو أكيدر بن عبد
الملك ، كما في الاشتقاق .

٧ - اقول : فات المحقق أن يوضح معنى قول ابن بري (والدومي هو النذب صاحب
دومة الجندل) فما معنى (النذب) هنا . وقد تبين بالبحث أن اللفظ قد شوه وصحته
(أكيدر) كما حكيناه في الحاشية السابقة عن الصحاح ، وهو أكيدر بن عبد الملك كما حكاه
الاشتقاق . . وقد جاء كذلك في حاشية المخطوط (٩٠١٢) .

وجاء في معجم البلدان (٤٨٨/٢) : (دومة الجندل بضم أوله وفتح . . وسميت
دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل . . . وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك بن عبد
الحي . . . وكان النبي ﷺ وجه اليه خالد بن الوليد من تبوك . .) وجاء فيه (وأحسن
ما ورد من ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتاب الفتوح . . قال بعث رسول الله ﷺ خالداً
رض - السنة التاسعة الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل فآخذه أسيراً وقتل أخاه وقدم
بأكيدر على النبي ﷺ فأسلم وصالح النبي ﷺ على أرضه . . فلما مات الرسول ﷺ منع
أكيدر الصدقة . . وقيل أن خالداً لما انصرف من المراق الى الشام مر بدومة الجندل التي
غزاها أولاً بعينها ففتحها وقتل أكيدر) .

وجاء في الكتاب (ص / ٤١) :

قال أبو منصور : قال أبو سعيد (١) : سمعت العرب تقول للاربعة (استار) لأنه في الفارسية (جهار) فأعربوه فقالوا (استار) قال جرير : [من الكامل] :

ان الفرزدق والبغيث وأمه وأبا الفرزدق شر ما استار (٢)

قال ابن بري : ويجمع (أساتير) ويقال لكل أربعة (استار) .

١ - قال المحقق : لعله أبو سعيد الضريير أحمد بن خالد . انظر (نكت الهميان - ص/٩٦) ، واستبعد أن يكون (الأصمعي) لشهرة (الأصمعي) وليس (أبا سعيد) .

- أقول لا شك أنه إذا قيل (أبو سعيد) لم يذهبوا به الى الأصمعي . ولم يذكر أبو منصور الأصمعي في العرب مرة الا بقلبه أي (الأصمعي) . لكنه إذا قال (أبو سعيد) عني به (أبا سعيد السكري) وهو الحسن بن الحسين المتوفى (٢٧٥ هـ) وكان ذا ثقة ، رواية للبصريين . ويتحقق ذلك بمراجعة غير موضع من العرب (١٩٥ و ٢٣٣) والمعروف أنهم إذا عتوا الضريير قالوا أبو سعيد الضريير ولم يكتفوا بكنيته .

٢ - قال المحقق : ورواية البيت في الديوان (ص/٣١٧) :

ان الفرزدق والبغيث وأمه وأبا البغيث لشر ما استار

- أقول : قيل (استار) بكسر أوله والجمع أساتير وهو معرب (جهار) بالجم الفارسية ، ومعناه (أربعة) . وقيل استار رابع أربعة ، كما قيل استار لكل أربعة من جنس واحد (المعرب وشفاء الغليل) . ومن ثم قال جرير :

ان الفرزدق والبغيث وأمه وأبا الفرزدق شر ما استار

والبغيث اسم شاعر من بني تميم . وجاءت رواية المجر في الديوان والنقائض واللسان (وأنا البغيث لشر ما استار) . وفي الصحاح بيت آخر هو (قرن الفرزدق والبغيث وأمه . وأبو الفرزدق قبَّح الاستار) وجاء كذلك في النقائض ، وشفاء الغليل . أما من أصل (استار) فلا شك أنه معرب اللفظ الفارسي (جهار) بجم فارسية مفتوحة ومعناه (أربعة) ، كما جاء في المعرب وأيده فيه ابن بري . وقد جاء (استار) في شعر الأخطل والكميت . لكن لفظ (استار) هذا قد جاء في المعجم الذهبي على أنه لفظ فارسي معناه (أربعة) أو (وزن يصادل أربعة مثاقيل) فما تعليل ذلك ؟ أقول أكبر الظن أن الفارسية قد اقتبسته وأدخلته في ألفاظها كما فعلت في كثير من المعربات ، وهو لم يرد في بعض معاجم الفارسية .

وجاء في الكتاب (ص / ٤١ و ٤٢) :

قال أبو منصور : الألوّة المود الذي يتبخر به ، ذكر أبو عبيدة : أنه معرب^(١) .

قال ابن بري : قال المفضل بن سلمة : يقال الوّء والوّة بالفتح في الهمزة وضمها .
وفي الحديث في صفة الجنة (ومجاثرهم الألوّة) (٢) .

وحكى اللحياني : الوّء والوّة ولوّة وليّة (٣) وحكى ابن الأعرابي (ليّة) وأنشد
[من الرجز] :

لا يصطلي ليلة ريح صرصر الا بعود ليّة او مجمر

وقد جاء (الأويّة) في بيت ، أنشده ابن الجراح (٤) [من الطويل] :

بساقين ساقى ذي قِضين تعشها بأعواد رندٍ أو الأوية شقرا (٥)

١ - قال المحقق (المعرب - ص / ٤٤) .

- أقول فات المحقق أن يقول شيئا حول لفظ (الألوّة) وأصله . فقد تبين بالبحث أن (الوّة) بضم الهمزة واللام وتشديد الواو المفتوحة ، للمود يتبخر به . وما دامت همزته أصلية فهو قبل الإدغام (لعلّة) كسبلة . وهو يجمع في الأصل على (الأوي) وقد دخلته الهاء كما جاء في اللسان للأشعار بمجتمه فأصبح (الأوية) ، وفي النهاية أنها همزة أصلية وقيل زائدة . وقد جاءت فيه لفات (الوّة) بفتح الهمزة كما قال المفضل ، و (الوّة) بعطف الهمزة ، كما حكى اللحياني ، و (ليّة) بكسر اللام وتشديد الياء ، كما ذكره ابن الأعرابي .

أما أصله فقيل أنه فارسي ونفى أبو منصور ذلك وقال أنه هندي ، كما في اللسان . وجاء في الألفاظ الفارسية لأدبي بشر أنه فارسي أصله (الوا) وأن معناه نبات (الصبر) بفتح فكسر ، وأنه يوناني أيضا وهو منقول من (الأرامية) لأن (الصبر) موطنه الشرق . وفي اللغات اللاتينية كالفرنسية والإيطالية ، وفي اللغتين الجرمانية والانكليزية مثل هذا اللفظ اسما لنبات الصبر المشهور بمصارته المرة . أما في المجامع الفارسية فان (الوا) و (الو) لشعلة النار . فإذا صح أن الأصل واحد ، كان اللفظ للمود من هذا النبات .

٢ - قال المحقق : وتمام الحديث في اللسان : ومجاثرهم الألوّة غير مطراة .

- أقول جاء في النهاية (وفي صفة أهل الجنة ومجاثرهم الألوّة هو المود الذي يتبخر به . . . ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يستجمر بالآلوّة غير مطراة) واجتسر واستجمر بالمجمر . تبخر بها ، وطراة جملة طريا .

٣ - أقول : زاد المحقق هنا (ليّة) نقلا عن اللسان كما ذكر . اذ اقتصر الأصل ومخطوط المعرب (٩٠١٢) في حكاية اللحياني على اللغات الثلاث . وأما الرابعة أي (ليّة)

فقد جعلها حكاية ابن الأعرابي وحده ، وقد استشهد بقول الرازي (إلا بمود ليثة أو مجمر) ، ويؤيد هذا سياق الكلام .

٤ - فات المحقق أن يعرف ب (ابن الجراح) على ما جاء في الأصل . والذي جاء في حواشي مخطوط المعرب (٩٠١٢) : (أبو الجراح) بجيمين ، وكلاهما مجرف . ويتجه لي أنه أبو الجراح بتشديد الراء وحام في آخره ، وقد جاء ذكره في المظان . ففي الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢١٠ /) أنه الأسود بن يعفر ، وهو جاهلي من بني حارثة . ويكنى أبا الجراح ، كان أمي .

و (يعفر) بفتح الياء وزان (يقتل) فهو غير مصروف ، وقيل بضم الياء والفاء فهو مصروف لزوال شبهه بالفعل وقد تحدث أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني عنه في كتابه (فرحة الأديب) وذكر شيثامن شعره (١٩٩) . وفي المؤلف والمختلف للأمدى (١٦) أن الأسود بن يعفر التميمي هذا هو أعشى نهشل ، وقد جاء الصبح المنير بشعره (٢٩٨) وما أظنه استوفاه . ويؤكد هذا ما جاء في طبقات الجمحي (١٤٧ / ١٤٨) .

٥ - قال المحقق : في الأصل : بسافين ساقى ذي قعين تعثها .

- أقول فات المحقق أن يقول شيئا في بيت أبي الجراح . ف (ذو قضين) بكسر القاف اسم موضع ، و (قضون) في الأصل جمع (قضة) بكسر أوله الأرض المخفضة ، تراها رمل ، كما جاء في كتاب العين ، ومعجم البلدان (٣٦٨ / ٤) وساقاها جبلاها ، وتعثها بمعنى تطعمها . وفي الأساس (حش النصارأشبثها وأطمعها العطب) . وهو ينصب مفعولا ثانيا أو يتعدى إليه بالحرف ، كما جاء في التاج . وقد جاء في عجز البيت (الاوية) بالنصب وهو مملوك على مجرور كذا جاءت روايته في التهذيب واللسان (الو) ، وفي موضع آخر من اللسان (قضى) ونسب البيت فيه إلى أبي (العجاج) وأحسبه محرّفا . وأغلب الظن أن الشاعر استجاز عطف المنسوب على المجرور للضرورة جريا على قول من قال (مرتت بزيد وعمرا) . قال ابن جنبي في الخصائص (١١٢ / ١) : (ألا ترى أنك تحكم لموضع الجار والمجرور بالنصب فتعطف عليه فينصب لذلك ، فتقول : مرتت بزيد وعمرا) . وأشار إلى ذلك صاحب المغني .

وجاء في الكتاب (ص ٤٣ و ٤٤)

قال أبو منصور : و (البرزيق) الفارس بالفارسية ، والجماعة من الفرسان : (البرازيق) قال جهمة بن جندب (١) : [من الكامل] .

تظل جياده متمطرات . برازيقا تصبّح أو تغير (٢)

قال ابن بري : قوله (البرزيق : الفارس) وهم ، وإنما البرزيق الجماعة من الناس فرسانا ورجالة ، والبرازيق الجماعات .

وفي الحديث : ولا تقوم الساعة حتى يكون الناس برازيق (٣) ، وقال أبو عبيد : أي جماعات (٤) .

وقال الليث : البرزيق جماعة خيل دون الموكب . وقال زياد (هـ) : ما هذه البرازيق التي ترد ؟ وقد يجمع برزيق على برازق بحذف الياء . قال عمار بن طارق (من الرجز) .

أرض بها الثيران كالبرازق (١)

وقول أبي منصور ، ابن الجواليقي : (والبرازيق هي الجماعات من الفرسان) لأن البرزيق هو الجماعة ، والبرازيق هي الجماعات (٧) .

١ - القول : لم يذكر المرب اسم الشاعر (هـ) وإنما جاء به محقق المرب الأستاذ أحمد محمد شاكر وذهب الى أنه (جهينة بن جندب بن المنبر بن تميم) نقلاً عن الجمهرة واللسان وأثبتته الدكتور السامرائي (جهمة بن جندب) بفتح الجيم في (جهمة) ، وعندني أنه (جهمة) بن جندب بن المنبر بن عمرو بن تميم (كما جاء في الصحاح وحكاية عنه صاحب التاج . والجيم في جهمة مضمومة . وقد جاء في الأصل (جهمة بن جندب) وكذلك في حواشي المرب (٩٠١٢) . ويثبت صحة حكاية الصحاح أن (جهمة) بالضم وجندباً والمنبر كلهم من بني تميم على ما جاء في الاشتقاق لابن دريد . وفيه أن من بطون جندب بنو جهمة بالضم (٢١١) .

وقد ذهب الدكتور حاتم صالح الضامن فيما تعقب به الدكتور السامرائي الى أنه (جهينة) اذ قال (والصواب جهينة بن جندب كما في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام - ١٠٠/٤ وجمهرة اللغة - ٣٠٥/٣ واللسان - برزق) أقول ان ما جاء به أبو عبيد وصاحب الجمهرة واللسان لا يدحض حكاية الصحاح ، لما بيناه .

٢ - قال المحقق : في المرب (٥٦/٥٥) والرواية (برازيق تصبح أو تغير) والبيت ثاني بيتين وردا في اللسان ، والرواية برازيقاً بالنصب .

٢ - أقول : هذا بعض ما ذكره محقق المرب الأستاذ أحمد محمد شاكر . وقال ان رواية الجمهرة قد جاءت بالرفع في (٥٠١/٣) لكنها جاءت بالنصب في (٣٠٥/٣) وحكاية عنه اللسان ، ورواية اللسان :

رددنا جمع سابور وانتم بمهواة متالفها كثير

تظل جياننا متمطرات برازيقاً تصبح أو تغير

وقد أهملت رواية الصحاح وهي كرواية اللسان ، ولكن جاء في صدر البيت الثاني (تظل جيانه . .) . والمتطرات المسرعات من (تمطر) بتشديد الطاء . وقد جاء في الأساس (ومرت الفرس يمتطر مطراً ويتمطر : يعدو بشدة كصوت المطر) . والبرازيق جماعات الخيل .

٣ - أقول : في النهاية لابن الأثير (لاتقوم الساعة حتى يكون الناس برازيق ، ويروى برازق أي جماعات واحدة برزاق وبرزق) قلت قد يكون البرازق أو البرزق

كما جاء في النهاية ، أو البرزق كما جاء في المعرب وحواشي ابن بري وشفاء الغليل ،
مجموعاً على برزق أو برازق . فالكونيون قد أجازوا في كل جمع على (مفاعل) أو
هيئته ، أن تزداد فيه الياء ، وأجازوا حذفها فيما جاء على (مفاعيل) وهيئة أيضاً ، كما
نص عليه الهمع (١٨٢/٢) . وقد أخذ بهذا جماعة وعبروا عن زيادة الياء في نحو
(مفاعل) أو هيئته ، بأشباع الكسرة ، وأسماء ابن جنس في الخصائص (١٥١/٣) وفي
المعتصب (٣٥٧/١) أشباعاً للحركة أو مطلقاً . وردّه ابن الأنباري في الانصاف و
(٣١/١) وقصره على الشعر .

وأصل (برزق وبرزق) فارسي . قال أدبي شير في الفاظه (فلم أر سوى بروز ،
وهو اصطلاف الخيالة والرجالة من المسكر على شكل حلقة) . وفي المعجم الذهبى
(بروز) بباء فارسية حلقة الجند ، وحاشية الثوب ، وتلفظ بفتح الباء والواو . وهكذا
عُرب (بروز) الفارسي ومعناه الاطار أو الحاشية أو الحلقة من الجند الى (برزق أو
برزق) ، ومعنى البرازيق الجماعات من الخيل أو الفرسان ، وجاء في التاج عن
الصاغاني أن البرازيق : الطرق المصطفة حول الطريق الأعظم .

٤ - قال المحقق : وقول أبي عبيد في اللسان ، وهو من غير شك من (الغريبيين) .

وعلق الدكتور الضامن فقال : ان أبا عبيد المذكور هو القاسم بن سلام (المتوفى
٢٢٤ هـ) وقوله في كتابه غريب الحديث (١٠٠/٤) . وهم الأستاذ المحقق فظنه
أبا عبيد الهروي أحمد بن محمد (المتوفى ٤٠١ هـ) صاحب كتاب الغريبيين .

— أقول : أكد المحقق الدكتور السامرائي أن الذي أراده ابن بري هو أبو عبيد
صاحب كتاب الغريبيين : غريب القرآن وغريب الحديث ، دون أبي عبيد القاسم بن سلام
الأردني صاحب غريب الحديث ، ولم يمثل لذلك ، والحق أن ابن بري هو أحد الأئمة
الذين حكوا عن الغريبيين خاصة ، وذلك في حواشيه على الصحاح ، وعلى درة الفواص
للحريري . لكن الذي جاء في الغريبيين من مادة (برزق - ١٥٧/١) هو : (وفي حديث
آخر : والناس برزاق ، يعني جماعات . وفي حديث زياد : إذا لم يكن منكم نهاية تمنع
الناس عن كذا وكذا وهذه البرازيق) ، على حين أورد أبو عبيد القاسم بن سلام ما
حكاه عنه ابن بري نفسه فقد جاء بالحديث (لا تقوم الساعة حتى يكون الناس برزاق)
وأردف (يعني جماعات) ، ويؤكد هذا أن ابن بري قد عني أبا عبيد القاسم بن سلام .

٥ - قال المحقق : لم أثبت (زياداً) هذا .

وعلق الدكتور الضامن على هذا فقال : هو زياد بن أبي سفيان ، وقوله في اللسان
(برزق) .

— أقول : الذي في اللسان أنه (حديث زياد) . وقد جاء به ابن قتيبة عبدالله بن
مسلم في غريب الحديث (٥٧٢/٢) فذكر أنه (حديث زياد بن أبي سفيان) ، وكان
زياد هذا والي البصرة في عهد معاوية . ونص الحديث كما جاء في اللسان (وفي حديث

زياد : ألم تكن منكم نهاية يمتعون الناس عن كذا وكذا ، وهذه البرازيق ٠٠) كما في النهاية ٠ وأردف : (وقال زياد : وهذه البرازيق التي تتردد) وفي غريب الحديث (ألم تكن منكم نهاية تمنع الفواة عن دلج الليل وغارة النهار وهذه البرازيق) ٠ أما في البيان والتبيين (٦٢/٢) فقد جاء فيه ما جاء في غريب الحديث ولم تذكر فيه (البرازيق) وكذلك المقد الفريد (١١٠/٤ - ١١١) ٠

٦ - قال المحقق : وتعام الرجز في اللسان : كأنما يمشين في اليلامق ٠

- القول : اليلامق جمع يلمق يلمق بفتح فسكون ، وهو القباء بفتح القاف أي الثوب الذي يلبس فوق الثياب ، وأصله الفارسي (يلمه) كما في المغرب (٣٥٥) ٠

٧ - قال المحقق : والمبارة : وقول أبي منصور ، ابن الجواليقي : (والبرازيق ٠٠) هو من كلام ابن بري في توضيح وتفسير كلام صاحب المغرب ، المتقدم ٠

- أقول هذا صحيح ، لكن صحة كلام ابن بري (وقول أبي منصور الجواليقي : البرازيق الجماعة من الفرسان ، صوابه أن يقول الجماعة من الفرسان) وكذلك جاء في حواشي مخطوط المغرب (٩٠١٢) ٠ أما ما أثبتته المحقق مسن قول أبي منصور (والبرازيق هي الجماعة من الفرسان) فليس صحيحاً والصحيح هو (والبرازيق الجماعة من الفرسان) وهذا ما دعا ابن بري إلى أن يتعقبه بقوله (وصوابه أن يقول : البرازيق الجماعة من الفرسان) ٠ والمعروف أن أبا منصور الجواليقي صاحب المغرب هو الجواليقي أو ابن الجواليقي ، لأن (الجواليقي) لقب لجده من أجداده ، نسبة إلى الجواليق جمع جوالق بكسر الجيم ٠ وهو في (انباء الرواة - ٣/٣٣٥) : (موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الجواليقي ، أبو منصور بن أبي طاهر) وهو في (بنية الوعاة / ٤٠١) : (موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر ، أبو منصور الجواليقي) ٠

وجاء في الكتاب (ص / ٤٤ و ٤٥) :

قال أبو منصور : و (بسطام) ليس من كلام العرب ، وإنما سمي قيس بن مسعود ابنه (بسطاماً) باسم ملك من ملوك فارس ٠

قال ابن بري : إذا ثبت أن (بسطاماً) اسم أعجمي علم ليس بجنس فلا وجه لصفه ٠

وقال ابن بري : بعد ذلك إذا ثبت هذا فإن (بسطاماً) مصروف لأنه منقول مسن

جنس (١) ٠

قال أبو منصور : قال رؤبة : (٢) [من الرجز]

كم رجل الصباغ جاش بتقمه

قال ابن بري : صوابه المجاج وقبله :

يجيش من بين تراقيه دمه كمرجل الصبأج جاش بقمه (٣)

١ - أقول : إذا عدنا الى المرب (٥٦ و ٥٧) الفينا أن أبا منصور ذكر في (بسطام) وجهين : الأول وقد نسبته الى ابن دريد : أنه في الأصل (علم في الفارسية) لأنه اسم ملك من ملوك الفرس فعقب ابن بري على ذلك بما معناه : إذا ثبت أن بسطاماً نقل الى العربية وهو في الأصل علم أعجمي فهو ممنوع ولا وجه لصرفه .

الثاني : ولم ينسبه الى أحد ، أنه في الأصل (اسم جنس في الفارسية) فعقب ابن بري على هذا بما معناه : إذا ثبت أن بسطاماً قد نقل الى العربية علماً ، وهو في الأصل اسم جنس أعجمي ، فانه مصروف وقد كان ينبغي أن يثبت هذا قبل تمقيب ابن بري ، وأن يشير المحقق اليه . وجاء في المرب في تفصيل هذا الوجه (قال أبو منصور : وقال غيره ، أي غير ابن دريد ، وسمي بسطاماً لأن أباه كان محبوساً عند كسرى فنظر الى غلام يوقد تحت شيء ، يحركه بحديدة فبشّر به ، وقيل ولد لك غلام . فقال أي شيء تسمون هذا ؟ قالوا فسموه بسطاماً) . والذي تبين بهذا أن السؤال كان عن اسم الحديدة التي كان الغلام يحرك بها النار ، واسمها في الفارسية (أستام) . قال صاحب المعجم الذهبي (أستام سيخ حديدي يستعمل لتحريك نار الأتون والتنور) . وأنكر محقق المرب الأستاذ أحمد محمد شاكر أن يكون الجواب عن اسم الحديدة في النص (أستام) وأكد أنه (بسطام) وأثبت أنه إياه كذلك في المرب خطأ والصحيح ما ذكرناه ، وهو (أستام) . وجاء في مخطوط المرب (٩٠٦٣) : (أستام) ، وفي المرب المطبوع عام (١٨٦٧) : (إسطام) ولكن كيف آل (أستام) هذا الى (بسطام) بالتمريب ، وفي العربية (الاسطام) كما يعنيه اللفظ الفارسي ؟ قال الزمخشري في الأساس (حرك النار بالاسطام) ، أفليس الأعدل أن يكون (الاسطام) هذا عربياً من (أستام) الفارسي ؟ وأن يكون (بسطام) منقولاً الى العربية من (بسطام) اسم العلم الفارسي . ومن ثم أكد ابن خالويه أنه (لا ينبغي أن يصرف) وجاء في الصحاح أنه منقول من اسم علم أعجمي ، كما ذكره ابن دريد في الجمهرة ، وكذلك جاء في شفاء الغليل .

وبسطام بن قيس بن مسمود هو أحد فرسان العرب الثلاثة عامر بن الطفيل وعتبة ابن الحارث وبسطام هذا . أما قيس بن مسمود فقد كان والياً على الأبله لكسرى ، كما جاء في الاشتقاق لابن دريد .

وبسطام بكسر الباء لكنه جاء بفتح الباء أيضاً ، ذكره الحنبلي الحلبي في بحر الموام .

٢ - قال المحقق : الصواب هو المجاج ، كما أثبت ذلك أيضاً ابن بري في تصحيحه . والرجز من الجمهرة لابن دريد (٣٢٢ / ١) .

- اقول : نسب الجواليقي الرجز الى رؤبة وهو لأبيه المجاج ، وأخطأ بالنقل .
وفات المحقق أن ابن دريد الذي حكى الجواليقي عنه لم يخطئ فقد نسب في الجمهرة الى
المجاج كما هو واضح في (٣٢٢/١) . وقد أشار الى هذا محقق المغرب نفسه (٥٩) .
٣ - قال المحقق : المغرب (ص / ٥٩) والرجز شاهد في (بقم) وهو صبيغ أحمر .
- اقول : جاء في الصحاح : (البقم ، بفتح الباء والقاف المشددة ، صبيغ معروف
وهو المندم .

قال المجاج :

بطعنة نجله فيها اله يجيش ما بين تراقيه دمه

كمرجل الصبّاغ جاش بقمه

وقلت لأبي علي الفسوي ، أمر بهي هو فقال : (مرّب) . وقال ابن خالويه في (ليس) :
(لم يصرف الاسم اذا جاء على فمّل بفتح الفاء والميم المشددة ، لأنه يشبه الفعل) يعني
اذا سمي به . وأكثر ما جاء منه علم . وجاء في اللغة (مَبْقَم) للمصبوغ بمشب البقم
كما في (السامي / ١٣١) للميدانسي النيسابوري . أما أصل (بقم) فقال أدي
شير أنه (بقم) بفتح الباء والكاف ، ولم أجده في المعجمات الفارسية . وقال صاحب
التقريب انه جاء على زنة أصله الفارسي .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٥ و ٤٦)

قال أبو منصور : و (الببر) بباءين ، جنس من السباع ، وأحسبه دخيلا وليس في
كلام العرب . والفرس يسمونه (بفر) (١) .
قال ابن بري : (الببر) (٢) هو الفرانق يُنذر (٣) الأسد ، ويقال له (الهَدْبَس) (٤)
ويقال (الهَدْبَس) الذكر .

قال أبو منصور : و (البهار) (٥) اسم واقع على شيء يوزن به نحو الوَسْق وما
أشبهه ، يضم الباء ، وهو مرّب ، وقد تكلمت به العرب . قال الشاعر ، وهو البَرِيق
الهذلي (٦) يصف سحابة : [من الوافر] :

بمرتجز كان على ذراه ركاب الشام يحملن البهارا (٧)

قال ابن بري : قال ابن جني : البهار عربي مأخوذ من بهرني الشيء ، لأن الحمل
الثقل يبهز حامله .

وقال الأزهري : البهار هو ما حمل على البير بلغة أهل الشام ، وهو عربي صحيح ،
وانشد بيت البريق .

١ - قال المحقق : لا بد أن يكون الفاء في (بفر) ليس فاء كالفاء العربية بل هي أقرب الى الواو الشفوية . كالحرف اللاتيني (v) وهو قريب من الباء ، ويتم بينهما الابدال ، وذلك لأن الابدال بين الباء والفاء على أنهما شفويتان ، قليل .

- أقول : لم يمتد المحقق أن يبحث الابدال في التعريب فيما تقدم ، وهو لم يوفق في حكمه هنا . ذلك أن الفاء التي أشار إليها، وهي الفاء الفارسية التي تلفظ بين الفاء والباء ، قد هجر النطق بها ، كما ذكرنا في موضع آخر . وقد انتهت الى باء خالصة في بعض الألفاظ الفارسية نحو (استفره) بفاء فارسية آلت الى (استبره) ، أو الى فاء خالصة نحو (فزوني) بفاء فارسية ومعناه الكثرة والوفرة آلت الى (فزوني) بفاء خالصة . وعلى هذا جاء الحديث في كتب التعريب ، ومنها كتاب المغرب ، والمعجمات الفارسية ، عن الابدال في أربعة أحرف فارسية ليست في العربية ، وهي الباء الفارسية التي بين الباء والفاء ، والجيم الفارسية التي بين الجيم والشين ، والزاي الفارسية التي بين الزاي والجيم ، والكاف الفارسية التي بين الكاف والجيم . وقد طووا ذكر الفاء الفارسية ، إذ هجر النطق بها . قال صاحب التقريب (١٩) ، (والفاء الفارسية هي حرف بين الفاء والباء . . وقد ذكره ابن سينا ، وكان موجوداً في عصره في بعض الكلمات الفارسية ، ثم هجر النطق به ، حتى صار نسياً منسياً) . وسكوت صاحب المغرب عن ذكر هذه الفاء دليل على هجر النطق بها في عهده (توفي ٥٤٠ هـ) خلافاً لعهد ابن سينا (توفي ٤٢٨ هـ) فالذي أراده أبو منصور بلفظ (بفر) الذي اعتده أصلاً للفظ (ببر) هو (بفر) بفاء خالصة ، خلافاً لما ذهب اليه المحقق .

٢ - أقول : (الببر) بفتح فسكون هو الفرائق بضم الفاء وكسر النون كما في اللسان ، وهو ضرب من السباع ، معرب ، والجمع (ببور) كما في (السامي / ٢٨) للميداني النيسابوري .

أما أصله فقد ذهب الجواليقي الى أنه (بفر) بباء ففاء ، وقال أدبي شير انه (ببر) بباءين مكسورة فساكنة ، وهو في الفارسية جنس من السباع أو (ببر) بفتح فسكون وهو في الفارسية حيوان كالقط . وقد أنكر محقق المغرب الأستاذ أحمد محمد شاکر أن يكون الأصل بباء ففاء أي (بفر) وأكد أنه بباءين ، كما ذهب اليه الجواليقي . ولست أدري ما حجته والذي في المعاجم الفارسية (ببر) بباءين مفتوحة فساكنة . وكذلك جاء في المغرب المطبوع (١٨٦٧ م) ولكن بباءين مفتوحتين (ص / ٢٧) .

٣ - قال المحقق : في الأصل الكلمة مهملة (غير معجمة) وأثرت أن أثبتها كما وردت ، ويقوي هذا أنها في اللسان : الفرائق يماذي الأسد .

- أقول : فات المحقق أن يتبين المعنى بالعودة الى المظان . فقد ترامى له أن العبارة (ينذر الأسد) والصواب أنها (ينذر بالأسد) ولو عاد الى المغرب ، وهو أقرب المراجع اليه لتبين صحة ما قلناه . فقد جاء فيه (والفرائق قال ابن دريد هو فارسي معرب ، وهو سبع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به / ٢٣٨) وهذا ما حكاه أدبي شير عن البرهان

القاطع (هو الحيوان الذي ... يصبح بين يدي الأسد كأنه ينذر الحيوانات به ، فإذا سمعت صوته عرفت أن الأسد مقبل فاستخفت / ١١٩) . وهو كذلك في حواشي مخطوط المغرب (٩٠١٢) ، فتأمل .

٤ - القول : جاء في التاج (الهدئس بفتحين وباء مشددة كعمئس أهمله الجوهري قال ابن الاعرابي : هو البير الذكر أولده) .

٥ - القول : البهار بضم الباء لما يوزن به الشيء نحو الوسق بفتح فسكون ، وهو يزن ثلاثمائة رطل . أو هو العمل عامة كما فسّر به الأصمعي بيت الهذلي ، وعليه ابن قتيبة على ما جاء في المغرب واللسان ، ونعومن ذلك ما قاله الأزهري .

وذكر الجواليقي أنه مغرب ، ولم يأت بأصل الكلمة ، وحكى عن أبي عبيد قوله أراها قبطية . قلت ليس أصل البهار فارسيًا على كل حال ، فقد ذكر الميداني النيسابوري البهار في (السامي / ٣٠٣) وجعل فارسيته (سيصد رطل) أي ثلاثمائة رطل . وأشار أدي شبر إلى معنى (بهار) بضم الباء في الفارسية فقال هو الصنم ، وجعل المعجم الذهبي (الصنم) أحد معاني (بهار) بفتح الباء . فإذا كان أصل الحرف قبطيًا فالقبطية شقيقة المصرية القديمة ، وهي في أغلب الظن لغة سامية أو هي قريبة منها ، خلافاً للبربرية الحامية ، كما جاء في فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وإلي . وذهب مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى أن القبطية حامية سامية . فإذا صح هذا قرب أن يكون للبهار أصل عربي كما قال الأزهري وابن جني وحكاه ابن بري .

٦ - قال المعقق : كذا في (شرح أشعار الهذليين - ٧٤٢ / ٢) وهو البريق الخناعي .

- القول : جاء في الفرج أنه البريق بن عياض بضم ففتح ، وهو يرثي أخاه .

٧ - قال المعقق : البيت في اللسان ورواية الشطر الثاني في (الجمهرة - ٢٧٩ / ١) :
كعبير الشام ...

- القول : المرتجز الرعد الذي يرتجز أي يتردد أو يتتابع صوته تردد الرجز وتتابعه .

وجاء في الكتاب (ص / ٤٦) :

قال أبو منصور : (البرند) جوهر السيف وماؤه ، لغة في (الفرند) قيل إنه أعجمي مغرب ، ويمكن أن يكون عربيًا ، ويكون من (البرد) والنون زائدة لأن السيوف توصف بذلك ، والأول أجود .

وقال ابن بري : و (برند) اسم أعجمي عربته العرب ، وكذلك قال سيبويه ، وهو عندهم خارج عن كلام العرب ، وعليه إجماع النحاة وأهل اللغة (١) .

قال أبو منصور : و (البرطلة) كلمة نبطية ، وليست من كلام العرب (٢) .

قال ابن بري : يقال (بَرطُل) بغير هاء (٣) . قال أبو زيد : يقال (البرطلة) :
الحارس (٤) : (السُرْقانة) (٥) و (الثِرْغامة) (٦) مظلة الناظر ، وأنشد [من
الرجز] :

أفلح من كانت له ثرغامة يدخل فيها كل يوم هامة

١ - أقول : ذهب الجواليقي الى امكان أن يكون (البرند) بكسرتين عربياً اشتق من
البرد ، والنون زائدة . واحتج لذلك بأن العرب تصف السيوف بذلك ، وهو بعيد .
فاذا كان قد عني قول الشاعر (بالمرهفات البوارد) أي القوادل ، من برد الانسان اذا
مات ، وبركده : قتله فلا صلة لهذا بـ (البرند) من حيث المعنى . قال صاحب المفردات (ومنه
السيوف البوارد) . ولذا أثر أبو منصور أن يكون أعجمي الأصل ، وهو الراجح وما أظن
الذي حكى من قولهم (المبرندة من النساء التي يكثر لحمها) كما جاء في اللسان ، ما أظن
ذلك دليلاً على نفي كون (البرند) بما ذكره الجواليقي من معناه ، أعجمياً . وأبي ابن
بري كونه عربياً لاجتماع النعاة وأهل اللغة على عجمته . وذهب سيبويه في الكتاب
(٢ / ٢٤٢) الى أن العرب لم يغيروا بنسب (برند) حين عربوه ، وإنما أبدلوا من بائه
الفارسية هذه فاء فقالوا (فبرند) بكسرتين . قال سيبويه (وربما غيروا الحرف الذي ليس
من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو : فرند) والمعروف أن الأصل الفارسي
هو (برند) بفتح الباء الفارسية والراء بمدّها ، وأن معربه هو (فرند) أو (برند)
بكسر الأول والثاني فيهما ، ويؤيد هذا ما جاء في الألفاظ الفارسية لأدي شير ، والمعجم
الذهبي . وحكى القاموس فتح الرام في (البرند) وأورد الجواليقي أصله الفارسي
(ص / ٧) على هذا .

قال المحقق : قولهم (البرطلة) نبطية أرادوا بها سريانية ، وهي مركبة من (بر)
بمعنى (ابن) و (طلا) بمعنى الظل ، فكان المعنى كله (ابن الظل) . وقد أشار الى هذا
اللفويون العرب أيضاً . وما زالت في شمال العراق بليدة تعرف (برطلة) يسكنها
النصارى .

- أقول : جاء في المعرب (٦٨ و ٣٣٥) : (البرطلة) بفتح الباء وسكون الراء وضم
الطاء وتشديد اللام المفتوحة ، وكذلك جاء في الجمهرة (٢ / ٣٧٥ و ٣ / ٣٠٧) . على
أنها أثبتت بضم الباء في اللسان والقاموس والمعيار ، وخففت اللام في اللسان وشددت في
المعيار ، وجاء بها القاموس بالتشديد والتخفيف ، وأورد ابن بري اللفظ بضم
الباء وتشديد اللام (باب العين - المرطبة والبرطلة) .

وقد ذهب ابن دريد الى أن (البرطلة) كلمة نبطية ، وحكى عن أبي حاتم عن
الأصمعي أن (بر) بمعنى (ابن) وأن النبط يجعلون الغطاء طام كأنهم أرادوا بالكلمة (ابن
الظل) ، وقال (ألا تراهم يقولون الناظور وإنما هو الناظور) . وحكى ذلك عنه صاحب
المعرب (٦٨ و ٣٣٥) . والبرطلة : المظلة الصيفية ، والناظور : الأمين .

وقد فات المحقق أن النبطية غير السريانية . فالنبطية كما يقول (نولدكه) في كتاب (اللغات السامية) هي الآرامية الغربية القديمة ، وجاء نحو من ذلك في كتاب اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون ، وفي كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد والي . وكان النبط عربياً كما يقول نولدكه ، وهم عند بعض الباحثين أقرب إلى قریش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الجنوبيين أنفسهم . قلت هذا ما حمل بعض الأئمة على أن يقولوا بعربية البرطلة والناطور .

أما السريانية فهي من اللهجات الآرامية الشرقية ، لا الغربية . قال ولفنسون : (وأما المنطقة الثالثة للهجات الكتلة الآرامية الشرقية فتعرف باللهجة السريانية ، وكان مركزها مدينة أودسًا ٠٠ واسمها بالسريانية أورهي ٠٠٠ وعرفت عند العرب باسم الرهاس ثم حُرِّفَ اسمها في القرن الخامس عشر إلى أورفا ، وهو اسمها إلى يومنا ١٤٥٠) . ونحو من ذلك ما جاء في فقه اللغة للدكتور وافي (٤٦) ، وفي الآداب السامية لمحمد عطية الأبراشي (٤٦) ، خلافاً لما زعمه المحقق .

٣ - أقول : فات المحقق أن يتبين الأصل الصحيح لكلام ابن بري . فقد جاء ابن بري بـ (البرطلة) بضم الباء وتشديد اللام وزان (المرطبة) كما في باب العين من الكتاب . وجاء هنا ليقول أن التام قد تحذف منها فإذا حذفت جاز التخفيف في اللام . فصواب كلامه (برطل و برطل) بضم الباء فيهما ، وتخفيف اللام في الأول وتشديدها في الثاني . قال الجوهري في الصحاح (والبرطل بالضم قلنسوة ، وربما شدد) وكذلك هو في حواشي مخطوط العرب (٩٠١٢) .

٤ - أقول : فات المحقق أن يصحح خطأ وقع في النص . فقد جاء فيه (قال أبو زيد : يقال البرطلة الحارس : السرقانة) والصواب (يقال برطلة الحارس : السرقانة) ، وهو واضح .

٥ - أقول : ثمة خلاف حول (السرقانة) . بقاف ففاء . فقد أشار ابن بري إلى أنها (مظلة الحارس) . وصحح الدكتور الضامن فقال أنها (سرففانه) بفاء ففين كما جاءت في كتاب المشرقات لأبي عمر الزاهد (٨٦) . وفصل فجعل (سر) بمعنى رأس بالفارسية و (ففانه) بمعنى الخيمة . وقد تبين لي بالبحث أنه ليس في معجماتنا العربية (سرقفانة) بقاف ففاء ، وكل ما جاء (سرفقان) بفاء فقاف ، وهو اسم لقرية بسرخس ، كما في معجم البلدان ، وهو غير ما عناء ابن بري على كل حال . ولم أعثر على (السرقفانه) بقاف ففاء في المعجمات الفارسية ، بل لم أعثر على (سرففانه) التي حكاه الضامن في معجم عربي أو فارسي أيضاً . وليس في الفارسية (ففانه) اسماً للخيمة ، بل قيل (فازه) كما في المعجم الذهبي اسم للخيمة . فإذا صح هذا كان رأس الخيمة (سرففانه) . أما (المظلة) فقد جاء في (السامي / ٤١٦ و ٤١٩) أنها بالفارسية (سايبان) . وجاء في المعجم الذهبي : (سايبان مظلة كبيرة تقي العظماء من أشعة الشمس وأنه عرب إلى

(سيبانة) • فانما صح هذا كان رأس المظلة (سرببانه) ، فهل قصد ابن بري هذا اللفظ أو لفظاً معرباً شبيهاً به ففدا بالتحريف الى (سرقفانه) أو (سرقبانه) كما جاء في الأصل •

٦ - قال المحقق : وقال ابن الأعرابي : الشرعامة ، وهو يشير الى الرجز ، أنها المرأة ، وهذا نظير الرجز المنسوب الى علي - رضي الله عنه - وهو :

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

انظر اللسان (قصر) •

- اقول : فات المحقق أن يوضح ما الذي يريد بقوله (وهذا نظير الرجز المنسوب الى علي رضي الله عنه) • وبيان ذلك أن ابن بري قد ذكر (الشرعامة) بكسر فسكون وقال انها مظلة الناطور واستشهد بقول الراجز • (أفلح من كانت له شرعامة •) وذكر ابن الأعرابي (الشرعامة) وقال انها المرأة واستشهد بالرجز نفسه ، كما في اللسان • وتأويل ذلك أن الشرعامة هي المظلة ويكنى بها عن المرأة أو الزوجة لأنها مظلة الرجل ، وكذلك (القوصرة) بتشديد الراء وقد تخفف ، فهي وعاء من القصب يحفظ فيه التمر ويكنى بها عن المرأة أيضاً • قال ابن الأعرابي (العرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة) وقال ابن بري (وهذا الرجز ينسب الى علي عليه السلام ، وقالوا أراد بالقوصرة المرأة ، وبالأكل النكاح) ، وكلامي هذا على القوصرة حكاه محقق المغرب (٢٧٧) عن الجهمرة واللسان •

وجاء في الكتاب (ص / ٤٧ و ٤٨) :

قال أبو منصور : و (ببَّان) كلمة ليست بعربية محضة • وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : ان عشت الى ما قابل لأعقسن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا ببَّاناً واحداً (١) •

قال ابن بري : قال أبو سعيد الضريير : ليس في كلام العرب (ببَّان) وإنما هو (تبَّان) بالتاء المعجمة باثنتين أعلاها ، من قولهم (ببَّان تبَّان) الذي (لا) يُعرف (٢) والمعنى : لأسوين بينهم في العطاء حتى يكونوا شيئاً واحداً ، لا فضل لأحد على غيره • وقال الأزهري : وليس هذا كما ظنن ، فان هذا حديث مشهور رواه أهل الاتقان ، وكأنه لغة يمانية • (٣)

وقال أبو منصور : (٤) (ببَّان) على وزن (فَعْلان) ويقال على وزن (فَعْمال) والنون أصلية (٥) ولا يصرف منه فعل ، وهو (البَّاج) في المعنى : واحد (٦) •

قال ابن بري : وببَّان عند أبي علي (فعْلان) لا غير (٧) ، لأن تركيب الكلمة من حرفين أولى من تركيبها من حرف واحد • إذ إن ذاك نادر عزيز • وإن باب (دَدَن) و (لولب) (٨) أيسر من باب (ببَّ) •

١ - قال المحقق : جاء في اللسان (بين) قال أبو عبيد : قال ابن مهدي : يعني شيئاً واحداً ، ولا أحسب الكلمة عربية ، ولم أسمها إلا في هذا الحديث .

- أقول : ما نود بيانه أن الأزهرى قد أكد في تهذيبه (بب) لفظ (بيان) في حديث عمر لثبوته وشهرته . وقد جاء الحديث في مظان كثيرة ، كما جاء في التهذيب والصحاح وكتاب (ليس) لابن خالويه ، والنهاية ، والمزهر ، واللسان ، وسواها . وفيه (بيان) بباء مفتوحة بعدها باء مشددة ، ولو اختلف نص الحديث . قال الجوهرى في الصحاح (ويقال هم بيّان واحد ، كما يقال : باج واحد) . وأردف (قال عمر ، رضي الله عنه ، ان شئت سأجمل الناس بيّاناً واحداً . وهذا الحرف هكذا سمع عنهم) ثم قال : (وأناس يجعلونه من هيّان بن بيّان ، وما أراه محفوظاً عن العرب) .

وحكى الأزهرى عن أبي عبيد قوله (لا أحسب هذه الكلمة - أي بيان - عربية) وقال : (وكأنها لغة يمانية ولم تغش في كلام معدّ ، وهو والباج ، بمعنى واحد) . وهكذا يكاد يجمع الأئمة على أن (بياناً) في الحديث صحيح ، مسموع عن العرب .

وخالف أبو سعيد الضرير ، على ما جاء في النهاية واللسان وسواهما ، فقال (ليس في كلام العرب - بيان - والصحيح عندنا بيّاناً واحداً) بباء مشددة . وفي شفاء الغليل . (وإنما هو بيّان بباء مثناة تحتية من قولهم هيّان بن بيان) حكاية عن الضرير . ولكن ما أصل (بيان) هذه . حكى الأزهرى عن أبي عبيد : (لا أحسب هذه الكلمة عربية وكأنها لغة يمانية .) والذي يتجه لى أن جمود اللفظ وعدم تصرفه قرينة من قرائن عجمته . أما نسبة اللفظ الى اليمانية واليمانية لهجات عربية جنوبية كلهجة الميينيين والسبثيين والحميريين ، وقد اندثر بعضها قبل الإسلام ، وبقيت منها بقية بعده ، أقول ان نسبة اللفظ الى اليمانية لا يستلزم بالضرورة أن يكون يمانياً ، فقد غزت العجازية ألفاظ قيل انها يمانية فثبت أنها حبشية الأصل ، كما جاء به الأستاذ عبد المجيد هابدين في كتابه (بين الحبشة والعرب) ، لاختلاط اليمانيين بالأحباش . وقد تكون حيناً فارسية لأن اليمانيين خالطوا الفرس فتأثبت لفتهم . ومن ثم استبعد الأئمة في (تقعيد) اللغة الفصحى (اليمانية) عامة ، كما تجنبوا (أزد شنودة وأزد عمان) خاصة ، فهل تكون (بيان) فارسية الأصل ؟

أقول : لم أر من ذكر ذلك ، لكنني بحثت اللفظ في المعجم الذهبي فالفيت (بابيا) بباءين فارسيّتين مفتوحتين بينهما باء خالصة مكسورة ، ومعناه (قدم بقدم ، ومساو ، ومطابق النمل للنمل) ، فذكرت ما يقول العرب في الماثلة بين شيئين وهو (حدوث النمل بالنمل) أي جعلتها ماثلة لها . أفلا يوحى هذا بأن (بياناً) من (بابيا) الفارسي .

٢ - قال المحقق : كذا ورد قول الضرير في الأصل ، وأما في اللسان (بين) فقد جاء وقال أبو سعيد الضرير ليس في كلام العرب - بيّان - قال والصحيح عندنا - بيّاناً واحداً . قال والعرب اذا ذكرت من لا يُعرف قالوا : هذا هيّان بن بيّان ، ومعنى الحديث ..

- أقول لولا ما جاء في الأصل من ضبط (تبان) في قوله بالتاء المعجمة باثنتين أعلاها) لأثرت ما ورد في اللسان . وقد سقط (لا) من الأصل فأثبتها محصورة بين قوسين .

- أقول : فات المحقق أن يصحح الأصل المشوه . فقد جاء فيه (وانما هو تبان بالتاء المعجمة باثنتين أعلاها من قولهم هيان بن تبان الذي لا يعرف) وصوابه . (وانما هو بيان بياء تحتية من قولهم هيان بن بيان للذي لا يعرف) . إذ لا سند البتة لقوله (تبان) بالتاء ، أو قوله (هيان بن تبان) . والذي جاء في حواشي المخطوط (٩٠١٢) : (وانما هو بيان بالياء من قولهم هيان بن بيان لمن لا يعرف) . وناسخ الأصل لم يعرف هذا وحسب فقد جاء في الأصل (الذي يعرف) وصوابه (للذي لا يعرف) .

فانظر الى ما جاء في شفاء الغليل (٥٠٠) وانما هو بيان بمثناة تحتية من قولهم هيان بن بيان للذي لا يعرف) . وقد حرف الناسخ ما جاء بعد ذلك كما سنراه .

وقد جاء (هيان بن بيان) بياء مشددة فيهما و (هي بن بي) بياء مشددة فيهما ، في الصحاح ، وفي موضعين من الجوهرة (٣٨/١ و ١٢٤/١) ، وفي (السامى / ١١٤) للميداني النيسابوري ، وسواها من المظان ، ولم أر من أورد (هيان بن تبان) قط .

٣ - قال المحقق : ذكر الأزهري ذلك في التهذيب (بين) .

- قال الدكتور الضامن : لم يرجع الأستاذ المحقق الى التهذيب . إذ رأى لفظة (بيان) قد جاءت مع حديث عمر ، رضي الله عنه ، في اللسان (بين) ، فتوهم أنها في تهذيب اللغة للأزهري في مادة (بين) أيضاً . والصواب أنها جاءت في مادة (بب) في أول باب اللغيف من حرف الباء (٥٨٢/١٥ - ٥٩٣) ، وهي في مادة (بب) في كتاب العين أيضاً (٤١٥/٨) ، والأزهري سار على طريقة الخليل .

والقول ما قال : ويؤكد ما جاء في التهذيب أن الصحيح فيما حكاه ابن بري من كلام أبي سعيد الضريير هو (ليس في كلام العرب بيان وانما هو بيان) بالياء ، لا (تبان) بالتاء ، وأن (هيان بن بيان) هو الصواب ، لا (هيان بن تبان) .

٤ - أقول : فات المحقق أن في نسختي المغرب المطبوعتين :

(وقال الليث : ببان) ، وكذلك في مخطوط المغرب (٩٠١٢) وقد سقط من الأصل (وقال الليث :) ولا بد من اثباته .

٥ - أقول : اختلف الأئمة في بناء (بيان) فذهب الليث الى جواز أن يكون على (فعلان) أو (فمائل) . فإذا كان الأول كان من (بب) بياءين ثانيهما مشددة والنون زائدة . أو كان الثاني كان من (بين) والنون أصلية ، وأوجب أبو علي أن يكون (فملا) . و (فعلان) ألصق بأصله الفارسي إذا اعتد هذا الأصل وصح ما ذكرناه في الحاشية الأولى من أنه (يابا) .

٦ - أقول : تابع المحقق المغرب المطبوع (١٩٤٢) فأثبت ما جاء فيه وهو (وهو الباج في المعنى واحد) والصواب ما جاء في الأصل (وهو والباج في المعنى واحد) . لحذف

(الواو) بين (هو) و (الباج) ، ولا بد من اثباتها . والذي في المغرب المطبوع (١٨٦٧) مطابق للأصل الصحيح ، وهو كذلك في مخطوط المغرب (٩٠١٢) .

أما ما جاء حول (الباج) فقد قال المغرب (والباج أيضا أعجمي . تقول : اجعله باجا واحدا ، أي شيئا واحدا ، وأول من تكلم بهذه الكلمة عثمان بن عفان) .

- أقول : جاء (الباج) معرباً بمعنيين : الأول الاتاوة أو المكس ، كما جاء في شفاء الغليل ، وفي الألفاظ الفارسية لأدي شير ، وأصله الفارسي (باز) بزاي فارسية ، وهو في المعجم الفارسي (باج) بجيم .

والمعنى الثاني هو الضرب الواحد . قال الجوهري (قولهم اجعل الباجات باجا واحدا أي ضرباً واحداً ولوناً واحداً ، يهزم ولا يهزم ، معرب . وأصله بالفارسية - باها - أي ألوان الأظعمة ، وأصله عند أدي شير - باها - أيضاً .

وقد جاء في التاج (الباج ٠٠٠ التبان بالتاء) وهو محرف . فالباج هو الببان لا التبان . فالتبان من السراويلات ما يستتر العمرة المغطاة ، وهو بضم التاء وتشديد الباء .

وجاء في التاج بعد ما ذكر (وحكى المطرزي عن الفراء أن العرب تقول : اجعل الأمر باجا واحداً واجعله ببانا واحداً) . وقد عدت إلى نسخة التاج الجديدة المطبوعة في إمارة الكويت فالفيت فيها (الباج : الببان) ، وقال محقق التاج (ذكرت في اللسان محرفة : التبان بالتاء ، والصواب كالمثبت في الأصل) والقول ما قال .

٧ - أقول : فات المحقق أن يتدارك خطأ واضحاً وقع في الأصل . إذ جاء فيه (وبيان عند أبي علي فعلان لا غير ، لأن تركيب الكلمة من حرفين أولى من تركيبها من حرف واحد) والصواب (وبيان عند أبي علي فعّال) لا (فعلان) . ذلك أنه إذا اشتقت (ببان) من حرفين ، وهو الوجه المختار عند أبي علي ، كانت من (بين) والنون أصلية والوزن (فعّال) . والوجه غير المختار أن يشتق من حرف واحد أي من (بب) فتكون النون في (ببان) زائدة والوزن (فعلان) . وقد اهتم لذلك فقال : أن (بب) نادر عزيز وأن باب (بين) ك (ددن) و (لولب) أيسر منه .

٨ - قال المحقق : لعله (كوكب) فكثيراً ما أهمل الناسخ رسم عصا الكاف .

- أقول : الذي جاء في حواشي مخطوط المغرب (٩٠١٢) هو (ددن وكوكب) وقد اعتاد الأئمة أن يمثلوا بهما على مجيء الفاء والعين في الكلمة حرفاً واحداً . ففي المزهرة (ط ١٣٢٥ هـ ٤٥/٢) : (لا يجوز أن يكون فاء الفعل وعينه حرفاً واحداً في شيء من كلام العرب إلا أن يفصل بينهما فاصل مثل : كوكب وقيقب . فأما ببة فلقب كأنها حكاية . وزعم الغليل أن - ددا - حكاية لصوت اللعب واللهو ، ذكر ذلك ابن درستويه في شرح الفصيح . وقال المرزوقي : لم يجيء من ذلك بلا فاصل إلا قولهم : دد ، وددن) .

- للبحث صلة -

من شعر

الشيخ السيد عبد الحميد الزهراوي

١٢٨٨ - ١٣٣٤ هـ = ١٨٧١ - ١٩١٦ م

جميعها وقدم لها :
عبد الإله نبهان

إن آثار الشيخ السيد عبد الحميد الزهراوي تعد من تراثنا القومي الأصيل ، لا لبعدها الزمني ، ولكن لمكانة صاحبها في تاريخنا القومي . وهذه الآثار على قرب الزمن بها ضاع معظمها ، وما لم يضع فهو في حكم النادر ، إذ نشر آنذاك في مجلات وكتب من الصعب الوصول إليها الآن أو الاهتداء إلى ما فيها . وحذا لو سئمت نسا الأيام لننشر ما لم ينشر من تراث الشيخ في كتاب يكمل ويتمم ما نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بعنوان « الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي » (١) وما ننشره اليوم في مجلة التراث هو أسهام متواضع في هذا السبيل .

كنا نشرنا في العدد المزدوج ١٥ - ١٦ من مجلة التراث العربي ما عثرنا عليه من شعر الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي ، وأشرنا في تقديمنا لتلك القصائد إلى أننا وجدنا حواراً شعرياً بين الشهيد وبين شيخه مصطفى الترك - رحمهما الله - وقلت آنذاك : « وأرجو أن أدفعه إلى النشر عندما أتمكن من قراءته » وفعلنا فقد تمكنت من قراءته ، ودفع اليّ أخي الفاضل الأستاذ خالد الزهراوي (٢) صورة عن نسخة أخرى لهذا الحوار وجدتها في أوراق المرحوم الدكتور مختار بن اسماعيل الزهراوي (٣) . وبمقارنة النسختين حصلنا على نصٍّ للمعاورة هو أقرب إلى التمام ، ووجدت على ظهر المعاورة أبياتاً للشيخ الزهراوي قرط بها كتاباً للشيخ الترك وأبياتاً أخرى أجابه بها الترك . كما أنني تذكرت قصيدة للشيخ قالها في رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . فجمعت هذا الشعر بعضه إلى بعض ليكون امتداداً واتماماً لما نشرناه سابقاً . وقبل أن أقدم للمعاورة لا بد من التريث قليلاً للتعريف بالشيخ مصطفى الترك لأن كتب التراجم المطبوعة لم تذكر عنه شيئاً فيما أعلم .

□ الشيخ مصطفى الترك :

لم أجد له ترجمة وافية ، كما أنني لم أعثر على تاريخ ولادته ولا وفاته ، وقد ترجم له المرحوم عبدالهادي الوفاي (٤) في كتابه الموسوم بـ « التاريخ الحمصي » (٥) وخلاصة ما ذكره أن الشيخ هو مصطفى بن أحمد الترك ، وأصلهم من أزميد الغشب بجوار الأستانة ، وكان والده قد حضر محارباً لإبراهيم باشا (٦) مع عسكر السلطان عبدالمجيد (٧) ، وبعد خروج إبراهيم باشا وتوطن أحمد الترك حمص وخلف بها .

ويذكر الوفاي أن الشيخ كان نظاراً مجادلاً ، تبحر في علم الأديان وأخذ يجادل أصحاب الأديان الأخرى ، وكان شاعراً وشعره على طريقة أهل الحقيقة ، وقد أخذ الطريقة على الشيخ علي الیشرطي (٨) . ويبدو أنه قضى حياته في التعليم إذ يفهم من مقدمة الحوار ومما كتبه الوفاي ومما كتب في ترجمة السيد الزهراوي (٩) أن الرجل كان شيخ مكتب يعلم الأولاد مبادئ القراءة والحساب والخط واللغة التركية في (جامع المبلط) .

وكنيت منذ سنوات رأيت كناشة (١٠) قديمة عند الشيخ محمد خراسان (١١) ، طلبتها منه فأعزنيها ، فوجدت فيها مجموعة لا بأس بها من شعر الشيخ مصطفى الترك فنسختها ، وما عثرنا عليه من شعره يشير إلى أن الشيخ كان من أصحاب الحقيقة والطريقة ، وأنه كان يسير على نمط شعراء الصوفية في صياغة شعرهم ويستمد أفكاره من كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (١٢) ومن مؤلفات الشيخ عبدالغني النابلسي (١٣) ، وتراه يشطر أبياتاً لرابعة العدوية (١٤) أو للحلاج (١٥) ويخمس أبياتاً لأخرين . . . وتتجلى فكرتنا وحدة الوجود (١٦) والحقيقة الحمدية (١٧) واضحتين في شعره على نحو سافر ومن ذلك قوله :

ان الوجود وان تعدد ظاهراً	صور تلوح وبعد ذلك تعدد
نادى به المعنى الذي هو واحد	وحياتكم ما فيه الا أنتم
انتم حقيقة كل موجود بدا	في نكتة المرأة سر معلوم
قد اهربت ما ثم غير وجودكم	ووجود هذي الكائنات توهم

وقوله مشطراً أبيات أحدهم :

وما مصدر الأشياء الا محمد	فكل مليح من سناه سطور
تطاول بالاعجاز مدح جنابه	وناهيك ، طول المدح فيه قصور
بدائرة التكوين نور جماله	لأعياننا فيض الوجود يعير
وفي حضرة الامكان جمع مقامه	عليه جميع الكائنات تدير

يتحصل لدينا أن الشيخ مصطفى كان شيخاً متصوفاً يحصل ميعشته من تعليم الناشئة ، ويدل شعره الذي عثرنا على بعضه على أن له باهاً في النظم على طريقة أهل التصوف ، وفي هذا ما يلقي ضوءاً على المحاوراة التي سird ذكرها .

القصيدة رقم (١)

□ المعاورة :

جرت المعاورة الشعرية (كتابة) بين الشيخ الزهراوي وعمره آنذاك حوالي عشرين عاماً (١٨) وبين شيخه الترك ، وتدور أفكارها حول قضايا فلسفية وتعالج من وجهة نظر صوفية : الوجود ، الحقيقة المطلقة ، الحقائق الكهفية ، المقارنة بين الوجود الزائل والخلود الدائم ، عالم الظواهر وعالم البواطن ٠٠٠ وعلى الرغم من روعة هذه الموضوعات فإن أسلوب الشيخين في طرقها كان مقيداً بقيود العصر مصاباً بعلمه ، ولا أحب أن أستفيض في حديث نقدي عن الركافة وأسبابها وعللها إذ لكل مقام مقال ، وبكفي هنا أن أقدم المعاورة وقد ذيلت بشرح بعض ألفاظها الاصطلاحية بقلم ناظميها .

□ نسختا المعاورة :

أ - النسخة الأولى : وهي نسخة كتبت بالقلم الرصاص واهترأت مواضع منها ، وقد عثرت عليها بين أوراق الشيخ أحمد نبيهان (١٩) ، وذكر ناسخها في آخرها أنها نقلت عن نسخة بقلم ناظميها كما أثبتنا ذلك في آخرها وقد كتب على ظهرها أبيات أخرى للشيخ الزهراوي قرط . بها كتاباً لشيخه الترك مع جواب الترك على تقريظ تلميذه .

ب - النسخة الثانية :

كتبت في ٢٣ تموز سنة ١٩٢٨ ، كتبها عبد الرحمن ؟ ولم تشتمل على شرح الاصطلاحات التي اشتملت عليها النسخة الأولى ، وخطها واضح مقروء اعتراها نقص في بعض جوانبها .

وقد تمت النسختان احدهما الأخرى وإن كانت الأولى أجود وأكمل .

القصيدة رقم (٢) :

وهي مقطوعة شعرية قرط . بها الشيخ الزهراوي كتاباً لشيخه الترك ، وأسلوب التقريظ كان متعارفاً عليه تلك الأيام وشائعاً في مجلات ذلك العصر وصحفه وكتبه . وقد أعجب الشيخ الترك بتقريظ السيد الزهراوي لكتابه فأجابه مادحاً إياه على وزن أبياته وروياً .

القصيدة رقم (٣)

وهي القصيدة التي أرسلها الى صديقه العلامة محمد رشيد رضا (٧٠) للتمزية بالأستاذ الامام محمد عبده (٢١) ، وقدم لها برسالة عبر فيها عن بالغ حزنه ، وقد فصل السيد محمد رشيد رضا بين الرسالة والقصيدة في الجزء الثالث من تاريخ الأستاذ الامام (٢٢) ، فنشر القصيدة في باب الشعر ، وجعل الرسالة المشفوعة بها القصيدة في باب النشر ، فجمعنا شملها لأن السيد الزهراوي كان كتبهما معاً . وتتجلى قيمة هذه القصيدة في كونها تفصح

عن توجهات السيد الزهراوي الإصلاحية ، وتظهر روابطه السياسية بمدرسة الإصلاح بمصر ، كما تعبر عن تدمره وشموه بالمرارة من الاستبداد الضارب أطنابه آنذاك ، حتى أن كثيراً من الرسائل والقصائد التي أرسلها أصحابها من سورية للتمزية بالأستاذ الامام نشرت بتوقيع رمزي بالأحرف الأولى خوفاً من بطش العثمانيين ، وهذا هو السبب الذي جعل السيد الزهراوي في تقديمه للقصيد يذكر قضية التوقيع ويحذ أن تنشر بتوقيعه الصريح .

واليك النصوص كما وجدناها بمقدماتها التي كتبها ناسخوها :

القصيد رقم (١) :

هذه محاورة شمرية جرت بين العالمين الفاضلين الشيخ مصطفى الترك والسيد عبدالحميد أفندي الزهراوي رحمهما الله وطيب ثراهما .

ان أسباب هذه المحاورة الشمرية وهوان أخا الى السيد عبدالحميد أفندي اسمه « رضا » كان في المكتب عند الأستاذ الشيخ مصطفى الترك يدرس القراءة والكتابة وذلك سنة ١٣٠٩ هجرية وقد رأى في بعض الأيام ورقة بيده مكتوب فيها ثلاثة أبيات فقرأها وقال له : من أين لك هذه الأبيات ؟ اجاب : ان أخي عبدالحميد نظمها وكتبها لي وهذه هي :

- ١ - بالطيب دولة هذا الروض قائمة ما دام عسكرها للأرض منبسطة
- ٢ - للزهر ديباجة خضراء طرزها كف السما بلآلئ القطر مثل غطا
- ٣ - فارح بمرج بساط الدوح في طرب واسمع غناء هزار الروض منبسطة

فأجابه الأستاذ الشيخ مصطفى محاوراً :

- ٤ - ذا نزهة النفس فيما الطين أنبتته وما له الطير للأسماع قد بسطاً ؟
 - ٥ - ونزهة الروح قرب الحب يكشفه نور الوجود الذي في العقل ما انضبطا
- فأجابه السيد عبدالحميد محاوراً :

- ٦ - أما العقول فثم الصنع ملمحها جل الذي صبغ الأزهار رب عطا
- ٧ - حقق ترى غاية الوجود معرفة للذات بالذات في مثل التي ارتبطا
- ٨ - هل ثم غير السنأ بانت مظاهره ما ثم الا الثنا للعق اذ شرطا

فأجابه الأستاذ الشيخ مصطفى محاوراً :

- ٩ - العقل شتى فمنه جوهر رفعت عنه الستور وعنه زال كشف غطا
- ١٠ - فهو الذي فيه شمس العق طالعة من برج مظهره فارتاح وانبسطة

تلك الوجود بحق من يقل ضلطا
والكشف ليس بدرك فاحذر الغلطا
فواه حيث غدا بالكون مرتبطا
طاح الدليل ترى اندلول قد سقطا
للذات بالذات في مثل التي ارتبطا
حتى ادون له سمعا كذاك خطا
منه الوجود الذي للعقل قد ضبطا
من سار عن عقله بالحب مرتبطا
والامر حق وخلق كيفما اختلطا
قد قال قولا سديدا لم يكن شططا
ما ثم الا الثنا للحق اذ شرطا
كمثل برق وعنه الكل قد هبطا

نعني السوى غيره ، تا لله ذاك حفظا
ومن رايها كيفما اشترطا
اما المقام فكل في البها اغتبطا (٢٣)
وقت اجتلاء تجلى الحق فيض عطا
اياك نقصد والاسرار ذات مطا
وقد رقى من بنى من فوقها خططا
لكن احسنهم من قال اذ شرطا
منه الوجود الذي للعقل قد ضبطا
من سار عن عقله بالحب مرتبطا

تزري بغود تعلت للبها قرطا
الا لكون خفاء الحق مفتبطا

١١ - وما اردنا شؤوننا بالوجود ولا
١٢ - ولا عينا بهذا الكشف درك جحا
١٣ - ومنه عمل بقيد النفس قد علقنا
١٤ - حتى راه دليلا للوجود فان
١٥ - « حقق ترى غاية الموجود معرفة
١٦ - قد صح عندي ولكن قد اتى خبر
١٧ - لا بد من غيبة في الحب اخذة
١٨ - ورجعة بعدها للصنع يعرفها
١٩ - جمع وفرق غدا في عين مشهده
٢٠ - ذاك الذي قلبه عن سر باطنه
٢١ - « هل ثم غير السنا بانت مظاهره
٢٢ - اعني بذا ليس الا الامر تلمحه
فاجابه السيد عبد الحميد :

٢٣ - نعم نمجده باسم البطون وهمل
٢٤ - هذا الوجود شؤون في الوري بطننا
٢٥ - اما المحبون فالاحوال واحدة
٢٦ - وبالمقام غدت شتى مواقفهم
٢٧ - واننا لعلى معراج تلبية
٢٨ - وتلكم درجات طالما صعدت
٢٩ - بالقرب والقوم شتى في مشاربهم
٣٠ - « لا بد من غيبة في الحب اخذة
٣١ - ورجعة بعدها للصنع يعرفها
فاجابه الشيخ مصطفى :

٣٢ - يا حسن بهجة ما قد صفت من درر
٣٣ - حمدته لبطون صح ذاك وهمل



- ٣٤- أضحي لسانا لروح في الورى نفعت
 ٣٥- ان السوى كله دعوى الوجود له
 ٣٦- وصار يرتع في المحسوس واحتجبت
 ٣٧- فان زكى يرجوع نحو موطنه
 ٣٨- أضحي لنور جمال الحق مظهره
 ٣٩- هذا لنا كان فتحا عن ائمتنا
 ٤٠- لوحث بالحق ابقاك الاله فتى
 ٤١- وبث تشرب اقداح الصفا جرعا
 فاجابه السيد عبدالحميد :

- ٤٢- بشرى ولا نفدت اوراد هديكم
 ٤٣- حسب العقير كنوز من رضا سند
 ٤٤- واذا علا نوره مرآة خاطره
 ٤٥- او ان زاوية الافضال قد فرجت
 ٤٦- وتلك زاوية في بحر معدنه
 ٤٧- قطر همى من سما تلك المعارف قل
 ٤٨- واصله قبضة من سحب معرفة
 ٤٩- عبارة الكنه قد جلت مداركها
 ٥٠- وجملة الفهم للحسنى مفلذكة
 ٥١- اولئك الشهدا عقبى مجاهدة
 ٥٢- اجلهم عمدة الاشياخ عارفهم
 ٥٣- العارف الغارف العرفان من منن
- وواردات مفاض الرشد اذ بسطا
 قد خط في صفح للصفيح سطر غطا
 فمثله قد ترامى وصف من هبطا
 ومثلها يسع التقصير ما ضبطا
 الم تر الدر من أعماقه التقطعا
 قد جمدته نسيم الروح فالتقطعا
 منه اليه به ذاك المفيض عطيا
 مسافر العقل في ادراكها خبطا
 ومن رأى ترجمان العين قد لقطا
 نعم البقا بحضور واذا ذكر البسطا
 المصطفى لمجال تفرش البسطا
 من كان في علم حق أمة وسطا

انتهت هذه المحاوره الشعرية أبيات (٥٣) نقلا عن نسخة بقلم ناظميها رحمهما
 الله وطيب ثراهما .

بشرى = دعاؤكم . يسع التقصير = حال كونه . قطر = هو الدر . خبطا = ولم
 يصل . للحسنى = الأسماء . مفلذكة : بدون اكتناه بدو شؤونها . ترجمان العين = اليقين

لقطا نقطة الصواب . البسطا = جمع بسيط أي المساح متهلل الوجه . البسطا = جمع
بساط المعروف والمراد مجالي التجليات وهي ارادة ذلك .

انتهى هذا الشرح نقلا عن قلم الناظم السيد عبدالحميد رحمه الله . واليك أيضا
ما كتبه نقلا عن قلمه الى الأستاذ مصطفى الترك يطلب منه بمض أبيات من هذه المحاور
الشعرية لينسخها عنده :

سيدي ، أحسنوا الي بارسال الأبيات التي قدمتهم أول أمس حيث لانظيرها منسوخ
عندي لأنني كتبتها ابتداء ، وصرت ممنونا بالتقاط درركم ، فأنا جدير بأن أنظمها في
عقد الجمع وبوجه التبعية والمناسبة أثبت ما كتبتسه أيضا حرصاً على اكتناز لآلئ
حقائقتكم وأطال الله بقاءكم .

القصيدة رقم (٢)

ان الأستاذ الشيخ مصطفى الترك قدألف رسالة وسماها « سيف الانتصار على
مدعي الجبر بالأقدار » ولما اطلع عليها السيد الفاضل عبدالحميد أفندي الزهراوي قرطها
له بخمسة أبيات وذلك في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ . وهذه هي الأبيات :

١ - اذا جاء نصر الله والفتح بالسيف وتبت يدا سمج رمى السمح بالحيث
فسبح بحمد الله ربك واسبحن بمدح ذكي المجد ذي السبق والنيف
ابو الرشد والارشاد في العصر مصطفى مبین صحیح النقش من علة الزيف
فدونك دراً في النظام وجوهراً يؤلفه في رد أوهمام ذي الطيف
لايلاف دين الحق الفه واذا يفرق شمل الجبر سماء بالسيف

ب - فأجابه الشيخ مصطفى رحمه الله :

خبيا زوايا من قريحة ماجد ارتنا معيا الاقتباس مقنئما
أتتنا لتقريظ هي الورد بالقطف بتورية الآيات من شدة اللطف
معاليك يا عبدالحميد تطاولت ومن شاوها مسبقا تقاصرها كفتي
قصارى ثنائي ان تعرضت مادحا مزاياكم والفضل بين الوري كفتي (١)
فسبعان من آواك كهفا من التقى وما زلت بالرحمن ترقى مع الصف

انتهى نقلا عن قلم الناظم الشيخ مصطفى الترك طيب الله ثراه (كفي) هكذا وجدتها
بخط الناظم رحمه الله (٣٤) .

القصيدة رقم (٣)

١ - الرسالة -

وكتب العالم الضليع والكاتب البليغ السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوي من حمص
الى جامع الكتاب (٢٥) .

عن حمص في ٣ جمادى الثانية ١٣٢٣

الى الولي العميم الرشيد الحكيم

انا والعزرن يساورنا لفي دائرة ضيقة، اذا لمسنا الروح فيها لم نكد نحسه ، فكن لي
حاذراً اذا رأيته قطعت هذه الرسالة المرقومة لأن سبيلها من القلب والفكر والقلم ، وحالة
البريد مقطوع ، وطلم هذا السيل اذ فاجأتنا تلك الفاجعة العظمى .

فاجعة لا أجد فيها قولاً ، ولا أجد فيها من الهلع حولا ، فمن كلفني البيان فيها
كلفني ما لا أطيق ، ولن يجد لدي لطاعته سبيلاً . كنا والامام يفيض على الدنيا سواطع
أنواره في فسحة من الأمل بانتشار الإصلاح الذي نمشقه ، ولي عزاء من ضيق دائرتنا
بسعة سلطانه ، فما حال رجائنا وقد طارت تلك الروح القدسية الى عالمها الأسنى ؟

نعم ان في قيام الولي الرشيد في هذا الأمر لعزاء لمن كان نظره شاخصاً الى الأرواح
دون الأشباح . ولكن ذلك لا يدفع عن الولي - أطال الله بقاءه - ولا عن سائر الاخوان
ألم هذا الفقيد العظيم ، وحسرة هذا الفراق الأليم ، وما حال محب كان يرجو أن يرى
طلعة ذلك الحبيب الكريم عما قريب فحال بينهما برزخ المنون ؟ قد والله ملئء الحشا
حزناً وان كنت من الصابرين . واني لآلتفت يميناً وشمالاً فلا أجد الا من هو الجدير أن
نمزيه بهذه الخطب . ولكن كيف يمزي المصاب مصاباً . سامعني - حفظك الله - بابطائي
عن تمزيكك فعمدي مثل ما عندك في هذا الأمر ، وأنا أخوك في السراء والضراء ،
وأخوان آخران هما لكم وازئان معنا هذا الأسف ، ومحافظان على آثار هذا السلف ،
عنيت بهما الرفيق الكريم والصديق العميم (٢٦) ، ولقد تشابه علي الأمر ، فان أدري
أبدأ بتمزيتهما أم بمباركة هذا الاخاء ، وتحبيذ هذا اللقاء ، أم بتمزية نفسي لأخذي
سهمين اليمين : العام بفقد الامام ، والخاص بيمدي عنكم أيها الأولياء وتموق هذا الرجاء ،
أم بتمزية العموم أصابهم من ذلك السهم العام . لأترك هذا كله الآن فالبيان لا يواتيني
اليوم ، وأبدأ بأمر واحد غير هذين ، ذلك استمرار الشوق ، ولكن العوائق تتروى ونحن
اليوم في حال حرج كما أسلفت بيانه ، ولكننا لم نزل في موقفنا من الصبر والأناة والثبات
حتى يفل جيش هداتنا جيش ضلالهم ، والله مع الصابرين .

هذا وقد رأيت من الواجبات أن أعلن الأسف لفقد الامام ، لما لمثل ذلك من الفوائد
العائدة للأحياء ، ولما أن ذلك بعض ما يجب في مكافاة الاحسان فعمدت الى موحيات الشعر :

وأخذت نصيبي من لديها كلمات تدل على ما أحس به ، فإن لم ترزق رونق الصبغة الشعرية كغيرها فقد أغناها الله بسلامة الضمير الذي أملاها وأعادها من كلف تلك الزينة التي لا محل لها في هذا المقام . فإن رأى الولي رأيي في اضافتها لغيرها (من المقبولات التي سينشرها في دفتر خاص) فذاك والافرايه الأولى والأعلى ، ولكم التفويض بما ترى الأصلح في أمر التوقيع رمزاً أوتصريحاً ، ولا رأي لي معك في هذا ، ولكن لي أن أقول ان التصريح أقرب نفعاً في اباء الضمير الذي يسومنا آياه أناس لم يرعوا فينا معنى الانسانية ، ولا أخشى في اباء الضمير من مناقشات الحساب ، ولا أرجو في محادة الأثرة الا دار السلام . اللهم ارزقنا السلام وسلم وبارك على الاخوان الكرام (٢٧) .

ب - القصيدة :

وقال العالم الفاضل والكاتب الاجتماعي السيد الشيخ عبدالحميد الزهراوي من علماء حمص (سوريا) (٢٨) .

- ١ - نعى البرق شمس العصر فاستحوذت ظلما وارعدت الالباب اذ امطرت غمما
- ٢ - تواري بعجب الغيب عنا محمد امام الهدى السامي بحكمته العظمى
- ٣ - وآب يوا في الحق في القدس (عبده) وغادر هذي الأرض مستغلفا رسما
- ٤ - وكان بهذي الأرض مفردا الذي بأنواره الحسنى سما قدرها النجما
- ٥ - فياليت شعري كيف يهدأ روعها وقد أزهق الاقطار هذا النبا صدمنا
- ٦ - لقد زاد منه الروح عن فتن هنا شهود جمال القدس في حضرة ثمنا
- ٧ - فما هو الا في معارج بهجة وما الأرض الا تاكل فردا الشهما
- ٨ - وما نحن واجدون لفقده وان كان حيا عندنا هديه الانمي
- ٩ - فنذكره فرحى لرفعة شأنه وحسرى لهذا الكلم ، أصعب به كلما
- ١٠ - ونذكره كي نستضيء بعلمه واعظم بما أبقى الامام لنا علما

★ ★ ★

- ١١ - محمد لا ناسى لفقد سناك بل سناؤك باق بيننا يكشف الظلما
- ١٢ - ولكنها الآمال بت عرى لها نواك ، وكنا نرتجي الزيد والانما
- ١٣ - ودولة جمع بعد فرق اقمتهما نظمت بها الاقوام في ذا الهدى نظما
- ١٤ - فكان بمصر والشام وفارس وفي الهند والأتراك راج لك الدوما
- ١٥ - ولكن لأنواع الظهور مراتب لها أجل يشني الظهور اذا حمنا



- ١٦- محمد لا نقلي وان قومنا قلو
 ١٧- لغلفت نور الشرق خير عصابة
 ١٨- فلييك لا تأسف وهديك بيننا
 ١٩- ورحماك أشرف من علاك عساك أن
 ٢٠- وتهنا اذ يبدو لك الغرس مثمرا
- لنا بلغى الانتكار واستسهلوا الاثما
 ترى نشر هذا النور مفروضا العثما
 لأنك لم تجل العنادس للدهما
 ترى أثر النصح الذي ينهض العزما
 ونورك ما يطفأ ونهجك ما يعمى

★ ★ ★

- ٢١- محمد روح أنت من أمر ربنا
 ٢٢- ليبصر من أعمته أوام من خلوا
 ٢٣- آتيت فاديت الأمانة رافعا
 ٢٤- ورحت الى القدس الذي قد نزلت من
 ٢٥- هنالك زد مجدا ، تبارك مسرة
- لتبرئ باسم الفاطر العمي والصم
 ويسمع مرء من تخبطهم صم
 منار الهدى والعق في دامن عما
 حماه لهذي الدار تستنزل النعمي
 تعاظم بهاء ، طب مجالي ، طب بسما

★ ★ ★

- ٢٦- امام الهدى هذا وداع مفتح
 ٢٧- تذكر فيه النفس يوم مصابها
 ٢٨- وترفع فيه عهدا بمحبة
 ٢٩- وقد تاتسي ذي النفس والصحب كلهم
 ٣٠- فبارك واللق الصبر رب محمد
- له مهجة في حبكم تنكر اللوما
 واعظم به رزما واكبر به خطما
 لعصرة قدس عندها قدرك الاسمي
 بذى الشمس اما صادفت في الضحي غيما
 علينا وهبنا كلنا رحمتي

★ / ★ ★

□ التعليقات :

- ١ - نشر في دمشق عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م بجمع وتحقيق الدكتور جودة الركابي والدكتور جهيل سلطان
- ٢ - انظر مجلة التراث ، العدد ١٥ - ١٦ ص ١٨٤ - التعليق رقم ٣
- ٣ - الدكتور مختار بن اسماعيل الزهراوي ، طبيب لطاسي ولد وتوفي في حمص ١٩٢٧ - ١٩٨٣
- ٤ - عبدالهادي بن عمر الوفاي ١٨٤٣ - ١٩٠٩ له مسرحيات « روايات تمثيلية » نظمها بعد أن تتلمذ على المرحوم ابي خليل القباني ، له كتاب سماه (التاريخ العممي) لا يزال مخطوطا ، ولنوي اخراجه بالتعاون مع الاستاذ دياض البديري - انظر اعلام الادب والفن للمرحوم ادم الجندي ١ : ٤٢
- ٥ - ارخ فيه لمعاصره بأسلوب عامي واتسع في ترجمة أبرز رجال التصوف في عهده وذكر اهم المنجزات العمرانية التي قام بها عبدالحميد الدروبي
- ٦ - ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ١٧٩٠ - ١٨٤٨ فاجمعة على سورية سنة ١٢٤٧ هـ - ١٨٣٣ م فاستول على عكة ودمشق وحمص وحلب ، وهزم جيشا عثمانيا في الاسكندرونه ، وفي سنة ١٢٥٤ هـ - ١٨١٩ م تولى السلطان عبدالحميد فالتق مع الانكليز على اخراج ابراهيم من سورية ، فانهى الامر بخروجه وعودته الى مصر ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م - انظر الاعلام للزركلي ١ : ٩٦ ط ٣

- ٧ - عبد المجيد الأول بن محمود ولد عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١ م ونول السلطنة ولما يبلغ الثامنة عشرة عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٦١ م انظر تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك الهامي : ٢٣٧-٢٨٧
- ٨ - علي نور الدين الشيرطي ، الحسن بن نسا واصلا ، الشاذلي طريقة ومشرية ، ولد عام ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م في مدينة بنزرت في تونس وتوفي في عكا ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م ودفن في زاويته هناك . انظر كتاب : رحلة الى الحق ، تاليف فاطمة الشيرطية الحسنية - مطبعة دار الكتب - بيروت بلا تاريخ . ولي هذا الكتاب ذكر اسم الشيخ مصطفى التروك ص ٣٥١ بوصفه من اتباع الشيخ علي .
- ٩ - في ترجمته التي نشرها الشيخ أحمد نبهان في المآثر المجلد ٢١ ذكر ان الزهرائي : لما اتم السادسة من عمره وضعه والده في المكتب لتعلم القراءة والكتابة والحساب واللغة التركية على يد شيعته الشيخ مصطفى التروك . م ٢١ ص ١٥٠ .
- ١٠ - الكناش : قال الزبيدي في التاج « كمش » : « وهذه الكناشة لأوراق تجعل كالدفتريتيقيد فيها الذوائد والشوارد للخط ، هكذا يستعمله المغاربة ..
- ١١ - محمد خراسان : متفقه على مذهب أبي حنيفة وقارئ . لا يزال حيا .
- ١٢ - محيي الدين بن عربي ، محمد بن علي بن محمد ، أبو بكر الحاكم الطائي الأندلسي ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤٠ م . انظر الاعلام ٧ : ١٧ ط ٣ .
- ١٣ - عبد الغني بن اسماعيل النابلسي ١٥٥٠ - ١١٤٣ هـ = ١٦٤١ - ١٧٣١ م . انظر الاعلام ٤ : ١٥٨ ط ٣ .
- ١٤ - رابعة الطوية ت ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م انظر الاعلام ٣ : ٣١ ط ٣ .
- ١٥ - الحسين بن منصور الحلاج قتل سنة ٣٠٩ هـ = ٩٢٢ م . انظر الاعلام ٢ : ٢٨٥ ط ٣ .
- ١٦ - انظر في وحدة الوجود ما كتبه الدكتور أبو اللاعيفي في مقدمته لكتاب فصوص الحكم لابن عربي ط مصر ١٩٤٦ وما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١ : ١٥٨ وما بعدها ط مصر ١٩٥٤ وما كتبه الشيخ عبد الغني النابلسي في ايضاح المقصود من وحدة الوجود - مطبعة العلم - دمشق ١٣٨٩ - ١٩٦٩ عرض وتعليق عزة حسرة .
- ١٧ - انظر بشأن العقيدة المعهدة ما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١ : ٢٦٦ وما بعدها وانظر شرح فصوص الحكم لعبد الرزاق القاشاني ص ٣٣٦ بعنوان : فصوص حكمة فردية في كلمة معهدة ، ط مصر ١٩٦٦ .
- ١٨ - لان ولادته كانت عام ١٢٨٨ هـ والمطابقة جرت عام ١٣٠٩ هـ .
- ١٩ - انظر العدد المزدوج من مجلة التراث ١٥ - ١٦ ص ١٨٤ .
- ٢٠ - محمد رشيد رضا بن علي ، تلميذ الاستاذ الامام ومؤسس المنار انظر معجم المؤلفين ٩ : ٣١٠ والاعلام ٦ : ٣٦١ ط ٣ ولد السيد محمد رشيد رضا في القلون ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م وتوفي في مصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .
- ٢١ - محمد عبده بن حسن غير الله ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩ م انظر الاعلام ٧ : ١٣١ ط ٣ ، ١٨٤٩ هـ ١٩٠٥ م . وانظر الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام تاليف محمد رشيد رضا .
- ٢٢ - صنف السيد محمد رشيد رضا كتابه تاريخ الاستاذ الامام في ثلاثة مجلدات ، الاول يشتمل على سيرة الاداء الامام تامة ويقع في ١١٠٠ صفحة طبع في مطابع المنار بمصر ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م والثاني يشتمل على مقالات الاستاذ الامام وبعض رسائله وطبع عام ١٣٢٤ هـ - والثالث يشتمل على ما قيل في الاستاذ الامام من المراسي وطبع عام ١٣٢٤ هـ .
- ٢٣ - في نسخة المرحوم مختار الزهرائي : اوتبطا
- ٢٤ - يبدو ان الناسخ (عبدالرحمن) لم تنج له قراءة البيت ، وتوجيه القراءة على النحو التالي : لصاري ثنائي كافي على المبتدأ والطر .
- ٢٥ - المقصود به الشيخ السيد محمد رشيد رضا جامع الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام وهو المقصود ايضا بقوله : الولي الحميم الرشيد الحكيم .
- ٢٦ - انظر انه يريد بهما صديقيه الشيخ احمد نبهان ومحمد الحكيم .
- ٢٧ - تاريخ الاستاذ الامام ٣ : ٢٨٨ .
- ٢٨ - تاريخ الاستاذ الامام ٣ : ٣٩١ .

أحمد أبو خليل القباني الموسيقى

جبرائيل سعادة

يستعمل الباحثون الأجانب عادة ، في عناوين مؤلفاتهم ، عبارة « المدخل الى دراسة » أو « مواد للدراسة » موضوع معين عندما يعتبرون أن مؤلفهم لا يشكل بحثاً نهائياً . ومقالنا هذا ليس إلا مجرد تقديم مواد للدراسة الشاملة التي يجب أن تتناول يوماً أحمد أباً خليل القباني من الناحية الموسيقية .

كتب ونشر الكثير من حياته وإنتاجه الأدبي والمسرحي (١) وكلها أبحاث لا تقدم إلا عرضاً ، بعض المعلومات عن إنتاجه الموسيقي . فما هي المصادر التي يمكن أن نتمتع عليها عندما نحاول معرفة هذا الإنتاج ؟ هناك كتاب يتضمن أكثر من ألف عنوان لمؤلفات ومقالات عن موسيقانا وضع بمناسبة المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد في بغداد عام ١٩٦٤ (٢) ، فإذا عدنا إليه نجد يذكر أبحاثاً عن كبار الملحنين والمطربين أمثال محمد عثمان وعبد الحمولي وسلامة حجازي وسيد درويش ودادو حسني ولا نرى عنواناً واحداً يحمل اسم أحمد أبي خليل القباني . نستطيع أن نقول أنه لا يوجد حتى الآن مؤلف أو بحث خاص بالقباني كموسيقي . فملينا إذا أن نستقي معلوماتنا من مؤلفات عامة تتناول في أحد فصولها . ان الموسيقى المصرية محمد كامل الغلمي هو أول من أشار الى القباني كملحن وذلك في كتاب (٣) نجد فيه تحليلاً لشخصيته الفنية وكلمات عدد من موشحاته (٤) . أما دهم الجندي الذي يعطينا معلومات وافية ودقيقة عن حياته ونشاطه المسرحي فيقدم معلومات سريعة عن مؤلفاته الموسيقية (٥) كما يشير الى نشاطه الموسيقي كل من عدنان بن ذريل (٦) وأحمد الجندي (٧) . ومن بين المصادر التي لجأنا إليها نذكر تلك المجموعات التي تتضمن تنويهاً أي تدويناً موسيقياً لعدد من الموشحات المائدة لثرائنا العربي (٨) .

نستهل بحثنا بلمحة موجزة جداً عن حياة القباني لأنها رويت مفصلاً أكثر من مرة كما أن التناقضات الموجودة حولها في المراجع المختلفة لا تهم مباشرة الموضوع الذي نعالجه في هذا المقال .

□ نبذة عن حياته :

ولد أحمد أبو خليل القباني في دمشق، في حي باب سريجة سنة ١٨٣٣ (٩) وهو ينحدر من أسرة كانت في الأصل تسكن مدينة قونية في وسط تركيا وهاجرت منذ أكثر من قرنين ونصف إلى دمشق واستوطنت فيها . تعلم القراءة في أحد الكتاتيب ومنه انتقل إلى مدرسة ابتدائية ثم صار يحضر حلقات الدروس في المساجد والبيوت . ولما شب احترف مهنة القبان مثل والده وأهله وهذه المهنة هي سبب الكنية التي اشتهرت بها الأسرة .

ظهر ميله للموسيقى منذ صغره وفيما بعد انصرف إلى تلحين الموشحات والمعروف أنه تعلم فنّها وأصول رقص السماح على يد الموسيقي الحلبي أحمد عقيل (١٠) كما أحب ونظم الشعر وبنوع خاص الأزجال للأغاني الشعبية التي أخذ يقوم بتلحينها ، ثم أولع بالتمثيل . فآلف مع بعض أصدقائه فرقة تمثيلية وكان يدرّبهم في منزل جده ويقدم فيه الروايات أو في بيوت أخرى . وفي عام ١٨٧٨ أصبح مبدع باشا والياً على دمشق فلما سمع بما يقوم به القباني في مجال التمثيل استدعاه ونتج عن هذا اللقاء أنه أوّعز للبلدية لأعطائه مبلغ تسماية ليرة عثمانية كي يتسنى له إنشاء مسرح .

عندما أصبح لدى القباني ما يكفيه من المال استأجر مكاناً فسيحاً في حي باب توما وأقام مسرحه في وسطه . فأصبحت الجماهير تقبل إليه لمشاهدة الروايات . وصار القباني يكتب المسرحيات ثم أخذ يدخل فيها العنّاءات تشدّد أثناء التمثيل وهي محاولة لم يسبق لأحد قبله في البلاد العربية أن قام بها فهو حقاً مؤسس المسرح الغنائي العربي . وبعد النجاح الذي ناله تحركت بعض العناصر المحافظة في دمشق لمحاربة « بدعة التمثيل » وسافر إلى الأستانة أحد زعماء هذه الحملة وتمكن من اقناع السلطان عبدالحميد أن الفسق والفجور قد تفشيا في دمشق بسبب روايات القباني فأمر السلطان بمنع التمثيل في سورية وأطلق مسرح أبي خليل . واهتم خصومه هذه الفرصة لاثارة الشارع فهجم بعض المتحمسين على مسرحه وكسروا أخشابه ونهبوا كل ما فيه . وأرادوا أيضاً النيل منه فعلموا أولاد الأزقة الأغنيات العدائية ليشتموه بها كلما صادفوه ومنها هذه الأغنية :

يا مزيف البنات	أبو خليل النشواتي
أرجع لكارك نشواتي	أرجع لكارك أحسن لك
على الكوميداء مين ذلك	أبو خليل مين قال لك
أرجع لكارك قباني	أرجع لكارك أحسن لك

قرر القباني ، على أثر هذه الحملة ، أن يفادر سورية وأن يتابع نشاطه في مصر

سافر اليها في سنة ١٨٨٤ واصطحب معه بعض أفراد فرقته ومجموعة من العازفين والمنشدين . عمل أولاً ، ولفترة قصيرة في الاسكندرية ثم استقر في القاهرة كما كان يتجول أحياناً مع فرقته في بعض المدن كالمنصورة وطنطا والمنيا والفيوم وبني سويف . وكان يقدم الروايات الواحدة تلو الأخرى وقد أمكن احصاء مائة وخمسين حفلة مسرحية قدمها القباني في القطر المصري (١١) . ونالت رواياته شهرة واسعة حتى انه يقال أن عبده الحامولي ومحمد عثمان قدما شيئاً من العانها بين الفصول . وأثناء اقامته في مصر زار دمشق أكثر من مرة كما قام مع بعض أفراد فرقته برحلة الى أمريكا الشمالية سنة ١٨٩٢ ليشارك في معرض شيكاغو حيث قدم عدداً من المسرحيات القصيرة . وفي أواخر مدة وجوده في القاهرة أقدم جماعة من الرعاغ بتعريض من منافسيه على حرق مسرحه وبعد ذلك قرر الانقطاع عن العمل المسرحي وعاد الى دمشق سنة ١٩٠٠ .

يقال أنه بعد عودته الى مسقط رأسه اعتزل الناس وأنه اضطر الى بيع منزله ليعيش من ثمنه . ولما ضاقت به سبل العيش قام جماعة من محبيه بجمع مبلغ كافى من المال وأعادوه الى وضعه وسعوا لدى الدولة حتى خصصت له راتباً مدى الحياة يتقاضاه شهرياً (١٢) وربما تم ذلك على أثر الرحلة التي قام بها القباني في آخر أيامه الى الاستانة وقدم خلالها للسلطان عبدالحميد شيئاً من فنه الفئاني والتمثيلي .

توفي أحمد أبو خليل القباني في دمشق عام ١٩٠٣ (١٣) على أثر إصابته بمرض الطاعون ودفن بمقبرة عائلتها ، في باب الصغير في الميدان .

ان الموسيقار محمد كامل الخليلي ، الذي كان تلميذ القباني وتربط به صلة وثيقة ، وصفه بالمبارات العالية : « كان رحمه الله أنيساً وديماً ذا خلق وسيم وطباع أرق من النسيم ، أديباً ذرب اللسان ، لبيباً لم يختلف في فصاحة الفاظه اثنان ٠٠٠ انه كان خصباً بطريق من طرق الفناء وتفرّد بها تفرد القمر في السماء . فكان بعد انتهاء كل رواية يلقي من القطع الموسيقية شذوراً تنزوا لها الأكباد ويتحرك لحسن وقمها الفؤاد ، حتى أحرزت مصرنا من اقامته فيها فنوناً جزيلة وفضائل جليلة ٠٠٠ ترك خلفه فنوناً تبكيه وتلامذة تراثه ومسرحاً كان بوجوده مجمع الأنس ونادى الهنا والسرور فاذا ما صمد عليه صفق الناس طرباً وانشرحت الصدور » (١٤) .

□ مؤلفاته الموسيقية :

ان احصاء الألحان التي وضعها أحمد أبو خليل القباني ليس أمراً سهلاً وهو يتطلب جهداً ودقة . أما دراستنا هذه فليست سوى محاولة للوصول الى معلومات ان لم تكن كلها ثابتة فهي على الأقل واضحة ، قد سمعنا على قدر المستطاع الى أن نبذل شيئاً من الغموض الذي يسيطر على الموضوع بسبب التناقض الذي يوجد أحياناً بين المصادر المختلفة والذي يوجد بين المصادر والتقليد الشفوي . كان علينا أن نترث عند الرجوع الى معطيات التقليد الشفوي فقد مر على وفاة القباني أكثر من ثلاثة أرباع قرن ولم يبق أحد من

معاصره الذين استمعوا الى انغامه مباشرة ، الأمر الذي يجعل التقليد الشفوي مصدراً لم يكن دائماً موثقاً به فهو ينسب اليه الكثير من الألحان منها ما ليس له علاقة به .

يتألف التراث الموسيقي الذي تركه القبانى من موشحات ومن أغان شعبية ومن ألحان مسرحية وستناولها هنا على التوالي مبتدئين بالموشحات التي هي أهم ما خلفه والمعروف أن الموشح يشكل مثل « الدور » قالباً أساسياً في تراثنا الغنائي .

لقد وضعنا بعد التدقيق والبحث الطويل جدولاً بأربعة وخمسين موشعاً وهو منشور مع مقالنا هذا (١٥) وصنفنا هذه الموشحات فقسمنها الى ثلاثة أقسام . نعدد في القسم الأول الموشحات التي ثبت تلحينها من قبل القبانى . وترد في القسم الثانى بعض الموشحات المنسوبة اليه والتي يرجح أنها من إنتاجه . ونذكر في القسم الثالث الموشحات التي يخيم بعض الشكوك على نسبها اليه كما نذكر موشحات لم تنسب اليه حتى الآن إنما يستحسن التساؤل حول امكانية اعتبارها من وضعه . وقد اتبعنا في وضع الجدول وتصنيفه طريقة تركز على النقاط التالية:

لقد انطلقنا من كتاب محمد كامل الغلمي الذي يشكل بنظرنا المصدر الرئيسى في الموضوع فمؤلفه هو كما ذكرنا أحد تلاميذ القبانى وكان يلزمه طيلة اقامته في مصر فهو بالتالى أكثر من عرف ألحانه . زد على ذلك أن الكتاب طبع بعد وفاة القبانى بسنتين أو ثلاث أي عندما كان تراثه لا يزال معروفاً في الأوساط المهتمة بالفن والموسيقى . في هذا الكتاب عدد من الموشحات يقول الغلمي صراحة أنها للقبانى أو من تلحينه كما نراه يعدد موشحات أخرى يقول أنه تلقاها أو استمع إليها من القبانى وهذا التعبير غير الواضح لا يسمح لنا بأن نجزم بشئ بالنسبة لتلحينها ، فهو يقصد أنها موشحات عرفها أما عن طريق القبانى وهي ليست من وضعه أو يقصد ضمناً أنه لا يعرف من قام بتلحينها . لذلك لم نأخذ بها الا عندما وجدنا براهين أخرى تدل على أنها فعلاً من وضع القبانى .

هناك مصدر آخر كان لا بد من أخذه بعين الاعتبار وهو كتاب سفينة الملك لشهاب الدين (١٦) . انه يتضمن تدويناً لكلمات مائة وثلاثة وستين موشعاً من موشحات تراثنا الموسيقى مع الإشارة الى مقام وإيقاع كل موشح ونعتقد أنها أقدم محاولة من هذا النوع . ورغم أن الكتاب طبع سنة ١٣١١ هـ (أي ١٨٩٣/١٨٩٤ م) ، يخبرنا المؤلف أنه انتهى من كتابته سنة ١٨٤٣ أي عندما كان القبانى طفلاً وهذا يعني أن الموشحات المدونة فيه قد سبقت إنتاج القبانى . لذلك يمكن القول أن كل موشح منسوب الى القبانى يرد ذكره في مجموعة شهاب الدين بنفس المقام ونفس الإيقاع هو ليس من تلحينه ، أما اذا كان له مقام وإيقاع آخران فيجوز لنا أن نتصور أن القبانى وضع لحناً جديداً لأبيات موشح قديم لحنه غيره قبله . مع العلم أن لدينا أمثلة عديدة وحتى في يومنا الحاضر لأبيات قصيدة أو موشح أو أي نوع آخر من الفناء تم تلحينها أكثر من مرة .

ويجب أن نتساءل ما إذا كانت مسرحيات القباني نفسها تشكل هي أيضاً مصدراً يمكن الرجوع إليه في الموضوع الذي نحن بصدده . أننا نجد فعلاً في نص هذه المسرحيات عدداً من الموشحات ، مع إشارة إلى مقامها وإيقاعها ، كانت تنشأ أثناء التمثيل . لا شك أن وجودها ضمن روايات كتبها القباني يجعلنا نميل إلى اعتبارها من تلحينه غير أن من بينها ما هو معروف أنه من تلحين غيره وليس من الغريب أن يكون القباني قد أدخل في رواياته أحياناً كانت شائعة في زمنه ، لذلك عندما نستشهد هنا بهذا المصدر نشير إلى البراهين المعاكسة التي تخفف من قيمته .

أما المجموعات التي ذكرناها والتي تتضمن تنويطاً موسيقياً لعدد من موشحات التراث ، فإلى أي حد تتمتع بقيمة وثائقية بالنسبة لموضوعنا ٠٠٠٩ لا شك أن الذين وضعوها هم أناس يعرفون أمور موسيقنا خير معرفة . لذلك كان علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ما جاء في مجموعاتهم عن ملحنين القطع المدونة غير أننا نراهم في كثير من الأحيان يغفلون اسم الملحن . ولا نعتبر هذا الإغفال برهاناً قاطعاً على أن اسم الملحن غير معروف فربما نتج عن عدم القيام بالتدقيق الكافي لاسيما بالنسبة لأبي خليل القباني الذي يحيط بمؤلفاته ، كما نرى ، جو من الغموض والتناقضات . وقد اتخذنا الموقف ذاته تجاه فرقة الموسيقى العربية التي يقودها عبد الحليم نويرة والتي تذكر تارة وتغفل أخرى اسم الملحن في برامج حفلاتها أو في تسجيلاتها .

وهذه الطريقة التي سلكناها في البحث أوصلتنا إلى النتائج التي نعرضها فيما يلي : نبدأ بالموشحات التي لا يوجد في نظرنا أي شك بأنها من تلحين القباني وعددها اثنان وعشرون (انظر الجدول المرفق : من الرقم ١ حتى الرقم ٢٢) وهي الموشحات التي يقول عنها الغلبي صراحة أنها من تلحين القباني . زيادة في الإيضاح نشير إلى أن هذا القول تثبتته مجموعة سليم الحلواني بالنسبة للرقم ١ ومجموعة تراثنا بالنسبة للرقمين ٥ و ٦ وفرقة نويرة بالنسبة للرقمين ٣ و ٢ ومجدي العقيلي بالنسبة للرقمين ٧ و ٨ . أن وجود كلمات الموشحين رقم ٢٠ و ٢١ في مجموعة شهاب الدين لا يشكل برهاناً معاكساً فهما يظهران فيها بغير المقام وغير الإيقاع الذي يذكرهما الغلبي . أما الموشح رقم ٢٢ فيجب الإشارة إلى بعض الملاحظات المتعلقة به . لقد أحصينا مع موشحات القسم الأول لأن الغلبي ينسب للقباني صراحة . إنما نراه بنفس المقام ونفس الإيقاع في مجموعة شهاب الدين . إلا أن الغلبي يذكر أن للموشح « لحناً آخر مصرياً » غير الذي وضعه القباني وهو الموشح الذي تنشده فرقة نويرة والتي نراها تغفل اسم الملحن . وأخيراً نذكر أن الموشح رقم ٩ يرد في نص رواية « الأمير محمود نجل شاه العجم » والموشح رقم ١٠ في رواية « عفيفة » .

يتضمن القسم الثاني بعض الموشحات المنسوبة إلى القباني والتي يرجح بنظرنا أنها له وعددها اثنا عشر (انظر الجدول : من الرقم ٢٣ حتى الرقم ٣٤) . لم نتردد بادراج الموشحين رقم ٢٣ و ٢٤ في هذه الفئة بالرغم من أنه لا يوجد لهما أثر في كتاب الغلبي ومن أن اسم ملحن أولهما غير مذكور في مجموعة زيدان ومجموعة سليم الحلواني ومن أن اسم ملحن ثانيهما لم يرد في مجموعة رجائي ومجموعة سليم الحلواني . وما ذلك إلا لأن معظم

الأوساط المهتمة بالفن والموسيقى (١٧) وكذلك فرقة عبدالعليم نويرة تنسبهما لأبي خليل وهما من أكثر الموشحات انتشاراً في القطر السوري . ومن جهة أخرى يرد الموشح رقم ٢٤ في رواية هارون الرشيد مع الأمير غانم بن أيوب . أما الموشحان رقم ٢٦ و ٢٥ فتنسبهما فرقة نويرة الى القباني وهما غير مذكورين في كتاب الخلمي ونستغرب كيف أن مجموعة رجائي تنسب الرقم ٢٦ الى سيد درويش فموشحات سيد درويش تم تصنيفها بدقة وأصبحت اليوم مدروسة جيداً . أما الموشح رقم ٢٧ فتمتبر مجموعة تراثنا أنه من وضع القباني بينما يغفل الخلمي اسم ملحنه وهو يرد في مجموعة شهاب الدين بمقام وإيقاع آخرين . لم يذكر الموشح رقم ٢٨ الا في مجموعة سليم الحلواني التي تنسبه صراحة الى القباني . وهناك ثلاثة موشحات (رقم ٢٩ و ٣٠ و ٣١) ينسبها أدهم الجندي (١٨) الى القباني ويثبت ذلك أحمد الجندي (١٩) ، وموشحان (رقم ٣٢ و ٣٣) ينسبهما اليه عدنان بن ذريل (٢٠) ويثبت ذلك بالنسبة للأخير مجدي العقيلي . أما الموشح رقم ٣٤ فينسبه للقباني مجدي العقيلي ويصرح أحمد الجندي (٢١) أنه من أشهر ألحانه مع العلم أن الخلمي لا يقول أنه للقباني بل أنه تلقاه منه .

أحمد أبو خليل القباني : الموشحات

الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل
موشحات ثابت أنها من تلحينه					
١	بزغت شمس الكمال	حجاز	الخلمي ١١٦	الحلو ١١٢	فرقة علي الدرويش
٢	وجنات الفيد	حجاز	الخلمي ١١٦		فرقة نويرة
٣	آه من جور الفوالي	عجم عشيران	الخلمي ١٣٠		فرقة نويرة
٤	بدر حسن لاح	بسته نكار	الخلمي ١٣٤	الحلو ١٤٨	سلامة حجازي
٥	صاح هات الراح	سيكاه	الخلمي ١٢٢	الحلو ١٦١	
٦	يا من رمى القلب وسار	عجم	الخلمي ١٣٠	تراثنا ٢ ١٦٨	
٧	قم ولازم يا معنى	عجم عشيران	الخلمي ١٣٠	تراثنا ٢ ١٩٤	
٨	راق انسي بالندامي	معيتر	الخلمي ١١١	المعقلي ٨٢	
٩	تشنى كفمن رشيق القوام	سيكاه	الخلمي ١٢٢	المعقلي ٨٤	
١٠	هات يا باهي السننا	حجاز	الخلمي ١١٦		
١١	أفرغ الروض علينا	أوج	الخلمي ١٣٢		
١٢	اليوم يا بدري نزيل الهموم	سبا	الخلمي ١٠٨		
١٣	اشطح وهم يا ابن عمي	نهاوند	الخلمي ١٠١		
١٤	أي ظبي لو أعني بعدا	نهاوند	الخلمي ١٠١		

الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل
١٥	بالنهاوند الكبير	نهاوند	الخلعي ١٠١		
١٦	بالله يا باهي الشيم	عجم بوسك	الخلعي ١٣١		
١٧	كيف لا أصبو لمرأها الجميل	شوق افزا	الخلعي ١٣٠		
١٨	بروق مربع النجد	سيكاه	الخلعي ١٢٢		
١٩	سباني مذ بدا باهي المحيا	سيكاه	الخلعي ١٢٣		
٢٠	قم لنحو العان	أوج	الخلعي ١٣٥		
			شهاب الدين ٢٦٧		
٢١	شادن صاد قلوب الامم	عجم عشيران	الخلعي ١٣٠	تراثنا ٢ ١٩٦	فرقة نويرة
			شهاب الدين ٧٣	تراثنا ٢ ٢٠٢	
٢٢	شجني يفوق على الشجون	أوج	الخلعي ١٣٤		
			شهاب الدين ١٧٨		
			زيدان ١٥٢		

موشحت يرجع انها من تلحينه

٢٣	ياغصن نفا مكلل بالذهب	سيكاه	زيدان ٤٠٦	العلو ١٧٦	فرقة نويرة مختلف
٢٤	ما احتيالي يارفاقي	حجاز		رجائي ١٨٧ العلو ١٠٨	فرقة نويرة مختلف
٢٥	رصح اللعين	راست			فرقة نويرة
٢٦	نم دمي عن عيوني	حجاز		رجائي ١٩٣ العلو ١٢٨	فرقة نويرة
٢٧	ادر راحتني	أوج	الخلعي ١٣٣	تراثنا ٢ ١٩٦	
			شهاب الدين ١٧٩		
٢٨	طال ليلى	عراق		العلو ١٣	
٢٩	لاح الثغر نسبي المفتونا		ادم الجندي ٢٥٦		
٣٠	شمس كاس الراح تجلي	عجم			
٣١	رقص البان وهني	حسيني			
٣٢	صفت أوقاتني				
٣٣	يا من جفا وما رحم	بسته نكار		المقيلي ٨٥	
٣٤	عيد المواسم	راست	الخلعي ٩٧	المقيلي ٨٢	

الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل	
موشحات يحتمل أنها من تلحينه						
٣٥	اسمح وجد يا منيتي	حسيني عشيران	الخلعي ١٢٨	الخلو ٩٠	فرقة نويرة	
٣٦	يا ورق بنات اللهو	جهاركاه	الخلعي ١٢٥			
٣٧	الميون النرجسية	حسيني عشيران	الخلعي ١٢٨			
٣٨	حلواشمايل يا قوام البان	صبا	الخلعي ١٠٨			
٣٩	ظبي انس ذو محيا	كردان	الخلعي ٩٧			
٤٠	حب سلمي قد دعاني	بيات	الخلعي ١٠٥			
٤١	أه واشوقي لأوقات الوصال	حجازكار	الخلعي ٩٩			
٤٢	طاب وقتي طاب	صبا	الخلعي ١٠٧			
٤٣	يا روحي وجسماني	حجاز	الخلعي ١١٧			
٤٤	انما أنت قمر	حسيني عشيران	سهاب الدين ٩٧ الخلعي ١٢٦			
٤٥	محبوبي اقتصد نكدي	حسيني عشيران	سهاب الدين ٢٤٩ الخلعي ١٢٩	تراثنا ٢ ٨٠	فرقة نويرة	
٤٦	غصن بان قد تبتدى	حجاز	الخلعي ١١٤	تراثنا ٢ ١٢٤		
٤٧	املالي يا دري	حجاز	سهاب الدين ٢٣ زيدان ١٩٨ الخلعي ١١٥	رجائي ١٨٣ الخلو ١٢٦		
٤٨	بالذي أسكر من عرف اللمي	بيات	الخلعي ١٠٤	رجائي ١٦٩		
٤٩	ان هذا اليوم يبتدى	أوج	سهاب الدين ٢٩٧ زيدان ٥٢	الخلو ٨٣ تراثنا ٤ ١٧٦		
٥٠	هل يرى في الناس مثلي	حجاز	نجم ١٨٤ الخلعي ١١٥	سلامة حجازي		
٥١	هجرني فدعني بالبعاد	حجاز	سهاب الدين ٢٣٩ الخلعي ١١٤			
٥٢	يا نسيما الصبا	أوج	سهاب الدين ٢٣٦ زيدان ٣١ الخلعي ١٣٢	رجائي ٣٩		سلامة حجازي سيد الصفتي
			سهاب الدين ١٧٨ زيدان ٤٠٠	تراثنا ٢ ١٢٨		

الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل
٥٣	ياغزالا قد أعار الطيبي تكحيل	حجاز	الخلعي ١١٤ شهاب الدين ٢٢٨ زيدان ٤٠٠	الحلو ١١٧	
٥٤	بدري أدر كأس الطلي	حجاز	الخلعي ١١٣ شهاب الدين ٢١٨ زيدان ٥٩	الحلو ١١٥	

يتألف القسم الثالث من تصنيفنا من الموشحات التي يحتمل أن تكون من وضع القباني وعددها عشرون (انظر الجدول :من الرقم ٣٥ حتى الرقم ٥٤) ونعتقد أنه لا يمكن البت بأمرها بشكل قاطع ونهائي الا اذا ظهرت وثائق وبراهين جديدة في الموضوع واذا تذكرها هنا فلتسهيل مهمة الذين سيحاولون من بعدنا متابعة دراسة الموشحات المنسوبة الى القباني لمعرفة التي لحنها فعلا . هناك أولا ستة موشحات (من الرقم ٣٥ حتى الرقم ٤٠) لا نعرف شيئا عنها سوى أن الخلعي « سمها » أو « تلقاها » من القباني وكذلك الموشح رقم ٤١ غير أن هذا الأخير يرد في رواية « عفيفة » . أما الموشح رقم ٤٢ الذي « تلقاه » الخلعي من أبي خليل فهو بمقام يختلف عن الذي دونه سليم الحلو وتنشده فرقة نويرة ويقول الخلعي بخصوص الموشح رقم ٤٣ أنه سمعه من القباني ويضيف أن له تلحيناً مصرياً آخر ويستنتج من ذلك أن الموشح المذكور سوري المنشأ وهو يختلف من حيث المقام والایقاع عن الذي نراه في مجموعة شهاب الدين ويبدو أنه الموشح المصري المشار اليه . كذلك ان الموشح رقم ٤٤ الذي سمعه الخلعي من القباني هو غير الذي يرد بمقام مختلف في مجموعة شهاب الدين . والموشح رقم ٤٥ الذي سمعه الخلعي من القباني موجود في رواية « عفيفة » ومدون دون ذكر اسم الملحن في مجموعة تراثنا . الموشح رقم ٤٦ الذي نراه هو أيضاً في رواية « عفيفة » يرد دون ذكر اسم الملحن في الخلعي والمصادر الأخرى وله مقام آخر في مجموعة شهاب الدين . والموشح رقم ٤٧ موجود في الرواية نفسها واسم ملحنه غير مذكور في كتاب الخلعي وفي مجموعة رجائي . أما الموشح رقم ٤٨ فهو يظهر في رواية « الأمير محمود نجل شاه المعجم » ولا تذكر كل المصادر اسم ملحنه . يرد الموشح رقم ٤٩ في رواية « عفيفة » وليس له أثر في كل المراجع . ان الموشحات رقم ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ترد في رواية « عفيفة » ويرد الموشح رقم ٥٤ في رواية « هارون الرشيد مع الأمير غانم بن أيوب » ولا تذكر كل المصادر بما فيه كتاب الخلعي ، اسم ملحنها بينما نراه بنفس المقام ونفس الايقاع في مجموعة شهاب الدين ، لذلك يصبح الاحتمال بأن تكون هذه الموشحات الخمسة للقباني ضعيفاً جداً .

وإذا انتقلنا من الموشحات الى الأغاني الشعبية نرى انها تحتاج هي أيضا الى بحث دقيق . من المعروف أن القباني قد اهتم بهذا النوع من الغناء غير أنه ليس لدينا معلومات واضحة الا عن أغنيتين فقط . الأولى هي أغنية « يا مسعدك صبحية » من مقام الصبا وهي كثيرة الذبوع في مدينة حلب ويذكر حبيب زيدان في مجموعته ٢٢ انها من ألحان القباني . أما الأغنية الثانية فهي « يا طيرة طيري » المشهورة في سائر المدن السورية وطابعها الدمشقي واضح . وفؤاد محفوظ الذي دونها موسيقياً (٢٣) يقول انها للقباني . ونعتقد انه لا يوجد أي اثبات بالنسبة لأغنيات شعبية أخرى تنسب عادة اليه مثل : « يا مال الشام » و « بلبل عالشجر غنى » .

أما بالنسبة الى موضوع ألحان القباني المسرحية . فلا شك أن اهتمامه بالموسيقى والغناء كان لا يقل عن اهتمامه بالمرح وعلى ذلك أكثر من برهان : فرواياته مليئة بالقطع الغنائية وقد رأينا أنه لما هاجر الى مصر اصطحب معه ، علاوة على الممثلين مجموعة من المازفين الماهرين (٢٤) وان الموسيقى تار محمد كامل الخلعي انضم اليها والمعروف أيضاً أن عبده الحامولي غنى في بعض مسرحياته (٢٥)، الأمر الذي يبين الأهمية التي كان القباني يملقها على الغناء عند عرض رواياته .

وإذا ألقينا نظرة على القلم المعدة للغناء في مسرحيات القباني علاوة على الموشحات ، نلاحظ أولاً وجود عدد من القصائد، منها قصائد معروفة من الأدب العربي (بنوع خاص لبهاء الدين زهير) ومنها قصائد تتعلق مباشرة بموضوع الرواية ويبدو انها من نظم القباني كما نرى أناشيد ومقاطع شعرية يطلق المؤلف عليها اسم « لحن » ويشير الى أن على « المجموعة » أي على « الكورس » انشادها ، كما أن بعض حوارات الرواية كانت هي أيضاً ملحنة (٢٦) . كل هذا يضاف على مسرحيات القباني طابع « الأبريت » أي الرواية الغنائية .

ما هي أنغام هذه المقطوعات المهيأة للغناء في مسرحياته ؟ من الطبيعي اننا لا نستطيع معرفتها وهي لم تسجل على الاسطوانات ولم تدون موسيقياً ولم يبق أحد من الذين استمعوا اليها . ان محمد كامل الخلعي ، الذي يقول انها وضعت بمناسبة مناظر ومواقع في التمثيل ، يعلق عليها بالعبارات التالية : « شهد من قبل أكابر الموسيقيين وفطاحل الملحنين بما له من بديع التلاحين الرقيقة لأناشيد الطرب الأنيقة ما يزري برنة الدنار ويذهب بصوت الناي والأوتار ويطوح بالهموم والأترار ويفضي بلذته عن الراح . فكم له من قطعة رافعة للتدور ومدحة شارحة للصدر ومرتبة مبكية للعيون ومقطعات مختلفة الفنون » (٢٧) . هذه شهادة من كان يعتبر نفسه تلميذاً للقباني وحضر معظم مسرحياته .

مهما يكن من أمر فأحمد أبو خليل القباني هو الذي أوجد المسرحية الغنائية في الوطن العربي وله يعود الفضل في تدعيمها ونشرها وقد فتح الطريق التي سار عليها من بعده سلامة حجازي وسيد درويش وفي يومنا الحاضر الأخوان رحباني .

□ احياء تراثه :

الى أي حد لا يزال تراث أحمد أبي خليل القباني حياً ؟ هل مؤلفاته الموسيقية ، باستثناء عدد ضئيل منها ينشد من حين إلى آخر ، أصبحت عبارة عن وثائق تحفظ في « أرشيف » تاريخ موسيقانا كالمقطع الأثرية في المتاحف ؟

هنا يطرح سؤال أساسي : إلى أي حد باستطاعتنا معرفة هذا التراث ؟ لا شك أن احصاء المؤلفات التي يتألف منها أمر ضروري لكن الأهم هو أن نعرف فعلاً ألحان هذه المؤلفات وهذا لا يتم إلا إذا كانت القطعة إما مدونة موسيقياً أو مسجلة . لذلك لا بد من القيام بنظرة عامة على مؤلفاته لنسرى وضمها من هذه الناحية .

إذا تأملنا تلك الموشحات التي اعتبرنا أن تلحينها من قبل القباني ثابت ، نلاحظ أن ثمانية منها فقط (الموشحات رقم ١ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٢١ و ٢٢) تم تنويعها موسيقياً . أما بالنسبة للتسجيل فنعرف أن فرقة علي الدرويش سجلت الموشح رقم ١ (والتسجيل محفوظ في إذاعة دمشق) وفرقة عبد الحليم نويرة الموشحات رقم ٢ و ٣ و ٢٢ كما سجل الموشح رقم ٤ على اسطوانة بصوت سلامة حجازي . فمن أصل اثنين وعشرين موشحاً يبقى اثنا عشر بدون تدوين أو تسجيل . أما الموشحات التي يرجح أنها لم توجد تنويعاً موسيقياً لسبعة منها (الموشحات رقم ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٣ و ٣٤) وقد سجل الموشح ٢٣ كل من فرقة نويرة وفرقة سليم سحاب وعدد كبير من المطربين وسجل الموشح رقم ٢٤ مطربون كبار أمثال أبو العلام محمد ونادرة وماري جبران وكذلك فرقة نويرة وعدد كبير جداً من المطربين المعاصرين ويوجد تسجيل للموشحات رقم ٢٥ و ٢٦ من قبل فرقة نويرة . يبقى من هذه الفئة أربعة موشحات (من رقم ٢٩ حتى ٣٢) من أصل اثني عشر بدون تنويع أو تسجيل . أما الموشحات المشكوك بامر تلحينها فمن أصل عشرين موشحاً يبقى اثنا عشر بدون تنويع أو تسجيل . وبهذه المناسبة نذكر أن عدنان بن ذريل يروي أن في حوزة نديم الدرويش « نوطات » لما يقارب أربعة عشر موشحاً لأبي خليل القباني دونها موسيقياً والده الموسيقار الكبير علي الدرويش وهي غير معروفة وغير متداولة (٢٨) ولا شك أن نشرها ضروري جداً عساها تلقي بعض النور على الأمور التي لا تزال غامضة بالنسبة لتراث القباني (٢٩) .

أما من ناحية الأغاني الشعبية فإن أغنية « يا مسعدك صبحية » سجلت على الاسطوانات بصوت عدد من المطربين القدماء أمثال عبد العلي حلمي وداود حسني وأحمد الدريس وعلي عبد الباوي . كما لأغنية « يا طيرة طيري » عدد كبير من التسجيلات الحديثة وهي كما ذكرنا مدونة موسيقياً . أما الألحان المسرحية فنعتقد أن ستار النسيان قد أسدل عليها والأمل ضعيف في أن يتم يوماً أي اكتشاف بخصوصها (٣٠) .

إن أحمد أبي خليل القباني هو عميد الموسيقى في سورية وهو كما ذكرنا مؤسس المسرح الفئائي في الوطن العربي (٣١) فهو علم من أعلام الحضارة العربية الحديثة غير أن تراثه يحتاج إلى عناية كبيرة ، ويتطلب إقامة مؤسسة خاصة لهذا الموضوع كالمؤسسات

التي تحدث في أوروبا لكبار الفنانين والأدباء والعلماء أو على غرار « جمعية أصدقاء سيد درويش » الموجودة في مصر . ونلخص فيمايلي مهمة هذه المؤسسة .

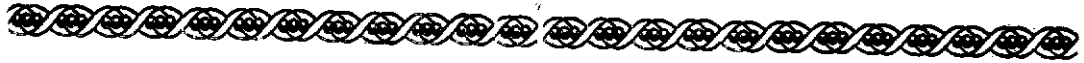
يجب تجميع كل ما يمكن تجميعه من مخطوطات ووثائق ومعلومات مختلفة تتعلق بانتاج القباني الأدبي والموسيقي واقامة مكتبة تضم المؤلفات والمقالات المتعلقة به لتصبح مرجعا لكل من يريد دراسته . كما يجب السعي لاحصاء مؤلفاته الموسيقية بطريقة علمية ثم القيام بتنويط أي بتدوين ألحانه موسيقيا ونشرها والقيام بطبع مسرحياته التي لا تزال مخطوطة . ومن الضروري خلق جو من الاهتمام بالقباني بشتى الوسائل اما بالتأليف الأدبي(٣٢) أو بالسعي مع الاذاعات العربية والنوادي والمعاهد الموسيقية الى نشر ألحانه وتنظيم الاحتفالات والمهرجانات التذكارية المختلفة (٣٣) .

لقد ذكرنا أن بعض العناصر الدمشقية تمكنت في عام ١٨٨٤ من اقناع السلطان عبدالحميد باغلاق مسرح القباني ومنعه من التمثيل وعلى أثر الحملة التي تعرض اليها في مسقط رأسه غادر سورية . فهل نطرد القباني مرة ثانية باهمالنا لتراثه العظيم ؟ نحن اذن مدعوون لمحو الغلطة الكبيرة التي ارتكبناها عام ١٨٨٤ عندما جعلنا فنانا كبيرا من قطرنا يفادرننا ليبرز مواهبه بفيءنا ، وبذلك نبرهن أن سورية العربية تعرف اليوم كيف تكرم عباقرتها .

جبرائيل سعادة

□ الهوامش :

- ١ - داجع شاكر مصطفى : « القصة في سورية » ١٩٥٨ ص ١٨٩ - ٢٠٢ ، ابراهيم تروزي ، مجلة « المجلة » العدد ٦٣ نيسان ١٩٦٢ ، محمد يوسف نجم : « الشيخ احمد ابو خليل القباني » بيروت ١٩٦٣ ، عدنان بن ذويل : « المسرح السوري منذ ابي خليل القباني الى اليوم » دمشق ١٩٧١ ص ١٩ - ٣٧ .
- ٢ - عبد الحميد العلوجي : « رائد الموسيقى العربية » بغداد ١٩٦٤ .
- ٣ - محمد كامل الخلمي : « كتاب الموسيقى الشرقي » القاهرة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ .
- ٤ - نزي أيضا كلمات بعض موشحات وأهاني القباني في حبيب زيدان : « مجموعة الاغاني الشرفية القديمة والحديثة نيويورك » .
- ٥ - ادهم الجندي : « اعلام الادب والفن » الجزء الاول دمشق ١٩٥٤ ص ٢٤٩ - ٢٥٦ .
- ٦ - عدنان بن ذويل : « الموسيقى في سورية » دمشق ١٩٦٩ .
- ٧ - احمد الجندي : « رواد النغم العربي » دمشق ١٩٨٤ ص ١٩ - ٣٥ .
- ٨ - فؤاد وجاني ونديم الدرويش : « من كنوزنا : في الموشحات الاندلسية » حلب ، سليم العلو : « الموشحات الاندلسية » بيروت ١٩٦٥ ، اللجنة الموسيقية العليا : « تراثنا الموسيقي : من الاقدار والموشحات » (٤ اجزاء) القاهرة . يوجد أيضا تدوين موسيقي لعدد من الموشحات في مجدي العقيلي : « السماح عند العرب » الجزء الثاني ص ٦١ - ٩٤ .
- ٩ - ادهم الجندي ص ٢٤٤ ، شاكر مصطفى ص ١٨٩ ، عدنان بن ذويل ١٩٧١ ص ١٩ ويقول محمد كامل الخلمي ص ١٣٧ انه ولد عام ١٨٤٢ .
- ١٠ - محمد كرد علي : « خطط الشام » مكتبة الزوري دمشق ١٩٨٣ الجزء الثالث ص ١٠٠ ، داجع أيضا ادهم الجندي ص ٣١٩ ، ممدوح الجباري : « الموسيقي في حلب » ، مجلة الممران العدد ٢٠/٢١/٢٢ ص ٢٨٥ .
- ١١ - نجد قائمة بهذه الحفلات مع تاريخ ومكان كل منها في كتاب محمد يوسف نجم ص ٤٠٣ - ٤١٠ .



- ١٢ - أحمد الجندي ص ٣١ .
- ١٣ - هناك بعض التناقض بالنسبة لتاريخ وفاته ناتج عن التقييدتين المؤرختين المكتوبتين على شاهدة قبره . وقد كتب على اسفل الشاهدة انه توفي في غرة شهر شوال سنة ١٣٢١ هـ أي في ٢١ كانون الأول ١٩٠٣ (راجع أحمد الجندي ص ٣٤٠) بينما يقول محمد كامل الغلمي (ص ١٤٠) انه مات ليلة ٢٧ رمضان ١٣٢٠ هـ أي في ٢٨ كانون الأول ١٩٠٢ . ونقرأ في مقال راتب حداد : « أبو خليل القباني في الذكرى الـ ١٥٠ لميلاده » (مجلة هنا دمشق العدد ١٧٧ ، ١٣/١٢/٨ ص ٢٩) انه توفي في كانون الثاني ١٩٠٢ .
- ١٤ - محمد كامل الغلمي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
- ١٥ - ان المراجع ترد في هذا الجدول بشكل مختصر ويمكن معرفتها بشكلها الكامل بالرجوع الى الهوامش التي ترافق المقال (فعلى سبيل المثال نقول ان كلمة « الغلمي » تشير الى كتاب محمد كامل الغلمي المذكور اعلاه وكذلك تدل عبارة « تراثنا ٢ » على الجزء الثاني من مجموعة « تراثنا الموسيقي من الادوار والموشحات » التي اتينا ايضا على ذكرها) اما عبارة « فرقة نويرة » فالمقصود بها فرقة الموسيقى العربية التي يشرف عليها عبدالعليم نويرة . وكلمة « مختلف » تعني ان الموشح سجل من قبل عددا من المطربين ومن جهة اخرى قد رقمنا الموشحات لتسهيل عرض البحث واختصاره .
- ١٦ - محمد بن اسماعيل شهاب الدين : « سفينة الملك ونفيسة الملك » ١٨٩٣ - ٩٤ .
- ١٧ - راجع مثلا بالنسبة الى الموشح رقم ٢٣ ، ادهم الجندي ص ٢٥٥ .
- ١٨ - ادهم الجندي ص ٢٥٠ و ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
- ١٩ - أحمد الجندي ص ٣٣ .
- ٢٠ - عدنان بن ذريل ١٩٦٩ ص ١٣٩ .
- ٢١ - أحمد الجندي ص ٣٤ - ٣٥ .
- ٢٢ - حبيب زيدان ص ٣٩٨ .
- ٢٣ - فؤاد محفوظ : « الاغاني الشعبية العربية عبر التاريخ » ص ٢٤ .
- ٢٤ - نرى اسماءهم في ادهم الجندي ص ٢٥٣ - ٢٥٤ وعدنان بن ذريل ١٩٧٢ ص ٣٣ .
- ٢٥ - محمد يوسف نجم ص ٤٠٥ و ٤٠٧ .
- ٢٦ - صميم الشريف : « الاغنية العربية » دمشق ١٩٨١ ص ١٧٣ .
- ٢٧ - محمد كامل الغلمي ص ١٣٨ .
- ٢٨ - عدنان بن ذريل ١٩٦٩ ص ١٣٩ .
- ٢٩ - لا نستبعد ان تكون هنالك بعض الموشحات غير المدونة او المسجلة معروفة من مطربين لا سيما القدماء منهم . فيبدو مثلا ان الموشح رقم ٢٩ معروف من قبل المطرب نجيب السراج (راجع ادهم الجندي ص ٢٥٥) .
- ٣٠ - ولكن ليس هذا الامل مفقودا نهائيا . نذكر بهذه المناسبة ان متحف التقاليد الشعبية (قصر العظم) في دمشق قد حصل على مجموعة من الاسطوانات التي من النوع القديم (المصنوعة من المعدن وذات شكل اسطواني) كانت ملك هاني بن نوري الكيلاني من حماء ومسجل عليها عدد من الاغنيات بصوت مطربين لقدماء لم يوجد لها أي تسجيل على اسطوانات عادية ومن بينهم الموسيقار الكبير محمد عثمان . فهل يأتي يوم تظهر فيه تسجيلات من هذا النوع لا تحان غير معروفة للقباني .
- ٣١ - في كتابه « رواد المسرح المصري » يذكره محمد كمال الدين بين الرواد الذين طوروا المسرح في وادي النيل .
- ٣٢ - لا شك ان مسرحية سعد الله ونوس : « سهرة مع ابي خليل القباني » ، دمشق ١٩٧٣ قد أسهمت في احياء ذكره .
- ٣٣ - من الغريب ان يكون غاب عن ذهن سورية ان تعال في العام الماضي ، بالذكرى المائة والخمسين لميلاد القباني (راجع بهذا الخصوص راتب حداد ، ص ٢٨ - ٢٩) .

الأسطول الفاطمي

التواني بوبكر

تمتع البحر المتوسط منذ أقدم العصور الى الوقت الحاضر بموقع جغرافي فريد من نوعه ، جعله مطمع كل قوة تبقي لنفسها الازدهار والسلطان في هذا المجال البحري ، وعلى الرغم من هذا لم تستطع أية قوة أجنبية أن تنال الغلود الذي تمتع به العرب باستقرارهم على شواطئ هذا البحر .

فكم من حضارة قامت على جواب هذا الحوض المائي الهام ، وازدهرت ، وبلغت ذروتها . . ثم أتى عليها الزمن ، فاندثرت واندثرت ، وأصبحت أثراً بعد عين ا وكانت الحضارة العربية نفعاً فريداً خالداً بين أترابها، وما زالت أقدام بني يعرب راسخة ممتدة الجذور الى يومنا هذا في رقعة شاسعة تضم شواطئ الشام ومصر وأفريقية ، بما يعادل نصف شواطئ المتوسط^(١) . ويمزى سر هذا الخلود الى أن العرب اتخذوا أهبتهم لامتناء ثبح أمواجه وفق خطوات منظمة مدروسة بعيدة عن الارتجال والقوضى ، وذلك منذ أن لامست أقدامهم مياهه في القرن السابع الميلادي حاملين راية الاسلام^(٢) .

وسرعان ما اشتد عود الأسطول العربي القتي ، فهزم بحرية الروم ، وانتزع منها سيادة البحر المتوسط الذي زالت عنه صفة (بحر الروم) ، وغدا بحيرة عربية اسلامية بالنسبة لهذا البحر مثل سلطان الفاطميين في شمال افريقية ، ثم في مصر والشام فيما بعد ، قمة المجد العربي البحري ، حيث بدأ عصر سيادة الأساطيل العربية في المتوسط بلا منازع ، واستطاعت الدولة الفاطمية الناشئة أن تتبوأت تلك المنزلة السامية في تاريخ البحرية العربية

بسبب نشأتها وترعرعها في بيئة بحرية خالصة ، شاهدت منذ أقدم العصور أقوى الأساطيل وأشهر أمراء البحار الذين عرفهم التاريخ^(٣) .

ومن المعلوم أن الفاطميين قضوا على الأغالبة، وورثوا ملكهم في (رقادة)^(٤) وصراعهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط . كان هذا الصراع قد ازداد حدة وغنفاً بعد فتح المسلمين لصقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، فأُست منذ ذلك الحين إحدى القواعد الهامة لانطلاق الجيوش الإسلامية^(٥) . ولما جاء الفاطميون ضاعفوا من ذلك النشاط ، ولم يكتفوا بموقف الدفاع وصد الهجمات ، بل وقفوا موقف الهجوم ، وحاولوا كسب مراكز جديدة لأنفسهم كانوا يهدفون الى تكوين امبراطورية قوية ذات قواعد عسكرية برية وبحرية ، كي يتمكنوا من أخذ زمام المبادرة وحماية دولتهم من أي خطر مهما كان مصدره ، ومن الطبيعي أن تجعلهم هذه السياسة مهتمين بالأسطول البحري وانشاء الموانئ الهامة كالمهدية^(٦) وغيرها ، واقامة دور صناعة السفن على اختلاف أحجامها ، والبحث عن المواد الأولية كالأخشاب . وبرزت عنايتهم بالجيش البحري من حيث التدريب والعدد والعدة ، وأغدقوا الأموال والهبات على رجاله ، ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم وبعث روح الحماسة في نفوسهم ، وبذلك يكونون طوعاً وإرادة الخليفة ، ومتفانين في مهامهم العسكرية.

وفي الوقت نفسه اهتم عبدالله المهدي بجزيرة (صقلية) ، ودعم سلطانه فيها ، ورأى في الاحتفاظ بها سبيلاً لتحقيق أهدافه في انشاء امبراطورية عظيمة في المتوسط ، ففيها كنوز طبيعية مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص ، وهي منطقة زراعية خصبة مطاء، تنتج التفاح والبندق والجوز والقسطل . ويتصدر ذلك كله صلاحيتها قاعدة لأسطول كبير . وكل أولئك يدعو الى الاستقرار والاستفادة مما تتمتع به هذه الجزيرة حيث وجد الفاطميون في حيازتهم شمال افريقية وصقلية موارد ساعدتهم على بناء أسطول قوي يحقق لهم تنفيذ مشاريعهم البحرية^(٧) .

واستهل الأسطول الفاطمي الوليد نشاطه المبكر في حوض البحر المتوسط الغربي بتدعيم ملك الفاطميين بشمال افريقية وبسط سيطرتهم على ما جاورهم من الجهات الساحلية التي دأب أهلها على الشغب والثورات . وقد واجه الأسطول الفاطمي أثناء تحقيق هذه المهمة أسطول الأندلس ومحاولاته المتكررة للاغارة على ممتلكات الفاطميين^(٨) ، فامارة الأمويين بالأندلس أزعجها قيام سلطان الفاطميين على مقربة من ديارهم ، وارتابت من أهداف

الفاطمين التوسعية . وبلغت شدة خوف الأمويين مبلغاً جعلهم يتحالفون مع الروم والفرنجة ضد الأسطول الفاطمي . فهناك من ذكر أن عبدالرحمن الناصر حسن علاقته مع صاحب بروفانس الذي كان حاقداً على الفاطميين بسبب غزوهم لموانيه كجنوة ، كما تحالف مع امبراطور بيزنطة قسطنطين الثامن (٣٤٩-٤١٩ هـ / ٩٦١-١٠٢٨ م) الذي كان يأمل في استرجاع صقلية وغيرها من المراكز البحرية التي كانت في أيدي خصومه الفاطميين^(٩) . وإمعاناً في محاربة الفاطميين عمل الناصر على تحسين علاقاته بالإخشيديين في مصر ، حتى انه أرسل بعض مراكبه الى الاسكندرية بقصد محاربة أسطول الفاطميين . ولما أيقن الاخفاق في ذلك أمر بلعن الخليفة الفاطمي على منابر الأندلس ، وكتب بهذا الى جميع العمال بقصد الحط من قيمة الفاطميين^(١٠) .

أما مع الروم فقد جرد الفاطميون حملاتهم العسكرية ضد أولئك الأعداء^(١١) في كل فرصة سائحة طيلة عهدهم في المرحلة المغربية ، فهذاعبدالله المهدي يتابع هجماته عليهم سنين عديدة من المهديّة أو صقلية ، حيث توجهت حملة بحرية من الميناء الأول بقيادة صابر الفتي ، وذلك في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٩ م ، وعدتها أربعة وأربعون مركباً ، مخرت عباب اليم حتى وصلت صقلية^(١٢) ، ومنها شنت غاراتها على سواحل الروم ومدنهم ، فقتلت الكثير ، وغنمت ، وعادت الى قواعدها سالمة^(١٣) ، ثم أعاد صابر الكرة في السنة التالية من صقلية أيضاً ، فافتتح عدة مواطن رومية ، واستولى على ما فيها ، وأجبر أصقاعاً أخرى على مصالحته بأموال ودياج وثياب ، وعاد بجيشه الى صقلية مركز انطلاقه^(١٤) ، ثم أعاد الكرة سنة ٣١٧ هـ / ٩٣١ م ، فالتقى في البحر بسبعة مراكب للروم ، وهو في أربعة ، فهزم خصومه ، وفتح وسبى سبباً كثيراً ، ورجع الى المهديّة^(١٥) . وبذلك سن المهدي لمن جاء بعده سنة توجيه الحملات البحرية من المهديّة^(١٦) وصقلية ضد الموانئ الرومية . وكان ولاية صقلية يساهمون مساهمة فعالة في هذا المجال نظراً لمركز ولايتهم الاستراتيجي ومكافآت أسطولها البحري . وخير مثال على ذلك الحملة التي قادها يعقوب بن اسحق في آخر حياة عبدالله المهدي ، ففتحت جنوة وسردانية^(١٧) . وقد قال آدم متر عن اتصال الأسطول الفاطمي بالحوض العربي للبحر المتوسط منذ عهد عبدالله المهدي وسيطرته على مياهه ما نصه^(١٨) : « ولم يكن لأوروبا سلطان على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر الميلادي ، فقد كان بحراً عربياً . وكان لا بد لمن يريد أن يقضي نفسه أمراً أن يخطب ودالعرب كما فعلت نابولي وغيته وأما القتي » .

ويظهر أن الملاحة الأوربية نفسها كانت - في ذلك العصر - على حال يرثى لها من الضعف ، ففي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م استطاعت مراكب عبدالله المهدي الفاطمي أن تغزو جنوب فرنسا ومدينة جنوة وأن تنهبها ، وأن تفعل مثل هذا بمدينة ييزا في عامي ٣٥١-٣٥٤ هـ فهذا النصر يبين لنا مدى ثقل وطأة الأسطول الفاطمي على أساطيل أوروبا وتحكمه في لبحر المتوسط ، وأن سلطة الفاطميين في المغرب تمثل قمة المجد البحري الاسلامي في البحر المتوسط وعصر سيادة الأساطيل الاسلامية لهذا البحر (١٩) .

وظل الاهتمام بالأسطول متواصلاً وكبيراً في عهد أبي القاسم محمد القائم ، بل بلغت قوته شأواً بعيداً ، وتفاقم خطره على الأساطيل البيزنطية ، حيث ضاعف من غاراته عليها من موانئ المغرب وثغوره ، ومن صقلية أيضاً . ولعل قلة الثورات الداخلية في بداية عهده تركت له مجالاً للاهتمام بحرب الروم والعناية بالأسطول أكثر من أيه . ويقول ابن خلدون بهذا الصدد (٢٠) : « وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون بأساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة فتقلب بالظفر والغنيمة كما وقع في أيام بني الحسن ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيدين ، وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجباب الشالي الشرقي ، وأساطيل المسلمين قد ضريت ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الكثير من بسيط هذا البحر عدة وعدداً ، واختلقت في طرقه سلباً وحرباً ، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح . حتى اذا أدرك الدولة المبيدية والأموية القتل والوهن مد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وقريطش ومالطة ، فملكوها ، ثم ألحوا على سواحل الشام » . فهذا النص يبين لنا مدى الدور الخطير الذي شغله الفاطميون في الدفاع عن المغرب الاسلامي والمتمثل في رد غزوات الروم .

أما في عهد المعز لدين الله فقد كان للبحرية الفاطمية شأن يذكر في بلاد المغرب ومصر ، حيث اتخذ هذا الخليفة من المهديّة مرفأ رئيساً ومن سوسة وغيرها من الموانئ أماكن تأوي اليها سفنه، ولا تغلو اذا قلنا: ان المعز لدين الله، بفضل أسطوله القوي ، جعل غربي البحر المتوسط بحيرة فاطمية (٢١) ، وذلك نظراً لقلة الاضطرابات الداخلية في عهده ، وبفعل سياسة اللين والتفتح التي اتجهها - أحياناً - مع الثائرين . ولذا وجد المجال متسعاً للاهتمام بالأسطول حيث اتخذ من المراسي المختلفة مأوى لقطع هذا الأسطول . وعمل المعز جاهداً على تحصين موانئه ، حتى انه قال : (٢٢) « لئن امتد المقام هنا - أي في المنصورية - لنجرين

البحر بحول الله وقوته الينا في خليج حتى تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا » . ولا شك أن هذا يدل على مدى عنايته أكثر من أسلافه بالجيش البحري حيث أراد أن يجعل من المنصورة ميناءً ثالثاً من حيث الأهمية بعد المهدية وسوسة (٢٣) . وقد كثر في عهده المحارس والثغور مثل سبتة ومليلة ووهران وجزائر بني مرغنة وبجاية وجيجل وسكيكدة وبونة ومرسى الخزر وبزرت وتونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وطرابلس وبنغازي، حتى بلغ عددها على ما روي أكثر من عشرة آلاف حصن مبنية بالحجارة والكلس وأبواب الحديد (٢٤) .

ولا عجب أن وجدنا هذا الأسطول يمثل العامل الأكبر في انتصارات الفاطميين البحرية، ويعود إليه الفضل في تزويد جوهر بالامدادات أثناء فتحه مصر (٢٥) . ونلاحظ تقدماً ملموساً في قوة الأسطول الفاطمي في عهد المعز بما في ذلك القطع البحرية العاملة بالمغرب الأوسط (٢٦) . يمكننا أن نوجز أهم العوامل التي ساعدت على نمو الأسطول وقوته فيما يلي :

١ - صلاحية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب وكثرة موانئه ، ووجود أحواض لبناء السفن مثل المهدية وسوسة وبونة (عناية) ومرسى الخزر ، والقالة وبجاية وغيرها ، وتوفير المواد اللازمة لبناء السفن كالأخشاب التي تصنع منها ألواح السفن ، والحديد الذي يوجد في صقلية وبونة وبجاية والإربس . بالإضافة إلى القطر والجمال (٢٧) .

٢ - وراثة الفاطميين لأسطول قوي عن الأغابة ، يعود تاريخ نشأته إلى عهد حسان بن النعمان (٧٥-٧٨ هـ / ٩٦٥-٩٦٨ م) ، حيث عملوا على تنميته وتطويره ، ولم يدؤوا من الصفر في هذا المجال (٢٨) .

٣ - وجد الفاطميون بين أهل المغرب اطارات ذات كفاية عالية، عارفة بالملاحة والأمور البحرية ، ولها خبرة ودراية في هذا المجال منذ عهد الفينيقيين ، فكان هذا أحد العوامل في قوة بحريتهم ونجاحها (٢٩) .

٤ - يعتبر مركز صقلية البحري الهام من العوامل التي ساعدت على قوة الأسطول وتحكمه في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وقد أصبحت محطة بحرية هامة للمسلمين منذ أن فتحت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م على يد أسد بن الفرات (٣٠) .

٥ - هذا ويمكن أن نعتبره تأصل فكرة الجهاد عند الفاطميين وتطلعهم إلى التوسع شرقاً وغرباً ، وخوفهم من الخطر الخارجي المتمثل في الروم بصفة خاصة من أهم الحوافز

التي جعلتهم يعنون أشد العناية بأمور الأسطول حتى تكون لهم قوة بحرية قادرة على تحقيق آمالهم في توسيع رقعة دولتهم ورد الخطر الخارجي المسيحي كما ذكرنا .

٦ - غني المعز بالأسطول أكثر من أسلافه لأنه كان يهدف الى تكوين قوة بحرية كبيرة يسيطر بها على حوضي البحر المتوسط الغربي والشرقي على السواء ، ويقارع بها كلاً من الأمويين والروم في الحوض الأول ، والعباسيين في الحوض الثاني . كما كان ينوي أن يتخذ من سواحل مصر والشام جسراً يعبر منه الى بغداد^(٢١) .

٧ - ومما زاد من قوة الأسطول في عهد المعز وراثته لأسطول الإخشيديين . فبعد فتحه مصر وجد بين المصريين جنداً أكفاء في ميدان الملاحة النهرية والبحرية معاً . وبعد فتح مصر والشام حقق ما كان يطمح اليه في هذا المجال حيث امتد نفوذه البحري من سبته غرباً الى أنطاكية شرقاً ، بالإضافة الى الموانئ المطلة على المحيط الأطلسي . وبذلك بلغ الأسطول في عهده ذروة مجده^(٢٢) .

والى هذا الأسطول الفاطمي يرجع فتح مصر في أسرع وقت ، فقد كان همزة الوصل بين جيوش جوهر الغازية وبين المعز في المغرب . وفي حراسة هذا الأسطول كانت الامدادات تصل الى جوهر في سهولة ويسر . وقد اتخذ المعز في بعض المدن المصرية دوراً لصناعة السفن ، فانشأ في المقص دار صناعة ضخمة ، وصفها المسيحي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٤٢٠ هـ بقوله^(٢٣) : « انه لم يثر مثلاً فيما تقدم كبراً ووثاقة وحسناً » . وقال ابن أبي طي^(٢٤) : « لم يثر مثلاً في البحر على ميناء » . ويظهر أن المعز لم يهمل دار صناعة الفساطح التي كانت تسمى « دار صناعة مصر » ، كما غني بإقامة دور صناعة السفن في مواني مصر الهامة كالاسكندرية ودمياط^(٢٥) .

ولم يكن بناء السفن في مصر راجعاً الى خوف المعز من غارات الروم والقرامطة على مصر والشام فحسب ، بل كان ذلك راجعاً الى رغبته في بسط نفوذه على البلاد التي قد يتخذها الأعداء طريقاً يغيرون منه على مصر . بالإضافة الى ما كان يهدف اليه المعز لدين الله من اتخاذ مصر والشام قنطرة يعبر منها الى بغداد حاضرة العباسيين في ذلك الحين^(٢٦) . أضف الى ذلك أنه حرص على أن تكون لأسطوله السيادة والتفوق على سائر أساطيل البحر المتوسط . ولا غرو فقد دخلت في حوزة المعز لدين الله - بعد أن تم له فتح مصر والشام -

البلاد الواقعة على البحر المتوسط من أنطاكية الى سبته ، ووقعت في يده موانئ المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي^(٣٧) .

ومن ثم ملا المعز كثيراً من موانئ الشام الهامة ، مثل صور وعكا وعسقلان ، بالسفن الكثيرة المختلفة الأنواع وأهمها الشلنديات^(٣٨) والشنواني^(٣٩) الحربية والمسطحات^(٤٠) والطرادات^(٤١) والعشاريات^(٤٢) والحراقات^(٤٣) . وقد رأينا موقف أسطول المعز من صور وسواها في حروبه مع الروم ، كما رأينا كيف اتخذ جوهر من عكا وعسقلان مستودعات للامدادات التي كانت تتدفق على جيوش الفاطميين في بلاد الشام ، حتى ان قواد المعز اتخذوا منها أماكن يفرون إليها مع جندهم من وجه أعدائهم ، ولا سيما القرامطة^(٤٤) .

ولاهية السواحل الشامية في نظر المعز كان يعين عليها قواداً وولاة ، ليكون الاتصال محكماً بين مصر وبلاد الشام ، وقد قدرت سفن الأسطول الفاطمي التي بنيت في دور الصناعة المصرية بأكثر من ستمائة قطعة مختلفة الأشكال والأحجام ، على حين بلغ عدد السفن في أواخر عهد الدولة الفاطمية مائة قطعة فقط^(٤٥) .

وهكذا استغل المعز لدين الله موقع مصر والشام الاستراتيجي ، فكون أسطوله الشرقي الضخم ، ولو قدر له البقاء طويلاً ، لكان هذا الأسطول أكثر ضخامة وأبعد أثراً . وقد وصف المقرئ عناية المعز بالأسطول بهذه العبارة^(٤٦) : « لما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاثمائة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد ، وقويت العناية بالأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله ، وأنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد ، واعتناء بالأسطول ، وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط ، من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات وتسيرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان ، وكانت في أيام المعز تزيد على ستمائة قطعة » .

وكان للأسطول أمير يدعى « قائد القواد » ، وقد سمي بذلك لأنه يرأس عشرة قواد ، كما كان يطلق عليه « أمير الجيش » و « المستوفي »^(٤٧) . وقد بلغ من عناية المعز ومن جاء بعده من الخلفاء بالأسطول أن الخليفة كان ينفق عليه في غزواته بنفسه ، ويساعده وزيره أو يقوم مقامه . ولم يكن بحارة الأسطول في مرتبة واحدة ، فهناك جماعة كانت تتقاضى راتباً قدره ديناران ، وأخرى تتقاضى ثمانية ، وثالثة عشرة دنانير ، ورابعة خمسة عشر ديناراً ، وخامسة عشرين ديناراً ، وسادسة خمسة وعشرين ديناراً . أما أمير الأسطول أو

«مُقَدَّمَةٌ» فكان من كبار الأمراء والأعيان، وهو أمر لا بد منه على حد قول المقرئ ، ان يقوم على الأسطول كبير من الأعيان من أمراء الدولة وأقواهم^(٤٨) . كما كان الخليفة يقطع رجال الأسطول اقطاعات عرفت باسم « أبواب الغزاة » . وكان قائد الأسطول يشرف عليه، ويتناوب القواد العشرة الاشراف العملي ، فيأتمر الجميع بأمر القائد الذي تؤول الرئاسة اليه^(٤٩) .

ولكي يشجع الخليفة رجال الأسطول أو الغزاة - كما كانوا يسمونهم - كان يترك لهم من الغنائم المال والثياب والمتاع ، ولا يستبقي سوى الأسرى والسلاح . وكانت الفسطاط من أهم مراكز الأسطول ، وكان الخليفة يشاهد بنفسه حفلة النفقة على الأسطول عند خروجه ، ويبارك رجاله ، ويدعو لهم بالتوفيق، كما كان يحضر حفلة استقباله عند عودته . وقد بلغ اهتمام الخلفاء الفاطميين بالأسطول أنهم اتخذوا لهم « منظر »^(٥٠) بالمقاص ، يحتفلون فيها بتوديع الأسطول واستقباله ، ويتضح ذلك من هذا الوصف الشيق الذي أورده المقرئ^(٥١) : « ويتولى الخليفة بنفسه بحضور الوزير . فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة .. فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ، وفيهم من كان يتعيش بمصر والقاهرة ، وفيهم من هو خارج عنهما ، فيجتمعون ، وكانت لهم المشاهرة والجرايات في مدة أيام سفرهم ، وهم معروفون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء ، واحدهم نقيب » .

وكان رجال الأسطول يشغلون مكانة سامية بين موظفي ديوان الجيش ، ولا غرو ، فان صاحب ديوان الجيش ، وهو المستوفي ، كان أمير الأسطول . وبذلك وضع المزمز لدين الله أساس نظام البحرية في مصر^(٥٢) ، ونهج نهجه من جاء بعده من الخلفاء ، الا أنهم لم يصلوا بالجيش والأسطول الى ما وصل اليه المزمز .

وليس أدل على اهتمام المزمز بالأسطول من اعتماده على « ديوان الجهاد » أو « ديوان الممائر » كما كانوا يسمونه في تنظيم شؤون الأساطيل ، ووقف الأموال الضخمة للاتفاق على الأسطول ورجاله . وكثيراً ما كان المزمز هذا الديوان بالعطايا والهبات من بيت المال .

وكذلك عني المزمز بالأسطول التجاري لينقل السلع المصرية الى البلدان الأخرى ، ويعود محملاً بالسلع من هذه البلدان^(٥٣) . وقد أصبح للفاطميين أسطولان تجاريان ، أحدهما في البحر المتوسط ، والآخر في البحر الأحمر ، فكانت الاسكندرية ودمياط في مصر،

وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام ، من أهم الموانئ الفاطمية^(٥٤) في البحر المتوسط ، كما كانت عيذاب من أهم موانئ البحر الأحمر، وكانت مزودة بأسطول حربي يقوم على حماية الأسطول التجاري والقضاء على اللصوصية في هذا البحر^(٥٥) .

وقد عني الخليفة المعز «بديوان الاقطاع» الذي كان تابعا «لديوان الجيش» ، وكان عمل صاحبه مقصوراً على النظر في الاقطاعات التي اقتطعها رجال الجيش وخاصة الممتلكات الكثيرة التي كانت تابعة للاخشيديين من قبل^(٥٦) .

وصفوة القول : إن المعز لدين الله نهض بالجيش والبحرية نهضة مباركة مشهودة ، كان لها أثر بعيد المدى فيما قام به الفاطميون من فتوح وما نالوه من انتصار وظفر . وما كان هذا ليتم الا باستخدام المقاتلين الطرق العلمية في المجال البحري ، وبما تهيأ لهم من عدة وأسلحة ، في مقدمتها النفط الخاص باحراق مراكب العدو . كما استخدموا الكلاب الحديدية التي ترمى على سفن العدو بقصد اغراقها أو العبور اليها بواسطة الألواح الخشبية والبلاليم ، كما استخدموا السيوف ومختلف الأسلحة الخفيفة^(٥٧) ، وقد بلغت قطع الأسطول الفاطمي بالمغرب ما يزيد على ثلاثئة ، كما بلغت في عهد المعز بمصر أكثر من ستمائة قطعة^(٥٨) . لكن شأن الأسطول أخذ بالضعف والتدهور في آخر عهدهم حيث وصل الى مائة وعشرين سفينة فقط .

ومما تقدم يتجلى لنا أن الفاطميين عتوا عناية كبرى بالأسطول ورجاله في المغرب وبعد رحيلهم الى مصر ، واحتل رجاله مكانة بارزة في ديوان الجيش وبذلك سطر الفاطميون صفحة زاهية مشرقة في التاريخ العربي ، وبناوا لنا مجداً تليداً ابعث منه عقب البطولة وأريج الجهاد .

★ ★ ★

□ هوامش :

١ - ماجد عبد المنعم : الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي ص ٢ Atlas geologique d'Algerie, P. 35 .

٢ - البكري : المغرب ص ٣٧ حسن حسني عبد الوهاب . بساط العقيق ص ٤٩ .

٣ - ماجد عبد المنعم : ص ٢ - ٣ Gautier : le passé de l'Afrique, p. 52 .

٤ - القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٢٢ ، ٢٣١ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٠ - ٤٧ . المقرئ : اتصاف ١ ص ٨٦ - ٨٨ .

٥ - الادريسي : المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨ - ٣١ . ابن الأثير : ج ٧ ص ٥ - ٧ . موريينو : المسلمون في صقلية

ص ١١ - ١٢ . Gorges M. : l'Architecture musulmane, p. 324 .

٦ - احمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ص ٧٢ - ٧٣ .
٧ - البكري : المغرب ص ٢٩ العمري المطار ص ١٧٢ . ياقوت الحموي : المعجم ج ٥ ص ٢٣ .
Encyclopédie de l'Islam, p. 329.

- ٨ - حسن ابراهيم حسن وآخر : المغز لدين الله ص ١٧٨ .
٩ - ارشبالد اويس : القوى البحرية في البحر المتوسط ص ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ .
١٠ - ابن حوقل : صورة الأرض ص ١١٧ وما بعدها . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠ .
١١ - ميخائيل اماري : المكتبة العربية الصقلية ص ٩١ . Histoire de l'Afrique du nord, p. 412 .
١٢ - ابن هذاري : البيان ج ١ ص ١٩٢ . Grand l'Arousse, p. 512 .
١٣ - نفسه ج ١ ص ١٩٢ . Le passe de l'Afrique du nord, p. 427 .
١٤ - نفسه ج ١ ص ١٩٤ .
١٥ - ياقوت الحموي معجم ج ٣ ص ٢٠٩ . حسن ابراهيم حسن : عبدالله المهدي ص ٢٠٢ .
١٦ - آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٤٢٦ ارشبالد لويس المرجع نفسه ص ٢٣٥ .
١٧ - صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض المتوسط ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ .
١٨ - نفسه .
١٩ - المقدمة ص ١٥٠ - ١٥٢ .
٢٠ - ابن خلدون : المقدمة ص ١٥٠ - ١٥١ . Golvin : Le Magreb centrale à l'époque, p. 249 .
٢١ - مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٧٧ .
٢٢ - النعمان : المجالس ص ٥٩٢ . العبادي : ص ٧٢٠ . l'Architecture musulmane, p. 412 .
٢٣ - حسن ابراهيم حسن : المغز لدين الله ص ١٨٥ . Histoire de l'Afrique, p. 329 .
٢٤ - البكري : المغرب ص ٣٧ - ٥٥ - ٦٤ - ٦٥ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ . حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق ص ٥٢ .
٢٥ - حسن ابراهيم حسن وآخر ص ١٨٥ - ١٨٦ .
٢٦ - البحرية الجزائرية : نشر المكتبة الوطنية الجزائرية ص ٢٧ .
٢٧ - مختار العبادي وآخر : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٧١ - ٧٢ الى ٧٦ .
Le passe de l'Afrique du nord, p. 412 .
ابن هذاري : البيان ج ١ ص ١٠٢ . حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق ص ٤٩ - ٥٠ .
عبدالله عثمان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٢٦ - ١٢٧ .
٢٨ - العبادي : البحور الاسلامية ص ٧٧ - ٧٨ .
٢٩ - ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ . المالكي : رياض النفوس .
٣٠ - مختار العبادي : البحرية الاسلامية ص ٩٨ - ٧٠ . Grand L'arousse, p. 521 .
٣١ - ابن هذاري : البيان ج ١ ص ١٨٠ . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٦١٤ - ٦١٥ .
ارشبالد لويس : ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
سرور : سياسة الفاطميين الفارسية ص ٢٢١ .
محمد صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ١١٧ .

- ٣٢- ابن الأثير الكامل ج ٧ : ٣١ • ابن حماد : تاريخ بني عبيد ص ٤٠ ، البداية والنهاية ج ١ ص ٢٦٦ • حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٣ - ٨٤ • صابر دياب ص ١٠٢ •
- ٣٣- حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٣ - ٨٤ • صابر دياب : النظم الإسلامية ص ٥٢١ •
- ٣٤- المقرئزي : خطط ج ٢ ص ١٩٥ •
- ٣٥- ابن كثير ج ١ ص ٢٦٦ • المقرئزي خطط ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ •
- ٣٦- الطبري ج ٦ ص ٢٥٧ • النعمان : افتتاح الدعوة ص ٣٢ - ٥٤ • ابن الأثير : الكمال ج ٧ ص ١٤٧ - ١٦١ • ابن هذاري : البيان ج ١ ص ١٧١ - ١٨١ • *Encyclopédie de l'Islam, pp. 13-19* .
- ٣٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ٧٦ - ٧٧ •
- ٣٨- مفردا شلندي ، من المراكب المسطحة ، وتغنص بعمل العتاد والرجال • مختار العبادي وآخر : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ٣٥ - ٣٦ • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٢ • إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٦ •
- ٣٩- مفردا شونه • وهي سفن كبيرة بها أبراج كبيرة ، تشبه البوارج الحربية في يومنا هذا ، وبها آلات الهجوم والدفاع • ماجد المرجع نفسه • مختار العبادي وآخر المرجع نفسه ص ١٣٦ • محمد صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية ص ١٠٧ • *Dozy T.I. 717* .
- ٤٠- نوع من السفن •
- ٤١- واحدها طراد : وهي من السفن الصغيرة القوة السريعة ، تعمل الواحدة منها نحو مئة فارس • العبادي وآخر ص ١٣٥ • حسن إبراهيم حسن وآخر المرجع نفسه ص ١٨٦ •
- ٤٢- من القوارب النهرية التي استخدمها الفاطميون في غزواتهم البحرية واحدها عشري •
- ٤٣- تلي الشواني في الضغامة ، وتعمل المنجنيقات وغيرها من معدات الهجوم • مختار العبادي : المرجع نفسه ص ١٣٤ • حسن إبراهيم حسن وآخر المرجع نفسه ص ١٨٧ • محمد صابر دياب : نفسه ص ١٠٨ - ١٠٩ •
- ٤٤- المقرئزي : خطط ج ١ ص ١٩٣ • سهيل زكار : القرامطة ص ٣٩٣ وما بعدها •
- ٤٥- خطط المقرئزي ج ٢ ص ٩١٣ • حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٦ - ١٨٧ •
- ٤٦- خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٤٧- المقرئزي خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٤٨- نفسه •
- ٤٩- نفسه •
- ٥٠- حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ١٨٨ • ماجد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص ٧٩ •
- ٥١- حسن : نظم الفاطميين ص ٢٧١ •
- ٥٢- خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٥٣- تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ١٨٤ • رابع بونار : المغرب العربي ص ١٨٧ •
- ٥٤- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ١٤١ • ماجد المرجع نفسه ج ١ ص ٢٢٧ •
- ٥٥- صابر محمد دياب : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٠٧ - ١٠٨ •
- ٥٦- انظر م - ١ - م مقال الاخشيدي ص ٥١٢ • *Gobrin : Le Magreb, p. 570* .
- Gautier. Le passé, p. 412. Dozy supplement aux dictionnaires Arabes, p. 67, leir l'Espagne, p. 332
- ٥٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ١٤١ • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٧ •
- ٥٨- المقرئزي : خطط ج ٢ ص ١٩٣ • حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٦ - ٨٧ •

□ تثبيت المصادر والمراجع :

- ١ - آدم مئز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (جزآن) ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، طبع لجنة التأليف والترجمة ط ٣ القاهرة ١٣٧٧ هـ .
- ٢ - الادريسي : الشريف الادريسي المتولي (٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م) وصف الفريقية الشمالية والصعراوية تصحيح ، هنري بروس ، الجزائر ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .
- ٣ - ارشبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠ م) ترجمة أحمد عيسى ، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٤ - ابن الأثير : أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) .
- ٥ - الكامل في التاريخ (٨ أجزاء) نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م / .
- ٦ - ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل اللصبي (ت ٣٦٧ هـ) كتاب صورة الأرض ، بيروت مكتبة الحياة .
- ٧ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) المقدمة والكتاب ، نشر دار الكتب اللبنانية - بيروت ١٩٦٧ م .
- ٨ - ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين بن محمد بن أبي بكر (٦٨١ هـ / ١١٨١ م) وفيات الأعيان ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، دار الثقافة - بيروت .
- ٩ - ابن سعد : هريب بن سعد القرطبي المتولي سنة ٣٨٠ - صلة التاريخ الطبري القاهرة ، دار الاستقامة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م / .
- ١٠ - ابن سعد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى المتولي (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ط ١ ، نشر المكتب التجاري المغرب في حلي المغرب (جزآن) تحقيق شوقي ضيف (ط ٢ ، نشر دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٤ .
- ١١ - أبو الفداء : العافظ بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) .
- ١٢ - البكري : أبو عبدالله بن العزيز بن محمد لصحب العافظ (ت ٤٨٧ هـ) المغرب في ذكر بلاد الفريقية والمغرب ، تحقيق فوسلان - بغداد نشر مكتبة المثنى - جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن العجي - بيروت - طبعة سنة ١٣٨ هـ / ١٩٦٨ م / .
- ١٣ - بونار : رايح : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٦٨ م .
- ١٤ - ثابت بن سنان وابن المديم : تاريخ أخبار القرامطة وترجمة الحسن الأعصم ، تحقيق سهيل زكار - دار الأمانة ، بيروت سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م / .
- ١٥ - الجوزي : أبو علي منصور العيزي « أواخر القرن ٤٨٥ هـ » سيرة الأستاذ جودر تحقيق محمد كامل حسن ، ومحمد عبد الهادي شعيرة ، طبعة الاعتماد ، مصر ١٩٤٥ م .
- ١٦ - جولييان : شارل أندريه : تاريخ الفريقية الشمالية ، تعريب محمد مزالي ، البشير بو سلامة طبع السداد ١٩٦٩ م .
- ١٧ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ط ٢ مكتبة تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٣ أجزاء) ط ٦ مكتبة ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٨ - المهدي امام الشيعة الاسماعيليه ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب (بالاشتراك مع الدكتور طه أحمد شرف) مكتبة النهضة القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- ١٩ - حسن علي إبراهيم : تاريخ جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ، القاهرة عام ١٩٦٣ م .

- ١٩- العموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله العموي الروي البغدادي التسولي (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) مجمع البلدان (٥ أجزاء) بيروت ١٩٥٥ م .
- ٢٠- الديباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت ؟) كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (٤ أجزاء) المطبعة العربية بتونس ١٣٢١ .
- ٢١- دياب : صابر محمد : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الثاني الهجري ، حتى نهاية العصر الفاطمي ، نشر عالم الكتب ط ١ القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٢٢- سرور : محمد جمال الدين : سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٢٣- سالم : السيد عبد العزيز : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) طبع الدار القومية القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٤- ماجد : عبد المنعم : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - القاهرة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م .
- ٢٥- ماجد : عبد المنعم : علي البنا : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى - القاهرة ط ٢ - دار الفكر عام ١٩٦٧ م .



Dozy, R.

- 1 — Supplement aux dictionnaires Arabes Paris 1967.
- 2 — Gaulhier E. F.
Le passé de l'Afrique du nord petite Bibliothèque, Paris 1952.
- 3 — Golvin L.
Le Maghreb central à l'époque des Zirides Mitiers graphiques, Paris 1957.
- 4 — Julien ch. André
Histoire de l'Afrique du nord. payot, Paris 1931.
- 5 — Marcais Gorges
L'architecture Musulmane d'occident : Tunis - Algerie Maroc Espagne et sicile, Paris 1954.
- 6 — Provençal levi.
L'Espagne musulmane aux X^{ème} sicile institution et vie social larosse, Paris 1932.
- 7 — Atlas géologique de l'algerie Redigé Par Stephon - Gazelle Adolph jourdon
Imprimeur librairie Educateur Alger 1911.
- 8 — Grand larousse Paris 1960 - 1961 - 1962 - 1963.
- 9 — Encyclopédie de l'Islam, Paris 1913 - 1934 - 1954.

السوط والحب !!

نذير الحسامي

أيها السوط يا أخي في يد الجلاد بل يا أخي مهلاً .. رويدا
سامني الخسف فانتفضت فمررت فكانت لظاك ناراً وقيدا
لست في كفه وترمقني شزراً وتبدو علي أكثر حقدا
ذقت عدوانه وذقتك لكن كنت منه على رفيقك أهدى
إذا نلت منه ألفاً غلاظاً نلت من قبضتيك ألفين عدداً ؟
وإذا ضامني به العسف واشتد على جانحي كنت أشدا ؟
أنتم سيدان ؟ أم سيد شاهك عبداً لتمسخ الحر عبدا ؟
أصغر للكبرياء تتلو الأناشيد على كل لسعة منك جليدا
أنت مني .. من دمع جلدي أساقبك وتمسي لي العدو الألبدا ؟
في جراحي سرحت ماذا بهالعت أنكرت بي على الموت جليدا ؟
أشمت غير رائحة الود لمن خائني على القرب وددا ؟
السطور العمر التي منك في ظهري سلاماً كانت عليك وبردا ؟

والندوب التي اكتويت' بها منك أباتت على حناياك تندي ؟
صديء الحب في فؤادك هل كان بغير الخنوع والذل يصدا ؟
إذا لم أبلّ حذك من دممي رماك الطاغوت جمرأ وحدا ؟
يا أخي الصنير نسجك من لحمي فمن ذا يكون بعدي بُردا ؟
كفّ لؤم الزمان في غمرة الليل ائتلاقي فغاب نجمي وأكدي
وعلاني عبد النذالة بالسوط جريحاً فثار جرحي وقدا ؟
يا رداء الباغي وراء الدياجي سوف يردّي الباغي وما يتردّي
كيف عاديتني وصافيت من لم تك سيفاً له ولم تك غمدا ؟
أصنير مع الصنير الذي عربد كفراً وزاد بالسوط جنّدا ؟
لا تمرّ بحمّة المار جفنيك ولا تنقلب مع الوغد وغدا
عُدّ بلحمي وعُدّ إليّ بما مزقتّ منه إن كنت تملك عودا
ردّ لي ما أخذت من دمي الحر امتهاناً إن كنت تستطيع ردا
ادّني مني إنني وهبتك ففراني عطياء إليك لن يُستردا
كن بجنبي أخاً وذق طعم عهدي وتطهّر يداً وروحاً وكبدا
كن زنادي في الليل يُقدح للساري واشتد فيك جنحاً وزندا
كن ضمادي إذا تفجّر عرق من شفاه الصباح يطلب وعدا
ستراني غداً أزحزح ليلاً كان بي يوم كنت بي مستبدا !

نذير الحسامي

بريده في ١٤/٨/١٩٨٣

مآني الموسوس من أشعر الناس .. ولكن !

عادل العامل

تصادف الباحث المتقصي لأشعار الأقدمين صعوبات جمة ناجمة عن الدمار الذي أصاب تراثنا الفكري ، لأسباب مختلفة ، وضياح دواوين عدد كبير من الشعراء الذين لم يبق من شعرهم غير أبيات متناثرة في كتب المؤلفين القدماء . هذا إضافة إلى ضياع أغلب هذه الكتب المخطوطة أو تشتتها في أماكن متباعدة من العالم ، في المتاحف والمكتبات العامة والشخصية ، واقتنار العديد من الكتب التراثية المطبوعة التي الفهرسة الفنية الجيدة التي تسهل على الباحث مهمته الصعبة . وتزداد هذه المهمة صعوبة وتعقداً عندما يتعلق الأمر بواحد من أولئك الشعراء المقلين أو المغمورين لأسباب لا تتعلق بالقدرة الفنية ، في الغالب .

ولم ينل شاعرنا الموسوس هذا ما ناله أولئك من عاديات الزمن والظروف المعقدة المحيطة بمهمة استقصاء حياتهم ونتائجهم الشعري فحسب ، بل وكانت لمسيرة حياته وحالته النفسية المضطربة آثار سلبية أخرى جعلت شعره يتعرض للضياع فقط ، بل وللنسخ والنحل والتبعثر ، أيضاً .

فكل ما نعرفه من شعر مآني الموسوس وأخباره مستمد من الفترة التي عاشها في بغداد بعد قدومه من مصر ، وطنه الأصلي، وهي فترة قصيرة قد لا تتجاوز عشر سنوات إلا قليلاً . وقد قضى هذه الفترة مضطرب الحال ، وهو يماني من السوداء وعيث الصبيان به ، ومن الجوع والغربة والاهمال .

ولم يكن يعني الرواة والمحدثين من أمر هذا الشاعر وغيره ممن وصفوا بالوسوسة والجنون والحق من الشعراء الخارجين على مألوف الناس ، سوى الشعر المقترن بالنادرة

والموقف المضحك ، يتحدثون به أو ينقلونه الى خليفة أو أمير أو وزير ليزدادوا به حظوة لديه وينالوا جائزة أكبر .

وهكذا اختلطت أخبار مثل هؤلاء الشعراء وأشعارهم بعضها ببعض ، وتمددت رواياتها واختلفت بتعدد الراويين واختلاف الأزمنة والأمكنة ، فنسب لبعضهم ما لم يقله أصلاً أو ما قاله غيره ، وحرّفت الأشعار بحيث تتفق والرواية التي أحسن الراوي صياغتها وأعدّها وفقاً للغرض المقصود .

وكان بعض الرواة يجد حرجاً ، كما يبدو ، في ذكر اسم قائل الشعر فيغفله في مؤلفه ، أو أنه يتحدث عنه للآخرين ولكنه يتعاشى ذكره في مؤلفاته . وهذا ما لاحظته لدى أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، الذي تروى عنه أحاديث كثيرة عن ماني الموسوس وأشعاره ، وكان معاصراً له ، في كتب كالأهاني والعقد الفريد ، ولكنه لا ينسب ببنت شفة عنه في مؤلفه الجامع (الكامل في اللغة والأدب) ، على سبيل المثال !

وهناك الكثير من الأشعار والحكايات المنسوبة لمجانين صادفهم المبرد وغيره ، من غير أن يذكر اسم قائلها أو نسبت الي « آخر » أو « بعضهم » وما شاكل ذلك ، يجد المرء فيها مزاج ماني وطابعه الشعري ، ولكن لا يمكن الجزم في أمر قائلها للعشابه الكبير بين أمزجة هذه الفئة من الناس والسمات الفنية لأشعارهم .

□ اسمه وشهرته :

هو محمد بن القاسم ، وكنيته أبو الحسن ، المصري (١) . وهذا ما أجمعت عليه الروايات في المصادر المتوفرة ، التي تتفق جميعاً عند اسم أبيه ، لا تتجاوزوه الى ما يلقي ضرماً على نسه وأسرته والمدينة التي قدم منها في مصر .

أما (ماني) فلقب غلب عليه ، كما يقول صاحب الأهاني (٢) ، وبعضهم يقيد به بتشديد النون ، على حد قول ابن حجر المسقلاني (٣) ، ويرد في بعض الروايات (مان) ، من غير ياء ، (الماني) أحياناً ، كما في (معاشرات الأدباء) (٤) للراغب الأصفهاني .

ولكننا لم نعثر على ما يفسر سبب تلقيبه بهذا اللقب . ومن المرجح أنه أطلق عليه في بغداد ، حيث استقر بقية عمره . اذ أن أحداً لم يكن مطلعاً على الفترة الماضية من حياته قبل قدومه بغداد ، والمنتقل الى بلد آخر لا يشيع عن نفسه ، في العادة ، القاباً ليس فيها ما يعزز مكانته الاجتماعية ، مهما كانت طبيعة هذا الشخص .

و (ماني) ، في اللغة ، اسم فاعل من (مني) أي قدّر (٥) . وجاء في (التهذيب) : و حتى تبين ما يمني لك الماني . أي ما يقدر لك القادر (٦) . فالماني هو القادر (٧) . و (ماني) ، في السير ، هو ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة (٨) ، ولا ندري ، على كل حال ، ان كانت لشاعرنا علاقة بهذا المذهب فأطلق عليه اسم صاحبه

من قبيل التشبه . ولكنني أعتقد أن الأمر لا يتمدى كونه قد بدأ بمزحة أريد فيها مداعبة الشاعر أو التقليل من شأنه استهزاء به ، ثم التصق به اللقب بقية عمره .

كما يكتنف الغموض الظروف التي أدت إلى إصابته بالوسوسة ، التي هي مرض يحدث من غلبة السوداء ويغتلطمعه الذهن « (٩) » وهي « أدنى حالة وأهونها من الجنون » (١٠) . وعلى كل حال ، فإنها حالة تتسم بشدة حساسية المرم لأخطائه الخاصة وصرامته الأخلاقية ، كما يصفها علماء النفس ، ويشترك في ذلك جميع المصابين بالوساوس (١١) . وهذا ما كان عليه ماني الموسوس ، كما يبدو من موقفه الدوقى والأخلاقي إزاء موجودات الحياة وعلاقاتها الاجتماعية والعاطفية .

وترد هذه اللفظة ، الموسوس ، بكسر الواو الثانية ، كما في (الأغاني) وأهلب المصادر ، وتعني الذي تمتريه الوسواس ، أو الذي « أصيب في عقله وتكلم بغير نظام واختلط كلامه ودهش » (١٢) . ويوردها بعضهم بفتح الواو الثانية ، كما في (الأعلام) للزركلي .

ويبدو أن هذه الحالة النفسية المضطربة كانت تماود الشاعر بين حين وآخر ، وهذا ذلك فهو إنسان اعتيادي وظريف ، بل من أظرف الناس والطفهم ، كما يؤكد الرواة . وقد ورد في شعره ذكر لهذه الحالة ، اذ يقول مخاطباً محبوبته :

فإن لم يقولوا مات ، أو هو ميت - فزيتي إذا قلبي جنونا ووسواسا (١٣)

وهو القرار واضح بمعاناته هذه ، فكيف ما يطلبه من محبوبته هو أن لا تزيد معاناة ، إلا إذا لم يقولوا عنه أنه قد مات ، أو هو ميت ، أصلاً !

□ حياته :

قدم الشاعر بغداد أيام المتوكل العباسي ، كما تجمع على ذلك المصادر القليلة التي تترجم له ، والتي لا تضيف شيئاً سوى أنه كان من أهل مصر ، وتوفي عام ٢٤٥ هـ .

وإذا ما اعتبرنا أن المقصود بقدمه أيام المتوكل لا يعني أنه جاء في بداية عهد هذا الخليفة الذي كانت فترة خلافته : (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ) ، فإن الشاعر ، كما نرى ، عاش في بغداد عشر سنوات أو أكثر أو أقل بقليل قبل أن يتوفى فيها ، على الأكثر . اذ ليست هناك إشارة صريحة إلى مكان وفاته ، باستثناء ما جاء في هامش من كتاب (الفاضل في صفة الأديب الكامل) ، حيث ذكر محققه يوسف يعقوب مسكوني أنه توفي في بغداد ، ولا أدري من أين أستقى معلومته هذه . ولكن هكذا يفهم من سياق الأخبار التي تتحدث عنه . كما أنه ليس هناك ما يشير إلى تلك الفترة من حياته في مصر وسبب خروجه منها إلى مدينة السلام ، ولكن ربما كان قد غادر مصر في الجيوش المذهبة للغزو والجهاد ثم استقر في بغداد لسبب ما ، كما هو مفهوم من تذكير أحدهم للشاعر بالغزو والجهاد . فقد

ذكر حبيب بن أوس (١٤) أنه كان في غرفة له على شاطئ دجلة عندما شاهد غلاماً يلقي بنفسه في دجلة يسبح فيها « وإذا ما الموسوس يرمقه ببصره ، فلما خرج من الماء ، قال :

خمش الماء جلده الرطب حتى خلت له لابساً غلالة خمر

قلت له : لعنك الله يا ماني ! أبعد الجهاد والفزو تخمش غلاماً قد بات مؤجراً في الحمامات ؟ » !

ونحن نجهل أيضاً الوضع العائلي للشاعر ، والمورد الذي اعتمد عليه في معيشته قبل أن يعين له محمد عبدالله بن طاهر ، بمدتوليه شرطة بغداد سنة ٢٢٧ هـ ، معاشاً مدى حياته . فالمعروف أنه لم يتكسب بشعره ولا عُرِفَ له صنعة يعيش منها أو كان لديه مال حمله معه من مصر . ولكنه كان ، كما يبدو من أخباره ، يكتفي بالقليل من مقومات الحياة ، فلا يكلفه ذلك شيئاً . وكانت الهبات التي يحصل عليها أحياناً كافية لسد متطلبات معيشته المتواضعة المترتبة بقناعة وإباء فيه . فقد « وقف يوماً على أبي دلف ، القائد العباسي المعروف ، فأنشده :

كرأت عينك في العدا تفنيك عن سلّ السيوف

فقال أبو دلف : والله ما مدحت قط بمثل هذا البيت ! وأمر له بمشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبضها وقال : نقتع من هذا بنصف درهم وهريسة » (١٥) .

وعدا تلك الحالات التي كان يراه فيها بعضهم عرياناً بيده قصبة ، أو عرضة لعبت الصبيان به ، إبان اشتداد السواد علىه ، فإنه كان من أطرف الناس والطفهم . وكان الأبرام والأصدقاء وأصحاب الطرف يجدون متعة في مجالسته لهم فيستدعونه بين حين وآخر ويطلبون منه معاودتهم ، ويستلطفون حضوره في أوقات سمرهم ويمازحونه ويتلطفون إليه إذا ما بدر منهم ما يزعجه أثناء المزاح (١٦) !

فكان على رقة في السلوك ورفعة في الخلق ، تتضعان من طريقتيه في التصرف أثناء مجالسته لدائمه من هؤلاء الأبرام والأصحاب وعدم اطالته المكوث ، لأنه كان على يقين من أن :

ممن التغييف موصول ومطيل اللبث مملول

كما كان على رقة في الذوق تبلغ أحياناً درجة العنف والتطرف . فعندما سمع ذات مرة مؤذناً يؤذن بصوت أو بطريقة لم ترق له ، ذهب إليه في صومعته وصفه بشدة لأنه كان « يطمط » ، أي يتوانى في الكلام ، ولا يطمط ، أي لا يتابع الأصوات ، كما كان ماني يود أن يكون عليه الأذان (١٧) !

هذا إضافة إلى الفطنة والذكاء اللذين اتسم بهما ، وهما من السمات التي كان يتميز بها الظرفاء آنذاك ، واستحق بهما الوصف بأنه من أطرف الناس .

□ علاقته العاطفية :

عاش ماني الموسوس في فترة من العهد العباسي بلغت فيها العلاقات الاجتماعية درجة من الانفتاح كان لكل طالب لذة معها فرصته في ارضاء رغباته بالقدر الذي يستطيع والطريقة التي يشاء . فقد كان عهد الظرف والمجون ما يزال يسحب زقه عند أهواب الغمارات والديارات ومجالس اللهو في بغداد الزاهرة والمدن الكبيرة الأخرى ، بل وفي القرى القريبة منها . فلم يعدم شاعرنا من ماحنة تراسله وتبثه الحب ، ومن غلام يتمشقه ، ولكن من غير اسفاف وتبذل واستهتار في سلوكه وفي شعره . الا أننا لا نعرف له معشوقة معينة يجاهر باسمها ، ولا غلاماً معيناً يشتهر به ويطول التشوق اليه ، كما كانت الحال مع الكثير من شعراء ذلك العصر . ويبدو ذلك طبيعياً بالنسبة لمن كان في ذلك الوضع النفسي المضطرب والحالة المعيشية والاجتماعية المتدنية التي كان عليها ماني . وبالحرف من هذا ، فان من السهل على قارئ شعره أن يجد صدقاً في عاطفته لا يمكن الا أن يكون برهاناً على نفس رقيقة متفانية في أية علاقة عاطفية تنفجر فيها ، أو على حب راسخ تمكن منه طويلاً وأضناه حتى أسقمه وتركه كما يقول (١٨) :

مصلب القلب بالفراق قد بلغت نفسه التراقي
وذاب شوقاً الى حرّال اوضع للبين بانطلاق
لم يبق منه السقام الا جلدنا على اعظم رفاق
لولا تسليته بالتبكي أذنت النفس بالفراق

وهو وصف نجده يتكرر في شعره بأشكال متفاوتة تجعلنا ننظر اليه أحياناً فنرى رجلاً نحيلاً شاحب الوجه لا تكاد نبصر لجسده الناحل ظلاً (١٩) .

□ شعره :

وصف ماني الموسوس بأنه « من أشعر الناس » ، في فترة عاصر خلالها شعراء كبارا مثل البحتري ، الحسين بن الضعك ، دهل الغزاهي ، ديك الجن الحمصي وغيرهم . والمقصود بهذا الوصف ، بالطبع ، الجانب النوعي من شعره وليس جانبه الكمي . فقد كان شاعراً مطبوعاً يقول ما يخطر على ذهنه ، من غير تدبر ولا تكلف ، وهما أمران يقتضيان قصداً محدداً وطول أناء وميلاً الى استنفاد المعنى واستخدام المحسنات المتوارثة والمستجدة في فن العصر . وتلك خصائص أكثر ما تكون في الشاعر المعترف . ولم يكن لدى شاعرنا من الاستعداد للنفسي والطموح أو الرغبة ما يدفعه لأن يكون شيئاً من ذلك ، رغم أنه كان يدرك تماماً القيمة الفنية العالية التي يتميز بها شعره (٢٠) . وقد انعكست حالته النفسية تلك على شعره شكلاً ومضموناً . فلم يشتهر أو يقبل شيئاً ، كما يذكر الأصفهاني (٢١) مثلاً ، الا في القزل . وكان شعره ، في الغالب ، بشكل مقطعات مستملحة قد لا يتجلو فيها ، أحياناً ، المبيت أو البيتين ، من الغزل اللين الرقيق ، أو الثناء المفرد

المابر ، على نعمة سلفت أو مجالسة سبحت على غير قصد أو تدبير . وقد بلغ شعره من رقة التصوير درجة تبدو معها مرثيات الشاعر وكأنها تكاد تذوب وتتلشى في خيال القارئ ، مثل قوله :

ها أنا ذا يسقطني للبلى عن فرشتي أنفاس عواندي
لو يحسد السلك على دقة حيا لأمسى بعض حسادي
بل وأكثر من ذلك :

غابوا فاضحي بدني بعدهم لا تبصر العين له فينا
وشعره يزخر بمثل هذه الاشارات ، التي يقول عنها ابن رشيق انها « من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغته عجيبة ، تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها الا الشاعر المبرز ، والعاذق الماهر » (٢٢) .

من ذلك ما جاء كناية عن الشجاعة ، كقوله :
كررات عينك في العدا تفنيك عن سل السيوف
وقوله ، كناية عن رقة أنامل الحبيب :
لو صافح الماء القراح بكفته لجرت أنامله كجري الماء
ومن تلك التشبيهات ، الرمز ، كقوله :
تري ما أخفتا شفتاه نحوي كأن لثاته علك بدبق
فرمز للغم بما أخفت شفتاه .
وكذلك قوله :

خمش الماء جلده الرطب حتى خلته لابساً غلالة خمر
وهذا بيت عجيب بإشارات الرائحة الكثيرة ، وتشبيهه من أبداع ما جاء في هذا الباب من محاسن الشعر . ولولا خشية الإطالة لانتقينا من ذلك شيئاً كثيراً .
ولم يجر ماني الموسوس ، على الدوام ، جري غيره من الشعراء في تشبيهاته ، بل كانت له ابتكاراته الخاصة . من ذلك ما أورده أبو هلال العسكري ، في (ديوان الماني) (٢٣) ، وهو يقول :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكا بغلت حلينا
فعاقت التي بغلت حلينا بأن فمضتها يوم التقينا

وهو ما أخذه ابن الرومي ، كما يقول العسكري ، وزاد فيه ، في أبيات أولها :

ولقد يؤلفنا اللقاء بليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما

وليس أدل على مكانة هذا الشاعر الذي جاز عليه الزمن وعبثت بشعره الروايات المتضاربة وغير الآمنة أحيانا ، من تلك الآراء الصريحة التي صدرت بحقه عن كبار مثقفي ذلك العصر والمصور التالية .

فقد وصفه الأصفهاني في كتابه (الأهاني) (٢٤) بأنه : « شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئا الا في الغزل » ، كما وصف شعره بالرفقة آخرون مثل الأمير الحافظ ابن مأكولا (٢٥) ، المرزباني (٢٦) ، الذهبي (٢٧) ، وغيرهم .

وجاء في (تاج العروس) (٢٨) لمحب الدين الحسيني ، أنه « شاعر مصري مرق أي له شعر رقيق رائع » ، وقال عنه الحسن بن محمد بن طالوت (٢٩) : « ما رأيت أحدا أحضر ذهنًا منه ، إذ تقول له الجارية : عطف عليك إلفك ، فينفيا بقوله :

ليس لي إلف فيعطفني فارقت نفسي الإباطيل

وقد أعرب أبو دلف المجلي ، الأسير والشاعر المعروف ، عن دمشته عندما مدحه ماني ببيت (٣٠) :

كرات هينك في العدا تغنيك عن سل السيوف

وقال أنه لم يمدح قط بمثل ذلك البيت !

ووصفه أبو شجرة ، في طبقات ابن المعتز (٣١) ، بقوله : « كان ماني المجنون من أشمر الناس وهو القائل :

**نجل' العيون قواصد النبل قتلنا بعيونها النجل
كحل' الجمال' جفون' أمينها تفترو' من كحل بلا كحل
وكانهن' إذا أودن خطا يقلعن' أرجلهن' من وحل**

وأخيرا ، من حق من كان « من أشمر الناس » علينا أن نحاول جهدنا استعادة ما أمكننا ذلك من سماته الشخصية والفنية ووضع ما تيسر لنا جمعه من شعره (٣٢) في مكانه اللائق به من تراثنا الأدبي الأصيل ونهضتنا الثقافية المتصاعدة .

□ الاشارات :

- ١ - الاغاني ١٨١/٢٣ ، معجم الشعراء ٣٨٧ ، المشتبه في الرجال، فوات الوفيات ٥١٨/٢ ، تاريخ بغداد ١٦٩/٣ ٠٠٠
- ٢ - الاغاني ١٨١/٢٣
- ٣ - نزهة الالباب في الالاقاب (مخطوط) ، ٤٠ ط ٤
- ٤ - معاضرات الادباء ٦٩/٣
- ٥ - لسان العرب ٥٣٨/٣
- ٦ - المصدر نفسه
- ٧ - تاج العروس ٣٤٧/٢
- ٨ - الملل والنحل ٤٩/٢
- ٩ - المنجد ٣٦٢
- ١٠ - فقه اللغة ١٣٩
- ١١ - سيكولوجية الشذوذ النفسي لدى الجنسين ١٠٧
- ١٢ - المنجد ٨٩٩
- ١٣ - مصارع العشاق ٩٨/١
- ١٤ - المقد الفريد ١٦٩/٦
- ١٥ - مصارع العشاق ٩٥/٢
- ١٦ - الاغاني ١٨٦/٢٣
- ١٧ - الاغاني ١٨٣/٢٣
- ١٨ - مصارع العشاق ٩٩/١
- ١٩ - الزهرة ٣٠٤/١
- ٢٠ - الاغاني ١٨٥/٢٣ ، وفيه ان ماني الموسوس قال للامير محمد بن عبد الله بعد ان غنثه الجارية منوسة : « لولا رهبة الامير لاضفت الي هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع سامع ذي لب فيصدران الا عن استحسان لهما »
- ٢١ - الاغاني ١٨١/٢٣
- ٢٢ - العمدة ٣٠٤/١
- ٢٣ - ديوان المعاني ٢٨٣/١
- ٢٤ - الاغاني ١٨١/٢٣
- ٢٥ - الاكمال في رفع الارياب ١٩٩/٧
- ٢٦ - معجم الشعراء ٣٨٧
- ٢٧ - المشتبه في الرجال ٥٦٣/٢
- ٢٨ - تاج العروس ٣٤٧/٢
- ٢٩ - بدائع البداة ١٤٧
- ٣٠ - المقد الفريد ١٦١/٧
- ٣١ - طبقات الشعراء ٣٨٣
- ٣٢ - المقالة ، في الاصل : دراسة مرفقة مع اشعارماني الموسوس واخباره ، ستظهر جميعا في كتاب واحد

فصح البرة

هند هارون

دمعي يؤلقه الاثراق في الاتم
يلمي الشفاف بجرح غير ملتئم
ما دمت أمّا تعيش العمر بالوصم
بين الصواب .. وفي اغفاء اللثم
وحيث دفع "حنون واجف بدمي
والنار لفهما في حرب محتدم
أو رمت أظفهما بالآه تضطرم
والسريقى بصدري وعد ملتزم
في كل نابضة مشتاقة وفم
يقاعها من حنين الناي والتغم
رئينها والصدى .. في الأرض .. في الجرم
وفي الضلوع حصين غير مخترم
وما بقلبي من لدب الكلوم دمي

وجدي يمر على الأحزان كالنسم
وفي فؤادي جرح ساكب أبداً
ما دام يطفئه ثكل يمزقني
أعنى المذاب فراق" زاح يسكنني
وفي الحنايا .. بذراتي .. بأوردتي
يدور بين عروقي غازياً كبدي
إن رحت أخمدتها بالدمع يندّ لظي
والصدر في عمقه سريلازمه
لو بعت ضيقت من مكنونه وسرى
وزغررت في شفاء الحب أغنية
بين المثاني .. على الأوتار عازفة
لكن أمرت ... وأمر الله مؤتمن
الله يعلم ما عاليت ممن وصب

★ ★ ★

مفازتي .. وجيا ما جف من أكمي

غفيريك.الراحمة الخضراء معشبة

هناأتي .. وطفى سهدي على حلمي
 إن أبصر القلب في يَم من الندم
 صوت الضمير وضعني .. والوني حزني
 بين السجود وهمس الآي والكلم
 يني وبينك عهداً غير منفصم
 كأنها توأم والدهر في القدم
 أنسى الدنا والأنا .. مبعودة النهم
 وقد المحبة .. خوفي .. وحدتي .. أُرَمي
 من نفعه عبق .. إن أستكنّ بهم
 أخشى أحدث .. صمتي غالبٌ سُهمي
 إن غيض الماء صيفٌ غائبٌ السدم
 ودمعتي جمدت .. أن تحترق تسم
 وغلف الظلم ما يغشى من الظلم
 وجرّد الخير من قربي بلا رحم
 وسكّط البغي سيفاً غير منسلم
 في كل لمح على الأقدار مرتسم
 في رفة الهدب .. في لالاء مبتسم
 على جناح الفضاء الرحب والأكرم
 على دموع اليتامى .. غصة اليتيم
 وعبر أسرار صبر عاشق .. سقم
 وذكرك الحق إن يقعد وإن يقسم
 حروفه محرمات أن تطف تحم

غفرك النور في ليالي إذا سلبت
 ومزّق الهلع المجتاح أشرعتي
 وصاف حول كياني وازعاً .. غضباً
 غفرانك الفرح المرتاح في بصري
 ونقله مثل ومض الطرف وأصلة
 يرقى الزمان بها لا عدّ يحسبها
 أنسى بها مولدي .. شأنني ومآلي
 وأستقل سفيناً راح يرفعها
 أصد الوجد في ركبي .. يواكبني
 أخشى الثرى .. وطريق الشوق يجذبني
 سبيلك الورد يا رحمن في ظمئي
 وصرت حرّئ على قيط يحرقني
 وغلف القمر في جنبني يصلبني
 وأصبح الحق جمرأ في يد حشرت
 وبات كل قريب من أبعادها
 غفرانك الومج الشعاع منتشراً
 في نظرة الطفل .. في إिरان وأرقه
 في زرقة البحر .. في تسيح موجته
 على نصال الشكالي .. لونها شفق
 وبين أضلاع عبد شاكر أبداً
 وفي مدى شاعر رؤياك موئلته
 والصالحات على إيمانها عمل

★ ★ ★

وساورته هموم الأرض والقسم
 من لي سواك بدرب الشوك والقسم
 عمري .. ويفرّها فيض من الركم
 هل يغفل القلب معنى المن والكرم

يا رب اء أنت الهدى ان ضل مغرب
 يا رب دلّ مساري في متاهته
 ورحلتي يحتويها الغيب . يسلكها
 يا رب غفوك .. ذاك الفيض مكرمة

غشاوة كشفت والنفس وادعة
هذا كتابك يا رحمن مففرة
آياتك الفصل ان قولاً وان عملاً
قرآنك المعجز التشريع لا زمن
نسمو اليه .. معانيه الألى ذخرت
الحمد لله رب العالمين .. وفي
موارد من عيون النبع دافقة
ويستق القلب من ريتا مناهله
يا رب .. أوهى من التبير ملحوتي
لكن أحسن خشوعاً ران في بصري
لكن هجودي أتلو حكمه سوراً
للخالق الباريء القهار قافتي
له الصلاة صلوات .. في جائلها
له المدامع في نماء ساطعة
له الوجيب بقلب عابيد أرق
هذا كتابك هدي للألى ذهبوا
فيطرون على ديناهم اثراً
يساومون على الدينار أرضهم
يقاتلون على الدنيا أخاً لهم
وحدهتهم .. وتنادوا في تفرقهم
هل يطمح الألام المنساب في كبدي
وهم عبادك .. ما ضلوا .. وما نكثوا
أن ترفع الغل عنا .. ان بغت فنة

★ ★ ★

منك الدليل لأهل الأرض .. للأمر
ان رحت أسأل حيري .. والسؤال عم
تفصل الدين والدنيا لمقتسم
يحد فيهِ ولا كون .. اليه نسي
بالمدهشات طريق واضح الرسم
أم الكتاب .. المثاني السبع والرحم
ومن يرد كوثر القرآن يفتسم
عذباً فرائاً بصدر لافح العجم
هيئات يدرك قلبي غاية الفهم
في مهجتي .. يحتويني رافعاً دعني
يهفو بروحي الى العليا .. للحكم
وكل حرف سوى ذكراه .. لم يدم
طوق النجاة لمان .. في ونى الرغم
لآلئاً برقت في عقد منتظم
بكل نبض على نجواه مكتسم
للباكين يرون المجد في الرسم
يسون صلصالهم من أسر الأدم
يسايمون على أسواب منهزم
في الدين .. شرعتهم أهواء منتقم
كيف الخلاص لهم من ضعف منقسم
كرمي لمن جاهدوا وعشاء مقتسم
عهد السماء .. وما دانوا لمصطدم
أو زاغ مستكبر في مزلق حطم ..

مواسم من جناها خير مقتسم
فلكوه أوج اتصار بالغ الشمم
تدمير عامرة ... اعماراً منهدم

هذا كتابك آلاء منممة
وبينات لمن جابوا القضاء وما
ومعجزات لمن بالذرة اعتقدوا

وذاك ملح أجاج .. ماء منسجم ..
اليوم تكشفه أنظار مختصم ..
لو أدركوها لما انساقوا إلى الوضم ..
عبر السنين .. ومن يشوي إلى الهرم ..
والروح عندك لم يبرح .. ولم يهم ..
أفياءه الشس بين اليد والأجم ..
والنيرات عيون من سنا النجم ..

أنت الذي مرج البحرين ذا نهل
وبرزخ حاجز للمزج بينهما
مثقال ذرة خير لست تهملها
نجيت فرعون جسماً عبثاً لهم
المومياء على الأبدان باقية
الظل مدك يا رحمن راسية
وفي السماء بروج شدتها نرلا

★ ★ ★

من نعمياتك للأرضين .. للسم
فلتشرق الشس من غرب لذي قصم
بباطل حافل بالبغي .. ملتطم
عن مسلك في مدار الكون منتظم
وليضع الطفل من طين ومن سجم ..
أنت القدير .. ونحن - الخلق - في غرم
أرسلت رسلك - منذ البدء .. للعصم
كأنهم عن سماع الحق في صم
جعلتهم كالنهباء الزائل الفسم
أحقادهم لجناد منه منهشم
والمفرقون أضاعوا موقع الإرم
ثمود تهلك .. والخذلان للطفم
حملته العبء .. لم يقنط وإن يُسم
في بطن حوت مع الأسماك والبلسم
لم يشنه وصب في حلقة الجهم
وواكبت حملها في خوف متهم
لكنها برئت من شائن الأثم
إن رحت أكتب .. جل الآي عن كلمي
تراك مؤلها في المشكل القصم ..

يا رب .. عفوك .. لا عهد لنا فلة
كم يدعون غروراً علم خارقة
وليمنع الموت من دنيا مغلقة
ولتوقف الأرض والأجرام في فلك
ولتضع الريح والأنواء ثورتها
معاذك الله أن نجتاز قدرتها
ندين بالحب والايسان سابعة
الفرحاق بهم من قومهم صلتها
بنوا .. وعاثوا .. وزادوا ضلة وهوى
النار برد .. سلام اذ تؤججهما
سفين نوح على الأمواج مبخرة
حصون عاد يدك الله صخرتها
يا رب .. كم مرسل للأرض معتمد
ذو النون سبح في ليل بلا قمر
أيوب بلواء شكران لخالقه
ومريم اتبذت من أهلها حباً
تمنت الموت نسياً .. وهي طاهرة
إني الصغيرة يا رحمن مغفرة
لكنني في حماك الطفلة اعتمت



سماؤك الرب لم يفلق لذي سحبه
لألياء .. ويقتي سر مختهم
تفحو اليه عيون الكون .. لم تتم
وهو الأمين على تنزيل محتكم
وينظم الدر من مكنولة النظم
أهلاً .. ولكن هيامي موقد همي
وفي حروفي .. وجدي .. غوتي .. رني
من لي بلحمتها في صدر ملتحم
يلقني بشمع يجللي ظنني
أو شعرة فوق رذن الطهر والقيم
مبارك الطير منها .. ملتب الرشم
أو لحة من حرور فوق ملتشم
عند الصلاة بنسار للنبي .. حسم

طرقت بابك ان تاذن لغاشمة
بعث فينا رسولا كان جامعة
معهد رحمة للعالمين وما
هو المحبة ان ضاقت بنا سبل
شعري يشوب الى محرابه جلا
أتوق للبردة الزهراء لست لها
ومهجتي تسكب الترياق في كبدي
ليف يحوم في ليلى يهدمديني
أوحل سدى يبرق الأنوار في بصري
أوحل خيوط على الأفيال عالقنة
أوقطرة من نسو كان يفرها
أو نفحة من نسيم قبلت نسجا
أو ذرة من تراب لامسته نفسي



لا .. لست الا غماماً عابر الديم
من وال تأكل .. أو مدف هرم
رجاؤها المطفى في الحل والعزم
مهيضة الجانحين الشكل والعزم
أنت الشفيح لضعفي إن طفت حمي
وحى السماء .. وتنزيل محتهم
مدثر بردة الايمان والقيم
مبلغ .. قيّم .. هاد لفتهم
فيه النجوم على سدق من الدجم
فيها القناد حصداً غير منهشم
يضفي المهابة .. يدي روعة السيم
وتعمر النفس أضواء من النسم
في الخلق كرسه للناس .. للقيم

ما لي أعارض أقطاباً بعارضة
قد يستظل به قلب وجارحة
يكفي قصيدي أني صوت شاعرة
أم .. يا رسول الله حائرة
بحلت بصدري آهيات مقطوعة
أنت النجي لرحمن بشائرة
مزمل .. وجل من خوف هيته
أنت الصني على الأكوان .. أحدها
منك السراج يليل مدلج حبت
منك الفياث لأرض أجدهت وغدا
الحسن روحك في أسى منازل
أغض طرقي إن تلمح بغطاسي
خلاصة الألياء الغر مائسة

الاء يراك .. وأنت الفرد في اليتيم
أيقظت غفلتها من قسمة الزلم
ليحطوا الصنم المعبود في الصنم
تمد ساقيتي من فائض عزم
أطامن النفس .. أخشى زلّة القدم

الدرء بين عيون المخر يتشمه
والجاهلية في أقسى تمردها
والمسلمون لأمر الله قدتهم
غفو النبوة .. أرجو أن تؤازرنى
كيما أحدث عن أنوارها وأنا

★ ★ ★

عزّت به الأرض .. أزمت شائك السلم
يمان لونها من صفوة الألم
باركاً .. يحمل السقى لمزدهم
والجاهلية بين الفلّ والعشم
تسلسل الخير غيث المعارض الرّمم
قريش فيك التهى والرشد في الحرم !
أرنبو اليك .. رسول اللوح والقلم
كلامها غيّبا في مهجتي وفمي
وللدعاء رنين الصمت في رنمي
في كل عين وصدر الإله ظمي

أراك طفلاً على البيداء ملعبه
والوالدان رحاب الله لهدمها
ويكبر الألم المجروح متصراً
أراك .. والقوم في عشواء غاشية
مؤمناً في ضمير الحق مؤتمناً
وترفع الحجر القدسي اذ لمست
أحسن أني على الرضاء شاخصة
يدوبّ الدمع وجدي .. يستبي خلدي
الروح نشوتها ذكر يندهدها
وللنبوة أنوار طوالها

★ ★ ★

كم عذبوك .. وكم عانيت من إزم
يقارعونك بالبهتان والسحيم
ردت حجارتهن مدحورة الرجم
اذ مانعوك .. فنبء النخل بالمقسم
وركنك الفار مهد بالييام حمي
ونسجها السدء في إدلاج مقتحم
فوق الصغارى على الأقدام كالوشم
عين الإمام وشوك المشرّكين رنمي
مز الفداء علي .. خير مقتزم

يا رافعاً راية التوحيد سامقة
جهرت بالدعوة العليا وقد شمروا
وفي ثيف تمادوا في ضلالتهم
في بسة التمر حزن قائم أبداً
وكايدوك على الايمان واتمروا
ارادة الله في أوهى خلائقه
وللمحايي .. للصديق لاهبة
على فراشك .. في ليل النوى .. نبهت
يفديك بالنفس والأسياف مشرعة



« الله أكبر » والإسلام في قدم
ونور المسجد الأقصى على اللهم
بين السماك وسر فيهما منكتم
باللمح يبلغ أكواناً على أمم
وتبهج الناقة القصواء بالقدم ..
كيف الوصول الى نعماك في سُدسي
رفعت عنهم غناء الجهل والولم
في حبرك الشكل .. ما أقساه من قسم
والحزن يفضح في أحداق منسجم
ودمعتي لم تعد ناراً على ضرمي
وللنبوة ريتا الوابل الجسم
مثل الشريد يروم الأمن إن يضم
يعلّم العدل والرشحى لكل كمي
في راحتك .. خلاف المئج من عجم
صنو الإخاء .. تغيث المرء من شكهم

وللمدينة أبواب مهللة
أسريت .. ضاءت سماء واستوى رسل
شهدت ما جل من إجاز مقتدر
يا للبراق ركوباً عزاً فارسها
يعود للأرض من إسرائيل قدماً
ورحلتني يا رسول الله شائكة
سنت للناس ما يهدي بصيرتهم
أراك تحت ظلال النخل متكئاً
المين تدمع والأضلاع جازعة
أنت المزاء لمصدري اذ نأى ولدي
إنسانك الراحة الكبرى لموجدتي
أطيف شمري على أعتابك اعتبرت
أراك في التهج سيفاً صارماً وأباً
وللاسير قرار بات ينشده
وللجوار حقوق صنتها وغدت



جرّح "سيل" وينزى بالجراح دمي
كره الغداة بمصدري .. في لها نسي
شبهها غدر أقوام بلا ذم
واخجلتاه من التاريخ والأمم
بل بذرة نبتت في دوحه العظم
عند الحبيب .. اذا ذكر النبي شي
أضغانهم نفيما خفض من النقم
وكلهم للنفاء الرخص والمدم

أيا محمد آل البيت في كبدي
وللحسن لزييف ليس يوقفه
وكرهلاء على حزن الشمس أست
دم النبوة فيها مهدر نزقاً
يا ليت كنت ضريحاً ضمه ولها
وبنت فاطم تسبي .. كيف موقعهم
يضرعون أخاهم .. ثم توهمهم
مقام زينب يقى في جوارحنا



للمسلمين تهادى في ذرى علكم
إيمانهم .. لم يبعوا النفس بالنفك
والفرس والروم لم يزهوا على الدكك
دالت ممالكهم .. صارت الى ركم

يا صاحب البردة الزهراء كم علم
أوفى الأوائل .. خاضوا اليم يصحبهم
القائسة اتصرت .. لا تاج يهزمها
أقيالهم جزعت .. أقيالهم سقطت



الوخز في النحر .. والأشلاء للخصم
كل اللغات لإسلام ومستلم
من حكمة الله .. ما يفني عن الحكم
وللصلاة بها حمد على النعم
دين التطور قناد الكون للقيم
أحكامه اليوم تشريع لمحكم
عروبة الدين ما يقضي على الفتن

واليوم ففرقتنا ألف تمزقنا
لمكن غزائي قرآن تكرسه
«مليار» يعتنق الإسلام متخذاً
مساجد الشكر في المعمورة انتشرت
يجدد الآي أفكاراً لمعتبر
يخاطب العقل .. يجلو كل غامضة
أم للغصات بها التنزيل هل حفظت



هل للفريق نجاه .. والعباب طمي
وجللى أناديك .. مهما شدة الجرم
وغريبي .. أمتها يا رب .. في ندمي
هدي الطريق .. وحفظ اللوح والقلم

يا غافر الذنب .. يا رحمن .. يا مبدداً
يا قابل التوب .. تنها في ضلالتنا
وجدي سلاحي في حل ومرتحل
يارب .. أنت ملاذ لئالى عرفوا



تراثنا مطبوعاً

١٩٨٠ - ٠٠٠٠

مروان عطية

أخذت العناية بنشر التراث العربى ، تتزايد سنة بعد سنة أخرى . فقد اقبل علماء الأمة العربية وإدباؤها في مختلف أقطارهم ، على تحقيق المصنفات القديمة وإخراجها للناس في كتب ورسائل . وما ينبغي التنويه به ، هو أن بعض الباحثين العرب ، قد استوت أمامهم سبل التحقيق العلمى القويم واستقامت لديهم وسائله . فوافى ما نشره على الغاية من حيث التحري عن مختلف مخطوطات الكتاب ، واختيار ما يصح الاعتماد عليه منها ، وضبط النص وتخصيصه بالرجوع الى أمثا المراجع ، والتعريف بالكتاب ذاته ، وبمؤلفه ، ووضع الفهارس الهجائية المتقنة التي تفصح عما يكنه الكتاب .

القدامى . حتى أصبح الباحث لا يدرى ما تخرجه دور الطباعة في البلاد العربية كلها على الدقة والاستقصاء . ولولا الجهود الذاتية التي يبذلها الباحثون لمرافق هذا النتاج ، والمعااولات الضعيفة التي تقوم بها بعض الحكومات لتسجيله ، أو القوائم الناقصة التي تقدمها المجلات العلمية الرصينة ، للتنويه به ، لكان عسيراً علينا معرفة ما يطبع من تراثنا الماضى وأثارنا المعاصرة . ولقد أصدر مجلس جامعة الدول العربية قراراً بإنشاء مركز لتسجيل المطبوعات في البلاد العربية منذ سنين طويلة ، فلم يقف هذا المركز حتى يومنا

والى جانب هؤلاء ، نجد طائفة من « الناشرين » ، قد سلكوا سبيلاً آخر في نشر كتب التراث ، وذلك بإخراجها بطريقة « الأوفست » وفقاً لطبعاتها الأصلية القديمة التي نفذت وأضحت نادرة الوجود . وهنالك ، الى هذا وذاك ، كثير من كتب التراث ، يصدر في طبعات « تجارية » تكاد تكون خلواً من التحقيق . وأغلبها مما تصدره بعض دور النشر التي لا هم لها الا الربح . ومن المؤسف ما نلاحظه في البلاد العربية من إهمال تسجيل النتاج الفكرى المطبوع ، سواء لكان منها ألفه المعاصرون أم خلفه

على قدميه ، ولا سجل كتاباً ، ولا تولى أمره
عالم يوثق به .

ولسنا نود الكلام هنا على المحاولات
التي تجري لتسجيل المطبوع من إنتاجنا
الفكري المعاصر ، بل يهمنا ما جرى لتسجيل
المطبوع من إنتاج القدامى .

فبعد العمل الجليل الذي قام به سر كيس
- وأعانه عليه أحمد تيمور باشا - بإخراج
معجم المطبوعات ، لم يتابع أحد تلك الجهود
التي بذلت قبل ربع قرن ، ولم يخرج أحد
الذيل بعد الذيل على ذلك المعجم ، بشكل
علمي منظم .

إن تراثنا المخطوط القديم يبلغ على
أقل تقدير ثلاثة ملايين ، ولقد أبدت مؤسسات
مختلفة في المشرق والمغرب العناية في إظهار
فهارس هذه المخطوطات ، لمعرفة ما تشتمل
عليه تلك الخزائن ، ولا بد أن تبذل العناية
أيضاً في الوقت نفسه لمعرفة ما يطبع ويحقق
من تلك المخطوطات ، فالمملان ينبغي أن
يسيرا معاً لخدمة تراثنا ، وتيسيراً للعلماء
والباحثين في الرجوع إلى ما بقي منه مخطوطاً
أو ما ظهر مطبوعاً ، لأن الرجوع إلى هذا
التراث هو السبيل الوحيد لمعرفة أنفسنا
وماضيها ، وهو السبيل الأوحى لانتاج
دراسات أصيلة فيها جدة وعمق . ولقد أن
لنا أن نبتعد في دراساتنا ، حول ماضيها
وتاريخنا ، عن السطحية والنقل وأن نعتمد
على المصادر الأولى . وينبغي أن نقرر قبل
كل شيء أن هناك اهتماماً بنشر التراث
واقبالاً عليه . على أننا نلاحظ أن الفوضى
تسود النشر ، فمن مظاهر الفوضى ، فقدان
برنامج مجمع عليه يتبع في ذلك ، يقدم فيه
ما يحتاج إليه كل بلد عربي على ما لا فائدة
عامة فيه .

فالتراث العربي الذي نستطيع ، بنشره ، أن نسهم
في تغذية نهضتنا ، ويشتمل على حقائق وأفكار
حضارية إنسانية نفخر بها ، لا بد من نشره
وأظهاره . لكن إظهار هذا التراث لا يمكن
أن يتم خلال سنة ولا سنتين ، بل قد يحتاج
إظهاره إلى قرن أو قرنين . فهذا العدد الضخم
من التراث يضطرنا إلى الاختيار حسب برنامج
يضعه أهل الخبرة في هذا الشأن ، يقدم فيه
الأصيل على العادي ، والأكثر شأناً على ما
ليس له شأن ، وما نحتاج إليه لأنه يمدنا بما
نجلو به حضارتنا وماضيها ، وما يمدنا
بطاقات من التفكير والعمل على ما هو ميت لا يفيد .
فلا بد إذن من وضع برنامج لهذا الأمر .
ومنها اشتغال عالمين أو مؤسستين علميتين في
نشر كتاب سواء أهراف كل منهما بجهود الأخر
أم لم يعرف . فلماذا التنازع والتراث
العربي وأمر واسع ؟ ولقد ظهرت كتب كثيرة
حققت مرتين في آن معاً ، فلا بد من أن تسود
الروح العلمية بين العلماء وأن يتعاونوا ولا
يتنازحوا . ومنها إقبال بعض الناشرين على
نشر كل مخطوط يقع تحت أيديهم لا يراهم
في ذلك طاقته ولا اختصاصهم فمنهم من يكون
في المشرق ، مثلاً فينشر كتاباً عن المغرب ، فيقع
في أخطاء ويمجز عن تقديم النص صحيحاً
فلا بد إذن من أن يختص علماء كل بلد بما
يتعلق ببلدهم من تراث الماضي لأنهم أدري به .

ومن الفوضى أقدام المبتدئين ومن
لا يحسنون النشر على إخراج المخطوطات
وهذا من البلاء الذي يصاب به تراثنا . وقد
رأينا من نتاج هؤلاء عجائب . وهم يحسبون
أن تحقيق المخطوطات عمل سهل لا جهد فيه
ولا مشقة ، ولا يتطلب السمة والعلم أو
الإحاطة بالمصادر . ولا سبيل إلى درء هذا

بينها في جودة التحقيق . وكذلك أخذت جامعة بيروت اللبنانية بنشر نصوص مفيدة تتعلق بتاريخ لبنان . في حين ضعفت جهود الجامعة الأميركية في هذا الباب .

وظهر نور جديد في السنوات الأخيرة ، في الكويت . إذ أخذت دائرة المطبوعات والنشر تقدم سلسلة من المخطوطات باسم « التراث العربي » ، فكانت بادرة خير يظهرها الكويتيون نحو التراث العربي والعناية به . فاذا انتقلنا من المشرق العربي الى المغرب العربي ، لم نجد نشاطاً ملموساً أو إنتاجاً فحماً في هذا المضمار . ولولا ما نشرته وزارة التربية القومية والشباب والمعهد القومي للآثار بتونس ، وكلية الآداب وكلية الصيدلة في جامعة الجزائر ، ومعهد الدراسات العليا بالرباط ، ومعهد مولاي الحسن بتطوان - وكله قليل - لما ذكرنا شيئاً . فالمغرب مقصر عن البلاد العربية الأخرى في نشر التراث العربي ، حتى ما يتعلق به وحده .

وفي الآونة الأخيرة نشطت حركة نشر التراث العربي في السعودية ، وبشكل خاص في جامعاتها ، وفي المؤسسات التي أنشأتها لأحياء التراث العربي ، وظهرت كتب كثيرة كانت طي النسيان كما ساهم المجمع الأردني في أحياء كتب تراثية . ونشرها نشرة علمية ، سواء بما طبع منها أم فيما نشر في مجلته الزاهرة .

ونذكر بالفضل كذلك معهد التراث العلمي في حلب الذي نشط منذ تأسيسه لأحياء التراث العربي العلمي ، وقد نشر كثيراً من النصوص التراثية . وساهم في ذلك أيضاً مساهمة ، كذلك كان للمجمع العلمي الهندي شأن يذكر في مجال أحياء التراث العربي كذا

البلاء الا باحجام دور النشر عن اخراج المخطوطات التي يحققها هؤلاء الا اذا كانت جيدة ، أو بايجاد مجلات نقدية تقوم وتسدد .

ونلاحظ أن القاهرة ودمشق هما أكثر البلاد العربية نشرًا للمخطوطات في هذه الفترة التي نسجل ما ظهر فيها من تراث .

ففي القاهرة يعني بهذا الأمر - الى جانب دور النشر الكثيرة العدد - وزارة التربية ثم وزارة الثقافة ، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ودار الكتب المصرية ، وهي أول من بدأ بذلك من المؤسسات ، والجمعية التاريخية المصرية ، ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، والمعهد الألماني للآثار ، على تفاوت فيما ينشرون .

أما في دمشق فأول من عني بهذا الأمر هو المجمع العلمي العربي .

وكان للاستاذ الجليل محمد كرد علي ، سيد النهضة العلمية بالشام ، الفضل الأوفى في ذلك . وقد نشر المجمع آثاراً جيدة مفيدة ، تعد مصادر ذات شأن . ثم جاءت وزارة الثقافة السورية أخيراً تساهم في النشر . وهي في أول الطريق ، وقد أسهم المعهد الفرنسي بدمشق في نشر النصوص ، فأخرج نصوصاً تفيد في تاريخ الشام ودمشق .

وبلي القاهرة ودمشق بفداد ، فقد بدأ المجمع العلمي فيها بنشر النصوص وساعد على نشرها . وما نشره جيد لكنه قليل بالنسبة لما يؤمل منه . وقد أخذت جامعة الحكمة في السنوات الأخيرة باخراج بعض النصوص أيضاً . وفي بيروت نذكر من المراكز التي تخرج المخطوطات بنهج علمي المطبوعة الكاثوليكية . فقد أخرجت في السنوات الأخيرة طائفة من الكتب المتقنة الطبع ، على تفاوت

وقد يكون ثمة مجلات أخرى نشرت بعض النصوص لم نطلع عليها .

ولنتقل الآن الى قيمة هذا النتاج من حيث المادة والمنهج العلمي في النشر .

أما من حيث المادة فلا شك أن الكثير من النصوص التي طبعت يحتاج إليها العالم العربي ، وتفيد في استجلاء وجوه الحضارة الإسلامية العربية ، على أن في ما نشر أيضاً ما لا فائدة منه قط ، أو أن فائدته ضئيلة ، وكان من الممكن تقديم غيره عليه .

ونلاحظ فيما نشر وفرة النصوص الأدبية واللغوية ، يلي ذلك النصوص التاريخية والتراجم . وقد زادت العناية بالنصوص الفلسفية في هذه الفترة . وقد ظهرت طبقات كثيرة لنصوص في الحديث والفقه ، والعلمي منها قليل . على أن أقل النصوص ظهوراً هي العلمية البحت المتعلقة بالرياضيات والطبيبات والفلك وما إلى ذلك . ولعل ذلك راجع إلى صعوبة وقلة ذوي الاختصاص بها ، وأنه لا رغبة فيها . وازدادت العناية بأخرة في نشر الكتب التراثية العلمية نشرًا علميًا صحيحًا يتفق مع روح العصر وكان لمعهد التراث العلمي في حلب اليد الطولى في هذا المضمار حيث ساهم منذ انشائه في نشر كثير من النصوص التراثية العلمية وفي كافة الاختصاصات . وبذلك أغنى المكتبة العربية التراثية بهذا الجانب العلمي النادر .

أما من حيث اتباع المنهج العلمي في النشر فيجب أن نقرر أن الميل إلى ذلك أخذ في الازدياد لكنه لم يبلغ المأمول . والمهم أنه وضعت قواعد للنشر .

كان لرئيسه الموقر « عبدالمعين خان » فضل يذكر في هذا الأمر .

أما المجلات العلمية التي عنيت خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها ، بنشر النصوص أو الرسائل المخطوطة بين دفتيها ، فهي :

في دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، ومجلة التراث العربي ، وصحيفة المعهد الفرنسي .

وفي القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ومجلة الآباء الدومينيكان .

وفي بغداد : مجلة المجمع العراقي ، ومجلة المورد الزاهرة ، وثمة مجلات أخرى تصدر في الجامعة كمجلة كلية الآداب وكلية الشريعة وغيرها .

وفي بيروت : مجلة المشرق

وفي عمان والأردن : مجلة المجمع الأردني ، ومجلة أبحاث اليرموك « والتي تصدر عن جامعة اليرموك » .

وفي السعودية : مجلة العرب الغراء ، ومجلة عالم الكتب ، وثمة مجلات أخرى تصدر عن جامعاتها .

وفي المغرب : مجلة تطوان .

أما المجلات التي تصدر في بلاد ليست عربية فنذكر منها : مجلة المعهد المصري بمدريد ، ومجلة الأندلس بمدريد وغرناطة ، ومجلة أرابيكا ببازيس ، ومجلة أوريانس ، وشرقيات مجموعة سي التركية ، ومجلة معهد الدراسات الشرقية ببليننفرد ، وذي اسلاميك كوراتلي ، ومجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن .

يقام له وزن . ونعتقد أن النقد البناء
- لا الهدام - هو الذي يقوم الانتاج ويساعد
الناشرين ، ويزجر دور النشر .

وقد عقدت النية على نشر ثبت يعرف
بالمخطوطات المطبوعة وذلك في مجلة التراث
العربي فصنعت هذا الثبت الذي نوهت فيه
بطائفة حسنة من الكتب والرسائل التراثية
المطبوعة التي نشرت من سنة ١٩٨٠ م وحتى
الآن وذكرت فيه ما اتبع النهج العلمي أو ما
نشر أول مرة ، عن مخطوطات قديمة وإن لم
تستوف شروط التحقيق أو ما أعيد نشره
واعتمد على مخطوطات جديدة .

واتبعت النهج التالي :

١ - ذكرت اسم الكتاب ، وناشره ،
واتخذت هذا اللفظ بدلاً من « محقق » لأن
كل ناشر ليس بمحقق .

٢ - ذكرت اسم المؤلف ، وسنة وفاته
بالسنة الهجرية والميلادية .

٣ - ذكرت عدد صفحات الكتاب في مقدمته
ونصه وفهارسه مما سجلناه بأنفسنا أو نقلناه
عن مصادرنا . وأهملنا ذكر ذلك بالتفصيل
أحياناً عندما يعسر علينا رؤية الكتاب أو
معرفة عدد صفحاته حيث لا يحق لنا الوقوف
على الكتاب بالذات .

٤ - ذكرت سنة طبع الكتاب ومكان طبعه
ورقم المجلد إن كان يتألف من مجلدين فأكثر
واسم الدار التي نشرت الكتاب .

٥ - حاولت قدر الامكان أن أتحدث عن
محتوى الكتاب وأهميته وقيمه .

٦ - اتخذت في هذا الثبت الرموز التالية
مراعاة للاختصار :

على أنه إلى جانب هذا الميل إلى اتباع
النهج العلمي وتجديده نجد خروجاً عن المنهج
بعض الأحياء . وخاصة عند المبتدئين بالنشر ،
الذين وجدوا في نشر التراث العربي مجالاً
للكسب السريع .

جئني لقد رأيت منهم من فتح لنفسه باب
الاجتهاد وهو في أول الطريق . ولا يجرؤ على
هذه الدعوى إلا من قضى عمره بين المخطوطات ،
وأفنى بصره في تقليبها وقراءتها ودراستها .
وقدم للناس عشرات منها محققة منشورة .

ودعيت شهوة النشر عند بعضهم إلى نشر
ما سبق نشره ، لكن بأسوأ ما يكون حالاً .
وأصيب التراث العربي أيضاً بتسلط بعض
التجار والناشرين عليه . فقد أخذوا يبيدون
نشر الكتب دون التقيد بمنهج علمي أو
الاقتصاد على مخطوطات جديدة ، بل قنعوا
بسرقه الطباعات الماضية وتحليتها بالأخطاء
التي لا تعد ولا تحصى ، وأغاروا على أعمال
المستشرقين فأعادوا نشرها بحرفياً ، منفصلين
أسماءهم ، مضيفين إليها التعريف والخطأ .
وإذا تكرموا بذكر الأسماء لأولئك المستشرقين
نسبوا إليهم الجهل وإلى عملهم النقص . وقد
ظهر من هذه الطباعات ، على نوعها ، كثير في
بيروت أولاً ثم القاهرة . وما ظهر في بيروت
في سبيل ابتزاز المال ، سيكون وصمة في تاريخ
الجهود التي بذلها لبنان للتراث العربي .
ولو كان ثمة أقلام كثيرة تنقد هذا المطبوع
وتبين الخطأ فيه لما أقدم الناشر على الارتجال ،
ولا تجار الكتب على السرقة . ولكن النقد
الذي نراه ، على الأقل ، مدح أو تقييد .
ونقد المخطوطات لا يستقيم إلا إذا عارض
للقائد المطبوع بالمخطوط . ورأى بنفسه مدى
جودة عمل الناشر . أما النقد على الظن وعلى
الترجيح ، دون الرجوع إلى النصوص ، فلا

« بيليوغرافيا » لموضوع من الموضوعات ولا سيما اذا كان من قبيل ما نحن فيه .

والله اسأل ان يجعل في هذا العمل عوناً لكل باحث ، ويعرف بتراثنا العربي الحبيب ويلقي الضوء على كثير من جوانبه ، ويمدنا بالقوة لمتابعة العمل في تسجيل وتعميق ما يصدر وما سيصدر من مخطوطات تراثية مطبوعة ، ان شاء الله .

« والله من وراء القصد »

مروان العطية

دير الزور - سوريا

ت = توفي ، المتوفى .

ج = الجزء ، المجلد .

د = الدكتور ، الدكتور .

ص = صفحة .

مط ، المط = مطبعة ، المطبعة .

م = سنة ميلادية .

ه = سنة هجرية .

ولست أدعي أنني قد أحطت بذكر كل منا صدر ، فذلك أمر بعيد المنال يدرك صموبته كل من حاول أن يصنع ثبثاً

وفرسانها لابن الاعرابي مع كتاب نسب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها لابن الكلبي في مجلد واحد في ليدن سنة ١٩٢٨ بعنوان =

٢ - نسب الخيل في الجاهلية والاسلام لابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ .

الأعلام ٨٧/٨ .

وهو برواية أبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠ هـ .

نشره : الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن .

ص ١١٠ منها ص ٢٠ المقدمة + من ٢١-٧٣ النص المحقق + ص ٣٦ الفهارس مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦ = ١٩٨٥ م .

- وقد قام المستشرق جرجس لوي دلاويدا بنشر هذا الكتاب مع كتاب ابن الاعرابي في مجلد واحد في ليدن سنة ١٩٢٨ م

١ - أسماء خيل العرب وفرسانها

لأبي عبدالله محمد بن زياد الاعرابي ت ٢٣١ هـ = ٨٤٥ م

الأعلام ١٣١/٦ .

نشره : الدكتور محمد عبدالقادر أحمد

٧٧ ص المقدمة + من ص ٧٧-١٧٤ ص

النص + ص ١٧٥ - ٢٥٤ ص فهارس .

ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

* ووصلنا الكتاب برواية أبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠ هـ .

- وطبع الكتاب أيضاً في بغداد بتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ص ١٣٠ .

- وللعلم فقد قام المستشرق جرجس لوي دلاويدا بنشر كتاب أسماء خيل العرب

ص ٢٦ المقدمة + ٧ لوحات من
المخطوطة + ص ٢٧٢ النص المحقق + من
ص ٢٧٣ - ٣٢٧ الفهارس مطبوعة المدني
(المؤسسة السمودية بمصر) ١٤٠٣ هـ =
١٩٨٣ م الطبعة الأولى .

* أضاف الناشر ملحقاً فيه : « مواضع من
معاني أبيات الحماسة ، منقولة من كتاب :
« اصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري
لأبي محمد الأعرابي الفندجاني » .
وذلك من ص ٢٥٥ - ٢٧٢ .
٥ - اصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله
النمري في معاني أبيات الحماسة .

لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود
الفندجاني ت نحو ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .
نشره : الدكتور محمد علي سلطاني .
ص ١٧ المقدمة والدراسة + ص ٢١٥
النص المحقق مع الفهارس .

منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت
١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م
٦ - عيار الشعر :

لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا
العلوي ت ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م
الأعلام ٣٠٨/٥

نشره : الدكتور عبدالعزيز بن ناصر
المانع .

ص ٣٤ المقدمة والدراسة + ص ٤
نماذج من المخطوط + ص ٢٢٠ النص
المحقق + من ٢٦٨-٢٢١ الفهارس .

دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

وقام المرحوم أحمد زكي بنشر هذا
الكتاب وطبعه في دار الكتب المصرية سنة
١٩٤٦ م

وقامت الدار القومية للطباعة والنشر
بالقاهرة بتصوير هذه الطبعة سنة ١٣٨٤ هـ
= ١٩٦٥ م

٣ - أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر
فرسانها .

لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود
الفندجاني ت نحو ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م
الأعلام ١٨٠/٢

نشره الدكتور محمد علي سلطاني .
ص ٢٥ المقدمة + من ٢٧ - ٢٧٣ ص
النص المحقق مع المستدركات + من ٢٧٥ -
٢٦٣ ص الفهارس .

طبع في مؤسسة الرسالة في بيروت
١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م .

* أضاف الدكتور سلطاني الى النص
المحقق ما أسعفته المصادر باستدراكه على أبي
محمد الأعرابي وقد بلغ المستدركاثين وستين
ومئتي فرس (٢٦٢) وبلغ مجموع ماضيه
هذا الكتاب من الخيل العربية المنسوبة
سبعة وثلاثين وثمانمائة فرس (٨٣٧) .

وهذه سمة حسنة وظاهرة هامة مفيدة في
نشر تراثنا الحبيب .

٤ - معاني أبيات الحماسة .
لأبي عبد الله الحسين بن علي النمري ت
٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م .
الأعلام ٢٤٥/٢

نشره : الدكتور عبد الله عبد الرحيم
مسيلان .

- وقد صدرت النشرة الأولى للكتاب عام ١٩٥٦ م في القاهرة بتعقيق الأستاذ الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام في ١٥٦ ص (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة) .

- ثم نشرها الدكتور محمد زغلول سلام في عام ١٩٨٠ م (منشأة المعارف بالاسكندرية) في ١٨٠ ص - منفرداً دون شريكه في العمل عند ظهور النشرة الأولى عام ١٩٥٦ م وهو الدكتور طه الحاجري ؟ ١ .

٧ - المنتخب من كتاب الشمرام

لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني
ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .
الأعلام ١٥٧/١ .

نشره الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع
١٨ ص الدراسة والمقدمة + من ١٩ - ٣٥
ص النص المحقق + من ٣٧ - ٨٣ ص الفهارس
دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ١٤٠٢ هـ
= ١٩٨٢ م

- وطبع الكتاب سنة ١٩٤١ م في مجلة
المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٦ ،
الصفحات ٣٥٩ - ٣٦٣ باعتناء الدكتور
يوسف العش .

٨ - من غاب عنه المطرب

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩ هـ = ١٣٠٨ م
الأعلام ١٦٣/٤ .

نشره : الدكتور النبوي عبد الواحد
شعلان .

٥٧ ص المقدمة والدراسة + ٦ ص
نماذج من الخطيبات + ٢١٠ ص النص

المحقق + ٤٦ ص الفهارس .

مطبعة المدني (المؤسسة السمودية
بمصر) ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م - الطبعة الأولى .

* وطبع الكتاب في (التحفة البهية والطرفة
الشهية) القسطنطينية ، مطبعة الجواب
١٣٠٢ هـ ، ثم نشره محمد اللبابيدي في
بيروت ، المطبعة الأدبية سنة ١٣٠٩ هـ .

٩ - الايناس في علم الأنساب :

للحسين بن علي بن الحسين الوزير
المغربى ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م
الأعلام ٢٤٥/٢ .

٥٢ ص المقدمة والدراسة + من ص
٥٣ - ٢٨٠ ص النص المحقق .
ونشر معه أيضاً كتاب آخر هو =
١٠ - مختلف القبائل ومؤلفها :

لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي
ت ٢٤٥ هـ = ٨٦٠ م .
الأعلام ٧٨/٦ .

من ص ٢٨١ - ص ٢٩٠ المقدمة + من
ص ٣٧٢ النص المحقق + ٢٨ ص الفهارس
للكتابين وأعد الكتابين للنشر الشيخ العلامة
حمد الجاسر .

منشورات النادي الأدبي في الرياض ،
بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ
= ١٩٨٠ م .

* وأشار الشيخ العلامة حمد الجاسر في
مقدمة الايناس ص ٤٩ :



الأعلام ١٧٩/٢ .
٦٨ ص المقدمة والدراسة + ١٠٥ ص
النص المحقق + ٢٧ الفهارس .
الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢
(مطبعة الجامعة - بغداد) .

نشره = الدكتور علي جابر المنصوري .
★ وطبع الكتاب أيضاً في الأردن (منشورات
الجامعة الأردنية) سنة ١٩٨١ م .
ونشره اسماعيل أحمد عمارة وراجمه
الدكتور نهاد الموسى .

١٣ - حروف المعاني :

لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق
الزجاجي ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م
الأعلام ٢٩٩/٣ .

نشره = الدكتور علي توفيق الحمد .
٦٢ ص المقدمة والدراسة + ٨٧ ص
النص المحقق + ٤٤ ص الفهارس .
طبع مؤسسة الرسالة في بيروت ودار
الأمل في الأردن ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م
الطبعة الأولى .
١٤ - نشر الدر

للووزير الكاتب أبي سعد منصور بن
الحسين الآبي ت ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م
نشره : محمد علي قرنه وراجمه علي محمد
البجاوي ، في ثلاثة أجزاء :
الجزء الأول = ٢٢ ص المقدمة +
٤٣٧ ص النص المحقق + ٦٣ ص الفهارس
الجزء الثاني = ٦ ص المقدمة +
٢٦٠ ص النص المحقق + ٤٥ ص الفهارس .

و الى أن أحد الناشرين عمد الى نشر
هذا الكتاب في إحدى المجلات المصرية على
نسختي المتحف ودار الكتب « .
ولم يذكر الناشر ولا المجلة المصرية ولا
سنة الطبع ١٩٠٩ .

وذكر في مقدمة أدب الخواص ص ٣٣
بأنه نشر في مجلة « الكتاب العربي » بمصر
ح ١٧ في سنة ١٩٦٥ بدون تحقيق .
★ وأما كتاب (مختلف القبائل ومؤتلفها
لابن حبيب) فقد كان الفضل الأول في إبرازه
للمستشرق الألماني فردوناندو ستنفلد ونشره
في سنة ١٨٥٠ في غوتنجن في ألمانيا .

١١ - أدب الخواص (في المختار من
بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها
وأيامها) .
للحسين بن علي بن الحسين الوزير
المغرب ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م .

الأعلام ٢٤٥/٢ .
٥٨ ص المقدمة والدراسة + ٩٤ ص
النص المحقق + ٥٣ ص الفهارس
منشورات النادي الأدبي في الرياض ،
بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ
= ١٩٨٠ م

وهو الجزء الأول من الكتاب .
★ وقد نشر الكتاب في مجلة « العرب »
اعتباراً من السنة الثامنة ص ١٦١ وما
بعدها في رمضان ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
١٢ - المسائل العسكرية :

لأبي علي الفارسي ، الحسن بن أحمد
بن عبدالغفار ت ٣٧٧٠ هـ = ٩٨٧ م .

الجزء الثاني = نشره = علي النجدي
ناصر وعبدالفتاح شلبي .

٤١١ ص النص المحقق + ٤٠ ص
الفهارس .

منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب
بالقاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

* وصدر الكتاب في دمشق منشوراً باعتماد
بدرالدين قهوجي وبشير جويجاتي ، وذلك
ضمن مطبوعات دار المأمون للتراث بدمشق
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، الجزء الأول
والثاني منه .

١٧ - مطبع الأنفس ومسرح التانس في
ملح أهل الأندلس .

لأبي نصر الفتح بن محمد عبيد الله بن
خاقان الاشبيلي ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م
الأعلام ١٣٤/٥ .

نشره = محمد علي شوابكة

١٤٣ ص المقدمة والدراسة + ٢٦٤
النص المحقق + ٥٦ الفهارس .

مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

* وأول طبعة ظهرت من هذا الكتاب هي
الطبعة التي نشرتها مطبعة الجوائب سنة
١٣٠٢ هـ باستنبول، وتقع هذه النسخة في إحدى
ومئة صفحة (١٠١) منها صفحتان فهرست
لأسماء التراجم .

ثم طبع في القاهرة ، نشرته مطبعة
السعادة سنة ١٣٢٥ هـ وهي لا تختلف عن
سابقتها . وعدد صفحاتها (١١٢) صفحة .
١٨ - زاد المسافر وغرة محيّا الأدب
السافر .

لأبي بحر صفوان بن ادريس التجيبي
المصري ت ٥٩٨ هـ = ١٢٠٢ م

الجزء الثالث = ٦ ص مقدمة المحقق
+ ٣١٠ النص المحقق + ٥٠ ص الفهارس
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة
وطبعت الأجزاء الثلاثة ما بين سنة ١٩٨٠
- ١٩٨٤ م .

* وينتظر أن يتم الكتاب في سبعة أجزاء
من القطع الكبير (تراثية) .

١٥ - تاريخ الملك الظاهر :

لابن شداد ، عزالدين محمد بن علي
ابن ابراهيم الأنصاري الحلبي ت ٦٨٤ هـ
= ١٢٨٥ م .
الأعلام ٢٨٣/٦ .

٢٩ ص المقدمة والدراسة + ٣٣٢
ص النص المحقق + ٨٤ ص الفهارس .
نشره = أحمد حطيظ .

منشورات دار النشر فرانز شتاينر
بفيسبادن ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م بإشراف
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت .

١٦ - الحجة في علل القراءات السبع :

لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي
ت ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م .
الأعلام ١٧٩ / ٢ .

الجزء الأول =

نشره = علي النجدي ناصر وعبد
الحليم النجار وعبدالفتاح شلبي .

٤٠ ص المقدمة والدراسة + ٣١٨
النص المحقق + ١٣ ص الفهارس .

منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب
بالقاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة
الثانية مصورة عن الطبعة الأولى التي ظهرت
سنة ١٩٦٥ .



الأعلام ٢٠٥/٣

نشره = عبدالقادر معداد .

٤١ من المقدمة والدراسة + ١١٧
النص المحقق + ٢٩ الفهارس

دار الرائد العربي في بيروت ١٤٠٠ هـ
= ١٩٨٠ م .

* وظهر الكتاب مطبوعاً لأول مرة في بيروت
سنة ١٩٣٩ باعتناء عبدالقادر معداد .

١٩ - سيرة ابن اسحاق (المسماة =
بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي) .

لمحمد بن اسحاق بن يسار ت ١٥١ هـ
= ٧٦٨ م .

الأعلام ٢٨/٦

نشره = محمد حميد الله .

٥٠ من المقدمة والدراسة + ٣١٦ من
النص المحقق + ٧٩ الفهارس .

طبع ادارة النشر والتوزيع قونية -
تركيا ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

* وظهر الكتاب مطبوعاً في دمشق ضمن
مطبوعات دار الفكر ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م
باعتناء الدكتور سهيل زكار في ٣٨٤ ص .

٢٠ - الجمل في النحر

لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق
الزجاجي ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م .

الأعلام ٢٩٩/٣

نشره = الدكتور علي توفيق الحمد .
٤٧ من المقدمة والدراسة + ٧ من نماذج
الخطابات + ٤١٩ النص + ٤٦ الفهارس
مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت ودار
الأميل في الاردن ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

* وقد طبع هذا الكتاب أول مرة في الجزائر
سنة ١٩٢٦ م ، وأعيد طبعه مرة ثانية في
باريس سنة ١٩٥٧ م باعتناء الشيخ ابن أبي
شنب في الطبعتين .

٢١ - معرفة القراء الكبار على الطبقات
والأعصار .

للامام الذهبي ، محمد بن أحمد بن
عثمان ت ٧٤٨ هـ = ١٣٤٨ م .

الأعلام ٣٢٦/٥

نشره = بشار عواد معروف + شبيب
الأرناؤوط وصالح مهدي عباس .

الجزء الأول = ٢٠ من المقدمة مع
الدراسة + ٥٠٩ النص .

الجزء الثاني = ٢٤٠ من تنمة النص
+ ١٥٧ الفهارس .

مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

* وسبق أن طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة
١٩٦٧ م وتولى نشره محمد سيد جواد الحق
في جزأين، ٦٩٨ ص (دار الكتب الحديثة) .

٢٢ - تاريخ الثقات :

لأبي الحسن العجلي ، أحمد بن عبدالله
ابن صالح ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م .

الأعلام ١٥٦/١

وبترتيب = الحافظ نور الدين علي
ابن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ وتضميمات
= الحافظ ابن حجر المستقلاني ت ٨٥٢ هـ .
نشره = الدكتور عبدالمعطي قلمجي .

٤٢ من المقدمة والدراسة + ٤٨٤
النص + ٢٦ من الفهارس .

دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ
= ١٩٨٤ م - ط ١ .



- ٢٣ - المنق في أخبار قریش :
لمحمد بن حبيب البغدادي ت ٢٤٥ هـ =
٨٦٠ م .
الأعلام ٧٨/٦ .
نشره = خورشيد أحمد فاروق
١٧ ص المقدمة والدراسة + ٤١٥
النص + ٤٤ ص الفهارس .
عالم الكتب في بيروت ١٤٠٥ هـ =
١٩٨٥ م .
* ونشر الكتاب لأول مرة في الهند (دائرة
المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، سنة
١٩٦٤ م) .
الطبعة الأولى ٦٠٩ ص باعتناء خورشيد
أحمد فاروق .
٢٤ - المنزع البديع في تجنيس أساليب
البديع .
لأبي محمد السجلماسي القاسم بن محمد
ابن عبد العزيز ت بعد ٧٠٤ هـ = ١٣٠٥ م
الأعلام ١٨١/٥ .
نشره = علاء الغازي
١٧٤ ص المقدمة والدراسة + ٣٤٩ ص
النص + ١٢١ ص الفهارس
مكتبة المعارف بالرباط - المغرب ١٤٠١ هـ
= ١٩٨٠ م - ط ١ .
٢٥ - فُرحة الأديب (في الرد على ابن
السراني في شرح أبيات سيبويه) لأبي محمد
الأعرابي الملقب بالأسود الهندجاني ت نحو
٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م
الأعلام ١٨٠/٢
نشره = الدكتور محمد علي سلطاني
- ٢٧ ص المقدمة والدراسة + ١٧٨ ص
النص + ٦٥ الفهارس .
دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع في
دمشق ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م
٢٦ - شرح هاشميات الكميت بن زيد
الأسدي .
بتفسير أبي رياش أحمد بن ابراهيم
القيسي ت ٣٣٩ هـ = ٩٥١ م .
الأعلام ٨٥/١ .
نشره = الدكتور داود سلوم والدكتور
نوري حمودي القيسي .
١٠ ص المقدمة والدراسة + ١٩٥ ص
النص + ١١٨ ص المستدركات .
* وطبع الكتاب لأول مرة باعتناء جوزيف
هورفنز في ليدن (بريل) سنة ١٩٠٤ م (مع
ترجمة النص الى الألمانية) .
٢٧ - شرح أبيات سيبويه .
لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل
النحاس ت ٣٣٨ هـ = ٩٥٠ م .
الأعلام ٢٠٨/١ .
نشره = الدكتور وهبة متولي عمر
سالة .
٣٨ ص المقدمة والدراسة + ٣٢٢ ص
النص + ٥٦ ص الفهارس .
الناشر « مكتبة الشباب » بالقاهرة
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م
* ونشر الكتاب أيضاً = أحمد خطاب
الطبعة الأولى ، ٤٣٢ ص
مطابع المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٤ م
- ونشره أيضاً = زهير غازي زاهد .
في ٣٠٤ ص
النجف ، مطبعة الفرمي الحديثة ،
١٩٧٤ م

٢٨ - تدبير الحبال والأطفال والصبيان
وحفظ صحتهم ...

أحمد بن محمد بن يحيى البلدي ت نحو
١٣٦٨ هـ = ١٩٧١ م .

معجم المؤلفين ٨٦/٢ .
نشره = الدكتور محمود الحاج قاسم
محميد .

٥٨ من المقدمة والدراسة + ٢٧١ نص
+ ٦ من فهرس المراجع والمصادر
دار الحرية للطباعة في بغداد ١٤٠٠ هـ =
١٩٨٠ م . منشورات وزارة الثقافة والأعلام
(سلسلة كتب التراث رقم ٩٦) .

٢٩ - الفرق بين الحروف الخمسة :
(الظاء والضاد والذال والسين والصاد)

أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد
البطليني ت ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م .
الأعلام ١٢٣/٤ .

نشره = عبدالله الناصر
١٣٠ من المقدمة والدراسة + ٤٧٥ نص
+ ١٣٨ من الفهارس .

الناشر دار الماسيون للتراث - دمشق
* ونشر الكتاب أيضاً في القاهرة - مكتبة
المتنبي ١٩٨٢ م باعتماد الدكتور حمزة
عبدالله النشري في ٤٤٨ من .
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٣٠ - معاني القرآن
لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأفش
الأوسط ت ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م .
الأعلام ١٠١/٣ .

نشره = الدكتور فائز فارس ، في
جزأين .

١٣٨ من المقدمة والدراسة + ٥٥٦
من النص + ١١١ من الفهارس

الطبعة المصرية ، الكويت ١٤٠١ هـ
١٩٨١ م الطبعة الثانية وأما الطبعة الأولى
فقد نشرت في الكويت ١٤٠٠ هـ = ١٩٧٩ م

٣١ - الفهرست
لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت
٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م . الأعلام ٨٤/٦

٢٥ من المقدمة والفهارس + ٢٠٥ نص
+ ٢٣ من الفهارس .
نشر مؤسسة الوفاء في بيروت ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م .

٣٢ - المبدع في التصريف
لأبي حيان النحوي الأندلسي ، محمد بن
يوسف بن علي ت ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م .
الأعلام ١٥٢/٧ .

نشره = الدكتور عبدالحميد السيد طلب
٤٢ من المقدمة والدراسة + ٢٥٧ نص
+ ٢٨ من الفهارس .

الناشر مكتبة دار المروية للنشر والتوزيع
في الكويت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .
الطبعة الأولى

* وطبع أيضاً في القاهرة (مكتبة الأزهر)
باسم : المبدع الملتصق من المتع ، وذلك
سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م باعتماد الدكتور
مصطفى أحمد النحاس في ١٢٤ من .

٣٣ - بيان خطأ من أخطأ على الشافعي
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ
= ١٠٦٦ م .
الأعلام ١١٦/١ .

نشره = الدكتور الشريف نايف الدميس

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٠ هـ

= ١٩٨٠ م

* وقد نشر هذا الكتاب من قبل ثلاث مرات :

- الأولى في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، العدد ٢٨ (١٩٥٣) والعدد ٢٩ (١٩٥٤) بعناية الأستاذ سليمان ظاهر .

- والثانية في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد ١٦ / بغداد ١٩٦٨) بعناية الشيخ محمد حسن آل ياسين .

- والثالثة أخرجها الدكتور سليم النيمي في بغداد سنة ١٩٦٨ م كذلك .

٣٦ - المنع في رسم مصاحف الأمصار

مع كتاب النقط

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت

٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م

الأعلام ٢٠٦/٤

نشره = محمد الصادق قمحاوي

٩ ص المقدمة + ١٣٨ ص النص +

٤ ص الفهرس .

الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة

١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

* وقد طبع هذا الكتاب باعتماد أوتوبرتزل ،

استنبول ، سلسلة النشريات الاسلامية ٣/

الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

- وطبع ثانية باعتماد محمد أحمد دهمان ،

ليبيا ، مكتبة النجاح سنة ١٣٥٩ هـ =

١٩٤٠ م

- وطبع ثالثة باعتماد محمد أحمد دهمان ،

دمشق ، دار الفكر سنة

٩٠ ص المقدمة والدراسة + ٢٤٥ ص

النص + ٤٠ ص الفهارس .

منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الأولى .

٣٤ - دلائل الإعجاز

لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن

محمد الجرجاني ت ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م

الأعلام ٤٨/٤ .

قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر .

٢٦ ص المقدمة والدراسة ونماذج

المخطوطات + ٦٣٩ ص النص + ٥٦ ص

الفهارس

مطبعة المدني ومكتبة الخانجي في القاهرة

١٤٠٤ = ١٩٨٤ م

* وأول مطبوعة صدرت من كتاب دلائل

الإعجاز ، هي طبعة الشيخ محمد رشيد رضا

في مصر ١٣١٩ هـ - ١٣٢٠ هـ (مطبعة

الترقي) .

ثم طبع ثانية باعتماد الشيخ محمد عبده

والشيخ محمد الشنقيطي في مصر سنة ١٣٢١ هـ

(مطبعة المنار) .

ثم نشره محمد بن تاووت الطنجي في

تطوان (المطبعة المهدية) بعد سنة ١٩٥٠

٣٥ - اشتقاق الأسماء :

لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي

ت ٢١٦ هـ = ٨٣١ م

الأعلام ١٦٢/٤ .

نشره = الدكتور رمضان عبد التواب

والدكتور صلاح الدين الهادي ٧٠ ص المقدمة

والدراسة + ٥٩ ص النص + ٣٠ ص

الفهارس

نشره = الدكتور محمد كمال إبراهيم
• جمفر

١٨ من المقدمة والدراسة + ١٥٠ ص
النص + ٣٦ ص الفهارس •

الهيئة المصرية العامة للكتاب (مركز
تحقيق التراث) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

٤٠ - مشكل الحديث وبيانه

لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك
الأنصاري الأصبهاني ت- ٤٠٦ هـ = ١٠١٥ م
الأعلام ٨٣ / ٦ •

نشره = موسى محمد علي

٣٠ من المقدمة + ٤٧٠ ص النص +
١٦ ص الفهارس

الناشر عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ
= ١٩٨٥ م

٤١ - الافادات والانشادات

لأبي اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي
الاندلسي ت ٧٩٠ هـ = ١٣٨٨ م •
الأعلام ٧٥ / ١ •

نشره = الدكتور محمد أبو الأجفان •

٧٨ من المقدمة والدراسة + ١١٧ ص
النص المحقق + ٤٣ ص الفهارس •

منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الأولى •

٤٢ - سحر البلاهة وسر البراعة

لأبي منصور عبد الملك بن محمد الشمالي
ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م •
الأعلام ١٦٣ / ٤ •

٣٧ - المكتفى في الوقف والابتدا في
كتاب الله عز وجل

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت
٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م •
الأعلام ٢٠٦ / ٤ •

نشره = الدكتور يوسف عبد الرحمن
المرعشلي •

١٢٦ من المقدمة والدراسة + ٥١٥
ص النص + ٦٢ ص الفهارس •
منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م •

* وطبع أيضاً في بغداد باعتماد جابر زيدان
خلف ، لجنة احياء التراث ، وزارة الأوقاف
والشؤون الدينية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

٣٨ - العفو والاعتذار

لأبي الحسن محمد بن عمران العبدي
المعروف بالرقام البصري ت نحو ٣٧٠ هـ =
٩٨١ م •

مقدمة الكتاب ١ / ٥ - ٥ •
نشره = الدكتور عبد القدوس أبو صالح
في جزأين •

الأول = ٢٤ ص المقدمة والدراسة مع
نماذج المخطوطات + ٢٨٩ ص النص •

الثاني = ٢٨٨ ص النص + ٩٩ ص
الفهارس •

مطابع جامعة الامام محمد بن سمود
الاسلامية - الرياض ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

٣٩ - اصطلاحات الصوفية

للقاشاني ، عبد الرزاق بن أحمد بن
محمد ت ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠ م

الأعلام ٣٥٠ / ٣ •

نشره = الدكتور ميشيل الخوري

٣٠ من المقدمة والدراسة ونماذج خطية
+ ٤٨٧ النص + ٦٨ الفهارس
دار الفكر في دمشق ١٤٠٣ هـ =
١٩٨٣ م (الطبعة الاولى)

٤٥ - التوفيق للتلفيق

لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن
اسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م
الأعلام ١٦٣/٤ .
نشره = ابراهيم صالح

٢٤ من المقدمة والدراسة ونماذج
خطية + ١٨٧ من النص + ٦٠ الفهارس
مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م

٤٦ - المغازي النبوية

لابن شهاب الزهري ، محمد بن مسلم
بن عبيدالله ت ١٢٤ هـ = ٧٤٢ م .
الأعلام ٩٧/٧ .

نشره = الدكتور سهيل زكار

٣٥ من المقدمة والدراسة + ١٤٥ من
النص + ١٨ من الفهارس
دار الفكر في دمشق ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م
٤٧ - مشيخة ابن طهمان

لأبي سعيد الخراساني ، ابراهيم بن
طهمان ت ١٦٨ هـ = ٧٨٤ م .
الأعلام ٤٤/١ .

نشره = الدكتور محمد طاهر مالك .

٥٦ من المقدمة والدراسة + ١٨٨ من
النص + ١ من المحتوي مطبوعات مجمع
اللغة العربية في دمشق ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

نشره = عبدالسلام الحوفي

٢٠٣ النص + ٩ من فهرس

(الكتاب بلا مقدمة للنشر وليس له
فهارس فنية تخديه)

دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ
= ١٩٨٤ م

* وطبع الكتاب في القسطنطينية (مطبعة
الجوانب) سنة ١٣٠١ هـ
- وطبع أيضاً في دمشق (المكتبة العربية)
سنة ١٣٥٠ هـ

٤٣ - الوفيات

لأبي المعالي محمد بن رافع السلمي
٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م .
الأعلام ١٢٤/٦ .

نشره = صالح مهدي عباس وبشار
عواد معروف ، في جزأين
الأول = ١٢١ من المقدمة والدراسة
+ ٣٨٣ من النص

الثاني = ٣٩٨ من النص + ٢٣٤
من المصادر والمراجع والفهارس

منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت
١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

٤٤ - التيسير في المداواة والتدبير

لأبي مروان عبدالملك بن زهر الأندلسي
ت ٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م .
الأعلام ١٥٨/٤ .

الأمير علام الدين علي بن بلبان الفارسي
ت ٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م
الأعلام ٢٦٧/٤
المجلد الأول

نشره = شعيب الأرناؤوط وحسين أسد
٧٦ ص المقدمة والدراسة + ٣٨٨ ص
النص + ٢٢ ص الفهارس
منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

* ونشره الشيخ العلامة أحمد محمد
شاکر (المجلد الأول) في القاهرة سنة ١٩٥٣ م
٥١ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار
لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد
الأزرق ت نحو ٢٥٠ هـ = ٨٦٥ م
الأعلام ٢٢٢/٦
نشره = رشدي بن صالح ملحق
في جزأين
الجزء الأول =

٢٩ ص المقدمة والدراسة + ٣٢١
ص النص + ٤١ ص الملحق + ٤٤ ص
الفهارس
الجزء الثاني = ٣٠٢ ص النص +
٣٧ ص الملحق + ٥٣ ص الفهارس
منشورات دار الاندلس - بيروت
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م (الطبعة الثالثة)
* ونشر هذا الكتاب - لأول مرة -
المستشرق الألماني فرديناند وستنفيلد في
ليبيسك بألمانيا سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م
وجاءت الطبعة في ٥١٨ ص منها ١٤
ص للتصحيحات ، وصدرها الناشر بمقدمة
تاريخية عن المؤلف بلغ عدد صفحاتها ٢٥ ص .

* ونشرت المخطوطة لأول مرة في مجلة معهد
المخطوطات العربية (مج ٢٢ ج ٢ / ١٩٧٦ م) ،
مع مقدمة للناشر تترىف بالمخطوطة ومؤلفها
ابراهيم بن طهمان (المقدسة ص ٢٤١ -
٢٥٨ ، نص المخطوطة ص ٢٥٩ - ٣٠٠) .

٤٨ - السنة

لأبي عبدالرحمن ، عبدالله بن أحمد بن
حنبل ت ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م
الأعلام ٦٥/٤
نشره = محمد السعيد بن بسيوني
زغلول

٨ ص المقدمة + ٢٧٧ ص النص +
٢ ص فهرس المحتويات
دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ
= ١٩٨٥ م

* نشر لأول مرة في القاهرة في الطبعة
السلفية ومكتبتها سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م
٤٩ - اختلاف العلماء

لأبي عبدالله بن نصر المروزي ت ٢٩٤ هـ
= ٩٠٦ م
الأعلام ١٢٥/٧
نشره = السيد صبحي السامرائي
٢١ ص المقدمة + ٢٦٨ ص النص
+ ١٨ ص الفهارس العامة
عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ =
١٩٨٥ م الطبعة الأولى

٥٠ - صحيح ابن حبان
لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ت
٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م
الأعلام ٧٨/٦
بترتيب :

نشره = الدكتور محيي الدين رمضان،
في مجلدين .

المجلد الأول = ٥٩ ص المقدمة
والدراسة ونماذج الخطيات + ٥٤٠ ص
النص .

المجلد الثاني = ٣٩٤ ص النص +
١١٥ ص الفهارس

منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت
١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م الطبعة الثانية .

* وطبع الكتاب لأول مرة في دمشق (ضمن
منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق)

ونشره الدكتور محيي الدين رمضان (ط ١
جزء آن) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

٥٥ - سنن الدار قطني

لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد
الدار قطني ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م
الأعلام ٣١٤/٤ .

لأبي الطيب محمد شمس الحق المظلم
أبادي الهندي .

معجم المؤلفين ٧٢/١٠

الجزء الأول =

٦ ص المقدمة + ٤١٤ ص النص + ٥
ص فهرس الجزء الأول .

الجزء الثاني = ٣٠٢ ص النص +
٢ ص فهرس الجزء الثاني .

الجزء الثالث = ٣٢٤ ص النص +
١ ص فهرس الجزء الثالث .

الجزء الرابع = ٣٠٧ ص النص + ١
ص فهرس الجزء الرابع .

- وطبع ثانية في مكة سنة ١٣٥٢ هـ =
١٩٣٣ م باعتناء رشدي صالح ملحق ٠٠

٥٢ - أمثال العرب
لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي
ت ١٦٨ هـ = ٧٨٤ م .
الأعلام ٢٨٠/٧ .

نشره = الدكتور احسان عباس
٤٤ ص المقدمة والدراسة + ١٣٥
ص النص + ٧ ص ملحق + ٣٨ ص
الفهارس .

منشورات دار الرائد العربي
بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م
* ونشر الكتاب لأول مرة في استانبول في
مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ . ثم طبع مرة
أخرى في مصر (القاهرة) سنة ١٣٢٧ هـ
= ١٩٠٩ م .

٥٣ - تمثال الأمثال
لأبي المعاسن محمد بن علي العبدي
الشيبي ت ٨٣٧ هـ = ١٤٣٣ م .
الأعلام ٢٨٧/٦ .

نشره = الدكتور أسعد ذبيان ، في
مجلدين

الأول = ٩٨ ص المقدمة والدراسة
+ ٣٠٥ ص النص

الثاني = ١٩٤ ص النص + ١٩٠ ص
الفهارس العامة .

منشورات دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ
= ١٩٨٢ م الطبعة الأولى

٥٤ - الكشف عن وجوه القراءات
السبع وعللها وحججها .

لأبي محمد مكّي بن أبي طالب
القيسي الأندلسي ت ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م
الأعلام ٢٨٦/٧ .

* ونشر ثالثة في بيروت (مؤسسة الرسالة)
بعناية شكر الله بن نعمة الله قوجاني الايراني
١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م

- وهي أجود وأفضل النشرات جميعاً .

٥٨ - الأحاديث المشككة في الرتبة أو
(أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب)
لأبي عبدالله محمد بن درويش الحوت
البيروتي ت ١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م
الأعلام ٧٤/٧ .

نشره = كمال يوسف الحوت .

٢١ من المقدمة والدراسة + ٢٧٠ ص
النص + ٤٧ ص نصوص أخر ملحقة بالكتاب
+ ١٧ ص المصادر والآيات والفهرس العام
منشورات عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ

١٩٨٣ م

٥٩ - الانصاف في التنبيه على المعاني
والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين
في آرائهم .

لابن السيد البطليوسي ، محمد بن
عبدالله بن محمد ت ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م
الأعلام ١٢٣/٤ .

نشره = الدكتور محمد رضوان الداية

٢٢ من المقدمة والدراسة + ١٧٩ ص
النص + ٦٠ ص الفهارس .
منشورات دار الفكر بدمشق ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م الطبعة الثانية .

* ونشر هذا الكتاب لأول مرة في مصر
(مطبعة الموسوعات) سنة ١٣١٩ هـ بإشراف
واعتماد أحمد عمر المصناني .

- ونشر ثانية في دمشق (دار الفكر)
سنة ١٩٧٢ م باعتماد الدكتور محمد رضوان
الداية .

منشورات عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م .

الطبعة الثانية

* نشر لأول مرة منفرداً في دلهي سنة ١٣٠٦ هـ

- ونشر أيضاً (مع شرح تعليق المغني)
في دلهي سنة ١٣١٠ هـ .

- ثم أعيد نشره فطبع بالقاهرة باعتماد
السيد عبدالله بن هاشم المدني .

٥٦ - الكافي في البيزرة

لعبد الرحمن بن محمد البلدي ت ق ٧ هـ
نشره = احسان عباس وعبدالحفيظ
منصور .

٤٤ من المقدمة والدراسة + ٣٦٨ ص
النص + ٢ ص ثمة وشواذ + ٨ ص مصطلحات
البيزرة + ٣٧ ص الفهارس .

منشورات المؤسسة العربية للدراسات
والنشر - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م
الطبعة الأولى .

٥٧ - المراسيل

لأبي محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن
ادريس الرازي ت ٣٢٧ هـ = ٩٣٨ م
الأعلام ٣٢٤/٣ .

نشره = أحمد عصام الكاتب .

٩ من المقدمة + ١٩٠ ص النص +
٢١ ص الفهارس .

دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م

* ونشر هذا الكتاب لأول مرة في الهند في
حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤١ هـ .

* وطبع ثانية في بغداد (وما هي في الحقيقة
الا اعادة طبع للنشرة السابقة) وقد قام بها
السيد صبحي البدري السامرائي سنة ١٩٦٧ م

* وهذه الطبعة صورة طبق الأصل (مسروقة مشوهة) عن الطبعة المصرية التي نشرها عبدالفتاح محمد العلو (مكتبة عالم الفكر - القاهرة ١٩٧٩ م) ط ١ ، ٤٦٨ ص وهذه الدار مشهورة بالسرق والاغارة على التراث العربي بكل وقاحة وصفاقة ؟ !

٦٢ - تعريف الخلف برجال السلف

لأبي القاسم محمد الحنفاوي ابن الشيخ ابن أبي القاسم الديلمي كان حياً ١٣٢٦ هـ معجم المؤلفين ١٣٥/١٠

نشره = ١٩ : الطبعة الأولى ، في قسمين

القسم الأول = ٢٠٣ ص النص

القسم الثاني = ٦٠٣ ص النص + ٢٠ ص فهرس الأعلام للقسمين .

منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت والمكتبة العتيقة في تونس ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

٦٣ - الانصاف فيما يجب لاعتقاده ولا يجوز الجهل به

لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي الباقلائي ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م الأعلام ١٧٦/٦

نشره = محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وأشرف عليه عبدالوهاب عبد اللطيف ١٣٨٥ ص المقدمة والدراسة + ١٨١ ص النص + ١٤ ص الفهارس

منشورات مؤسسة الخانجي - القاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

* طبع هذا الكتاب لأول مرة في القاهرة باعتهاء محمد زاهد الكوثري سنة ١٣٦٩ هـ . وطبع ثانية في القاهرة أيضاً باعتهاء محمد زاهد الكوثري وأشرف عبدالوهاب عبداللطيف سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

- ونشر ثالثة في القاهرة (دار الاعتصام)

سنة ١٩٧٨ م ، ط ١ ، ٢٤٧ ص باعتهاء الدكتور أحمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبدالله الشرتي .

٦٠ - القول المسدد في الذنب عن مسند

الامام أحمد .

لابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد الكثاني ت ٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م الأعلام ١٧٨/١

نشره = عبدالله محمد الدرويش

٢٨ ص المقدمة والدراسة + ١٧٤ النص

+ ٤٧ ص فهرست الكتب من مرويات الخافظ ابن حجر (تأليف مجهول) + ٨ ص الفهارس .

منشورات اليمامة - دمشق ، بيروت

١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

* ونشر لأول مرة في الهند (مطبعة دائرة المعارف النظامية بهيدر آباد الدكن) سنة ١٣١٩ هـ .

- ثم طبعت في القاهرة (بناية وتصحيح

ونشر مكتبة ابن تيمية) سنة ١٤٠١ هـ .

٦١ - عقد الدرر في أخبار المنتظر

ليوسف بن يحيى بن علي الشافعي المقدسي السلمي ت ٦٨٥ هـ = ١٢٨٧ م الأعلام ٢٥٧/٨ ومعجم المؤلفين ٣٤٣/١٣

نشره = لجنة من العلماء بأشراف

الناشر ؟ !

٥ ص المقدمة + ٣٥٠ ص النص +

١٠٨ ص الفهارس .

منشورات دار الكتب العلمية - بيروت

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م



- ٦٤ - الملل المتناهية في الأحاديث الواهية
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد
الجوزي ت ٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م
الأعلام ٣/٣١٦ .
- نشره = محمد محيي الدين عبدالحميد،
في أربعة أجزاء .
- الجزء الأول = ٧ من المقدمة وفهرس
الجزء الأول + ٣٨٤ من النص .
- الجزء الثاني = ٣٨٤ من النص + ٥
من فهرس الجزء الثاني .
- الجزء الثالث = ٣٢٧ من النص +
٦ من فهرس الجزء الثالث .
- الجزء الرابع = ٣٠٩ من النص + ٩
من ملحق + ٣ من فهرس الجزء الرابع .
- منشورات دار احياء التراث العربي -
بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م الطبعة الرابعة
والطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م
- للبحث صلة -
- ٦٥ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
لأبي الحسين السهمودي علي بن عبدالله ابن
نشره = الشيخ خليل الميس، في جزأين
الجزء الأول = ١٣ من المقدمة والدراسة
+ ٤٥٩ من النص + ١٤ من فهرس الجزء
الأول .
- الجزء الثاني = ٤٥٧ من النص +
٢٠ من فهرس الجزء الثاني .
- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ
= ١٩٨٣ م .
- * ونشر هذا الكتاب في الهند باعتناء ارشاد
الحق الأثري سنة ١٣٩٩ هـ

مركز تحقيقات كاتوير علوم اسلامی

★ ★ ★

آداب التربية الإسلامية العربية

محمد صالح بربرندي

١ - تمهيد :

مجال تقدم الأمم في الحضارة والرفي وبناء صرح المجتمع يعود الى التربية القديمة التي تنتهجها وترسمها الأمة لحياتها وحياة الجيل الذي تقوم بتنشئته وأعداده على أساس تلك التربية التي تضعها له لأن أهداف التربية ومقاصدها وغاياتها في حياة الأمم ، تختلف على ما تعلقه من الغايات المنشودة من وراء نظرتها للتربية ، فعملية التربية والتعليم لها أثر بارز فعال في حياة الأفراد والشعوب ، فكل تقدم يلقاه المرء في حياته ونجاح يظفر به في مجتمعه يكون مرده الى ما ظفر به من التربية الجليلة والتعليم النافع المثمر الذي تزود به منذ صغره . ولهذا كان مجد الأمة وحضارتها يقاسان بالتربية المثلى التي تسود مجتمعاتها ، وبالأهداف المنبعثة من وراء تلك التربية ، وبالقيم المعنوية والروحية التي تنشدها في حياتها ، وبالمبادئ التي تنادي بها ، وتلقنها أفراد مجتمعه وتأخذ بها الروح الجماعية المسيطرة على تلك الأمة .

٢ - أثر التربية في حياة الأمة :

اننا نجد الفلاسفة والمثّل العليا قد طفت على فلاسفة أثينا القدماء ، وكان سقراط ينادي بالمبدأ الآتي : (الفضيلة هي المعرفة) واعتقد بشبات القيم والمثّل وانها جواهر الأشياء وراسخة في عقول الناس حيث يولدون وتولد معهم وقال ان المعلم (يستخلص النتائج عن طريق الحوار مع التلاميذ) ويمتقد البعض أن جمهورية تلميذه أفلاطون عن طبيعة العدل الأسى لها صيغة تربوية في الحياة وقد لقب فريق آخر أريسطو بالمعلم

الأول، وكانت فلسفته تتلخص في المبدأ الآتي: (الفضيلة هي الوصول إلى السعادة والخير ويقولون أن تلك النظرية لم تكن مجرد تأمل في الحياة بل هي اتجاه وإرادة تشتمل على الخير كله وعمله ، والواقع أن كتاب أرسطو (السياسة) كان له أثر بارز في التربية في العصور الوسطى . وأسبارطة القديمة عزت بلاد اليونان واستقرت بها ، ولكن الأسبارطيين لم يندمجوا مع أهلها ، وهكذا تمثلت نظرتهم إلى التربية إلى أن كان هدفها المباشر أعداد طبقة الجند حتى أن المواليد من الأطفال كانوا يجتازون امتحاناً خطيراً هو امتحان الحياة أو الموت ، إذ يلقون في ناحية من الجبل فمن قاوم منح حق الحياة ومن مات استراحت أسبارطة من ضعفه وهكذا نجد النظرة إلى التربية تختلف بمفهوم الجماعة والروح المسيطرة عليها ، ونلمح ذلك بارزاً في التربية الإغريقية أو الرومانية أو غيرها .

٣ - نظرة التربية الإسلامية :

إن التربية الإسلامية منبعثة من روح الإسلام المتمثلة في أسس ومقاصد القرآن الكريم التي تتلخص في المبادئ الآتية : الدعوة إلى الحياة - الدعوة إلى الخير - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتكام في كل ذلك إلى العلم والمقل ونجد أيضاً أن مفهوم تلك التربية يتجلى في السنة النبوية الشريفة وهي كما يقول الإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات) راجعة إلى الكتاب الكريم وبيان له . أن الإسلام الذي ثار على الظلم والظلمة وزلزل عروش البني والجبور . وأحل العدل والحكم الشورى وجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، جعل نظريته إلى التربية (الفردية والجماعية) مستقاة من هذه المبادئ الإنسانية العالية ، وروح المجتمع التي بشر بها هي الخير والسعادة للجميع وهدى الناس وارشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم ، وإذا كانت هذه المثل العالية هي أهداف التربية الإسلامية فمن الطبيعي أن تأخذ بذلك المفهوم الخلقي الذي حلم به فلاسفة أثينا قبل ألف سنين وبالتالي فإن المبادئ التي أخذت بها التربية الإسلامية ونادت بها هي مثالية تأثرت بها التربية الحديثة (بصورة مباشرة) قرونًا طويلة ، وأهمها مبدأ الإخاء والمساواة بين جميع المؤمنين بغض النظر عن اختلافات الجنس واللون والمنصر ، وقد ظهر التجانس والائتلاف والإخاء والمساواة في أوضح صورته بنظم التربية والحضارة الإسلامية التي تشيد بمظمتها ونقر بفنونها ومبادئها وأبطالها وأخلاقها .

ويعود الفضل بذلك إلى التربية الإسلامية القائمة عليها ، وإلى الروح العلمية التي نادت بها ، فقد قال رسول الله ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وإن ما أوجده المسلمون من منشآت ومعاهد لنشر العلم ، وما أهدقوا عليها من خيرات وأوقاف لا نجد له نظيراً في تاريخ الأمم القديمة أو المعاصرة للإسلام . وهذا ما يدل على اهتمام المبادئ والتعاليم الإسلامية بالتعلم ، وبالتربية التي يستند إليها . والواقع أن جميع مناهج التربية الإسلامية وتوجيهاتها وطرقها وأنظمتها قد توخت تربية الأخلاق المثالية في نفوس النشء وهذا يدل على اهتمامها العظيم وعنايتها الكبيرة بالتربية الخلقية حتى يكاد يقتصر

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی



شقيقي على دراسة هذا المرض وحدد أوصافه بدقة وشخص مظاهره ، وأشار الى ضرورة الفحص الدقيق للقلب والنبض والتنفس والبراز ، وإلى ارتفاع الحرارة المساعد على انتشار الطفح في الجسم بعد انتشاره خلف الأذن والفم فعالج هذا الداء المسمى (الحصبة) وألف كتاباً حوله ، فانقذ بذلك حياة الأطفال من السحرة والكاذبين ، وكان أول المتحدثين عن (الجذري) في معالجة دقيقة بعيدة عن الأوهام .

ثم تتابع خديجة الحديث . كان شقيقي يكدرس وريقات في صندوق خاص ، حكمت عليه بالتفاهة ، لكنني بعد وفاته ، أخرجت ما في الصندوق ، فإذا محتواه يقع في ثلاثين جزءاً ، أطلق عليه الأطباء (كتاب الحاوي) لأنه جمع فيه الأمراض ، كما جمع في شخصه اختصاص الأطباء في كل مجال .

●● خطة الرازي في تأليف الكتاب :

يقول أبو بكر الرازي في تحديد نهجه في كتابه :

« واني لما أجلت الفكر في أن يكون هذا الكتاب تاماً مستقماً في غرضه المقصود ، رأيت أنه ينبغي أن الحق بذكر الأمور الجزئية التي تخص عدداً في دفع مضاره ذكر قوانين وأمور كلية في تدبير المطعم والمشرب جملة ، ورأيت أنه ينبغي أن أجعله مقالتين ، أذكر في الأولى منهما الأمور الخاصة الجزئية ، وفي الثانية القوانين العامة الكلية . وأنا فاعل ذلك بمشيئة الله عز وجل . وإياه أسأل التوفيق لصواب القول والفعل والمون على ما يرضيه ويقرب اليه ويدني منه . »

وهذا حين نبتدى فنقول انه لما كان معول الناس في أغذيتهم على الغبن والماء

وطبع في لايبزيغ سنة ١٩١١ وتدل هذه الآثار التي خلفها لنا الرازي على ما له من قدرة على الصبر والتحمل وحب العمل وعلى أنه لم يجد لذة في دنياه الا في رحاب العلم والعمل والتأليف .

تروي لنا شقيقة الرازي (خديجة) عن حياة الرازي فتقول :

كان طلاب العلم يزحفون اليه من جميع البلدان لتلقي المعرفة على يديه ، فكان حجة عصره ، ومرجعاً لكل الحالات المرضية المستعصية . أذكر أن صبياً يافعا جاء يشكو اضطراباً وخوفاً من حالته التي سامت خلال سفره حتى بدأ يبصق دماً . وقد عجز أطباء بغداد عن كشف مرضه ، فعائنه الرازي بهدوء كبير ، فلم يمش على السبب ، فطلب من الفتى أن يتريث ويصبر فعائلته لا تشير الى خطر ، اذ ليس لديه التهاب رئوي أو سرطان وهنا تمالي صراخ المريض وانهمرت دموعه قائلاً :

إذا كان أمهر الأطباء عاجزاً عن معرفة ما بي فسلام علي واستمر أخي يقلب السبب فسأله : أي ماء شربت في رحلتك ؟ أجاب الفتى : لقد شربت هنا وهناك من ماء الأبار والمستنقعات . قال الرازي : لا شك أنك ابتلعت حلقة دموية تثبتت في أمعائك ، ارجع غداً لأجري لك العلاج المناسب .

وفي اليوم التالي حضر الفتى ومعدته فارغة بحسب توصية الطبيب ، الذي طلب منه تناول (نبتة الطعبل) حتى ضاقت ذرعاً بها . ثم أجرى له عملية القيء . لا عملية جراحية . فأخرج من أمعائه حلقة دموية مفزعة . وتتابع خديجة (أخت الرازي) الحديث فتقول :

كثرت الشموذة في معالجة الأطفال من مرض كان يؤدي بحياة الكثيرين ، فمكف

● سفوف قوي :

وصفته أن يؤخذ من بزر البطيخ المنقى وزن عشرة دراهم ، ومن حب القلت (١١) واللوز المر والدوقو (١٢) من كل واحد وزن درهمين ، فيستف منه وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليها ماء حاراً قد أغلي فيه برشاوشان (١٣) الى أن يفقد ذلك العارض .

●● التحقيق :

يقول الأستاذ حسين الحموي محقق الكتاب مبينا دوره وجهده في تقديم الكتاب للقراء العرب بشو به الجديد الذي صدر في طبعته الأولى بدمشق عام ١٩٨٤ عن دار الكتاب العربي .

وقد حاولنا جهدنا شرح معظم الكلمات التي كنا نشعر بالحاجة الى شرحها لاتمام المعنى وإيصاله الى القارئ .

أما الأسلوب ، فهو أسلوب علمي ينم عن عبقرية طبيب وفيلسوف وكيميائي فلم نستطع أن نغير أو نبدل في طريقة السبك والتأليف ، واكتفينا بالشرح والتوضيح لأهم التراكيب التي وجدنا أنها بحاجة لشيء من ذلك ، وقد أشرنا في نهاية الكتاب الى أهم المراجع والمصادر التي كانت لنا عوناً فيما ينبغي وننوخى ، وإن كان ما ينبغي وننوخى هو الاستفادة في الشروح لا الاختصار بقصد الموازنة بين حجم الكتاب وعدد صفحاته ، وبين الغاية التي نهدف الى تحقيقها في حدود الامكان .

●● وفيما يلي نقدم بعض ما اختاره المحقق للقراء الكرام عن أهمية بعض الألفية :

● السبانخ :

تحدث ابن سينا عن السبانخ فقال :

والشراب واللحم ، وكانوا لهذه أكثر استمالا منهم لغيرها ، رايت أن أبدأ بالقول فيها .

●● في منافع الحنطة والخبز المتخذ منها ومضارها ، وما يدفع به تلك المضار وصنوف الخبز والأوفق منها في حال دون حال .

● الخبز السميذ والحواري :

فأقول أن الخبز مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دائماً وجري العادة بالاعتدال منه ، له مضار ينبغي أن تميز وتفصل .

فمن الخبز السميذ (١) والحواري (٢) والخشكار (٣) على مرتبته في ذلك من قلة النخالة وكثرتها ، والفطير والمختسر (٤) والكثير الملح والبورق (٥) ، والمديم لذلك ، وخبز التنور ، وخبز الفرن ، وخبز الملة (٦) وخبز الطابق (٧) .

فمن مضار الخبز السميذ والحواري أنه أصغر خروجاً من البطيء من الخشكار ، وأنه أكثر نضجاً وتوليداً للرياح ، ويولد السدد في الكبد والحصى في الكلى في المستعدين لذلك . ولذلك ينبغي أن يميل عنه الى الخشكار من تكثره الرياح الغليظة ويبس البطن والسدد في الكبد والغلظ في الطحال والحصى في المثانة المستعدة لذلك ويسرع اليه الامتلاء وتصيبه أوجاع المفاصل ويمتريه التحجر فيها .

وما يدفع به هذه المضار أن يكثر فيه من الخمر والبورق ، ويتمهد الأكل له السكنجيين (٨) البزوري ويأخذ بزر البطيخ وبزر الكرفس (٩) مع السكر الطبرزد (١٠) متى أحس بشغل تحت الأضلاع من الجانب الأيمن . فاما متى أحس بشغل في البطن والقطن وعسر في خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياماً قبل الطعام بثلاث ساعات .

● البصل :

ينقي الدم وينظم دورته ويدبر البول ، وينفع في تضخيم الجروح والدمامل ، وبعض أمراض الكبد والكلى ، وتبين من الأبحاث الحديثة أنه في طليعة النباتات التي تقتل الجراثيم وبخاصة جراثيم التيفوس . أما فائدة البصل الغذائية فهي تفوق فائدة التفاح وفيه عشرون ضعفاً من الكالسيوم الموجود في التفاح وضعف ما فيه من الفوسفور وثلاثة أضعاف ما فيه من فيتامين آ والحديد وفيه الكبريت وفيتامين ج ومواد مدرة للبول والصفراء ومليئة ومقوية للأعصاب ، ومقوية للقدرة الجنسية ومؤثرة في القلب ودورة الدم ، وفيه مادة الفلوكوئين التي تحدد نسبة السكر في الدم وهي تعادل الأنسولين في مفعوله .

● الثوم :

يحتوي على نسبة كبيرة من البروتين والأملاح والكبريت والماء ولدى إجراء التجارب عليه ظهر أنه مطهر معوي ومنبه معدي وموقف للاسهال الميكروبي ، يؤكل بلعاً على الريق أو يستعمل فص أو فصان تحميلة ويؤكل مع اللبن الرائب لتطهير الأمعاء ومعالجة السعال والربو والسعال الديكي وهو يطرد الأرياح ويفيد الأعصاب وينشط القوة الجنسية وهو مدر للبول .

● العسل :

غذاء منشط جداً ، فهو يعطي ٣٠٠ حروري في كل مائة غرام وهو ذو قيمة غذائية كبيرة والكيلوغرام الواحد منه يعادل في قيمته الغذائية (٥) كيلوات من الحليب أو ٢٦ موزة أو ٦٠ برتقالة أو ٥٠ بيضة أو (١١٧٥٠) كغ من لحم العجل أو (١٢) كغ من الخضراوات والمواد السكرية الموجودة

إنها تنفع لأمراض الصدر والرئة وتزيل العطش ، ويمكن أكلها نيئة أو مطبوخة ، وعصيرها المحلى بالسكر يفيد في معالجة اليرقان ، والحصى البولية وعسرة البول ، وتعتبر غذاء جيداً للمحموسين والناقهن ، وهي تفيد أيضاً في أوجاع الحلق والظهر والنزلات الدائمة ، وإذا طبخت أوراقها مع الباقلاء ، كانت فائدتها الغذائية أكبر ، ويحسن عدم استعمال هذه الأوراق بعد أن تظهر البذور بينها .

● السفرجل :

يحتوي على كثير من الأملاح الكلسية والمواد الهضمية وحامض التفاح وفيه (٧١٪) من الماء و (٥٪) من البروتين و (١٢٫٨) من الألياف و (٧٫٥) من السكر و (٣) مواد دهنية و (١٤٫٩) رماد ، و (١٣) بوتاس و (١٩) فوسفور و (١٩) صودا و (٢) كلور و (١٤) كلس ومقدار وفير من فيتامينات أ ، ب ، ج ، ب١ وبخاصة للتسكين والتقوية وفتح الشهية ، وعلاج المعدة والكبد وهو يشفي الاسهال المزمن ، ويقوي القلب ، ويفيد المصابين بسلس الأمعاء والصدر والنزيف المعدي والمعوي ، وانهيارات الرئة ، ويقوي الهضم والأمعاء يمنع القيء ، ويفيد الأطفال والشيوخ ، ويشفي من سيلان اللعاب ، ومن الزكام الشديد ، ومن سيلان المهبل ، وفقد الشهية ، والعجز الكبدي .

ومنقوعه يفيد أكثر من تناوله ، وإذا أضيف مقدار ملعقة من مسحوق السفرجل إلى كمية من الأرز المسلوق في ٢٥٠ غراماً من الماء أفاد الأطفال المصابين باضطرابات الهضم والمسلولين والتحللين .

فيه مي سكاكر سهلة الهضم وهو يقدم لمعضلات الجسم نشاطاً سريعاً وقوياً .

● القهوة :

ان ثلاثة فناجين من القهوة يحتسيها الانسان في اليوم الواحد ، تعتبر منبهاً قوياً ، أما ما زاد عن ذلك فهو منبه شديد الضرر ولا فائدة منه على الاطلاق وان الاكثار من القهوة يؤدي الى تسمم بطيء يخفف النوم ويزيد الهواجس ويضعف الشهية .

● الشاي :

الشاي مادة مغذية ومنشطة اذا تناولها الانسان باعتدال وهي منبهة وضارة اذا افراط بها لأن مادة الشاين الموجودة فيه تشبه الكافيين الموجودة في القهوة منبهة للأعصاب والقلب ومدررة للبول وهو يساعد على الهضم بعد الطعام ، ويفيد الشاي في دفع العطش ومساعدة الجسم على مقاومة الحر ، هذا ويؤدي الشاي بعض الأشخاص ذوي الاستعداد للبدانة وتولد الحمضيات لأنه يسبب لديهم خلا في احتراق الأغذية وبالتالي يسبب تراكم الرمال وترسبها .

● البابونج :

ينشط الهضم ويجلب النوم ويخفف الحرارة والتهاب المجاري البولية وينفع الرمد والبثور والحكة والوجع والجرب ويذهب اليرقان ويدر البول .

● البيض :

مادة غذائية هامة تحتوي على الفسفور والحديد والفيتامينات والكليسيوم والبروتين

والكبريت واليوتاسيوم والزنك والنحاس والصوديوم والكلور واليود وهو غذاء كامل لذا فان تناول بيضة أو بيضتين صباحاً يمد الجسم بحاجته الغذائية بما يعادل ٣٥٠ غراماً من الحليب أو ٥٠ غراماً من اللحم .

● الحليب واللبن :

غذاء حيواني كامل ، ولا حد للفوائد التي يجنيها الانسان منه ويكاد يكون مستحيلاً علينا أن نجد غذاء يماثل الحليب في خصائصه وصفاته ، فهو أساس حياة الانسان والحيوان وعمادها ، فكل الكائنات اللبونة تعتمد على الحليب في حياتها الأولى .

● ولا بد من الاشارة بدور المحقق الأستاذ حسين العموي ، الذي بذل جهداً مشكوراً في شرح كثير من معاني الكتاب حتى أن هذه الشروح فاقت على مادة الكتاب مرات ٠٠ فعدد صفحات الكتاب الأصلي كما يذكر محقق الكتاب كانت ٦٨ صفحة ، بينما جاء الكتاب المحقق يضم ٣٦٥ صفحة إضافة الى ملحق من اعداد المحقق الشارح يقع في نحو خمسين صفحة تحدث فيه عن قيمة كثير من المواد الغذائية الهامة ٠٠ كالعسل والقهوة والشاي والبابونج والبيض والحليب ٠٠ الخ إضافة الى قائمة بالمراجع ضمت ٥٦ مرجعاً وجعل له فهرساً مفصلاً لسهولة الرجوع الى المادة المطروحة في الكتاب ٠٠ وهذا العمل جميل أيضاً قيمة مضاعفة لكتاب هلا متنا الرازي إذ أنه بشرحه الضافية صار قريب المتناول والفهم من جميع المثقفين المعاصرين للاستفادة منه .

دمشق : حسان الكاتب

□ الحواشي :

- ١ - السعيد : الدقيق الأبيض ، ويقال له السعيد بالدال وهو المادة الأساسية التي تدخل في صناعة العلوى .
- ٢ - العواري : الخبز الأبيض المصنوع من الدقيق المنخول المنطوف بشكل جيد وفي القانون لابن سينا (الطحين الأبيض) قريب من النشا لكنه أسمن .
- ٣ - الخشكار : (الخشكر) هو ما خشن من الدقيق . وهو كلمة فارسية . والخشكار (القصري) ما بقي في المنخل بعد الانتغال . وهو ما نسميه (النخالة) . ينفع في إدرام الثدي .
- ٤ - الفطير والمختمر : الخبز الفطير هو كل ما أعجلته قبل أوانه في الاختمار والمختمر عكس ذلك تماماً .
- ٥ - البوق : ويقال له (النطرون) وهو أقوى مسن الملح ، ولكن ليس له قبض وهي كلمة فارسية وقيل يونانية .
- ٦ - الملة : هنا نوع من الخبز الرقيق الجيد النضج وفي اللغة موضع العبوة ، كان الأصمعي يقول : لا يقولون أحدهم أكلت ملة ، بل يقول : أكلت عبوة ، وإنما الملة موضع العبوة .
- ٧ - الطابق : الناس من الخبز يقول صاحب العين ، الخبز الذي قد ذهب طعمه وبلله من شدة الطبخ ، وهو هنا الخبز المدود المرقق النافخ الذي تسميه العامة (خبز الصاج) . وقال ابن دريد معاني كثيرة في أنواع الخبز وكذلك صاحب العين .
- ٨ - السكتجين : وهي كلمة فارسية مصرية بمعنى شراب من الطل والعسل .
- ٩ - الكرفس : نبات ثنائي حولي من الفصيلة الخيمية Umbellifres أول ما زرع على أنه نبات طبي ثم تحول بعد ذلك إلى نبات غذائي .
- ١٠ - الطبرزد : ويقال له (الطبرزد) وهي كلمة فارسية أصلها تبرزد وهو السكر الصلب ولعله المقصود بـ (السكر نبات) الذي تستخدمه العامة لتجديد الصوت وترطيب الحنجرة والحلق .
- ١١ - القلت : ربما كان المقصود به (القلت أو الجت) وهو نبات يشبه نبات (الإفايا) الذي يسمى (الشوكة المصرية) من فصيلة القطانيات ينمو في البلدان الحارة . وإذا كان المقصود به الجت فمن أسماؤه (اللصصة ، والفصة ، والبرسيم العجاسي ، والرطوبة) إذا كانت لغفة أما إذا جفت فيطلق عليها اسم (القلت) وهي نبات عشبي معمر جلوده تنفرح قليلاً إلا أنها تنمق كثيراً في التربة والصلت : حب بين الشعير والبراذن لقي الجرد من قشره . ويقول ابن دريد الصلت : هو حب يشبه الشعير أو هو الشعير بعينه .
- ١٢ - الدوقو : نوع من البذور .
- ١٣ - أقراس رقيقة يوضع فيها مسحوق الأدوية .

أبواب دمشق

نادية الفزي

يصل المسافر الآتي من البحر... من ثغور بلاد الشام القديمة الى خانق الربوة
جبل عن يمينه وجبل عن شماله .. نهر .. نهران .. ثلاثة ، بل سبعة
أنهر كالتعويذة تستهل السهل الفسيح الذي ينبثق فجأة أمام نظر المسافر
الآتي من الغرب ... عن ورده السهل .. ورده كبيرة تبث أنواع عطورها
الغريبة ، مختلقة سندس البساتين مختلقة جو الشام الحلو المدفوع العالم ،
المصبوغ بالدم والحرائق على مدى العصور ..

قد تكون دمشق ، هي (إرم) .. كما
ذكر بعض المؤرخين .. ذات العماد .. ذات
العشرين ألف عمود في أيام آرام ... بل قيل
في مبالغات وصف عمدها انها كانت أربعمئة
ألف عمود . والله يا دمشق لتبقيين .. فلقد
قال رسول الله ﷺ :

ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر
المدن أهلا .. ولأهلها مقلدا .. وأكثر أهدالا
وأكثرها مساجد .. وأكثرها زهادا ...
وأكثرها مالا .. وأكثرها رجالا ... وأقلها
كفارا .

لتقول دمشق على مدى الأجيال ...
كلمتها الغالدة الدائمة .. (أهلا وسهلا)
.. دمشق ترحب بكم .. دوماً دمشق ...
ترحب بكم ...

أهلا وسهلا تقول الدمشقية لضيوفها
حين تفتح باب بيتها .. بل أهلين وسهلين بل
مئة أهلا ومئة سهلا .. تفتح الأبواب مشرعة ،
ويستقبل الدمشقيون الضيوف فاذا البلدة
قناديل وفوانيس وصدور ، وتبقى دمشق
على مر العصور شامخة لا تضربها غائلة من
الدهر الا رأيناها تشتد وتعمر .. وتلبس
القشيب من عاداتها وألوانها ..

وفي قيل عن قيل عن كعب الأحبار قال:
يبقى في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا
أربعين عاماً .

* * *

فلنصمت أمام مدينتنا المقدسة التي
أحبها الرومان كثيراً وقالوا عنها : دمشق
الجميلة المقدسة . . . ولنصمت أمام مدينتنا
المباركة التي ذكر مسجدها العظيم في القرآن
الكريم . . . فلقد جاء في مقدمة سورة (التين)
بسم الله الرحمن الرحيم (والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الأمين) .

أما البلد الأمين فهو مكة . أما الطور
فحيث كلم الله موسى عليه السلام . أما
الزيتون فهو مسجد القدس . أما التين فهو
مسجد في دمشق . . . ويقال انهم أدركوا فيه
شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد . فما
أروع أن تنبت نبتة في مقر عبادة . . . وما
أخشع العبادة في الساحات التي يظلها شجر
التين . . . وأي ثمر أشهب هو : أنه أشهى من
العسل .

أما دمشق الصبية . . . دمشق المعمرة
. . . دمشق الخرافة .

قبل أن تكون دمشق . . . كانت هناك
بحيرة واسعة . . . بدأت تجف تدريجياً مع مرور
الزمان والأحقاب الجيولوجية . . . ولقد جفت
البحيرة على خمس مراحل جيولوجية حتى بقي
منها بحيرة المتيبة وبحيرة الهيجانة .

وفي الزمن البعيد . . . كان الانسان القديم
يسكن الكهوف المحيطة بدمشق . . . وكان
انسان نيادرتال قد تركز في التلال الأربع
التي تحيط بدمشق . . . وكان لمدينة برزة
شأن عظيم ومنها انطلق الانسان نزولاً الى

السهل الجاف ليبنى أول حجر في دمشق . .
أما اليوم فلقد أصبحت برزة حياً من أحياء
دمشق . . . أصبحت الأم ضلعاً من أضلاع
وليدتها . . . انه منطق الحياة . . . والتطور . .
والأضواء . . . هذه الأضواء التي فرضت
المدنية والتوسع على دمشق . . . فانطلقت
عبر التاريخ . . . من أسوارها الثلاثة مشكلة
هيكلاً النجمي الرائع الحالي . . . مشكلة شكلاً
نجمياً خماسياً سداسياً سباعياً . . . يشع وميضاً ،
يجذب الناظرين في الليل الهادي . . . أترى
دمشق زمان كانت أجمل من دمشق الان ؟

□ الشام :

كان يقال لها . . . أرض بني كنعان . .
وقد تكون الشام قد سميت لاتجاهها نحو
الشام أي الشمال بالنسبة لمكة وكلمة (شام)
حتى في الوقفيات القديمة تعني - بدون
شك - الشمال وليس اليسار .

وقد تكون قد سميت باسم (سام بن
نوح) واسمه (شام) بالعبودية .

أما دمشق فقد يكون اسمها مشتقاً من
(DO-MESKOSS) أي مسك مضاعف
(فالدو) للتضعيف ومسكوس هو المسك .

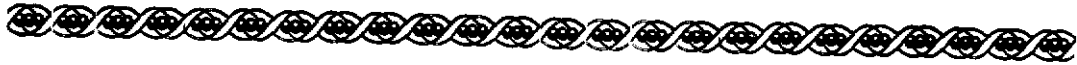
وقد تكون منسوبة الى قائد غزاهما
فبناها وهو (DAMASCUS) .

وقد تكون [دم . شق] ترمز لدم شق
الأرض حين قتل قابيل أخاه هابيل .

فاسم دمشق قديم قديم . . . ورد في
اللوائح الارامية .

ومن الأقوال في بنائها أن جيرون بنأها . .
فمن ؟ وما هو جيرون ؟

جيرون من أبناء سليمان بن داود . .
بنته الشياطين . . . وكان الشيطان الذي بناه



قال ابن تبيع : تغرب الشام ... وتعمر الشام .. حتى تكون في العمران كالرمانة ولا يبقى فيها خربة من جبل أو سهل إلا عمرت .. ويفرس فيها من الشجر ما لم يفرس في زمان نوح .. وتبنى فيها القصور الثلاثة في السماء ..

وقيل العكس في بلاد الشام .

ماذا يمكن أن يروى عن دمشق ... كل ما يروى قليل .. قاله أبو هريرة عن رسول الله ﷺ بأن دمشق واحدة من أربع مدائن الجنة وكثيرون لا يستطيعون تفسير اللفظ الرباعي للأمور التي ذكرها أبو هريرة عن الرسول إذ قال :

الملائكة أربعة : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل .

واختار الله من النبيين أربعة : إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

ومن المهاجرين أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

ومن الموالى أربعة : سلمان الفارسي وبلال الأسود وصهيب الرومي وزيد بن حارثة .

ومن النساء أربعة : خديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد وآسية .

ومن الأهل أربعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

ومن الليالي أربعة : ليلة القدر وليلة النحر وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان .

ومن الأيام أربعة : الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عاشوراء .

يدعى جيرون وهو سقيفة مستطيلة على عمد .. وسقائف على عمد .. وحوله مدينة تلطوف بجيرون (هذا القول لاسحق بن أيوب القرشي) .

ويقال ان نوحاً بناها حين هبط من السفينة وأشرف على جبل حشمش أي تل حران .. فكانت أول مدينة خطت بعد الطوفان ثم دمشق ..

ومن الممكن أنها إرم ذات العماد .. وليس موضع أكثر حجارة من دمشق ..

ويقال هما جيرون وبريد اللذان كانا أخوين .. ابني سمد بن لقمان بن عاد .. هما اللذان بناها ويعرف باب جيرون وباب البريد بأسميهما ..

ومن الممكن أن يكون (المازر) . غلام إبراهيم الخليل .. وكان حبشياً وحب له نمرود بن كنعان حين خرج إبراهيم من النار .. واسم الغلام دمشق . - هو الذي بنى المدينة أو (بيوراسب) الملك اليوناني الذي بنى بابل وصور ٩٠ .

أو دمشق دمشق (DAMASCUS) . غلام الاسكندر ٩٠ .

وفي كل الأحوال فان من بنى دمشق واسوارها .. بناها في مواقع الكواكب السبعة . مرجحاً بالكواكب على أبواب دمشق .. فباب كيسان لرحل .. والباب الشرقي للشمس وباب توما للزهرة ... والباب الصغير للمشتري .. وباب الجابية للمريخ .. وباب الفرديس لمطارد .. وباب الفرديس الآخر المسدود للقمر (ابن عساكر) .

لله در الشام .. هذه الأرض المباركة .

الساعة هي العاشرة ليلا وكما ورد في التذكرة
المسماة بالدر المكنون والجمال المصون من
فرائد العلوم لكمال الدين الغزي المتوفى
عام ١٢١٤ هـ . قال في وصف الزلزال . .
ولسوف أقتطع من النص لطوله :

رجفت الأرض رجفة مقلقة برياح
وعواصف . . ورعود قواصف . . فطاشت
لها العقول وحصل غاية في الذهول تخلمت
السقوف وتشققت الجدران . . وهدست في
الشام بيوت لا تحصي وسقطت رؤوس مآذن
دمشق . . الشرقية والغربية في جامع بني
أمية . . ومنارة العروس ذهب منها شيء
يسير . . ثم رجفت الأرض في اليوم التالي
فسقط من الجامع الأموي جداره الشرقي
والشمالي . . وسمع لها صوت هائل . . .
وبقيت الرجفات والاهتزازات تتوالى ليلا
نهاراً حتى آخر شهر ربيع الأول . . مات
من مات من الأنفس . . وهدم ما هدم من
البيوت . .

عندئذ فتحت أبواب دمشق كلها . . .
وخرج الناس إلى الفلاة اتقاء للزلزال العظيم
حتى هدا . .

عاد الزلزال مرة أخرى في ربيع الثاني
السادس منه . . بعد صلاة المشاء في الجامع
الشريف بنحو ثلث ساعة . . رجفت الأرض
الرجفة العظمى . . صارت الجبال تمور
والأرض تغور . . والمياه تغور . . ودام
الحال كل الليل . . تضرع الناس لملائم
الغيوب وحارت العقول . . وطاشت الرجال
الفعول . . وشمل الزلزال كل القرى
والمناطق المحيطة حتى حوران وحمص والتل
وغیرها (١) .

عندئذ وقع سور دمشق من طرف نهر
بانياس . . وسدت الطرق . .

ومن الشجر أربعة : السدرة والنخلة
والتينة والزيتونة .

دمشق هي التينة . . دمشق التي هي
من مدائن الجنة . .

ثياب أهلها خضر . . هي مدينة الأشجار
ومدينة الأنهار . . هكذا قال كعب الأحبار .

ما أصل هذه المدينة ؟ ومتى وجدت ؟
من سكنها ؟ ومن عمرها ؟ كيف عاش
أهلها ؟ كيف أمنوا غارات الأعداء المتلاحقة
عبر عصور وعصور . كيف استطاعوا حماية
مدينتهم . كيف زرعوا أشجار غوطتهم ؟
التي كان يرعى فيها غنم يعقوب عليه السلام ؟
ما سر هذه المدينة التي أشرف عليها
هيسى بن مريم عليه السلام . . فما إن وصل
إلى الغوطة ورأى شجرها حتى داخلته الروعة
والسكينة فقال : (يا غوطة) .

وقيل آدم قد خلق من طين الجابية
وعجن بماء الجنة . .

وأسوار دمشق المزدوجة وما تبقى من
هذه الأسوار الداخلية والأحجار التي تشاهد
في أحياء المدينة العتيقة إلى اليوم . !

وتملن عن حضارات موهلة في القدم .
فلنتصور معاً . . حادثة زلزال دمشق
الكبير . . الذي تعرضت له المدينة بعد سلسلة
من الزلازل ضربت كل بلاد الشام إلى انطاكية
. . لم تتأثر دمشق بالزلازل الأولى بقى
سورها كما هو وبقيت أبوابها مغلقة . إلى
أن حل نهار السادس من ربيع الأول لسنة
١٧٥٩م . كانت دمشق آمنة . . عامرة . .
زاهرة . . والناس فيها قد أووا إلى بيوتهم
هائنين منهم من نام ومنهم من تهيأ للنوم في
تلك البيوت الرائعة الجمال . . . كانت



بقي أهل دمشق ثلاثة أشهر تحت الغيام
خارج دمشق ...

ورغم كل هذا الغراب عمرت الشام من
جديد .. عمر الجامع والبيوت وساعدت
الدولة العثمانية آنذاك في إعادة بناء الجامع
المعظم .

لكن أبواب دمشق وأسوارها لم تكن
مؤسسة للوقاية من الزلازل فقط كان لها
شأن آخر .

وقبل أن أبدأ بتمعداد أبواب دمشق
وذكرها .. أريد أن ألفت الانتباه إلى الأبحاث
التي تشير إلى الأسوار الثلاثة التي تحيط
بثلاث دمشقات .. دمشق الكنعانية .. ثم
دمشق الآرامية .. ثم دمشق الرومانية
اليونانية التي جددت أبوابها جميعاً من قبل
المسلمين .. بل فتحت في أسوارها أبواب
جديدة أخرى .

ولربما كان هذا هو السر .. الذي
يفسر وجود بعض الأبواب الضخمة في داخل
المدينة عدا أبواب الحارات والأحياء وأبواب
الخانات بالذات التي نشاهد في منتصف كل
منها باباً صغيراً يدمى (الخوخة) يفتح
للداخليين والخارجين لئلا يلجأ إلى فتح
الأبواب الضخمة في كل حين وعلى مسار
الساعات والدقائق .

دمشق مفرمة بالأبواب .. تغلق
المدينة أبواب أسوارها لتحفظ السكان من
المهاجمين وتغلق الأحياء أبوابها ليظل لكل
حي رجاله وفرسانه وميليشياته (٢) ...
وتغلق أبواب الخانات ليستتب الأمن في
الليل .. وتغلق أبواب البيوت لتبقي كل
أسرة أسرارها في منزل عن الأخرى .. ويغلق
الدمشقيون أبواب نفوسهم .. يفتعونها

بمقدار وكان لباب النفس خوذة كبقية
الأبواب يطل منها الدمشقي على العالم يحذر
وذكاء .. لقد علمته الأحداث هذا الحذر .
علمه تيمورلنك وهولاكو والصليبيون
وغيرهم ..

فاذا وثقوا بمددك ملكوك من نفوسهم
ما شئت .. وفتحوا أبوابها وشرعوها ...
وهناك المعجب العجيب .. فأهل دمشق
كمدينتهم .. كفراديسهم .. كأشجارهم .
كوردتهم .. عطاء .. عطور .. عطور ...

وحذر .. حذر .. أنه منطلق الأبواب
.. منطلق نفوس أهل مدينة لا يمكن معرفتها
ومعرفتهم بسهولة .
زمان هم .. قشور خارجية متماسكة .
وعالم داخلي مرصوص .. ذكي .. متعوج
.. خبير .

فلننزل إلى دمشق القديمة .. ولننظر
حول سورها العموري الكنعاني العجري
الثقيل فلقد كانت هناك بداخله دمشق
صغيرة فيها معبد وقصر ولها أسواق وأحياء
منفصلة وسوق كبير تحيط به حدائق
وبساتين ومساكن للطبقات غير اليسورة .

كان نمط البيوت الكنعانية مشابهاً
لبيوت دمشق القديمة الموجودة حالياً .. باحة
في الوسط .. حولها غرف .. مدخل في صدر
الباحة يكون مبلطاً على الألب .. وقد
توجد بئر وقد يوجد في البناء طابق آخر .
وسطح مسور يفرش عليه الزبيب والقمح
والمؤونة .

بانياس أو نهر (أبانا) أو (باناس)
هو الذي كان يحده المدينة شمالاً .. وعلى
ضفتيه بني السور .. وتؤكد منطقة (السيح
طوالع) أن كل الشوارع العرضانية محدودة
بالسور ، مسدودة في نهايتها ..

وقد تكون من الجرن والحوض ...
فلقد وجد في منطقة جيرون حوض كما قال
ياقوت الحموي .

من هو جيرون ؟ انه جيرون بن سعد بن
عاد .. حل بأرض دمشق .. وهو الذي
جمع عمد الرخام .. وأحضر المرمر .. ثم
شيد بناء جيرون .. وسماها (إرم ..
ذات العماد) ..

ان دمشق كما قال المسعودي .. هي
إرم صاحبة قصة جيرون .. وأبوابه النحاسية
المجبية . وقد يتعارض هذا القول مع
النقش الذي وجد على حجر في بيت العبادة
الذي تحول الى المسجد الجامع وكان في النقش
الكلام التالي :

« بنى هذا المعبد دامشقيوس على اسم
الالهة أريس » . أريس هو نجم المشتري فهل
دامشقيوس هو الذي بنى المعبد فعلا ؟ أم
وسمه عن المعبد القديم .. معبد (حدد) .

وفي قيل عن قيل ان منطقة جيرون ،
الشاخمة لباب الجامع الأموي الشرقي هي من
بناء سليمان بنتها الشياطين !! وان الشيطان
الذي بناها يدعى - جيرون - وهي سقيفة
مستطيلة على عمد .. وحولها مدينة دمشق .

وفعلا .. فان الباب الشرقي في معبد
جوبيتر كان يدعى باب جيرون .. وهو نفسه
باب الجامع الأموي الآن .. وكلمة جيرون
تعني باللغة اليونانية الهيكل أو فناء الدار
وهذا ممكن .

وقد يكون جيرون شيطانا .. لكنه
شيطان آدمي .. مهندس معمار نابغة في ذلك
العين .. سميت المنطقة باسمه .

السقيفة قد زالت .. وفوارتها المحدثة
بعد ذلك قد اندثرت .. ولم يسبق الا الدرج

أما الأبواب القديمة فهي :

باب جيرون - باب اليريد - باب
الفرايس الداخلي - باب الخواصين في سوق
الحرير . وتؤكد الدراسات الحديثة وجود
مدينة عمورية بسور وأبواب .. تتوالى مع
الأبواب التي فتحت في الأسوار المحدثة بعد
ذلك لتكون ما يشبه السلسلة ..

ولنعلم أن العموريين كانوا عرباً هاجروا
من شبه الجزيرة العربية .. وكانوا في البدء
وثنيين يلجأون الى عبادة الشمس والنجوم .
وتؤثر عليهم الجهات الأربع المرتبطة مع
النجوم ..

وعمر أو عمرو هي لفظة التدايل
التي تطلق على كل بلاد الشام .. ولكن ألا
يمكن أن يكون اسم عمر أو عمرو هو اسم
عمورا نفسه .

العموريون هم الذين بنوا المعبد الذي
كان يسمى بمعبد (حود) الاله الذي تحول
وشوهد منقوشاً فيها بعد بهيئة السمل
الأعظم (بل) .

ولا بد لمن يزور دمشق القديمة .. من
أن يلاحظ أزقتها المقطوعة بشكل فجائي عند
السور المتيق .. وهذا ما يؤكد وجود دمشق
الكنعانية المسورة .

□ جيرون :

نطقة دمشق هي جيرون .. فلنبداً من
جيرون .

قد تكون تصغيراً للكلمة فينيقية تعني
الغريب أو الدخيل المستجير .. كذلك في
السرانية وما أقرب كلمة (الجار) العربية
من جيرون ..

لو ينطلق الماء منها بثخن ذراع رجل
عبل كما كان ينطلق .. لو يهبط الماء من
حولها فكانه شجرة وارفة ولكن من ماء ..

يا حبذا .. لو تصير درجات معبد
جوبيتر الخارجية .. مسرحة .. لو يمث
تاريخ هذا الباب الرائع .. المختفي تحت
الأنقاض .

لو نجمل لمقهى النوفرة مذاقا فولكلوريا
خاصا ...

لو موسيقى .. شيء من الماضي .. لو
تمود أيام جيرون ..

لو تبنى القبة الرخامية التي بنيت هام
٣٦٩ هـ .

أتارنا نحتفل بافتتاح مساء نافورة
جديدة كما بنيت في الماضي .. عام ١٦٦٠
وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من
ربيع الأول عام ١٧٤١ .

ألا نعيد بناء ما سقط منها في صفة
عام ١٥٧٧ من جمال تعاكت به ..

ألا نعيد بناءها بعد حريق اللباديين
ورواق دار الحجارة ودار خديجة عام ١٦٢٥
لله درك يا جيرون المحروقة عام ١٥٩٠ بمد
رجوع أسد الدين شيركوه الى دمشق .

لله أنت يا جيرون المحترقة بغمورك
وعطورك وفنادك وملاهيك .

لو لم تكوني جميلة يا جيرون .. لما
ذكرك (ابن جبير) في القرن السادس في
وصف خاص بك .

أو ما عرفت الفتنة التي وقعت بين
أنصار الأمويين وأنصار الضحاك بن قيس
بيوم جيرون ٩٠ .

العجري النازل الى المنطقة خلف الجامع الأموي
.. والا مقهى يدعى قهوة النوفرة تظلمه
خميسة وتغطيه من جنباته .. ويجلس اليه
رجال يترقرون التراجيل والى جانبهم ..
فواره جيرون المشهورة .. التي تحولت الى
بحيرة عادية . مرصوفة بالبورسلين البلدي
الأزرق .. محاطة بقفص حديدي .

وأولاد منها يستقون .. وبالماء يلعبون .
وبالرغم من كل هذا ..

فالمنظر ساحر يأخذ بالالباب .. وباب
الجامع الأموي الشرقي الخشبي الكبير الذي
تحرسه نافذتان مسدودتان بالحجر .. يطل
بجبروت على فواره جيرون .. وعلى ما تبقى
من باب جيرون بل من أبواب جيرون الثلاثة
التي تشاهد الى اليوم الباب النصفي سالك
وبابان جانبيين مردومان بالأتربة حتى ثلاثة
أرباعهما .

وبائع فلافل يقلي فلافله المشهورة مع
إذان الظهر .. أو أن خروج الأولاد من
المدارس يقول بائع الفلافل : جيرون ملك .
كان ملكا .. وربما كان شيطانا أيضا تاريخ
بأكمله يطل أمامنا في هذه الفسحة الرائعة .
عمد وأحجار وأبواب ومياه وفوارات .. أسواق
أسطورية .. وحارات للفرهام .. وفنادق
في الخيال .. نساء مجهولات الذي رجال
مجهولون .. بغير وأفراس وأضاح ..

بائع فلافل .. يقلي فلافله وقت الظهيرة
ويواكب أبواب دمشق .

اقتراح : يا حبذا لو نأتي بواحد من
فنانينا القديرين .. ينحت لنا فواره جديدة
.. يصنع تمثالا خرافيا لجيرون .. يجري
ماء حقيقيا كما لو كان الماء يجري من
فواره جيرون قادما من بستان الحجاجية (٣) .

عندك الخرافية يا جيرون معقودة
بالمرض لا بالطول ٠٠ وفي المصور الغابرة
كانت ساحتك تمتج بالنجمين ٠ والمشعزين ٠
ان باب جيرون ٠٠ هو ما يسمى اليوم
بباب الوفرة ٠

□ باب البريد :

ما هو باب البريد ؟
باب من أبواب دمشق الداخلية ٠٠٠
ووفق بعض الآراء فهو باب المدينة الكنماني
الغربي ٠٠ وكانت فيه دار أبي الدرداء ٠
وهو في غرب المدينة ٠٠ يتألف من ثلاث
فتحات : الكبيرة في الوسط ٠٠ وفتحتان
جانبيتان ٠٠ وهو ثغر دمشق ٠٠ حارسها
وحاميتها الأمين ٠
مسكنة دمشق ٠٠ دمشق المشانق ٠٠
دمشق الهدم ٠

أما تزال عتبة بابك الجنوبي داخل دكان
اليوم ؟ وفرخك المهذوم يبين يطلب
الانقاذ ؟
ايه يا مدخل الأضاحي الرومانية ٠٠
من هناك كانت تساق ٠٠ تتجمع في الأقبية
حتى تصل الى الباب الجنوبي للمعبد ٠٠٠
أقباء معقودة ٠٠ وعمد منصوبة يفرق بينها
عضد محكمة ٠

شهد هذا الباب ملايين الناس ٠٠ شهد
طفولة كنمان وآرام وأشور أشهد ٠٠ ويونان
ورومان وآشوريين وأسيوين وعباسيين ٠٠٠
شهد فاطميين وسلاجقة وقرامطة وأتابكة
ومماليك وأيوبيين وعثمانيين وفرنسيين
وانكليز ٠٠ وشهد طفولتنا ٠٠

الباب ليس صامتاً هذا المساء ٠٠ انه
يذكرنا بحادثة وقعت أثناء مذايح دمشق ٠

يا جيرون ٠٠

يا جيرون المحترقة في فتنة تيمورلنك في
القرن التاسع ٠٠ أكواماً من التراب ظلمت ٠٠
ثم جاء (كمش-بغا طولو) نائب قلعة
دمشق فجعلك مخزناً للخشب ٠٠ وكانت تقع
فيك منكرات ٠٠ ووجد فيك قتيل كذلك ٠
أهكذا شأن المظماء يا جيرون ؟

كيف ؟ كيف كان لباب جيرون في القرن
السابع شأن آخر ٠٠ فكان سبباً لمناقشات بين
الفقههاء ٠٠ وألفت فيك الرسائل ٠٠
ثم سد فرخك الشمالي يا جيرون ٠٠
وزعم أن فيه مزاراً كريماً ٠٠ ثم منع المرور
منه ٠٩ لماذا ؟

كيف حصل كل هذا ؟ حتى جاء الأشراف
(قايت بي) سنة ٨٩٢ فأمر بهدم مخزن
الخشب وأعيد فتح بابك ؟ كيف عادوا فأذلوك
يا جيرون ٠٠ وجعلوك مخزن حطب من جديد
للفرن القريب ٠٩

أما تزال عتبة بابك الجنوبي داخل دكان
اليوم ؟ وفرخك المهذوم يبين يطلب
الانقاذ ؟

ايه يا مدخل الأضاحي الرومانية ٠٠
من هناك كانت تساق ٠٠ تتجمع في الأقبية
حتى تصل الى الباب الجنوبي للمعبد ٠٠٠
أقباء معقودة ٠٠ وعمد منصوبة يفرق بينها
عضد محكمة ٠

يا مدخل المراسم في المعبد الروماني
عند جيرون ٠٠ يا مدخلا ينزل اليه بدرجات
تحت الأرض ٠٠ أما اكتشفك العراقي الكاتب
المجدد حين نزل ما تحت الساعات ليقوم
ببعض الماشرف وجد تحت الأرض هذا الرواق
الخرافي ٠

هذه هي دمشق الصغيرة التي كان يحرسها نهر بانياس .. أبانا .. وكان النهر الثاني بردى Per - Per وتعني هذه الكلمة (الفراشة) وكانت العرب تدعوه خرخر أو خرخار .. وغالباً هو بردى وليس نهر الأموج البعيد عن دمشق .. وكانت المدينة الوسطى .. الأرامية .

بنيت هذه المدينة .. دمشق الأرامية عام ٨٤٣ ق.م . حيث شق نهر قنوات .

أما سور دمشق الأرامي .. وهو السور الثاني .. الحلقة الوسطى من أسوار دمشق المتعاقبة فيمود الى مابعد ٢٥٠٠ - ١٥٠٠ ق.م

ورد ذكر السور الأرامي في نقوش الآشوريين وفي التوراة .

وقد وردت عبارة عن بولس الرسول في الانجيل .

ولما تمت أيام كثيرة .. تشاور اليهود ليقتلوه .. فلم شاوول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الأبواب أيضاً نهارة وليلا ليقتلوه . فأخذ التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل .

جرت هذه الحادثة عام ٤١ م .

وان المدة التاريخية التي مرت بين بناء السور الأرامي والروماني تعادل خمسمئة وألفاً الى ألفي عام .

ما هي الأبواب الأرامية ؟

ندور مع السور : نبدأ من باب السلامة - باب توما - زقاق باب توما - التقاطع تلة العجارة - الباب الصغير الأرامي - الشارع المستقيم - بين السورين - باب الفراديس الأرامي .

في عصر اليوم التاسع من تموز عام ١٨٦٠ م .. أمر الوالي العثماني باخراج الرماح المسجونين من المسلمين .. ليطلقوا في الشوارع وهم مكبلون .. بالقيود ارباباً للشوار من المسلمين والدروز .. وكان قد نصب المدافع على أبواب الجامع الأموي بحجة الحماية ..

ولما وصل الرجال المقيدون بموكبهم اليئاس الى باب البريد .. ذقون طويلة ثياب مهلهلة .. نظرات حقد .. كان باب البريد ينتظر .. وهجم بضعة من الناس على الخفر فبطشوا بهم .. وخلصوا رفاقهم .. ونادوا بالجهاد ..

ساد الهرج .. وهجم بعض الأوباش المجهولي الهوية على المسيحيين في بيوتهم ومحللاتهم .. فقتلوا الرجال وسبوا الميال .. وهتكوا الأعراض ..

والمؤسف أن أساس الفتنة كان حدثاً تافهاً ..

فلقد طلبت بعض العقول المثيرة للفتنة من بعض الصبيان أن يرسموا الصليبان على أرض الشوارع .. فأمر الوالي التركي بكس الصليبان .. فقامت الفتنة .

وباب البريد .. واقف .. ثابت .. يرى أولاده .. أولاد دمشق يقتتلون في الفتنة لا يستطيع فعل شيء .. فلقد دخل الشيطان بينهم في ذلك اليوم الصيفي البعيد . ان جيرون .. وسقف باب البريد وأعمدته قد هدمت .

□ زلزال دمشق الكبير ؟

يمكن اعتبار باب الخواصين .. باباً ثالثاً للمدينة العمورية .. وهو في سوق الحرير . كذلك باب الفراديس الداخلي .

أما الأبواب المتبقية من الأبواب الآرامية فهي :

١ - الفراديس (العمارة الداخلي)
١٢ م بين الباب المزدوج .

٢ - باب المناخلية (الفرج الداخلي)
٨٧٥م بين طرفي الباب المزدوج .

إنها أبواب الشام القديمة .. أبواب الفيحاء التي يقال عنها (اللماعة) واللماعة هي التي تدعو الركبان إليها .. وهي الشام والشامين والشامات .. معناها الطيب أطلق اسمها على دمشق من إطلاق المصام على الخاص .

□ أبواب دمشق في السور الروماني :

كان لدمشق قبل أن يسكنها العرب .. سبعة أبواب .. على السور الروماني : في جانبها الشمالي ثلاثة أبواب .. لأنه أكثر الجوانب تحصيناً .. وحوله النهر .. والفراديس . أما الأبواب فهي :

- ١ - الباب الشرقي (شرقاً) .
- ٢ - الباب الكبير (باب الجابية) غرباً .
- ٣ - باب توما .
- ٤ - باب الجينيق .
- ٥ - باب الفراديس (في الشمال) .
- ٦ - الباب الصغير .
- ٧ - باب كيسان (في الجنوب) .

ظلت هذه الأبواب على عهدنا .. حتى انتهاء الدولة الأموية .. إذ قدم العباسيون وهدموا سور دمشق .. بعد ذلك .. جرت الترميمات والتغييرات فأعيد فتح أبواب وسد

غيرها .. وفتحت أبواب جديدة .. وجددت أبواب قديمة .

في دمشق الفامضة .. وفي سورها الأشد غموضاً .. كانت هناك أبواب صغيرة أخرى تفتح عند الحاجة إليها .. لكن هذه الأبواب اختفت .. ولربما تحول أكثرها إلى أقواس داخل البيوت الشامية الممتدة المتوسمة في محيط دمشق .

الغولطة .. الفراديس .. النيرب .. الجابية ...

يا دمشق الفامضة .. يا ذات الأسواق البهيجة والباشورات والبضائع والدفوف .

يأتيك الناس من كل صوب .. يبيمون تحت أسوارك .. وداخل باشورات أبوابك يكسبون .. يكتسبون .. ويكتسب أهمل دمشق على مر المصور السبق التجاري الأول .

حين خلدك الممالك يا دمشق .. خلدوا أنفسهم فيك .. وحين نقشوا أسماءهم على أبوابك .. ظلت أبوابك .. وبقي منهم أسماءهم .

* * *

كنت يا دمشق .. مدينة مقدسة ... نظيفة .. كل باب من أبوابك كان يحمل على كتفه جاماً ومثدنة ..

بعض المآذن كانت أبراج كنائس .. وكان عند أبوابك الكبرى حمامات للغرباء .. فانت تحبين النظافة يا ابنة الأنهار السبعة . والأبواب المجهولة المختفية بين الحارات والأسوار ..

ما حكاية هذه الأرض المباركة ...
أرض اذا قسم الخير فلها منه تسعة أعشار
وجزم لساثر الأرض ٠٩

— فلتر الى خالد بن الوليد :

ظلت دمشق حلماً في رأس عمر بن الخطاب ... فتابع تغذية الحملة الاسلامية التي أرسلها (أبو بكر) بقيادة عمرو بن العاص لفتح بلاد الشام . أما الصديق رضي الله عنه ... فقد توفي قبل انتصار العرب في البرمك بمشرة أيام واستغلف الخطاب من بعده .

كانت الجيوش الاسلامية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ... ويزيد بن معاوية وشرجيل بن حسنة ... وعمرو بن العاص .
وخالد بن الوليد .

وصل خالد الى ثنية (العقاب) في الفوطة ... تتقدم جيوشه وجعافله المنتصرة راية رسول الله ﷺ السوداء ... التي تسمى (العقاب) .

كانت دمشق الرومان ... مغلقة الأبواب ... مسلحة الأسوار في ذلك العام البعيد عام ١٣ - ١٤ هـ . وكان الشهر شهر رجب .

— سار خالد الى دمشق ... حاصر ... طالت أيام الحصار ... وتوالت الرسل بين أبي عبيدة والروم ... والروم لا يقبلون بالتسليم ... وقيل حوصرت دمشق حولاً كاملاً وأياماً ... نزل خالد على الباب الشرقي ويزيد بن معاوية على الباب الصغير والجراح على باب الجابية .

وطال انتظار حكام دمشق ... ولم يأت مدد هرقل ... والمسلمون يزدادون قسوة واصراراً ولا يفارقون الأبواب والأسوار .

يدخلك الغريب ... يفتسل ... يفرد بضاعته ... يشتري أهل دمشق ... يحبون كل جديد ... كل عطر ... يتسمون ...

لقد بقيت أسواق كثيرة حتى يومنا هذا، منها ... سوق باب الجابية التي بناها نور الدين عام ٥٦٠ هـ . ومنها سوق باب الصغير التي تدعى الباشورة الى الآن .

أما هذه الأبواب ... فقد جددت بهندسة عربية اسلامية ... عدا الباب الشرقي الروماني الذي لم يتهدم ...

أقواس مخمسة ... نعل حصان ... باب قديم من حجر يقول ... دمشق ترحب بكم .

□ الباب الشرقي :

— سمي بالباب الشرقي لأنه شرق البلد ... وهو أكبر الأبواب ... ارتفاعه الى أول القوس ٢٩٢ سم وعرضه ٢٨٨ سم .

— كان له شان كبير أيام الرومان ... وكان يتألف من ثلاثة أبواب ، سد الكبير وفرخه الجنوبي ... وبقي الباب الشمالي .

— بني أيام Septeme-Sever , Karakalla مثناً سنة قبل المسيح وقليل من المئة الثالثة .

— باب ثابت هو ... وصل الى القرن العشرين كما بناء الرومان .

— لقد دخل منه خالد بن الوليد عند فتح دمشق عنوة وحيلة .

ودخل منه عبدالله بن علي العباسي عند سقوط الدولة الأموية .

— ما هي حكاية ابن الوليد ؟ ما حكاية (جلق) الفيحاء الحليقة الرأس عند قاسيون ؟

الباب الكبير .. ورموا بالحبال .. وعلى
ظهورهم القرب التي عبروا بها خندقهم ..
ولا يسمهم الا الليل .

حفيف أذرعة بشرية تتحرك في العتمة .
صوت نقيق ضفادع .. أفراح داخل دمشق
الرومانية .

ثبتت الحبال جيداً .. وصعد القمعاق
ومذعور .. ثم لم يدعها أحبولة الا وثبتها
والمكان أحصن مكان في دمشق .

وهل يخترق خالد بن الوليد .. الا
أصعب الحصون .. وأعلى الأسوار ؟

— تسلقوا جميعاً ثم انحدروا .. بعضهم
يحمي بعضاً .. جند على السور .. وجند
في الخنادق .. وجند أصبحوا داخل دمشق .

قال ابن الوليد : الله أكبر ..

هللوا .. كبروا : الله أكبر ..

كبر الذين على رأس السور .. فنهد
الدمشقيون اليهم .

ونزل خالد .. فقتل البوابين .. وثار
أهل المدينة .. وفزع الناس .

وحطم ابن الوليد .. بنفسه .. ومن
معه .. أخلاق الباب الشرقي الروماني
الكبير .. وفتحوا الباب للفتح العربي
الاسلامي .

— قيل ان الأبواب الأخرى قد فتحت
بعد ذلك صلحاً أو خوفاً .

— ربما .. لكن المهم أن الجيوش
الاسلامية التقت عند (المقلط) بأحسة
القصر هي .. انها اليوم مكان مجهول في
منتصف سوق مدحت باشا .. الشارع

وكان أبو عبيدة أحب الى سكان دمشق
والروم من خالد .. لحكمته ولينه وقدرته
على المفاوضة .. لكن المفاوضة دامت ..
والمسايسة ازدادت .. وأبواب دمشق بعيدة
المنال ..

— أما يزيد فشدّ والجراح يفاوض
ويسايس منبأ لسفك الدماء .. وخالد ازداد
شدة وبقي أكبر الأبواب صامداً في وجه
خالد بن الوليد .. والكل متفقون .

— الذي حدث في ليلة فتح دمشق ؟

ان ولد للبطريق (١) مولود ...
فصنع له (ه) ..

أكل القوم وشربوا .. وغفلوا عن
مواقمهم .

وخالد يعلم بكل ما يدور داخل الأسوار
.. خالد لا ينأ .. خالد لا ينيم .. لايهمه
برد أو مطر .. أو حر .

ولا يخفى عليه .. من أمرهم ..
شيء .

أعد خالد الحبال وشدّ السلام ...
وانتظر اللحظة الحاسمة .

كان القوم يلهون ويشربون .. حين
تقدم ابن الوليد .. والقمعاق بن عمرو .
ومذعور بن عدي ...

وكان القائد هو الذي يتقدم .. كان
خالد في أول الصف .. في رشقة الرمح بعيداً
عن الخوف .

قال : اذا سمعتم تكبيرنا أيها الجند
فارقوا البناء .. وانهضوا على الباب .

تسلقوا الباب الأصفر .. ثم ارتقوا

اليونان جعلوا هذه الحبات طلسماً حتى لا يسوس في دمشق القمح ولا الشمبر .

أترى ؟ لو ظلت الساعة المائية المقامة عند باب الساعات (الصاغة) والتي كان يعرف بها الوقت في كل ساعة من النهار والليل بهندسة مائية عجيبة . وعلى الساعة حية وخراب وعصافير . كلما تمت ساعة من الوقت خرجت الحية . وزقزقت العصافير وسقطت حصاة من فم الخراب في الطست .

ترى ؟ لو بقيت هذه الساعة . أكنا عينا بساعات الأزهار والنواقيس والعصافير أما (المسكية) فقد أطلق عليها اسمها لرائحة المسك التي كانت تمبق حين تضام قناديل وشموع الجامع الأموي .

وهل من المعقول أن الطلاس التي كانت تصد الحشرات . كانت فعلاً تردها عن الجامع ؟

فلما احترق . احترقت الطلاس . وعادت الحشرات .

أحقاً يا دمشق السحر ؟

وهل يمكننا التخييل . والمأمون قد وصل من بغداد الى دمشق رقيقاً . فسمن فيها .

وهل يمكننا تخيل القبة التي بناها المأمون في (دير مرّان) وهو مكان يشرف على الربوة . فإذا الضوء يبلغ ثنية المقاب (الثنايا) وجبل الثلج (الشيخ) .

□ هلا اتجهنا الآن حول السور الى الباب الصغير .

وهو أصغر أبواب دمشق . ارتفاعه ٣٧٣ ر . وعرضه ٢٠٥ ر . وهو الذي

المستقيم . الشارع الارامي . شارع السور الكنماني . الذي اقترح بأن يسمى شارع الفتح . فمدحت باشا (١) لا علاقة له الا بفتح طريق بين الدكاكين التي جثت على خاصرته .

— أبو عبيدة في دمشق عام ١٤ هـ . وكان لدمشق الأمان . الأمان .

— ثم وصلت الكارثة مع طاعون دمشق . في عام ١٨ هـ . اشتملت دمشق به . ومات الكثيرون . وصل عمر بن الخطاب الى (الجابية) ولم يدخل دمشق . فالمرف في الأوبئة العظيمة أن يبقى أهل المدينة الموبوءة داخل مدينتهم . فلا يخرجون . وأن يبقى من هم خارج المدينة . فلا يدخلون .

* * *

يا دمشق المسك . كان مكحول . إذا أطفئت قناديل الجامع الأموي يمتري من رائحة المسك . (المسكية) (٧)

يا دمشق القناديل

يا دمشق الأساطير

في أيام الوليد بن عبد الملك . وحين أمر ببناء المسجد الجامع في موقع الكنيسة . احترق البناؤون موضعاً . فوجدوا باباً من حجارة مغلقة . فلم يفتحوه حتى جاء الوليد فأمر بفتحه ففتح الباب بين يديه . فإذا مغارة فيها تمثال انسان من حجر على فرس من حجارة . في يد التمثال الواحدة : الدرة التي كانت في المحراب تشع كالسراج . ويده الأخرى مقبوضة . فأمر بها فكسرت فإذا حبة قمح وحبة شمبر . قيل ان حكماء

نزل عليه يزيد بن أبي سفيان في حصار دمشق .

وفي مقبرته دفن بلال مؤذن الرسول ﷺ الذي سكن في داريا . . وعاش وتزوج فيها . ومات فيها . .

فوق الباب قوس عربية . . وفوق القوس قوس عليها كتابات . . وكان هذا الباب مركزاً لتجمع الميليشيات الشعبية . . ومنطقة تجمع أحداث دمشق .

ومنه دخل تيمورلنك الى دمشق عام ٨٠٣ هـ .

وصل تيمورلنك .

بجيوشه الصفراء والويته الجراد وضافته اللائحة السوداء . . وعيونه المائلة الفاتكة شرس هو تيمورلنك . . قاس كالهملايا . . وجبار كآسيا . . وظالم كبير الظلمات . .

تيمورلنك كان يريد كل شيء . . لما وصل الى دمشق . . نزل عند سفح جبل الثلج . . (جبل الشيخ) في قطننا . . أرسل الى نائب دمشق رسولا للمفاوضة الصلحية . . فقتل النائب هذا الرسول قبل أن يسمع كلامه .

حدث ذلك في دمشق كما حدث في حلب تماما . .

لم يقدر نائبا المدينتين قوة هذا القادم الأصفر . . فاعتمد أهل الشام وجيش الشام في المدينة . . وأغلقت أبوابها تجاه العسكر الأصفر المؤلف من : رجال آسيا رجال توران . . وأبطال إيران . . ونمور تركستان . . وفهود الخشان . . وصقور الدشت

والخطا ونسور المغول . وكواسر الجشا . وأفاعي خجند . وثماين ايدكان . وهوام خوارزم . وجوارح جرجان . وعقبان صفائيان . وضواري حصار شادمان . وفوارس فارس . وأسود خراسان . . الخ .

غلطة ارتكبتها نائب دمشق المغرور بالسلطان . . قضت على أعظم مدينة في الأرض . . .

في أول وقعة قتل من عسكر تيمورلنك الفان . . فارسل تيمورلنك يطلب من أعيان دمشق رجلا من عقلائهم . . للصلح . فلما وصلت الرسالة اشتور أهل دمشق واختاروا (القاضي تقي الدين بن مصلح العنبري) فلقد كان انسانا طلق اللسان يعرف بالتركية وبالأعجمية .

أرخواه من أعلى السور بسرياق ضخم ومعه خمسة أنفس . . فلما رجعوا بمدساعة أخبروا الجماعة بتلطف تيمورلنك . . ويعرفه عن القتال (قتال دمشق) لأنها بلد الأنبياء وشرح العنبري معاسن تيمورلنك . فانقسم أهل البلد الى قسمين ، قسم راغب بالقتال وقسم راغب عنه . . وكان أكثر أهل البلد يرون مخالفة العنبري . . لكن رأيه غلب في النهاية فأراد أن يفتح باب النصر فمنعه من ذلك نائب قلعة دمشق وقال :

تحرق البلدة اذا فتحن الباب . .

زاد تيمورلنك من خبثه ودهائه . . وطلب (الطلقات) وهي عبارة عن تسعة أصناف يطلبها اذا أراد الدخول صلحا الى مدينة ما . . من مأكول ومشروب وملبس . . أقنع ابن مفلح الناس فأرسلوا اليه ما طلب .

ثلاثة أيام .. ودمشق تحترق ...
وتيمورلنك يتفرج ..
رحل تيمورلنك .. وعمرت دمشق ..
من جديد ..

* * *

ولقد اصطدم الفاطميون .. في أثناء
فتح دمشق التي دخلوها من منطقة الميدان
بجماعات الأحداث فيها .. الذين شكلوا ما
يشبه المليشيات الشعبية .. وكان يرأس هذه
المليشيات شخص .. اسمه محمد بن عسودا
.. الذي اتفق مع القرامطة فيما بمدلهزموا
الفاطميين وقتلوا جعفر بن فلاح والي دمشق ..
وجعفر بن فلاح هو والي دمشق آنذاك ..
وقد قتل عام ٣٦٠ هـ .. حين وصل القرامطة
إلى دمشق .. ونصبوا على أسوارها السلام
.. تملقوا .. فتحوا الأبواب غصباً ..
وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ..

لما وصل القرامطة إلى دمشق ...
تجمعوا في الرحبة فجمع جعفر خواصه
واستشارهم .. فأجمعوا أن يكون لقاء
القرامطة في أطراف البرية قبل أن يتمكنوا
من العمارة ..

ووقعت الواقعة .. ووجد جعفر قتيلاً
بين الغبار سيما وأنه كان مريضاً ..

ويقال أن الشخص الذي قتل جعفر
يدعى أبو محمد محمد الحسن بن أحمد
القرمطي (الأعصم) ..

أما محمد بن عسودا .. فقد وصل إلى
جثة جعفر .. واجتث الرأس ثم صلبه على
حائط داره ..

بعد ذلك طلب ما لا .. فدفعه أهل
دمشق الأهنياء ..

لم يكتف .. طلب أكثر .. فدفع أهل
دمشق .. عاد فطلب أكثر ..

وابن مفلح يروح ويحيى ..

طلب منهم الأسلحة فرموا ..

حتى أدرك أن أهل دمشق قد فرغوا من
كل شيء .. هدم الخوف ..

عندئذ .. طلب تيمورلنك من ابن مفلح
أن يرسم له أحياء دمشق وحاراتها .. فاضطر
ابن مفلح إلى رسمها .. عندئذ قسم تيمورلنك
المدينة ..

ونزل أمراء التتار عليها مطالبين
بالأموال والمتاع .. وحل البلاء العظيم ..
ودخل الغازي من الباب الصغير .. نهبت
البيوت .. وهتكت الأعراض .. وسبق
الذكور ما فوق الخمس سنوات مربوطين
بالحبال ..

وأشعلت النار في المدينة الخالدة ..

إنها من المرات المؤسفة التي رحبت فيها
دمشق بقادم ما .. فكان ترحابها خاطئاً ..

قال بهاء الدين البهائي يرثي دمشق
(المظلومة) :

لهفي على تلك البروج وحسنها
حفت بهن طوارق العدثان

لهفي على وادي دمشق ولطفه
وتبدل الفزلان بالثيران

وكان يوماً ربيعاً عاصفاً .. ضيئاً ..

طرح الرجال في النار .. واحترقت
دمشق حتى سقطت سقف جامع بني أمية ..

فلقد أراد أن يأخذ بشار أخيه اسحق بن

عصودا ..

★ ★ ★

ولقد ارتبطت معظم الأحداث الشعبية
والمليشيات بالباب الصغير .. وحتى ما قبل
ثلاثين عاماً ظلت الأحياء القديمة كالشاغور
والميدان لها رجالها وزعمائها وشجعانها
وحماها ..

بل أكثر من ذلك .. وبعد المظاهرات
في حي الميدان والشاغور والصالحية في العصر
الملوكي كانت تقام استعراضات عسكرية
للعرافيش ..

★ ★ ★

بل أكثر من ذلك .. فان المقاومة
الحقيقية للفرنسيين والانكليز .. انطلقت
من تلك الحارات الضيقة المتعرجة الفامضة
.. من دمشق الحقيقية .. من أبواب دمشق
الحقيقية .. من دمشق الغريقة في المسك
والقناديل والليسون والفل ..

يا دمشق الفل .. أما زلت ترحبين ؟
أما زلت تذكرين ؟

كيف هرب مساجينك أيام العثمانيين في
الفتنة التي ذكرتها .. هربوا من الباب
الصغير .. من هربهم ؟

حمام زعماء الأحياء .. ومن زقاق إلى
زقاق .. من بيت إلى بيت .. وصلوا إلى
الباب الصغير ثم هربوا إلى الفوطة .. ومنها
إلى العالم الواسع ..

★ ★ ★

يزوي الباب الصغير حادثة غريبة وقعت
خلال الحملة الصليبية الثانية على دمشق ..

قال الباب :

كنت مطلقاً .. مصفحاً بالحديد ...
شان كل أبواب دمشق التي تختلف عن أبواب
القاهرة المغلفة بالجلد .. ترامى إلي أن
الصليبيين أصبحوا على عتبات الأبواب ...
وأن الفقيه المالكي عبد الرحمن الحلولي
قد استشهد في ربوة بردى ..

مالت الشمس إلى الغروب .. أقبل
الليل .. أقبل الصمت ..

طلب المتعب راحته ..
عاد كل إلى مكانه ورقد .. نامت
الجند والناس ..

أهل دمشق ورجالها كانوا على الأسوار
كلها .. وكانوا قريبين مني ..
العدو كان قريباً جداً .. في منطقة
القنوات ..

وصلت المعونات .. رأيته أنا الباب
الصغير الخالد .. ورشق العدو بالنشاب
والأحجار والسهام النارية .. ولم يظهر أحد
من عساكر دمشق .. كانت الأمور تجري في
السر .. رجل يصطاد رجلاً .. حتى ظن
بالمكيمة ..

وقد سمعت وصفاً لما جرى آخر أيام
حصار الصليبيين ..

قال : أخرج الناس الصدقات على قدر
أحوالهم .. جلسوا في الجوامع نساء ورجالا
وصبياناً نشروا مصحف عثمان .. بكوا
وتضرعوا ..

وفي الصباح ..

إذا قائد كبير من الصليبيين .. طويل
الليحة .. يركب حماراً .. وقد علق

هذا الأمير الذي لم يبق من ذكره سوى حجر
بناء تربته الذي نقل الى المتحف الوطني بعد
هدم القبة (أثناء شق شارع الثورة) ..

★ ★ ★

يا أبواب دمشق .. يا من شاهدت
رؤوس القتلى وشعورهم محملة على الجمال
كل جمل يحمل فارسين .. وراية منشورة ..
ورؤوساً مدماة لقتلى .. وأهل الشام يفتحون
الأبواب يصرخون .. يحتفلون بنصرهم ..
ونصر معين الدين ..

والأسرى مربوطون كل أربعة في حبال
معقودة .. مرتزة وتركبولية وسرجندية ..

انها لوحة من لوحات الهزيمة الصليبية
.. كان الرومان قد استخدموها حين جروا
زنوبيا في روما مكبلة بسلاسل من ذهب ..
فمنطق الحرب لا يرحم .. غالب
ومغلوب ..

ولا غالب الا الله ..

★ ★ ★

□ باب توما :

ينسب هذا الباب الى عظيم من عظماء
الروم اسمه توما .. وتسميه العرب باب
توما .. ولقد كانت على بابه كنيسة جملة
مسجداً ..

نزل عليه .. يوم فتح دمشق .. عمرو
ابن العاص .. ودخل منه نور الدين عندما
فتح دمشق أعاد بناءه الملك ناصر داود ..
ثم رسمه تنكز ..

في منطقة باب توما دار خالد بن الوليد
ومسجده .. وفي هذا المسجد كان خالد يصلي
قبل الفتح ..

التعاويد على رقبته وعلى عنق الحمار ..
وقد جمع الخيالة .. والكتب .. والرجال ..

تقدم نحو السور .. والصليبيون من
خلفه .. وقد شربوا وصلوا للصلاة ..
للموت .. وركبوا جميعاً الا من يحفظ
الخيام ..

وكان يقول : وعدني الله انني افتح
اليوم ..

وفتح أهل دمشق الأبواب .. وخرجوا
من الباب الصغير .. واستسلموا للموت ..
وأغاروا وحملوا حملة رجل واحد ..

واذ بشاب شجاع من أحداث دمشق ..
يذهب مباشرة الى الرجل الطويل اللحية ..
الذي يتقدم الصليبيين .. يخترق هذا الشاب
الصفوف .. ويضربه في مقتل ويرميه أرضاً ..
ثم يقتل حماره ثم يأتي شاب آخر فيطيح
برأس الزعيم الصليبي ..

وحمل الرجال .. وانهزم الفرنج ..
وتبهم أهل دمشق الى الخيام .. حتى حال
بينهم الليل .. فلما أصبحوا .. وجدوا
الصليبيين قد أدبروا ..

تري ٥٩ من هو هذا الشاب ٥٩

من هو طربون الحبق الدمشقي ٥٩

من هو هذا الفدائي المجهول ٥٩ لأية
أسرة كان ينتمي ٥٩ أي أب أنجبه ٥٩ وأية
أم أرضعته ٥٩ لا شك أن له أحفاداً الى الآن
لا يعرفون عنه شيئاً ولا يدركون شجاعته التي
كانت عام ٥٤٣ هـ .. هذا الشاب كان من
آل الدبوسي ..

ولقد دافع أمير دمشق الاتابكي العظيم
(معين الدين أوزن) دفاعاً بطولياً خارقاً ..

انه لفرز باب السلام المهيمن قرب باب السلام ..

فاسم هذا الباب لم يأت عبثاً .. أبداً .. لم يأت عبثاً ..

يعد هذا الباب أجمل أبواب دمشق .. قوسه عربية بديمة .. وقد بناه نور الدين .. ثم تهدم فجدهه الملك الصالح أيوب ... ورمم بعد ذلك حديثاً ..

□ باب الجابية :

قال أبو هريرة : خلق الله آدم مسن طين الجابية .. وعجنه بماء الجنة ..

وحين خرج كعب الأبحار مسن باب الجابية .. ووصل الى الكسوة قال : أما وقوفي على الثنية فلأن البنيان يتصل من باب الجابية حتى يصل إليها ..

نصل الى منطقة باب الجابية ... تستقبلنا من بعد .. المئذنة الفيروزية (جامع سنان باشا) .. ننحرف الى سوق مسدحت باشا .. أول زقاق عن يميننا .. ثم أول زقاق عن يسارنا فاذا .. يبرز .. فجأة .. باب غريب الأطوار .. مطمور في غرابية الهواء الذي تملؤه نثف الصوف .. وأكياس الصوف هنا وهناك .. باب مفروس بين الدكاكين .. يمشي تحته أشخاص لا يحفلون به .. يافطات انتخابية ملصقة على أحجاره الأبدية .. أوراق النمي لوجهاء الحي تنمسي الأشخاص .. وتتمشق العجارة الموغلة في القدم ..

يبكي باب الجابية ..

محاولة لرفع عجلة مرمية هناك !!
محاولة لزحزحة الباب الغشبي المصفح

الباب جميل جداً .. له قاعدة مسن الأحجار الرومانية الضخمة .. وقوسه مخمسة .. وكان أمامه جسر روماني .. اختفى مع الأيام ...

وظل المسجد والمئذنة الى جانبه .. الى عام ١٩٤٠ تقريباً .. حتى رفع المسجد لترميم الطريق .. وتعريضه .. وجاء المهندس ايكوشار فهدم المئذنة بعد ذلك ..

□ باب السلامة :

طوله ٤٠ متر وعرضه ٢٩٨ سم ..

يسمى باب السلام وهو في شمالي المدينة .. اسم جميل يرمز الى السلام .. ومنه كانت الصعوبة الفائقة لأي عدو كان في عملية اختراق المدينة .. فالأشجار الكثيفة .. والأنهار تشكل غابات دفاعية أقسى وأشد صعوبة من الأسوار ..

باب السلام باب جميل .. يصل اليه القاصد الى السلامة في طريق عذب يفصله عن النهر خط واحد من الأبنية .. فاذا سكتة مطلقة .. وأصوات الأقدام تسمع على اسمنت الحواري النظيفة ..

وهناك في باب السلام .. (شان آخر) .. فكان دمشق الحديثة ليست دمشق ... كان شيئاً ما يهيمن على الحي .. شيء من الأمن .. شيء من الاطمئنان ..

أبواب مغلقة لو يفتح أي باب منها .. لو يطل أي انسان .. لو تطل امرأة وتقول أهلاً وسهلاً .. لو تعرف بأحات البيوت .. لو تشغلف أزهار الشام القديمة .. لو عطر النهر يسري .. لو شجرة تين زاهدة هناك .. تنادي .. لو عطر نهر يسري ..



بالحديد الباب لا يتحرك.. الحديد لا يتحرك..
الزمان وحده .. هو الذي مشى .. وترك باب
الجابية .. في هذه الزاوية .

كان هذا الباب هو الباب المقابل للباب
الشرقي .. قبل أن ينحرف السوق الى وضعه
الحالي .. وكان له شأن كبير كالباب
الشرقي تماماً .

باب ثلاثي .. الأوسط كبير .. وحوله
بابان فرخان .. من كل باب منهما كان ينبثق
سوق يمتد الى داخل المدينة .. وأغرب
الغرائب أن الباب الأوسط كان للناس ..
والبابان الجانبيان واحدهما كان لمن يشرق
بدابته .. والثاني لمن يغرب بدابته .

أي .. وبدقة تامة .. كان نظام السير
الموحد .. يطبق منذ ألف من السنين ..
طريق للمجلات الداخلة .. وطريق للمجلات
الخارجية .. وطريق للبشر .

سد باب الجابية الكبير .. وفرخه
الصغير الشمالي .. بقي الجنوبي الصغير .
فأين ضاع الباب الكبير .. والفرخ الشمالي
أين !

أمن هذا الباب دخل أبو عبيدة دمشق ؟
عام ١٤ هـ .

ومن هذا الباب .. كان الانطلاق الى
الجابية (أشهر مناطق تجمع القبائل العربية
في جنوبي الشام .. والجابية اليوم قرب
(نوى) في حوران ..

ماذا يريد هذا الباب المتيق أن يتكلم .
أريد أن يروي لنا قصة قتل الأمير شهاب
الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين
أتابك ٩٠

كان ذلك العام .. عام زلازل هائلة .
رجت لها بلاد الشام .. من أقصاها الى أدناها
ولما دخل شعبان وكان موافقاً شهر نيسان .
جاء رعد هائل مختلف من عدة جهات ..
وانتشر البرق .. ونزلت حبات من البرد .
كان وزن الحبة الواحدة منها في الفوطه والمرج
ثمانية دراهم .. وقالوا سبعة عشر درهماً .
ومات الطير .. وأتلف الزرع والشجر .

وتهاى الجو المأساوي اذ هلت ليلة
الجمعة .. الثالث والعشرين من شوال .

وفي اثناء نوم شهاب الدين في فراشه
ليلة الجمعة المذكورة .. ولما انتصف الليل
انقض غلمان شهاب الدين .. وقتلوه ..

كان الأول يدعى : البفش .. حارس
شهاب الدين الأمين .

والثاني يوسف الخادم .. الذي وثق
به الأمير في نومه لديه .

والغركاوي .. الفرّاش الراقـد
حواليه ..

قتلوا الأمير ثم انسلوا في الليل البهيم
وما درى أحد ..

كشف الأمر في أولى ساعات الصباح .
فهرب البفش .. وأمسك بيوسف ..
والغركاوي ..

أخذوا الى باب الجابية .. وهناك صلبوا
.. كل منهما في طرف من طرفي الباب ..
ليكونا عبرة لمن يعتبر . وطمعاً للفرّبان
والنسور .

وظلت الجثتان حتى أمر برفعهما ..
والباب ساكت .. ودماء المالك تسيل

أما المغاربة فقد وصلت من ناحية
(لسؤلوة الكبرى) (العلبوني) الى باب
الجابية وحتى باب الحديد ..

ظلت المناوشات دائرة بين أهل البلد
والمغاربة وباب الحديد مفتوح على علم
الأمير ظالم في دار الامارة .. فأمر باغلاق
الباب .. ورتب قوماً على جسر (باناس)
للحراسة .. فلما اشتد انهزام الناس ..
والمغاربة .. ضرب الأمير بيده على فخذه ..
ثم استدعى رمحه وعبر جسر بانياس وحمل
على المغاربة .. لكنه انهزم

- جاءت المغاربة حتى الفراديس

كان هناك أجمل البناء .. وأحلى
الدور .. وأروع القصور .. وخرجت شرارة
الحريق الأولى واحترقت دمشق حتى مسجد
القاضي .

والنار تشتعل .. والمغاربة يهزجون
بأغنياهم الوحشية .. ويصرخون صرخات
الحرب .. ويدخلون دمشق من باب الحديد .
احترق تلك الليلة درب الفحامين ..
- درب القصارين - ثم غربت النار مع الريح
الى مسجد معاوية .. احترقت درب السماق
- حمام المجمي - زقاق المشاطين - والقنوات
واحترقت اللؤلؤتان الكبرى والصغرى .

باب الحديد مفتوح .. الممارسة تلتهب
.. المغاربة يمشون .. دمشق تحترق باكملها
.. حتى حجر الذهب (المصرونية) احترق
.. احترق الغرب والشرق والشمال
والفراديس والجنوب وقصر حجاج (الحجاجية)
.. يا للأهوال الكبرى .. للحرائق الكبرى
.. يا للمعجب .

انها نفسها .. التي جمعت دمشق
تقاوم وتممر من جديد .

استلم الحكم بعد شهاب الدين ...
أخوه الأمير جمال الدين أتابك .. فاذا
مرض يلم به في جمادى الأولى .. وصار
يثقل تارة ويخف أخرى .. حتى اشتد به
المرض .. ووقع اليأس منه الى أن قضى
نعبه في ليلة الجمعة ..

الغريب ليس هو المرض .. ولا الموت .

الغريب أن الأخ مات في نفس اليوم
والليلة نفسها .. التي قتل فيها أخوه قبل
عام وفي الساعة نفسها ..

سار الموكب الجنائزي .. احترق الحي
المعروف اليوم بالمعارة .. وحي جيرون
احترق السور القديم .. ثم قطعت الجنازة
باب الفراديس ليدفن جمال الدين في مقبرة
الفراديس . (وقد زالت مقبرة الفراديس
منذ القديم) .

فاين يقع باب الفراديس ؟

انه في القسم الشمالي من المدينة ..
الباب الذي كان يفتح منطقة العمارة على
ما كان من فراديس الشام .. يسمى اليوم
بباب العمارة .. وهو باب مزدوج ..
الخارجي منه بني بعجالة رومانية ضخمة .
وعلى عتبته كتابة طلست .. وهو من أسوأ
أبواب المدينة حالا .

هناك نظريات تقول أن هناك عدة
أبواب فراديس مؤدية الى بعضها بحسب توسع
المدينة .. باب الحديد - باب عند ستي رقية
باب الفراديس المزدوج .

□ في باب الحديد :

ظفر المغاربة بالقصارين فأخذوا ثيابهم
قاتلهم أهل دمشق .. وقالوا النفر .

الواقعة بين البابين ترسم بأكياس الطحين الى
الناس .. فيمعجن المجانون .. وتوقد
الأفران .. وترتفع في الجو الصباحي الباكر
رائحة خبز دمشق .. رائحة قمح الشام .

وكان هناك جسر أمام باب الفرج ..
كملت عمارته أيام المماليك ٧٣٦ هـ . وكان
الباب يفتح كل مساء شانه . شأن كل
الأبواب .

وتبقى دمشق .. سرية .. محفوظة .
آمنة .. مؤمنة ..

أما باب الجينق . فلم تصل الى اليد
طوائفه وحوادثه الفاضلة ..

هذه هي الأبواب المفتوحة .. وهناك
أبواب كثيرة مسدودة أو مزالة منها ...
وأهمها :

□ باب كيسان :

ينسب هذا الباب الى كيسان مولى معاوية
على قول ابن عساكر . وقد سده نور الدين
وفتح باب الفرج .

وقد جدد فتحه في زمن المماليك ٧٦٥ هـ

وفي عام ١٩٣٩ أقيمت كنيسة على
مدخله (بمساعدة الفرنسيين) واتخذ من
الباب نفسه مدخلا لبعض الكنيسة . فاختفى
عن الأنظار .

انه باب له قيمة تاريخية ودينية كبرى
وان الحادثة التالية تؤكد قدم هذا الباب لأنها
تعود الى عام ٤١٠ م .

عندما زار القديس بولس دمشق في ذلك
العام بعد تجواله في بعض البلاد العربية مدة
ثلاث سنوات عاد بعدها الى دمشق .

ايه يا باب الفراديس .. فله تاريخه
ومنه عبر كعب الأحبار ومكحول دخولا من
قاسيون الى دمشق ، العاصمة ذات الجسور
الاثني عشر .. فمئذ آلاف السنين ودمشق
ترتكز على جسورها .. تعبرها الناس ..
ينظرون في مياه

بردى : فرفار ... وأباناس ...
بانياس . ثم بقية الأنهر يزيد وثورا ..
والقنوات وغيرها .. ويلثمون خد دمشق .

□ باب الفرج :

هو باب أحدثه نور الدين .. لم يكن
هذا الباب موجوداً من قبل .. أسماء باب
الفرج تفاؤلاً لما وجد من الفرج لأهل البلد
بفتحته ..

إذا لاحظنا أسماء الأبواب الشمالية .
فاننا نسمع فيها نفماً : السلامة - الفراديس
الفرج - أسماء معطرة آمنة خضراء .. عنى
بها العرب الكثير .. وأرادوا الكثير ..

وهذه الأسماء ولا شك .. تعبر عن
نفسية العربي المستمتع بالطبيعة .. الفارق
في تأملات النفس الكبرى ..

الفرج .. باب مزدوج .. الداخلي
على حذاء السور قبل أن يدفع الى ضفة
بردى .. عضادته الأولى ذات نقوش عربية
مغومة والثانية أكلتها الدكاكين التالية
لمنطقة (بين السورين) أمام الباب ..
عضادتان .. يقوم عليهما قوس سقطت ..
ومن الشرق والغرب .. رسمت زهرة الزينة
(اللوتس) .. رمز نور الدين الشهيد
(بعض أمراء المماليك) .. وفي داخله
المدرسة النورية في الصباح الباكر .. في
دمشق الأيوبية .. كانت طاحونة باب الفرج

ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود
ليقتلوه ..

فعلم شامون بمكيدتهم .. وكانوا
يراقبون الأبواب ليلاً نهاراً ليقتلوه .. فأخذ
التلاميذ ليلاً وأنزلوه مدلين إياه بسل ..

هذا هو النص القديم .. فماذا تقول
الحكاية ٠٩

قبر صغير موجود في حنانيا .. يقال
له قبر جرجس البواب ..

سمع جرجس بالنصرانية فأمن بها ..
وكان أدري بتنقلات القديس بولس الذي
تنصر قرب دمشق . وفي تلك الليلة اجتمع
رأي اليهود على التخلص من بولس . وهل
هناك إلا القتل من وسيلة .. حوصروا
بولس .. ربما كان في منزل (يوحنا) ..
(أو جوداس) .. ربما كان هناك سرداب
طويل بين منزل يوحنا وبين منزل حنانيا
.. فالسور ..

كل شيء ذهب في كتمان المصور ...
المهم أن القديس بولس وصل إلى حنانيا ..

عقد جرجس حبلاً طويلاً .. حول سلة
من خوص دمشق .. يا خيرزان دمشق المنقذ
.. في هذا السل تجمع بولس .. وفيه
وبمساعدة جرجس البواب وبعض التلاميذ ..
في ليل كيسان الصامت .. أدلى بولس وهرب
من اليهود .. حتى طرسوس فأنطاكية ..

النتيجة في الفداء كانت على حساب
جرجس .. لقد ضحى البواب بنفسه من أجل
التبشير النصراني وقطع رأسه بعد أن تأكدت
قصة أسهامه في تأمين هرب بولس ..

وما زال قبره هناك إلى اليوم .. مضافاً

دائماً بقنديل ناعم .. وأهل دمشق يمتدرونه
شهيداً ..

في قبو تحت كنيسة حنانيا .. يوجد
باب مغلق يؤدي إلى سرداب ..

لربما كان هذا السرداب يوصل إلى دار
ما .. ومن بين الدور يصل المتخفي إلى منزل
يوحنا أين هذا الباب المجهول ٠٩ .. أي دار
هي ؟ لا أحد يدري ..

لقد مر غنم يعقوب .. ورعى في مرج
الغوطة .. والغوطة مزوج ترابها بدماء
شهداء أهل الشام .. وبدم الغزاة أيضاً ..

ويا فواكه الشام احلولي .. ففيك
عصارة الماضي .. فيك سلافة الشهداء ..
فيك مسك دمشق ..

★ ★ ★

حادثة أخرى من كيسان .. يقول
كيسان :

كان يوم أربعماء مستهل المحرم ...
والطالع للعالم الجوزاء .. وصل إلى ظاهر
دمشق جيش بقيادة الأمير أسد الدين شيركوه
.. رسولا من نور الدين صاحب حلب ..
وخيم المسكر بناحية القصب من مرج دمشق
(من القصب) ..

كان عدد العسكر ألفاً ..

وتكررت المراسلات بين الأسوار فلم
تسفر عن شيء ..

وغلا سمر الأوقات .. لانقطاع الواصلين
بالغلات من الغوطة .. حتى وصل نور الدين
بمسكركه إلى شيركوه .. في صفر .. فخيّم
بميون فامرياً عند دومة .. ثم زحف إلى

أبواب دمشق الغربية .. وكان في موقع سوق
الأروام في أول سوق الحميدية .

وعندما قرر الوالي المشعاني (شرواني
باشا) توسيع سوق الحميدية .. هدم هذا
الباب العظيم .. وكان ذلك عام ثلاثة وستين
وثمان مئة ١٨٦٣ م . وفي هذا العام .. منذ
مئة واحد وعشرون سنة فقط .. هدم هذا
الباب الذي شهد الفتح السلجوقي الذي كان
بين عامي ٤٦٨ - ٤٩٠ هـ .

فبعد التخلخل الفاطمي الذي هز البلاد
هزاً .. لم تستطع دمشق أن تصمد أمام
الفتح السلجوقي التركماني الذي قضى على
الدولة الفاطمية في دمشق .. ولقد أظهر
التركمان من الجلافة والفروسية والشجاعة
العربية ما أدهش الناس في أثناء الحصار .

وكان الظلم قد زاد في الشام أيام
الفاطميين .. وجلا أهلها عنها .. وخلت
الغوطة من فلاحيتها .. وارتفعت الأسعار حتى
أكل الناس بعضهم فعلاً .. أكل الناس

ودمشق ما زالت لم تفتح بعد .. دمشق
الجائعة .. الضعيفة المهزولة .. عندئذ ..
عاد (اسز) .. السلجوقي التركماني ...
للمرة الثالثة إلى دمشق المحاصرة .. ودخلها
صلحاً بلا مقاومة .. فلم يكن هناك باب
يقاوم .. أو رجل يقف .. أو امرأة تلد ..
في عهد الفواطم .

كان القمح قد نفذ .. وأصبح سكان
دمشق ٣٠٠٠ بدل ٥٠٠٠٠ أفنهم الفقر
والغلاء وبقي خبازان في المدينة .. بعد أن
كان فيها مئة أو مئتان .

وأكلت الكلاب والسنابر والفئران .
وكان الناس يقفون في الأزقة الضيقة ليأخذون
المجتازين .. فيذبونهم ويشوونهم ..

البلد من شرقيه .. كان يرسل الميون ..
ويأتيه الخبر .. حتى كان .. يوم الزحف
ووقع الطراد بينه وبين عسكر دمشق .. كانت
الخيول تهمهم .. وقد جن جنون الطراد
والنزال .. وكل فارس يهمز فرسه ...
ويغرس رمحه وبينما هم على هذا الحال ..
تسلل بعض جند نور الدين إلى سور كيسان
الدبابة .. من قبلي البلد .. وليس على
السور حارس أو نافع بوق .. لسوء تدبير
صاحب الأمر ..

وكانت هناك امرأة يهودية تنتظر ..
فما أن شاهدت عسكر نور الدين حتى أدلت
اليهم حبلاً من سور باب كيسان .. فتسلقوه
وحصلوا على السور ولم يشعر أحد ..

ركض الرجال وقطعوا أخشاب الباب
الشرقي بفؤوسهم .. وكسروا الأغلاق ..
فدخل منه جند نور الدين ..

ثم فتح باب توما .. ومن هناك دخل
نور الدين رسمياً مع خواصه ...
وسر الناس جميعاً .. وزال البأس ..

ربما لخيانة اليهودية .. سد نور الدين
باب كيسان وفتح باب الفرج .. فلربما
وقعت الخيانة مرة أخرى من ذلك الحي ..
عليه لا من أجله هذه المرة ..

في ذلك المساء .. ثار في دمشق وباء
مختلف الحميات .. مات الشيوخ والشبان ..
وعانت دمشق من البلاء .. حتى انحسر عنها
البلاء .. وكان ذلك في عام ٥٤٩ هـ .

□ باب آخر .. هو باب النصر :

كان باب النصر أو .. باب السرايا ..
أو باب الجنان .. أو باب السعادة .. أحد

أمن منذنة الباب الشرقي سوف ينزل عيسى
عليه السلام ٠٩

وآدم خلق من طين الجابية ٠ ٩

أغنم يعقوب ترعى في مرج الفوطة ٩
أبقى الجامع الأموي أربعين عاماً بعد
خراب الدنيا ٠٩

لم تعد لدمشق الحديثة أبواب ٠

أما أبواب دمشق القديمة ٠٠ فكلها الآن
مفتوحة ٠٠ أبواب الأسوار والأبواب الوسطى
والأبواب الداخلية وأبواب العارات ٠٠ أما
أبواب نفوس أهل دمشق ٠٠ فيفتحونها
بقسط كما تفتح الخوخة ٠٠ حتى يشقوا ٠٠
فاذا وثقوا ٠٠ فالله أكبر ٠٠

★ ★ ★

ستظل مدينة الأنهار السبعة قائمة ٠٠
ستزيد نسب الماء في تشرين الأول ٠٠٠
وسترضع الينابيع الأزهار في نيسان ٠

وسظل أهل دمشق يستقون من مياه
جبالهم العذبة المخبوءة في مغارات الصواعد
والنوازل ٠

لن ينزل الآن الملك الأشرف في ظاهر
دمشق من ناحية القبلية ، فيقطع الماء عن
قلعتها ويسد نهر بانياس ٠٠ لن يقطع نهر
القنوات الواصل لى باب الجابية ٠٠

من أجل الماء خرج عسكر دمشق وقاتلوا
أصعاب الملك الأشرف ٠٠

من أجل الماء والقمح قاتل الرجال
والنساء حتى أعادوا الماء الى دمشق ٠٠

وهم دوماً أعادوا بناء ما احترق من
بلدتهم ٠٠

حتى وصل السلاجقة ٠٠ فمادت دمشق
فعمرت ٠٠ وعاد أهلها فرجعوا ٠٠ وعادت
نساؤها فولدن وفتحت الأبواب للجميع ٠

هل رأينا الى بردى ٠٠ فلنتخيله أكبر
بكثير ٠٠ أعرض بكثير ٠٠ ولنعد الى دمشق
سنة ١٢٣٥هـ في ولاية درويش باشا العثماني
انه النهر الذي حمل جثث الفرقي في واقعه
المزة ٠٠ التي كانت بين درويش باشا والأمير
بشير ٠

يومها أطلقت عساكر دمشق المدافع
والزنبركات ٠٠ فهجم الأمير بشير هجمة
واحدة ٠٠ دكت أسوار دمشق الغربية ٠٠
فامتلكت الأسوار والأبواب ٠٠

أسر الكثيرون ٠٠ وقطعت رؤوس يومها
وظل بردى عدة أيام يحمل الفرقي من عسكر
درويش باشا حتى بلغ عددهم ١٢٠٠ رجل
بين قتيل وجريح ٠

بردى بكى وغسل دماؤه ٠٠ دمشق عادت
فيحاء رضية ٠٠ يا لجبروتك يا دمشق ٠٠
ولنمر على بقية الأبواب عدا :

باب الخضراء - باب الجينيق وقد مررت
به مروراً - باب العمارة عند مدخل العمارة
باب المربعة أو المصلبة كما تدعى الآن - باب
الجنان المسدود - باب العديد وقد ذكرته -
باب ابن اسماعيل عند حارة الخاطب على
السور الجنوبي ٠

أبواب ٠٠ أبواب ٠٠

البريد وجيرون والخواصين وباب زقاق
عطاف والقصاصين وباب الشاغور وباب دار
البطين وباب القلعة ٠

★ ★ ★

- ودوماً تبقى دمشق تقول أهلاً وسهلاً •
- بل أهلين وسهلين •• بل مئة أهلاً وسهلاً •
- وتبقى لافتتها التاريخية الواسعة كالأقدار •
- تقول للجميع بخم عربي أصيل •••
- أهلاً وسهلاً •• دمشق ترحب بكم •

- ودوماً بنوا ما دمره الأعداء ••
- ودوماً كانوا رضىين في فراديسهم ••
- ودوماً •• سوف تزهو أشجار الفخوة
- التي صنعها الإنسان منذ آلاف السنين زرعها
- وسقاها وقطفها •• ورعاها شجرة
- شجرة •• سنبله سنبله •• نبتة نبتة ••

★ ★ ★

□ الحواشي :

- ١ - وصف زلزال دمشق لجمال الدين الفزي •
- ٢ - الدكتور سهيل زكار •
- ٣ - هو البستان الواقع خلف العلبوني أي « زقاق الجن » ومكان تجمع الباصات
- ٤ - بطريقه الروم •
- ٥ - احتفل به وصنع من أجله الطعام •
- ٦ - الواقع أنه هو الذي شقه بعد أن تراكمت فيه الدكاكين والدور دونما انتظام • ويعتبر الشارع العالي انحرافاً عن الشارع المستقيم خاصة في منطقته الغربية (باب الجابية) •
- ٧ - سميت المسكية لانتشار رائحة مسك الجامع الأموي فيها •
- ٨ - هو في المصادر (فسيح) لكنني حررت منعا للنمرة الطائفية •

★ ★ ★

□ مراجع البحث :

- خطط الشام للعلامة الأستاذ محمد كرد علي
- تاريخ دمشق لابن عساكر
- مكتشفات تفر تاريخ دمشق القديم للأستاذ غسان سبانو
(أرم ذات العماد)
- تاريخ دمشق لابن القلاسي حققه د. سهيل زكار
- دمشق القديمة : أبراجها ، أسوارها ، أبوابها للدكتور صلاح الدين المنجد
- في رحاب دمشق للأستاذ محمد أحمد دهمان
- وصف دمشق للمفارس دارفيو Le chevalier d'arvieux

استدراك

على ديوان «ديك الجن»

خير الدين شمسى باشا

(في) أواخر عام ستين وتسعمئة والف أخرج أديبا حمص الشاعران الأستاذ محي الدين الدرويش رحمه الله ، والأستاذ عبدالمعين الملوحي مد الله في حياته ، ما عثرا عليه في بطون الكتب من شعر شاعر حمص الذي شهد بتفوقه «أبو نواس» وزاره في منزله تقديرًا واعجابًا ، وغرف من بحره «أبو تمام» وحفظ شعره صغيراً ، ذلك هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بـ (ديك الجن) وشرحا ونشراه ديوانا مرتب القافية . وقالوا في المقدمة :

« ونحن نجد شرفاً لنا واکراماً لشاعرنا ، أن يدلنا كل أديب يشمر بقراءة الأدب ، وكل شاعر ، على بيت واحد أو شطر واحد لهذا الشاعر لا يجده في الديوان ، لنستطيع ضم ما فاتنا في هذه الطبعة الى طبعات لاحقة ٠٠٠ ومن أجدر من «ديك الجن» بقراءة الأدباء ونسب اخوان الصفاء ، وهو أول من قرر هذه القراءة حين قال :

بكاك اخ لم تحوه بقراءة بلى ان اخوان الصفاء اقارب انتهى

وكننت أثناء قراءاتي في كتب الأدب أعثر على بعض الأبيات لهذا الشاعر الذي ظلمته الأيام فضاع معظم شعره ، فكنت أنقل ذلك على صفحات الديوان بحسب القافية ، ومنه ما ليس موجوداً في الديوان ، وما هو موجود على اختلاف في بعض الألفاظ . وقد أخبرني الصديق الأستاذ عبدالمعين أن بعض الأدباء مهتم بإخراج ديوان موسع لهذا الشاعر ، فرأيت من المفيد نشر ما عثرت عليه كما قرأته في مصادره ليضاف الى ديوانه . والله الموفق .

(١ - روى الشمشاطي في كتابه (الأنوار ومحاسن الأشعار) (نشرته وزارة
الاملام في الكويت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م) في الجزء الأول ص ٣٨٥ في باب التطير من
الاهل والكراهية لها ، لأنها تحمل الطمائن وتشتت الغلان ، وتصيرها كغراب البين ،
البيتين التاليين لـ (ديك الجن) وأشار المحقق في الحاشية الى أنهما في حماسة الخالدين
(١٩٥ / ٢) والزهرة (٢٥٨) :

ما المنايا الا المطايا وما فرّ ق شيء تفريقها الاحبابا
ظل حاديهم يسوق بقلبي ويرى انه يسوق الركابا

★ ★ ★

٢ - وروى أيضاً في الجزء الثاني ص ٢٧٤ في باب البواشيق الأبيات التالية :
قال : ولديك الجن من قصيدة :

وغضفا ينتظمن الأرض نظما تنثر فيه حبّات النفوس
لها في كل معركة ضجاج وداهية كداهية البسوس
وسرب حباريات فوق جلس أشبهه بمشيخة جلوس
وفيها :

بطاوية الأجادل او بُزاة معجمة لداهية شمس
تراها في براها منغصات بارؤسها بحس او حيس
فام الطير في شره وصره وام الوحش في يوم عبوس
وفيها :

واحمر مذبج وقرا وزور هموس زيارة القرن هموس
وابيض ما اطمأن من الذنابي الى العاذين كالقصب اللبوس
واسود لهزم الشيرين جون وأزرق منسر القنسى نهوس
واصفر قمة وحجاج عين فتعسبه تكحل من وروس
اذا بلغت سمعت لها زهاء وجهورة كجهوة القسوس
كان على القرا ديباج وشير تكشف من هلاله خندريس
كان جاجا منها وهاما امارتها النفوس يدا عروس

★ ★ ★

٣ - قرأت في (ثمار القلوب) للشعالبي (دار نهضة مصر ١٩٦٥) ص ٣٣٩ مائلي :

(ثمار النحور) هي الشدي ، من قول مسلم بن الوليد وهو من استماراته الحسنة :

فقطت بايديها ثمار نعوها كايدي الاسارى اثقلتها الجوامع
وأخذه (ديك الجن) الحمصي فقال :

ظللت بها اجني ثمار نعوها فتوسعني سبا وأوسعها صبرا
وأخذه كشاجم فقال :

غذتها نعمة ولذيذ عيش فانبت صدرها ثمر الشباب
وما أملح قول ابن المعتز :

لا ورمسان النهود فوق أفصان القدود
وقول الصابي من أبيات :

وقال شفاؤه الرمان مما تضمنه حشاه من السمير
فقلت له : أصبت بغير قصد ولكن ذاك رمان الصدور

٤ - وذكر صاحب كتاب (الأنوار ومحاسن الأشعار) أيضا فيما يروي عن
الغيل (ج ١ / ص ٣١٧) قال (الحقيقة قاتل علوم ردي)

« ولعمد السلام بن رغبان :

وأحم من أولاد أعوج عجبته وأظنه للبرق كان حميما
متكفئا لو أنه جارى الصبا شاوا لبات أديمها محموما
مستقبلا أعلى الذنرا مستعرضا بسط القرا مستديرا ملموما
حر الأهاب وسيمه بر الأبا ب كريمه محض النصاب صميما
ان قيد جاءك زينة أو ريف ريف بنيه أو ريف ريع ظليما
فارعت فيها الوحش عن مهجاتها وجعلته بنفوسهن زهيمما

ومذا من الكلام الجزل ، الحسن النظام الصحيح الأقسام » .

انتهى

٥ - وقرأت في كتاب (ثمار القلوب) أيضاً (ص / ٢٧) ما يلي :

(شمس الله) عهدي بالأمير السيد أدام الله تأييده ينشدني فانية (ديك الجن) من أولها الى آخرها ، وهي فائقة رائقة يزداد حسنها لجريها على لسانه ، وتكتسي شعارا أنيقا من عباراته . ومنها :

وصفراوين من جَلَب الأمانسي اذا جَلِيَّت ومن حَلَب القطافي
أدرا منها فلکا وشمسا وشمس الله مُسْرِجة الفلافي

★ ★ ★

٦ - وقرأت في (ثمار القلوب) أيضاً (ص ٦٩) ما يلي :

(ديك الجن) هو عبدالسلام بن رغبان الحمصي : شاعر مفلق في المحدثين . أدرك زمان المتوكل ، حتى قال في قصيدة له :

حتى حسبت أنو شروان من خلدي وخلت أن نديمي عاشر الغلغا(١)

ولست أعرف سبب تلقيبه ب (ديك الجن) . ويشبه أن يكون قال بيتاً يشتمل على ذكر ديك الجن فلقب بذلك ، كما لقب كثير من الشعراء بأقوال تجري لهم مجرى الشواذ والنوادر . انتهى

٧ - وقال الثعالبي في موضع آخر من (ثمار القلوب) (ص ٤٧٠) ما يلي :

(ديك الجن) يضرب مثلاً للديك النجيب العاذق الكثير السفاذ . ومنه سمي (ديك الجن) الشاعر المشهور ، وهو أحد شعراء سيف الدولة بن حميدان . انتهى

★ ★ ★

٨ - وقرأت في كتاب (خزانة الأدب) لابن حجة الحموي (دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت) ص ٧٨ عند ذكر (التخيير) في القوافي قوله :

التخيير هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يقفى بقواف شتى فيتغير منها قافية يرجعها على سائرهما يستدل بتغيرها على حسن اختياره . [وأورد أمثلة . . . ثم قال] ويمعيني قول (ديك الجن) :

قولي لطيفك ينثنى عن مضجعي عند المنام الرقاد الهجوع الهجوع الوسن
فمسي أنام فتنتظني نار تاجح في العظام الفؤاد الضلوع الكبود البدن
جسد تقليه الأكف على فراش من سقام قتاد دموع وقود حزن
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام معاد رجوع وجود ثمن

فهذه القوافي المثبتة يقابل كل بيت بما يليق منها ، والأولى أولى وأرجح . انتهى .

★ ★ ★

٩ - وقرأت في الديوان (ص ٨٦) مايلي : وقال يفضل الحب الأخير :

اشرب على وجه العبيب المقبل وعلى الفم المتبسم المتقبل
شربا يذكر كل حب آخر غص ، وينسي كل حب أول
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى كهوى جديد أو كوصل مقبل
ما إن أحسن إلى خراب مقفر درست معامه كان لم يؤهل

وأشار ناشرا الديوان الأستاذان الدرويش والملوحسي ، إلى أن هذه الأبيات في (محاضرات الأدباء) - وورد في (الصناعتين) قوله (وهو ديك الجن) يخالف أبا تمام في قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للعبيب الأول
كم منزل في الأرض يالغه الفتى وحينئذ أبداً لأول منزل

انتهى

أقول : وجدت في (ديوان الصبابة) لابن أبي حجلة المطبوع بخط الامام الشمراني (رض) في أواخر شهر ذي القعدة ١٢٧٩ وهو ضمن مجموعة كتب في المشق بمكتبة الدكتور عبدالكريم اليافي (ص/٣) . وهي أيضاً في الطبعة اللبنانية لديوان (الصبابة) المجلد مع كتاب (تزيين الأسواق في أخبار العشاق) من منشورات (دار : حمد ومحيو) ص / ٥ : ما يلي :

[قال في شرح البيت] :

فيا دارها بالغيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

فإن قلت : الفضل للمتقدم وهل غادر الشمران من متردم ؟

قلت : نعم ، في الخمر معنى ليس في العنب ، وأحسن ما في الطاوس الذنب فدع كل صوت بعد صوتي فأنني : أنا الصائح المحكي والآخر الصدى فكم ترك الأول للآخر ، ولا اعتبار بقول الشاعر :

نقل فؤادك (بيتي أبي تمام)

نقد سقط في يده ، وقيل في الرد عليه :

افخر بأخر من كلفت بعجه لا خير في حب العبيب الأول
أتشكك في أن النبي محمداً ساد البرية وهو آخر مرسل



وقال (ديك الجن) الحمصي يرد على (حبيب) قوله المتقدم :

كذب الذين تحدثوا أن الهوى لا شك فيه للعيب الأول (٢)
ما لي أحسن إلى خراب مقفر درست معالمه كان لم يؤهل

فقال (حبيب) حين بلغه قول (ديك الجن) المذكور :

كذب الذين تخرصوا في قولهم ما العيب إلا للعيب المقبل
الطيب في الطعام ما قد ذقت من مأكلا أو طعم ما لم يؤكل

فقال (ديك الجن) أيضا حين بلغه قول (حبيب) هذا :

ارغب عن الحب القديم الأول وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى كهوى جديد أو كوصل مقبل

وقال أبو البرق ، وسلك بينهما جادة الانصاف ، وبقوله يجب الاعتراف ، لأنه أحسن في المقال حيث قال :

زادوا على المعنى فكل محسن والعق فيه مقالة لم تجهل
العب للمحبوب ساعة وصله ما العيب فيه لآخر ولأول

انتهى

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

١٠ - وقرأت في معجم الأدباء (طبعة دار أحياء التراث العربي - بيروت المصورة)
(ج ١٣ ص ٢٩١) هذا البيت :

فما تنصبه في ثغر التراقي كما ينصب في القفل الرقاد

وكتب الشارح (عبدالخالق) في الحاشية ما يلي :

« كانت في الأصل « فتى » ينصب في ثغر القوالي » (٣)

فأصلحت إلى ما ترى . وقد جهدت أن أعثر عليه في مظانه كشرح المكبري وكتابي
الابانة في سرقات المتنبي والوساطة وما شاكل ذلك فلم أجدها . والبيت لديك الجن واسمه
عبدالسلام ابن رعيان - بفتح الراء - والثقة جمع ثغرة : وهي النقرة في النحر ، وكل
نقرة بين عظمي الثرقوتين . انتهى .

أقول : لعل المحقق لم يخطئ التوفيق في تصحيحه ، ذلك أن البيت ورد في ممرض
(السيوف والرقاب) عند ذكر بيتي أبي الحسن الناشئ :

قال ياقوت : وحديث الخالغ قال : حدثني أبو الحسن الناشئ قال : كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثمئة ، وأنا ألمي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم ، وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي فأملت القصيدة التي أولها :

بأل محمد عُرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب
وقلت فيها :

كان سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهب
وصارمه كبيعته بغم مقاصدها من الخلق الرقاب
فلمحه يكتب هذين البيتين . ومنها أخذ ما أنشدتموني الآن من قوله :

كان الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صفت الاسنة من هموم فما يخطرن الا في فؤاد
قال الخالغ : وأصل هذا لأبي تمام :

من كل أذرق نظار بلا نظر الى المقاتل ما في متنه أود (١)
كانه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد
وعليه وقع المتنبي : وسبق الى ذلك (ديك الجن) أيضا في قوله :

قنا تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في القفل الرقاد

[ثم قال ياقوت] : وأبيات المتنبي أمثل من الجميع إذا تركت المصيبة .

١ - وقرأت في كتاب (أبو تمام الطائي تاليف خضر الطائي) وهو مطبوع في العراق (ص ٤٢) الأبيات التالية على غير ترتيبها في الديوان وعلى اختلاف ببعض الألفاظ :

بها غير معدول فداو خمارها وصل بمشيات الغبوق ابتكارها
وقم أنت واشرب كاسها غير صافر ولا تسق الا خمرها وعقارها
موردة من كف غلبي كانما تناولها من خده فادارها
فقام يكاد الكاس تحرق كفه من الشمس أم وجنتيه استعارها
أقول : سقط من المعز لفظة (من) ولعله من خطأ الطابع :

فطلنا بايدينا ننتعج روحها وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها
فقل من عظيم الوزر كل عزيمة اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها

وماهي كما وردت في الديوان (ص ٣٨):

بها غير معدول فداو خمارها	وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
ونتل من عظيم الردف كل عظيمة	اذا ذكرت خافي الحفيظان نارها
وقم انت فاحتث كاسها غير صاغر	ولا تسقى الا خمرها وعقارها
فقسام تكاد الكاس تحرق كفه	من الشمس امن وجنتيه استعارها
ظللنا بايدينا نتعتع روحها	فتاخذ من اقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كانما	تناولها من خده فادارها

★ ★ ★

٢ - قصيدته في رثاء (ورد) المنشورة في الديوان (ص / ٤٠) قرأتها في كتابي (تزيين الأسواق) المذكور آنفاً لداود الانطاكي و (مدامع العشاق) للدكتور زكي مبارك، مختلفة في بعض الفاظها مما جاءت في الديوان (ص / ٤٠ و ٤١) وفيما يلي بيان الاختلاف :

في الديوان :	قمر انا استخرجته من دجنه	لبليتي وجلوته من خدره
عند الانطاكي ومبارك :	قمر قد استخرجته	واثرته
في الديوان :	فقتلته وله علي كرامة	ملء الحشا وله الفؤاد بأسره
عند الانطاكي :	د د د د	فلي الحشا
عند مبارك :	د د د د	فله الحشا
في الديوان :	عهدي به ميتا كاحسن نائم	والحزن يسفح عبرتي في نحره
عند الانطاكي :	د د د د	يسفح دمعتي
عند مبارك :	د د د د	يسفح مدمعي
في الديوان :	لو كان يدري الميت ماذا بعده	بالحي حل بكى له في قبره
عند الانطاكي :	د د د د	بالحي منه
في الديوان :	فصص تكاد تفيض منها نفسه	وتكاد تُخرج قلبه من صدره
عند الانطاكي :	د يكاد د	ويكاد د
عند مبارك :	د تكاد د	ويكاد يخرج د

★ ★ ★

١٣ - بقافية النون : في الديوان (ص ١١١) :

خذ يا غلام عنان طرفك فاتنه عني فقد ملك الشمول عناني

في كتاب عقلاء المجانين: خذ يا غلام عنان طرفك فاحمه » » » » »

في الديوان : سكران: سكرهوى وسكرمدامة أنى يُلْفِق فتى به سكران

» » » » » فمتى » » » » »

★ ★ ★

١٤ - قافية الهاء في الديوان (ص ١١٢/١١٣) رثاؤه لجاريتته :

١ - يا طلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها

٢ - رويت من دمها الثرى ولطالما روئى الهوى شفتي من شفيتها

٣ - حكمت سيفي في مجال خناقتها ومدامعي تجري على خديها

٤ - فوحق نعلها وما وطئ الحصى شيء أعز علي من نعلها

٥ - ما كان قتلها لأنى لم أكن أخشى إذا سقط الفبار عليها

٦ - لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

قرأتها في (تزيين الأسواق) و (مدامع المشاق) على اختلاف يسير في ترتيب الأبيات وفي بعض الألفاظ . وفيما يلي البيان :

الترتيب : عند الانطاكي وعند مبارك هكذا : الأول ثم الثالث وبعده الثاني فالرابع حتى السادس .

□ الألفاظ :

في البيت الأول : عند الانطاكي ومبارك (فجنى لها)

في البيت الرابع : عند الانطاكي (لما وطئ الحصى)
عند مبارك (وما وطئ الثرى)

في البيت الخامس : عند الانطاكي ومبارك (أبكى إذا سقط الذباب عليها)



في البيت السادس : عند الانطائي :

لكن بغلت على الميون بلعظها
وأنت من نظر الميون اليها
وعند مبارك :

لكن ضنت على الوجود بحسنها
وأنت من نظر الميون اليها

★ ★ ★

١٥ - وللاديب اللبناني (رثيف خوري) رواية (ديك الجن ، الحب المفترس)
نشرتها دار المكشوف عام ١٩٤٨ في سلسلة (أشهر المشاق) أورد فيها أبياتاً من شعر
(ديك الجن) تختلف في بعض الفاظها عما وردت في الديوان ، نذكرها فيما يلي بحسب
ترتيب القافية :

قافية التاء ص ٢٨ البيت الثالث : قال ذو الجهل قد حلمت

وعند خوري : قال ذو الجهل : لو حلمت

قافية الدال ص ٢٣ البيت الأول : مفارق خُلِّت من بعد عهد

وعند خوري : مفارق خُلِّت من بعد عهد

البيت الثاني : بحق الود كيف ظللت بعدي ؟

عند خوري : بحق الود كيف غدوت بعدي ؟

قافية الدال ص ٣٤ البيت الأول : اذا استمبرت في الظلمات وحدي

وعند خوري : « في الظلمات » وهو خطأ

البيت الثاني :

وجدت تنفسي وعلا زفيري وفاضت عبرتي في صحن خدي

عند خوري :

وجدت تهدي وعلا زفيري وسالت عبرتي من فوق خدي

البيت الخامس : يقول : قتلتها سفها وجهلا

عند خوري : يقول : قتلتها ظلماً وجهلا

البيت السادس : كصياح الطيور له انتحاب

عند خوري : كذباب الطيور له بكاء

قافية الرام ص ٣٩ البيت الرابع : مودة من كف ظبي كنا

عند خوري : مودة من كف ظبي كانه

قافية الرام ص ٤٦ : قافية البيت الخامس (القذرة)

وعند خوري : (المذره) وفسرها بالوسخة النتنة

ص ٤٧ البيت الرابع : اترك لذة الصهباء عمدا

عند خوري : اترك لذة الصهباء صرفا

ص ٥٣ البيت الاول : تكلفن اسماء الغريبة ان بكت

وعند خوري : تكلفن اسماء الحزين اذا بكى

ص ٥٥ البيت الاول : لم تبل عينك ابيضاً في اسود

عند خوري : لم تبك عينك ابيضاً في اسود

ص ٥٦ قافية البيت الثاني (الدهور)

عند خوري : (المصور)

ص ٥٧ البيت الثاني :

بابي بذلتك بعد صونك للبللى ورجعت عنك صبرت او لم اصبر

وعند خوري :

بابي بذلتك بعد صون للبللى

★ ★ ★

١٦ - ووقفت على البيتين التاليين في كتاب (المستطرف) للأشيهي (نشر مصطفى

البابي الحلبي ١٣٧١-١٩٥٢/ج ٢/٢٠٧)

ولي كبس حرثي ونفس كانها بكف عدو ما يريد سراحها

كان على قلبي قطاة تذكرت على ظمأ ورداً فهزت جناحها

١٧ - في كتاب (التمثيل والمحاورة) لأبي منصور الثعالبي (نشر عيسى البابي

الحلبي . القاهرة ١٣٨١ هـ) في (باب الأمثال السائرة للمولدين) (ص ١٠٠)

هذا البيت ، وهو ليس في الديوان :

سبعان من جعل الآداب في عصب خفا وصيرها غيظا على عصب

وفيه ايضا (ص ٩٩) :

وشافي النصح يعدل بالاشافي ومن جعل القوادم كالغوافي
وليس القدر الا بالاثافي

وفي الديوان (ص ٦٧) :

وشافي النصح يعدل بالاشافي وليس القدر الا بالاثافي
وفي (خاص الخاص) للثعالبي (دارالحياة بيروت ١٩٦٦ م/ص ١٢٨) :
ابا عثمان معتبة وصبرا وشافي النصح يعدل بالاسافي
وفي (نهاية الأرب) للنويري (المؤسسة المصرية ص ٩٨) :
وشافي النصح يعدل بالاشافي وليس القدر الا بالاثافي

١٨ - وفي الديوان (ص ٦٧) :

اذا شجر المودة لم تجده سماء البر أسرع بالجفاف
وعند الثعالبي (التمثيل والمحاورة) ص ١٠٠ وكذلك في نهاية الأرب :
ص ٩٨ :

اذا شجر المودة لم تجده بغيث البر أسرع في الجفاف
وفي (خاص الخاص ص ١٢٨) :

اذا شجر المودة لم تجده سماء البر أسرع في الجفاف
١٩ - وفي الديوان ص ٣٢ :

رق حتى حسبته ورق الورد جنيا يرف بين الرياح
وفي (خاص الخاص ص ١٢٨) :

رق حتى حسبته ورق الورد نديا يرف بين الرياح

□ الحواشي :

١ - ورد في الديوان ص ٧١ كما يلي :

حتى توهمت نوشروان لي غولا وعلقت أن نديمي عاشر الخلفا

٢ - اذكر بهذه المناسبة البيت المشهور لمجنون ليلى :

معا حبها حب الال كمن قبلها وعلقت مكانا لم يكن حل من قبل

٣ - وهي في الديوان : « فتي يلصق في ثغر الليالي » وقال ناشراء في الشرح : المعنى : هذا الفتى يالف الصغار وينصب فيها الصبايا كما يالف النوم العيون وينصب فيها .^١

٤ - الاود : الاعوجاج .

ابن البيطار

ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد

محمد أمين الميداني

□ توطئة :

حفلت كتب التراجم والسير في مكتبة التراث العربي بالعديث عن العلماء والأدباء في شتى الميادين ومختلف المجالات . فكان أن حفلت هذه الكتب أخبار شهرتهم وحوادث علومهم وأمارات نبوغهم ، ودون أصحابها ما ذاع من صيت هؤلاء العلماء والأدباء وما ألفوه ووضعوه من كتب ومجلدات وقد تركوا بصماتهم على أحداث عصرهم شاهدا على ما عرفت تلك العصور من ازدهار وتقدم وتآلق في ميادين المعرفة ومجالات العلوم والآداب والفنون . وجاء المحدثون لينفضوا ما علق على كتب التراث هذه من غبار ويجلوها ما لف أصحابها من نسيان أو إهمال وليعرفونا على سيرهم وما جادت به قرائعهم وما خطته أقلامهم وما توصلوا إليه من طرق للدراسة ومناهج للبحث والتأليف .

الذي كان حسب رأي ابن أبي أصيبعة^(١) : « أوحده زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ، ونعت أسماؤه على اختلافها وتنوعها »^(٢) .

وهو بنظر أحد المستشرقين الطبيب العربي الوحيد الذي وقف حياته كلها لدراسة علم النبات^(٣) .

وكتب التراث العربي ورجالاته قد حظيت بالقدر المقبول من الاهتمام على أن هذه الخطوة لم تكن كافية ولا عادلة فكان نصيب بعضهم من الدراسات والبحوث ووافر الاهتمام بهم وبأعمالهم أكثر من بعض . وانطلاقا من ذلك جاء مقالنا هذا محاولة متواضعة لتسليط مزيد من الأضواء وللفت انتباه المختصين الى واحد من علماء النبات والأعشاب وهو ابن البيطار ،

ب - رحلاته ومكانته العلمية :

ان العلوم التي وقف عليها ابن البيطار حياته وجه وتفانيه لها كانت دافعا له للانتقال من قطر الى آخر ومن بلد الى بلد .

فبعد أن تلقى هذا العالم علومه الأولى في الأندلس اتجه نحو المشرق حوالي عام ٦١٨-٦١٧ هـ / ١٢١٩-١٢٢٠ م - بعد أن سبقه إليها أستاذه أبو المباس حوالي عام ٦١٤-٦١٣ هـ / ١٢١٦-١٢١٧ م (٨) - ماراً في البداية ببلدان المغرب العربي ليجتمع هناك بالباحثين في علم النبات والمستغلين به . فكان يجوب الأماكن ليمتحن الأعشاب ويصفها ويذكر فوائدها .

ومن المغرب تابع ابن البيطار طريقه بعد ذلك فزار آسيا الصغرى ماراً بمدينة أنطاكية ليصل منها الى سورية ولينتقل بعدها الى مصر، ومنها رحل الى الحجاز، فغزة ، فالقدس، فيروت ، وقد زار اليونان حسب رواية أحد المستشرقين (٩) .

وقد زادت هذه الرحلات من خبرة هذا العالم في ميدان علم النبات وساعدت على اكتشاف المزيد من الأعشاب . وكما قلنا لم يكن ابن البيطار يالو جهداً في سبيل الاجتماع بالعلماء العرب أينما حل . فكان لقاءه - على سبيل المثال - بنفيس الدين وتاج الدين البلغاري وغيرهم كثير (١٠) .

ولم تقتصر علوم ابن البيطار على النبات والأعشاب بل شملت الطب والصيدلة أيضاً ، وفاقت شهرته على جميع الصيادلة في القرون الوسطى (١١) ، حيث كانت له تفاسير لأسماء أدوية كتاب ديستوريدس (١٢) .

١ - في التعريف بحياة ابن البيطار :

ان لمحة وجيزة عن حياة هذا العالم العربي وعن رحلاته ومكانته العلمية والمصر الذي عاش فيه ضرورية لأن تجعلنا نقف على المشوار الذي قطعته قبل أن نتطرق للقسم الثاني من هذه المقالة والذي يبحث في منهج ابن البيطار في الدراسة واكتشافاته العلمية وما أغنى به مكتبة التراث العربي من كتب ومؤلفات .

٢ - اسمه ولقبه وتاريخ وفاته :

هو ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي - نسبة الى مدينة مالقة في الأندلس (١٣) - المعروف بابن البيطار . ولد هذا العالم في الربع الأخير من القرن السادس الهجري (لم يعرف تاريخ ميلاده بالضبط (١٤)) في مدينة مالقة ، وتلقى تعليمه في مدينة اشبيلية حوالي عام ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م ، على أيدي علمائها أبي العباس النباتي ، وعبدالله بن صالح ، وأبي الحجاج .

أما وفاته فكانت في مدينة دمشق في شهر شعبان من عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م .

مكانته العلمية :

أما في مصر فقد اتصل ابن البيطار بالملك الكامل الأيوبي^(١١) الذي كان يحكم مصر ودمشق^(١٢) . واعتد الملك الكامل الأيوبي على هذا العالم في الأدوية والحشائش وجعله مقدماً في أيامه وحظياً عنده^(١٣) ، فسلمه حوالي عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م منصب رئيس المشايين وأصحاب البسطات في الديار المصرية^(١٤) ، كما جعله رئيساً للأطباء في مصر^(١٥) . وكان تفاني هذا العالم في خدمة الملك الكامل الأيوبي وإخلاصه لذكراه دافعاً له ليلقى في خدمة ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب^(١٦) بعد وفاة أبيه ، فكان حظياً مقرباً عنده في الوقت الذي عرف فيه ابن البيطار وذاع صيته واشتهر شهرة عظيمة .

ج - عصره :

عاش ابن البيطار في عصر عرف باضطراب الأحوال السياسية وتدهور الأوضاع العامة .

ففي الأندلس كانت دولة الموحدين على وشك الانهيار ، فحمد الناصر ٥٩٦-٦١١ هـ / ١١٩٩-١٢١٤ م - أحد أحفاد مؤسس دولة الموحدين عبد المؤمن الكومي^(١٧) - انهزم أمام جيوش الأفرنجية وفرّ إلى مراكش ، وكان أن سقطت بعدها دولة الموحدين عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م^(١٨) بعد أن تعاقب على حكمها عدة أمراء لم يفلح أحد منهم في الإبقاء على هذه الدولة .

أما في العراق فقد كانت الخلافة الإسلامية

تميش عصيب أوقاتها . فالفرس والأتراك يتحكمون بمقاييد الحكم ، ويسيطرون أمور الدولة على حسب أهوائهم . وكان الخلفاء العباسيون العوبة في أيديهم^(١٩) . وكان الخطر يحدق بالخلافة العباسية منذ أوائل القرن السابع للهجرة . فالمغول بقيادة جنكيز خان استولوا على بخارى وسمرقند وبلخ حوالي عام ٦١٦-٦١٧ هـ / ١٢١٩-١٢٢٠ م ، ولقي المسلمون على أيديهم ضرباً مختلفاً من الذل والهوان والعذاب . وكانت نوايا المغول تتجه نحو غزو العراق الذي اجتاحتته جيوشهم بعد معارك مختلفة انقضت بين كرك وفرن إلى أن بلغوا تخوم بغداد عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م^(٢٠) ليحاصروها ويضربوها بالمناجيق وكان أن سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وكان ذلك إيذاناً بزوال الخلافة العباسية .

أما حالة العلم والعلماء فكانت في أعصب

أوقاتها . فبعد أن عرفت بغداد ذلك العصر الذي تألقت فيه العلوم والآداب والفنون، حيث كانت حركة الترجمة من لغات الشعوب والأمم المختلفة، على ما حوتها من آداب وعلوم وفلسفات ، إلى اللغة العربية على أشدها في ذلك الوقت، وفتحت هذه الحركة أمام علمائنا وأدبائنا آفاقاً جديدة ووضعت بين أيديهم امكانيات هائلة ما كانوا يصلون إليها أو يعرفوها لولا تلك الترجمات الغزيرة، لتجيء بعدها القرائح والأفكار العربية

النبات والصيدلة والطب مبتدئين بشهادة تلميذه فيه .

أ - شهادة ابن أبي أصيبعة في ابن البيطار :

كان ابن أبي أصيبعة صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) تلميذا لابن البيطار ، وقد صحبه في الكشف عن النباتات في منطقة دمشق ، وحدثنا ابن أبي أصيبعة عن اجتماعه بأستاذه وعن أخلاقه ومنهجه في الدراسة والبحث وطريقته في الكشف عن النباتات والأعشاب فقال : « وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، ورأيت أيضاً من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعرافه وجودة أخلاقه ودرايته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ، ولقد شهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النباتات في مواضعه ، وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء الأدوية كتاب ديسقوريدس ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً ، وكنت أحضر عدة^(٢٢) من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة ، مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والفاقي وأمثالها من الكتب الجلية في هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ثم يذكر جملة ما قاله ديسقوريدس من نفعه وصفته وأفعاله وما يتعلق بذلك . ويذكر أيضاً جملاً من أقوال المتأخرين فيه . ومواضع الغلط والاشتباه

فتزيد عليها وتبتكر فيها بعد أن تمثلتها ووعتها وشرحتها . بعد ذلك العصر المتألق أصبحت معالم الازدهار والتقدم تضل وشعلة الحضارة تتلاعب بها رياح الاضطرابات والانقسامات والحروب التي عرفها القرن السابع للهجرة ، الى أن خبت وانطفأت مع استيلاء المغول على بغداد .

أما في الأندلس فإن الحركتين العلمية والأدبية كانتا في أوج الازدهار والتقدم منذ أوائل الحكم الإسلامي فيها وبخاصة أيام الناصر الأموي^(٢٣) . فقد كان الاهتمام والاعتناء بمختلف فواحي العلوم والآداب والفنون جلياً واضحاً ، والآثار العمرانية المتعددة والمنشرة في أطراف الأندلس شاهدة على هذا الاهتمام ، وذلك الاعتناء . إلا أن هاتين الحركتين سرعان ما أصابهما الضعف مع تعاقب حكم الملوك على الأندلس الى أن سقطت في أيدي الأفرنج عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م^(٢٤) .

٢ - منهج ابن البيطار في الدراسة والبحث واكتشافاته العلمية وما أغنى به مكتبة التراث العربي :

لعلنا في هذا القسم نبلغ بيت القصيد فنتمتع على ما أسهم به ابن البيطار ، بنبوغه وتفوقه ومهاراته ، في العلوم التي برع فيها وأضاف إليها المزيد من الاكتشافات مغنياً مكتبة التراث بمؤلفاته ودراساته وبحوثه التي كان لها الأثر البعيد واليد الطولى في تطوير علوم

ما لم يذكره ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتين ما لم يصفاه وأسندت في جميع ذلك الأقوال الى قائلها وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها واختصت بما تم لي به الاستبداد^(٢٥) وصح لي القول فيه ، وصح عندي الاعتماد عليه .

(الغرض الثاني) صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبر ، ادخرته كنزاً سرياً وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غياً وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلاً فيه عن سواء الطريق نبذته ظهرياً وهجرته ملياً وقلت لناقله أو قائله ، لقد جئت شيئاً فرياً ولم أحاب في ذلك قديماً لسبقه ولا محدثاً اعتمدت غيري على صدقه .

(الغرض الثالث) ترك التكرار حسب الامكان الا فيما تمس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبيان .

(الغرض الرابع) تقريب ماأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب .
(التبويه الخامس) التبويه على كل دواء وقع فيه وهم " أو غلط لتقدم أو متأخر لاعتماد اكثرهم على الصحف والنقل واعتمادي على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

الذي وقع لبعضهم في نعمته ، فكنت أراجع تلك الكتب معه ، ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها ، وأعجب من ذلك أيضاً أنه ما كان يذكر دواء الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة »^(٢٦) .

ب - منهجه في الدراسة والبحث :

ان الأسلوب الذي سلكه ابن البيطار في وضعه لمؤلفاته والطريقة التي اعتمد عليها في بحوثه ودراساته تستحقان كل تقدير واعجاب . وحري بمن يضع مناهج للدراسة والبحث في إيماننا هذه أن يعتمد عليها لما فيها من براعة ودقة وأمانة علمية . ولنترك لابن البيطار نفسه أن يحدثنا عن الأغراض التي توخاها والمنهج الذي اتبعه في التأليف حين أخرج كتابه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) .

كتب ابن البيطار في مقدمة كتابه هذا :
(الغرض الأول) بهذا الكتاب استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على النوام والاستمرار عند الاحتياج اليها في ليل كان أو نهار ، مضافاً الى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار ودثار واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصه وكذا فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية

أن يلفت انتباه الباحثين والمختصين وأن تترجم كتاباته ومؤلفاته لتكون في متناول كل طالب للعلم وكل مجتهد للدراسة والبحث .
ج - اكتشافاته العلمية :

لقد أسهم ابن البيطار في مجالي النبات والصيدلة باكتشافاته العلمية البارزة سواء عن طريق العثور على نباتات جديدة أثناء تجواله ورحلاته ذاكراً خواصها وفوائدها الطبية ، أم بالشروح والملاحظات التي دونها فيما يتعلق بتخزين النباتات المختلفة وحفظها ومؤلفاته الهامة في علم الأقرباذين .

١ - ففي ميدان حفظ النباتات وتخزينها: كان ابن البيطار : « أول من شرح تأثير التخزين والحفظ على المواد الفعالة والمكونات الغذائية الموجودة في النبات » (٢٩) : مما سمح فيما بعد بوضع « الأسس العلمية لحفظ وتخزين النباتات الطبية والقطرية ، بالإضافة الى الحبوب أمثال الحنطة وغيرها » (٣٠) . وبذلك سبق هذا العالم بشروحه الدراسات الحديثة التي اعتمدت أصلاً على مؤلفاته ومؤلفات غيره من العلماء العرب لوضع الأصول التي ساعدت على حسن تخزين وحفظ مختلف أنواع النباتات والحبوب لنصل الى ما نعرفه اليوم من أسس وطرق للحفظ والتعليب .

٢ - أما عن عثوره على نباتات جديدة : فسيكون من الاطالة أن نعدد كل ما عثر عليه

(الغرض السادس) في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات مع أنني لم أذكر فيه ترجمة دواء الا وفيه منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة « (٣١) .

ومن هذه المقدمة نلاحظ أن أسلوب ابن البيطار في وضعه لمؤلفاته كان البدء بالتحريف باسم احد الأدوية ثم اعطاء عدة مرادفات لهذا الدواء مع العودة الى ما كتبه العالم اليوناني ديسقوريدس وكذلك العالم جالينوس فيما يختص هذا الدواء ومن ثم يستشهد ابن البيطار بالمحدثين من العلماء العرب في أيامه وبالدرجة الاولى العاقي واسحاق بن عمران والدينوري (٣٢)

كما عرفنا ذلك من شهادة ابن أبي أصيبعة . وكان ابن البيطار يعتمد على الخبرة والتجربة ولا يتردد عن نبذ ما يراه مخالفاً لما شاهده ولمسه بعد الخبرة والتجربة مع الدقة في النقل وعدم التكرار حرصاً في الوقت نفسه على حسن الترتيب على حروف المعجم مع التبيي على كل وهم أو غلط ارتكبه أحد من الأقدمين او المحدثين مبدئاً رآه في حال وجود تناقضات او اختلافات بين العلماء المختصين (٣٣)

محتفظاً لكل دواء باسمه الذي يعرف في موضع نباته مترجماً له ان كان فيه منفعة أو فائدة . وفي هذا كل الصدق والأمانة العلمية اللتين يجب أن يتحلى بهما كل باحث أو دارس ، وهكذا كان حال ابن البيطار الذي وضع منهجاً فريداً في البحث وطريقة مثلى للدراسة فاستحق

فلوز البربر اسم بربري لأحد النباتات الذي احتفظ به ابن البيطار حين وضع مؤلفه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) (٢٥٠) . وفي ذلك ما يدل على الدقة والأمانة العلمية اللتين تحدثنا عنهما أثناء تعرضنا لطريقته في البحث والتأليف .

ومن النباتات التي جاء ابن البيطار على ذكرها والموجودة في مناطق (مصر) هناك العديد المعروف منها في أيامنا هذه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : البامية ، الترمس ، الشمام ، الطرخون ، الهليون (٢٦) .

أما عن النباتات الجديدة، ففي خلال تجواله بالقرب من مدينة قسطنطينية (الجزائر) ، قطف ابن البيطار لأول مرة نبات Le PYRETHRE أو ما يسمى بفرديب . وفي تونس عثر على نبات Le TAFRAIT ، أو ما يسمى بالعريية دلدغ (٢٧) . وفي ليبيا دَوَّن ملاحظاته لأول مرة عن نبات L'OUCHCHAR (٢٨) . هذا عن رحلته في بلدان المغرب (٢٩) ، أما في بلدان المشرق فقد قطف ابن البيطار في غزة La PASSERINE أو ما يسمى بحشيشة المصنفر ، وفي القدس قطف Le COIX LACRYMAJOB ، وفي لبنان Le DAPHNOIDES ، وفي أنطاكية L'HIPPOHÆ ، أو ما يسمى بشولة الصبار (٣٠) .

أما مؤلفاته الهامة في علم الأقرباذين فسنفرد لها فقرة خاصة إلا أننا نشير سلفاً إلى الطريقة

ابن البيطار أثناء تجواله وتنقلاته بين قطر وآخر، وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض النباتات سواء المعروفة منها في أيامنا هذه لدى عامة الناس، أو تلك التي هي أقل تداولاً ومعرفة مشيرين في الوقت نفسه إلى ظاهرة جد هامة في طريقة التدوين التي اتبعها ابن البيطار لأسماء النباتات ألا وهي احتفاظه بالأسماء البربرية للنباتات التي وجدها وقطفها (٣١) ، فعلى سبيل المثال نبات Argan أو (ارجان) وهو ما يعرف ثمره في بلدان المغرب باسم (لوز البربر) . فقد كتب ابن البيطار عن هذا النبات ما نصه : « (لوز البربر) ابن رضوان (٣٢) هو ثمر شبيه بصغير البلوط أصفر اللون في أحد جوانبه ثقب غير فافذة إلى داخله وداخله شبيه بحب الصنوبر يجلب من شجر كبار بالمغرب الأقصى حار يابس للبطن ودهنه ينفع من الطرش القديم ووجع الأذن نفعاً يئناً والشربة منه التي تمسك البطن نصف درهم . لي هذا (٣٣) هو الهرجان والبربر بالمغرب الأقصى يسمونه أرجان وهو شجر يكون بالمغرب الأقصى بقبيلة مراكش ببلاد حاحا وركراكا كثير الشوك حديده يمنع شوكه من الوصول إلى جني ثمرته ويستخرج من ثمرته دهن بأن تعطى ثمرته المعز أو الإبل تأكله عند نضجه على شجره ، فإذا أكلته ورمت بنواه من بطونها فحينئذ يلقطونه ويكسرونه كاللوز ويأخذون له فيطحن كالزيتون ويستخرج منه دهن يتأدم به وهو عندهم من أفضل الأدهان وأرفعها ويسمى زيت الأركان » (٣٤) .

وتحريرها ومنافعها مبينة الصحيح منها وما وقع
الاشتباه فيها .

ولقد ذكرنا في معرض حديثنا عن منهجه
في الدراسة والبحث الأغراض التي توخاها حين
وضع مؤلفه هذا ، وحسبنا ان تشير هنا الى
شهادة ابن أبي أصيبعة - الذي كان كتابه
(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) أعظم الكتب
وأوفاهها في تراجم الأطباء العرب^(١٢) - فقد
قال : « لم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجلى
ولا أجود منه »^(١٣) ، ذاكراً أن ابن البيطار قد
صنف كتابه هذا للملك الصالح نجم الدين أيوب
حين كان مقيماً في مصر^(١٤) .

لقد كان المرجع الأساسي لكتاب (الجامع
لمفردات الأدوية والأغذية) حسب رواية
الدكتور مايرهوف^(١٥) - كتاب أحمد الغافقي
المتوفى سنة خمس مائة وخمسين هجرية .

طبع هذا الكتاب في القاهرة (بولاق) سنة
١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م في أربعة أجزاء وقد
ترجمه الى اللغة الفرنسية الدكتور لوسيان لوكليير
Lucien LECLERC وسمحت هذه الترجمة
بالقيام بأبحاث عديدة في علم الأقرباذين عند
العرب . وقد قام ابن منظور صاحب (لسان
العرب) بوضع مختصر لكتاب ابن البيطار ،
وهذا المختصر موجود في الخزانة التيمورية^(١٦) .

٢ - ومن كتبه المشهورة أيضاً كتاب
(المغني في الأدوية المفردة)^(١٧) ، وهو مرتب

التي انتهجها ابن البيطار وأمثاله من العلماء
العرب في وضعهم لكتب العقاقير من شرح
للمترادفات اليونانية والعربية واللاتينية مما
جعل علماء الغرب أمثال سيمون دي كوردو
Simon DE CORDO يحذون حذوهم فيما
بعد في وضعهم لمعاجمهم ومؤلفاتهم^(١٨) .

د - كتبه ومؤلفاته :

لقد كان حصيلة ما تركه ابن البيطار من
كتب ومؤلفات دليلاً واضحاً وبرهاناً جليلاً على
تفوق هذا العالم ونبوغه في مجالات النبات
والطب والصيدلة مما جعله يرقى الى مصاف كبار
علماء المسلمين الذين أغنوا المكتبتين العربية
والاسلامية بالبحوث والدراسات والمجلدات ،
وان لم نفلح نحن أحفاد أولئك العلماء باستغلال
ذلك الرصيد الهائل من المعرفة والعلوم تاركين
لأوروبا أن تستفيد منه وتستغله في بناء
حضارتها ومجدها العلمي ، فحري بنا اليوم
ان نولي هذه الثروة العلمية اهتمامنا ونكرس
لها من وقتنا ما يعيد اليها بريقها ولمعانها بالبحث
والدراسة والتنقيب .

أما ما عرفناه من كتب ابن البيطار
ومؤلفاته فهي :

١ - كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية :

هذا الكتاب من أشهر كتب ابن البيطار
عمد فيه الى ذكر الأدوية المفردة وأسائها

الفصل العشرون : يحوي على الأدوية الأكثر استعمالاً في الطب^(٥٠) .

ولم يكتف ابن البيطار في كتابه هذا بذكر الأدوية بل أدلى برأيه فيها بمد أن أخضعها للتجربة والملاحظة . فمثلاً مما ذكره عن مرض الجدري . أنه حالما تظهر البقع عند الطفل يجب أن ندلك له باطن القدم بالحنة مما يجنبه - حسبما لاحظ ابن البيطار - أن تظهر مثل هذه البقع على الميون^(٥١) .

وقد لاحظ لوكير أن (المغني في الأدوية المفردة) كان معتدلاً في التفاصيل المتعلقة بعلم الأمراض على خلاف تلك المتعلقة بالتاريخ الطبيعي وفي هذا النطاق نجد عدة وقائع لا نجدها في كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)^(٥٢) .

ولا يزال كتاب (المغني في الأدوية المفردة) مخطوطاً^(٥٣) ، وقد ساعد هذا الكتاب على التعرف على حياة ابن البيطار^(٥٤) . وقد أهدى هذا العالم كتابه المغني للملك الصالح نجم الدين أيوب^(٥٥) .

٣ - كتاب (الإنبابة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) : والمنهاج هو كتاب ابن جرّك^(٥٦) (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) - مخطوط - وقد رتب ابن جرّك على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية^(٥٧) . وفي كتابه (الإنبابة والإعلام بما في المنهاج من

بحسب مداواة الأعضاء ، وقد استعمله ابن الشوَيْدي^(٥٨) - تلميذ ابن البيطار - لتأليف كتابه (السمات في أسماء النبات)^(٥٩) .

لقد ألف ابن البيطار كتابه هذا بعد أن كتب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) مما أتاح لهذا العالم أن يضيف عدداً لا بأس به من الوثائق الجديدة في كتابه المغني ، الذي ينقسم الى عشرين فصلاً يحوي كل واحد منه على الأدوية النافعة لمعالجة مرض من الأمراض ، فعلى سبيل المثال :

الفصل الأول : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الرأس .

الفصل الثاني : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الأذن .

الفصل الثالث : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الميون .

أما الفصول الأربعة الأخيرة من هذا الكتاب القيم فهي :

الفصل السابع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة للتجميل .

الفصل الثامن عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد الحرارة أو فساد الجو .

الفصل التاسع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد السموم .

العالم الاسلامي ابن البيطار ، الذي شملت علومه واختصاصاته مجالات النبات والصيدلة والطب، وان كنا قد أغفلنا من ذكر أخباره أو كبير قدره وسعة اطلاعه وعلومه وعظيم تفوقه ونبوغه فمقدرنا أنها محاولة متواضعة أردنا منها أن نلفت انتباه اخواننا المشتغلين والمتخصصين في علوم ابن البيطار لعل ما بقي من كتبه المخطوطة أو المطبوعة - وما أندرها - يلقى الاهتمام للتفرغ للطبع والشرح والتعليق ، فمهما تعاقبت القرون والسنون على كتب التراث فإن قيمتها لا تضيع ويريقها لا يتلاشى وبخاصة ما جاء به لبوغ ابن البيطار وذكأؤه ، فما قامت عليه علوم الصيدلة والنبات قد بني على هذه الكتب وعلى غيرها من مؤلفات العلماء العرب والتي لها علينا ولأصحابها الحق كل الحق بالحفظ والإشادة والتذكير .

الخلل والأوهام) عمد ابن البيطار الى شرح أدوية كتاب ديسقوريدس^(٥٨) .

٤ - كتاب (ميزان الطبيب) ولا يزال مخطوطاً^(٥٩) .

٥ - كتاب (الأفعال الغريبة والخواص العجيبة)^(٦٠) .

٦ - (رسالة في الأقضية والأدوية)^(٦١) .

٧ - (مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه)^(٦٢) .

٨ - كتاب (جامع المنافع البدنية في طب البرية)^(٦٣) .

٩ - (رسالة في تدوي السموم)^(٦٤) .

□ الغاتمة :

وبعد ، فهذا غيض من فيض لما احتوته مكتبة التراث العربي ، وما كتبه المستشرقون عن

★ ★ ★

□ هوامش :

- ١ - هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الغزرجي : طبيب مؤرخ ولد في مدينة دمشق عام ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م . سليل عائلة خرجت عدة أطباء . أقام في مدينة دمشق وتوفي بصرخند - المعروفة اليوم بصلخد - (حوران) عام ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م . له عدة مؤلفات أشهرها (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) . راجع الأعلام لغیرالدين الزركلي منشورات مطبعة كوستانتينوس وشركا . القاهرة : ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م . الطبعة الثانية ج ١ ص (١٨٨ - ١٨٩) . والموسوعة الاسلامية الصادرة باللغة الفرنسية الطبعة الثانية منشورات : E. J. BRILL LEYDE - G. - P. MAISONNEUVE et LAROSE S. A. PARIS 1971

الجزء الثالث ص (٧١٥ - ٧١٦) .

- ٢ - ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر ص (٦٠١) . شرح وتعليق الدكتور نزار رضا . منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ م .

- ٣ - لوسيان لوكلير : دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . . مقالة منشورة في المجلة الآسيوية الصادرة باللغة الفرنسية ص (٤٣٧) . شهر حزيران من عام ١٩٦٦ م .

LECLERC lucien « Etude Historique et Philologiques sur EBN BETTAR », Journal Asiatique, Juin 1962, p. 427.

٤ - جلال مظهر • أثر العرب في الحضارة الأوروبية • منشورات دار الرائد بيروت ١٩٦٧ م • ص (٢٧٣) •

٥ - ديسقوريدس : طبيب يوناني ولد في عين زربة في آسيا الصغرى في القرن الاول بعد الميلاد •

٦ - مألقة - حسب ما أخرجه ياقوت الحموي في معجم البلدان • منشورات دار صادر بيروت ١٩٧٧ • الجزء الخامس ص (٤٣) :
« مدينة بالاندلس عامرة من أعمال رينة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية » •

٧ - هناك من المستشرقين من ذكر أن ولادة هذا العالم كانت في عام ١١٩٧ م • إلا أن الدكتور لوكلير لم يعتمد هذا الرأي •
راجع لوسيان لوكلير • تاريخ الطب العربي • منشورات برت فرانكلين - نيويورك ١٨٧٦ م • الجزء الثاني ص (٢٢٥) •

LECLERC lucien. Histoire de la médecine arabe. Editions Burt Franklin, N.Y. 1876. Tome II, p. 225.

٨ - المرجع السابق ص (٢٢٦) •

٩ - رينة ياسية • الاسماء البربرية للنباتات في الجامع لمفردات الادوية والاغذية لابن البيطار • في مجلة الجمعية الاسيوية الايطالية • لعام ١٨٩٩ م • ص (٥٣) •

BASSET René. les nom berbères des plantes dans le traité des simples d'Ibn ELBEITAR. Giornal della Societa Asiatica Italiana. Volume Docicesiom 1899, p. 53.

١٠ - لوكلير • تاريخ الطب العربي • الجزء الثاني ص (٢٢٨) •

١١ - هو محمد بن محمد بن أيوب من سلاطين الدولة الأيوبية • ولد بمصر وتولى حكمها بعد وفاة أبيه سنة ٦١٥ هـ/١٢١٧ م •
وامتدت حدود الدولة الأيوبية أيام حكمه لتصل إلى ديار الشام • كما دخل ابنه (الملك المسعود) سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٢ م • مكة المكرمة • وقد توفي الملك الكامل في دمشق عام ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٨ م • ودُفن في قلعتها • راجع الاعلام للزركلي • الطبعة الثانية الجزء السابع • ص (٢٥٥) •

١٢ - الدكتور احمد السعيد سليمان • تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر العاكمة • منشورات دار المعارف بمصر عام ١٩٧٢ م • الجزء الاول ص (١٤٢) •

١٣ - محمد بن شاكر بن احمد الكتبي • فوات الوفيات ص (٤٣٤) • وهو ذيل على كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان • حققه وضبطه وعلق حواشيه محمد معني الدين عبد الحميد • وطبع في مطبعة السعادة بمصر • ١٩٥١ م •

١٤ - ابن أبي أصيبعة • عيون الانباء في طبقات الاطباء • الباب الرابع عشر •

١٥ - أرنست سيكنبرجر • النباتات المصرية لابن البيطار • مقالة منشورة في مجلة المعهد المصري الصادرة باللغة الفرنسية • الجزء الثاني • رقم (١٠) لعام ١٨٨٩ م • القسم الثاني من العدد ص (٣) •

SICKENBERGER Ernest. « les Plantes Egyptiennes d'Ibn Belthar ». Bulletin de l'Institut Egyptienne. Deuxième Série No. 10. Année 1889. Deuxième Partie, p. 3.

١٦ - هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب من كبار ملوك بني أيوب في مصر • ولد في القاهرة عام ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦ م •
وولي الحكم بعد وفاة أبيه عام ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٨ م • مات الملك الصالح بالمنصورة في مصر عام ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٦ م • وقد عرف بالشجاعة والعزم أيام حكمه • راجع الاعلام للزركلي • الطبعة الثانية الجزء الاول ص (٣٨٧) •

١٧ - هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان • أبو محمد الكومي • مؤسس دولة الموحدين في المغرب • واهريقية وتونس • كانت ولادته عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م في مدينة تاجرت قرب تلمسان في الجزائر • بنويع أميراً للمؤمنين عام ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م بعد أن تم له الأمر في المغرب الأقصى عقب وفاة المهدي ابن تومرت • دخل مراكش عام ٥٤١ هـ

١١٤٦/ م وخضع له المغربيان الألفي والأوسط . استولى على اشبيلية وقرطبة وقرنطبة والجزائر والمهدي
وطرابلس الغرب . توفي في رباط سلا عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ونقل الى تينملل ليدفن فيها . راجع الأعلام . للزركلي .
الطبعة الثانية . الجزء الرابع . ص (٣١٩) .

١٨- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الاولى . منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٥٨ م .
ص (٢٥٤) .

١٩- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية عصر الانحدار . الطبعة الاولى منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٦٣ م . ص (٨) .
٢٠- المرجع السابق ص (٩) .

٢١- هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ،
ابو المطرف المرواني الأموي . كان أول من تلقب بالخليفة من رجال الدولة الأموية في الأندلس وكان ذلك عام ٣١٦ هـ /
٩٢٨ م . ولد في عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م في قرطبة وتوفي فيها عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . راجع الأعلام للزركلي الطبعة
الثانية . الجزء الرابع . ص (٩٩ - ١٠٠) .

٢٢- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الاولى ص (٢٥٧) .

٢٣- وأمله قصد : أحضر دراسة عدة من الكتب ...

٢٤- ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

٢٥- وأمله قصد (الاسناد) .

٢٦- نقلنا ما جاء في هذه المقدمة من إحدى نسخ كتاب ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) . الجزء الاول
ص (٢ - ٣) . والمطبوع حسب ما ورد في الصفحتين (٢١٠ - ٢١١) من نهاية الجزء الرابع في مطبعة (أسماويل
ابن ابراهيم بن محمد علي) - بولاق - حيث تمت طباعة هذه النسخة في أواخر ذي القعدة من سنة مائتين والف واحد
وتسعين هجرية . (وهذه النسخة موجودة في المكتبة الوطنية لمدينة ستراسبورغ بفرنسا تحت الرقم س ١١٢٥٩) .

٢٧- هو أحمد بن داود بن وند الدينوري ، أبو حنيفة . عالم وهذخ نباتي وهو من أوائل المسلمين الذين قاموا بوضع أسس
تصنيف النبات في القرن الثالث الهجري . ترك عدة مؤلفات منها ما طبع مثل « الأخبار الطوال » وهو مختصر في
التاريخ . لم يعرف تاريخ ميلاده ، إلا أن وفاته كانت في عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م . راجع الأعلام . للزركلي . الطبعة
الثانية الجزء الاول . ص (١١٩) .

٢٨- لوكلير . دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . ص (٤٣٤) .

٢٩- الدكتور علي مجنوب . علوم الزراعة والبيطرة في الحضارة الإسلامية . الإسلام اليوم : مجلة المنظمة الإسلامية للتربية
والعلوم والثقافة . المدة الاول ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . ص (٥٧) .

٣٠- المرجع السابق . ص (٥٧) .

٣١- لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص (٢٢٦) .

٣٢- بدأ ابن البيطار يذكر ما كتبه أحد العلماء العرب عن هذا النبات وهو ابن رضوان . وابن رضوان هذا هو علي
ابن رضوان بن علي بن جعفر ، أبو الحسن : طبيب ، رياضي ومن العلماء من أهل مصر . لم يعرف تاريخ ميلاده وكانت
وفاته عام ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م . له عدة مؤلفات وترجمات ومن كتبه المطبوعة « دفع مضار الأبدان » . وقد كان حسب
ما ذكره ابن تفرج بردي : من كبار الفلاسفة في الإسلام . ومن كتبه في هذا المجال « حل شكوك الرازي على كتب
جالينوس » و « الاستعمل من المطلق في العلوم والصنائع » و « التوسط بين أرسطو وخصومه » . راجع الأعلام . للزركلي ،
الطبعة الثانية . الجزء الخامس ص (١٠٠) .

٣٣- ويقصد هنا ابن البيطار نفسه .

٣٤- ابن البيطار . كتاب الجامع لفردات الادوية والاذوية . مطبعة اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م .
الجزء الرابع ص (١١٢) .

٣٥- ريشة باسية . الاسماء البربرية للنباتات في الجامع لفردات الادوية والاذوية لابن البيطار . ص (٥٨) .

٣٦- ارنست سيكينجر . النباتات المصرية لابن البيطار . ص (٩ ، ١٠ ، ١١) .
ذكر سيكينجر ان ابن البيطار اشار الى تسع وتسعين نباتا من نباتات مصر وانه (اي سيكينجر) أكد وجود واحد وخمسين من هذه النبات . وان هناك احد عشر نباتا لم يتعرف احد على وجودهم وانه قد توصل لتحديد خمسة منهم على خلاف الستة الباقية وانه رفض وجود او طعن في ستة وللاثنين نباتا وبذلك يكون المجموع تسعا وتسعين نباتا .
راجع مقالته ص (٦) .

٣٧- جاء ابن البيطار على ذكر هذا النبات في كتابه (الجامع لفردات الادوية والاذوية) ، الجزء الثاني ص (٩٥) :
(دلدغ) ابو العباس النبائي يقال مضموم الدال ساكن اللام بعدها دال اخرى مضمومة ثم هين معجمة اسم ببلاد بيت المقدس للنسوع العريض الورق من الكلكم المعروف بفرناطة من بلاد الاندلس بالكلكم الدليبي وبغيرها من بلاد البربر بالتايفرا معتبر عندهم في النفع للأوجاع ويزيد في الباء شربا قال المؤلف هذا الدواء المسمى باليونانية سفندوليون . .

٣٨- لوسيان لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص (٢٢٦) .

٣٩- المرجع السابق . ص (٢٢٦) .

٤٠- المرجع السابق . ص (٢٢٨) .

٤١- جلال مظهر . اثر العرب في الحضارة الأوروبية . ص (١٩٨) .

٤٢- الدكتور نشأت حمارة . تراجم الاطباء العرب . مجلة التراث العربي . العدد الرابع . السنة الثانية . آذار ١٩٨١ م .
ص (٣٦) .

٤٣- ابن ابي أصيبعة . هيون الانباء في طبقات الاطباء . الباب الرابع عشر .

٤٤- شعاعه فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في المعهد القديم والوسيط . منشورات دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .
ص (١٦٩) .

٤٥- المرجع السابق ص (١٦٩) .

٤٦- راجع مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق . المجلد الثالث . الجزء العاشر عشر - تشرين الثاني عام ١٩٢٣ م .
ص (٣٦١) .

٤٧- في ترجمة فوات الوفيات اسم الكتاب (المغني في الطب) .

٤٨- هو ابراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الانصاري ، أبواسحاق ، عز الدين ، من ولد سعد بن معاذ ، من الأوس ، نسبته الى السويدياء . طبيب دمشق كانت ولادته عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م . عمل طبيباً في « البيمارستان الشوري وبيمارستان باب البريد » في دمشق . له في الطب « التذكرة الهادية » . و « الباهر في خواص الجواهر » . توفي عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م . راجع الاعلام . للزركلي . الطبعة الثانية . الجزء الاول ص (٦٠) .

٤٩- شعاعه فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في المعهد القديم والوسيط . ص (١٦٩) .

٥٠- لوسيان لوكلير . تاريخ انطب عند العرب . الجزء الثاني ص (٢٣٥ - ٢٣٦) .



- ٥١- المرجع السابق • ص (٢٣٦) •
- ٥٢- المرجع السابق • ص (٢٣٦) •
- ٥٣- هذه المخطوطة موجودة في باريس وهناك عدة روايات لرقم هذه المخطوطة • فقد كتب لوكير أنها تحت الرقم /١٠٠٨/ في المجموعة القديمة ، أما في المجموعة الجديدة فهي تحت الرقم /١٠٢٩/ • أما في موسوعة بروكلمان ص (٦٤٨) فالمخطوطة موجودة في باريس تحت الرقم (I / ٢٩٩٠) ، أما في الملحق الأول للنفس الموسوعة ص (٨٩٧) فهي تحت الرقم (٥٧٧٧٦٦٢٣) •
- ٥٤- لوسيان لوكير • تاريخ الطب عند العرب • الجزء الثاني ص (٢٣٦) •
- ٥٥- الموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية • الطبعة الثانية • الجزء الثالث ص (٧٦٠) •
- ٥٦- هو يحيى بن حيسى بن جزلة البغدادي ، أبو علي • لم يعرف تاريخ ميلاده • كان باحثاً من أهل بغداد ، وأمام انطب في عصره • كان مسيحياً وأسلم في سنة ٤٦٦ هـ واتصل بالمعتدي بالله العباسي • من كتبه بالإضافة للمحتاج : « تقويم الأبدان » وهو مطبوع • و « الإشارة في تلخيص العبارة » • ورسالة « الرد على النصاري » • ورسالة في « فضائل الطب » كانت وفاته في سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م •
- راجع الأعلام • للزركلي • الطبعة الثانية • الجزء التاسع • ص (٢٠٢ - ٢٠٣) •
- ٥٧- في الفاتيكان نسخة منه وقد ترجم إلى اللاتينية عام ١٥٣٢ م • الأعلام للزركلي • الطبعة الثانية • الجزء التاسع • ص (٢٠٢) •
- ٥٨- ابن أبي أصيبعة • عيون الأنباء في طبقات الأطباء • الباب الرابع عشر •
- ٥٩- الأعلام • للزركلي • الطبعة الثانية • الجزء الرابع ص (١٩٢) •
- ٦٠- ابن أبي أصيبعة • عيون الأنباء في طبقات الأطباء • الباب الرابع عشر •
- ٦١- الموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية • الطبعة الثانية ١٩٧١ • الجزء الثالث ص (٧٥٩) •
- ٦٢- موسوعة بروكلمان • الصادرة باللغة الألمانية • الملحق الأول لعام ١٩٣٧ م • ص (٨٩٧) •
- ٦٣- المرجع السابق • ص (٨٩٧) •
- ٦٤- موسوعة بروكلمان • الصادرة باللغة الألمانية طبعة عام ١٩٤٣ م • ص (٦٤٨) •

★ ★ ★

كتب تراثية وفكرية

العالم الاسلامي اليوم THE MUSLIM WORLD TODAY

تأليف س. أمجد علي (١)

هو الكتاب المصور الوحيد الشامل الذي يتناول العالم الاسلامي الراهن في مجلد واحد. مقدمته تزود بمعلومات ثمينة كتبها العلامة البارز ن. أ. بالوخ وتوطئته المنيرة وضمها ال. بروهي ومدخله يروي بقصة مشيرة لتحرر العالم الاسلامي وخلاصه من سيطرة الاستعمار واليقظة السياسية والدينية التي كانت سبب ذلك الخلاص والتحرر.

يتناول الكتاب بفصوله البلدان الستة والأربعين الاسلامية المستقلة ويفرد لفلسطين دراسة خاصة.

وهو يصف في كل فصل أرض البلد جمعاء ثم يصف شعبه الذي يعيش فيه ثم يعطي خلاصة عن تاريخه من أوغله في القدم الى أحدثه في العصر الحاضر. ويتطرق الكتاب الى الاقتصاد أيضاً بوقائمه وأرقامه وثمة مقاطع عن الشؤون المالية والتخطيط والزراعة والصناعة والنقل والتجارة والتربية والصحة ويخص الكتاب ببحثين مستقلين في الفصل السادس انتشار الاسلام والنجاح الذي لقيه في أوربة وأمريكة.

وثمة خريطة لكل بلد من البلاد الاسلامية والعربية وألف صورة ملونة وهذا يضفي على الكتاب قيمة وأهمية خاصة :

- الفصل الأول : مقدمات .
- الفصل الثاني : مسلمو الشرق الأقصى .
- الفصل الثالث : مسلمو الشرق الأوسط .
- الفصل الرابع : مسلمو شمالي افريقية .
- الفصل الخامس : مسلمو جنوبي الصحراء الافريقية .
- الفصل السادس : مسلمو أوربة وأمريكية .

والكتاب صدر ضمن سلسلة يصدرها المجلس الوطني للهجرة في باكستان احتفالاً بدخول القرن الخامس عشر الهجري وقد ظهر عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥ م في اسلام آباد ويقع في ٦٢٧ صفحة من القطع الكبير تزينه اللوحات والرسوم الملونة والخرائط وهو بحق موسوعة ممتازة في التاريخ الاسلامي والعربي باللغة الانكليزية . والراجح ان كل بلد اشرف على كتابة الفصل الذي يتعلق به وحيداً لو عمدت البلاد العربية الى اصدار موسوعة أكثر تفصيلاً وتخصصاً بالوطن العربي أجمع .

★ ★ ★

ملتان تاريخها وفن عمارتها : تأليف : احمد نبي خان

MULTAN HISTORY AND ARCHITECTURE

كتاب صادر عن معهد التاريخ والثقافة والحضارة الاسلامية التابع للجامعة الاسلامية في اسلام آباد باللغة الانكليزية .

تعد ملتان من أقدم مدن باكستان وقد استمر تاريخها الثقافي والديني بشكل متواصل مدى خمسة آلاف سنة . وبعض البراهين الأثرية تثبت أن تلك المنطقة قطنها الناس حتى قبل التاريخ في حضارة يسمونها الهندوسية Indus Civilization وفي فجر التاريخ كانت ملتان متوالية في الفضل حتى بداية التاريخ الميلادي إذ أصبحت إحدى عشرين مقاطعة تابعة للإمبراطورية الأخامانية في القرون الأولى الميلادية وشاعت فيها عبادة الشمس وشيدت لذلك معابد في أرجاء المدينة إلى أن جاء الفتح الاسلامي فأدخل قوماً اجتماعية ودينية جديدة . بعد انهيار امارة بني سماح انتشرت فيها الدعوات الاسماعيليه التي كانت تنظمها الخلافة الفاطمية في مصر ثم تحولت المدينة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الى مركز كبير للسلسلة السهروردية التي كان على رأسها شيخ الشيوخ بهاء الدين زكريا ، وخانقاه هذه السلسلة في تلك المدينة كانت مشهورة في العالم الاسلامي بأسره وفي هذا الوقت تدفقت جموع المهاجرين من مختلف المراكز الثقافية والحضارية في آسية الوسطى وإيران عندما اجتاحت المغول مدينة ملتان وقد أعطى هذا الوضع تلويحاً متنوعاً للمجتمع المحلي فظهر أدياء بارزون وصوفية وعلماء وقادة وشعراء ومعماريون ومهندسون وملوك وحكام . وبينما كانت قوافل الناس المتاجرة من مختلف البلدان تأتي الى ملتان تمبداً وتجارة كان بعض الملثانيين يذهبون لزيارة المراكز الأخرى في العالم الاسلامي وبالفعل تكونت فيها لجنة اجتماعية وثقافية وسياسة جديدة متميزة عن المراكز الجغرافية السياسية في شبه القارة الهندية .

لقد ساهمت ملتان خاصة في وضع وتطوير أسلوب في فن البناء متميز وفريد ورغم أن أقدم شواهد هذا الأسلوب ظهر في مواضع أخرى ولكن استقطابه وتمثله تمّاً في هذه

المدينة بالذات بسبب الخدمات المتميزة التي كان يتطلبها الصوفية السهرورديون وخاصة بهاء الدين زكريا وحفيده الشيخ ركن الدين ركن العالم .

لقد شاهد الداعية السهروردي العظيم بهاء الدين نماذج فن العمارة الاسلامي اثناء اقامته في مختلف مراكز العالم الاسلامي وعندما تقدمت به السن وأراد أن يبني قبره في ملتان نقل ملاحظاته الى عمال البناء والمهندسين في أسية الوسطى وكانت تلك المحاولة الأولى من نوعها على أرض باكستان وتبعه حفيده الشيخ ركن الدين ركن العالم الذي بنى بدوره نصبا فاحشا يكون قبراً له بعد وفاته وهو مشمن القاعدة يستدق كلما ارتفع وتزيينات الضريح أصبحت نموذجاً يحتذى للنصب الجنائزية على مدى القرون الثلاثة التالية .

الكتاب يقع في ٣٩٠ صفحة من القطع الكبير مزين بالزخارف والنقوش ولوحات الأضرحة الشهيرة التي تمثل فن العمارة الاسلامية في أوجه . وفي الملاحق ذكر لما رواه المؤرخون العرب عن مدينة ملتان ومعبد الشمس فيها (باللغة العربية) من أمثال القزويني والاصطخري وياقوت الحموي وغيرهم .

نقتطف ما جاء على لسان ياقوت في معجم البلدان في مادة ملتان . « مولتان : بضم أوله وسكون ثانيه واللام يلتقي فيه ساكنان وتاء مشناه من فوق وآخره نون وأكثر ما يسمع فيه ملتان بغير واو ، بلد في بلاد الهند على سمت غزنة قال الاصطخري . وأما المولتان فهي مدينة نحو نصف المنصورة ويسمى قَرْج بيت الذهب وبها صنم تعظمه الهند وتعج اليه من أقصى بلدانها ويتقرب الى الصنم كل عام بمال عظيم ينفق على بيت الصنم والمعتكفين عليه منهم وسمي المولتان بهذا الصنم . وانما سمي المولتان قَرْج بيت الذهب لأنها فتحت في أول الاسلام وكان بالمولتان ضيق وقحط فوجدوا فيها ذهباً كثيراً فاتسعوا به الخ ... »

★ ★ ★

مدينة اج او اش - تاريخها وفن عمارتها - تأليف أحمد نبي خان

UCHCH HISTORY AND ARCHITECTURE

قدم المعهد القومي للأبحاث التاريخية والحضارية في باكستان لهذا الكتاب بقوله : « جرت العادة أن نقرأ تواريخ الملوك وممالكهم ونعرف الكثير عن عواصمهم ولكن نندر أن ننوه بأهمية المراكز أو المدن الصغيرة التي أثرت تأثيراً بالغاً في النمو الحضاري والثقافي لمنطقة ما . وإذا أردنا أن نذكر أحد هذه المراكز للتنبيه على أهمية الاسلام في وجهه الاجتماعي الحضاري فانا لن نجد في مناطق الهند الوسطى أفضل من (اج) . »

مدينة صغيرة تجثم على طرف الصحراء وتحمل في طياتها أخبار الماضي وتطالبنا أن نسبر غور صفتها التاريخية في المصراع البرونزي وفي المصور التاريخية الموهلة في القدم وهو أمر لا بد من بحثه في المستقبل بانتظار ذلك فان الدكتور أحمد نبي خان أخذ على عاتقه أن يجمع في مؤلف واحد جميع الوقائع التاريخية التي يمكن التقاطها في

المؤلفات المتوافرة ويحكيها في قصة عن مدينة آج ذلك أن تاريخ منطقة ما هو جزء لا يتجزأ من قدرها .

وفي هذه الصفحات لا يتكلم الدكتور خان على الملوك فقط بل ينظر نظرة أوسع فيتناول بالبحث الأولياء ومريديهم لأنهم هم الذين أعطوها المكانة الدائمة والقيمة اللانقية في تاريخ المنطقة بأسرها ومن خلال هؤلاء الأولياء والصوفية ندرك إلى أي مدى وإلى أي عمق كان تأثير الإسلام في شعوب الهند . وأن التعداد الزمني أو التاريخي لأولئك الأولياء مع الرؤساء الإداريين والشخصيات السياسية يزودنا بمقياس نقيس به مجريات التاريخ ودون ذكرهم يصبح تاريخ آج قصة فقيرة إذ أن هذه المدينة تمتعت بكونها عاصمة مرة واحدة طوال تاريخها وذلك بزمان ناصر الدين قباچه - (المعزى) (٢) ولكنها ظلت على التاريخ ملتقى الثقة من الدراويش الذين آثروا الإقامة في الجزء الأسفل من المجرى الشرقي لنهر (السوتلج) ونفثوا آثارهم اللطيفة على السواء في المستوطنين وفي القبائل الرحل من الصحراء الشرقية . ولا عجب أن المساكن التي شغلها أولئك الأولياء ومقاماتهم وبيوتات عبادتهم تشغل اليوم أكنة بارزة بين الأبنية التي لم تندثر . وقد خصص الدكتور خان جزءاً كبيراً من كتابه للنسق المعماري الذي شيدت به تلك الأبنية كما أبرز المكانة التي تشغلها في النموذج العام لتطور الآثار في المنطقة . فهندسة العمارة وهي جزء مما كان يسمى (مدرسة الملتان) أمر مزدهر وجذاب وهي تبني بالتأثيرات الواردة من آسية الوسطى . والدراسة تبرز الأسلوب المبتكر بصرف النظر عن الطين والخشب المتوافرين في تلك المنطقة ذلك أن أسلوب الآجر هو الصفة المميزة لهذه الهندسة والأطر الخشبية هي هيكلها الخلفي ولكن القرميد المتألق الصقيل كان يجتذب المؤمنين والمبشرين على السواء . وما دام ذلك السحر المعماري يسم تلك المباني فإن الناس يحتشدون حولها يطلبون الإرشاد والعزاء من الأولياء في دار الفناء لأجل دار البقاء .

أن (آج) تجسد في التاريخ الرسالة الخالدة للعرب المسلمين . وقد أجاد الدكتور أحمد نبي خان في وضع خطة كتابه كما أجاد في الأسلوب والكتابة لذا جاء مؤلفه المصدر الرئيسي للمعلومات عن تاريخ المدينة وفتحها المعماري . يذكر المؤلف في مدخل الكتاب لمحة عن باكستان ويمتبرها أرضاً قامت عليها أعظم حضارات الشرق القديم ونشأت فيها مدن كبيرة وصغيرة ساهمت في صنع التاريخ بعضها مع عواصم في فترات معينة بينما شهر بعضها الآخر مثل آج وملتان وديباليور وباكباتان ولاهور وبيشاور بكونها مراكز للثقافة والحضارة منذ فجر التاريخ .

ويذكر أن آج عندما أصبحت عاصمة بزمان ناصر الدين قباچه المعزى تحولت إلى مركز عالمي استقطب علماء الدين والأدباء والفنانين والمهندسين وأن بلاطه أصبح ملتقى جميع أولئك المهاجرين من البلاد البعيدة إلى آسية الوسطى لاجئين أو مستعطفين أو مؤيدين كما أن وزيره عين الملك كان زعيم الفن والعلم وظهرت في المدينة شخصيات بارزة أمثال : محمد عوفي منهاج الدين سراج جزجاني ، ضياء الدين سجزى ، شمس الدين محمد الكاتب البلخي الخ . ويروي كيف أنشأ قباچه الخانقاهات والمعاهد والسراي (القصور)

في أرجاء المملكة ومن بين المدارس التي اشتهرت المدرسة الفيروزية ومن أشهر من كان فيها المؤرخ منهاجي سراج الذي أشرف على كتابة أول تاريخ للسند (الشاهنامة) وأقدم مختارات من تراجم الشعراء الفرس وهو (لباب الأدب) . ومع زوال ملك ناصر الدين تقلص المجد المادي لمدينة اج ولكن عظمتها الروحية ظلت متألقة ومسيطره دائماً وقدم اليها صوفية عظام وشخصيات روحية عالية لتعظ الناس وتدعو الى الحياة الفضلى وبفضل هؤلاء ثبت الاسلام أقدامه في القارة .

قيل الكثير عن أصل كلمة اج ربما كانت مشتقة من أوشاس الهة السحر وربما شيدها غزاة في الألف الثانية قبل الميلاد ثم فقدت أهميتها على مر الزمن حتى القرن الرابع ق م ، اذ يذكر المؤرخون اليونان أن الاسكندر بنى مدينة جديدة هناك وسماها الاسكندرية لذا يطلق عليها البعض اسم أوشا الكسندرياسازجين الاسم القديم بالاسم الجديد .

ويرى الكسندر كانفهام ان الاسم ربما اشتق من أوشا أو أونشا أي المكان العالي والمشرف ولكن هذا غير مرجح وقد أطلق عليها أسماء أخرى مثل باسماد أو ساوندي عند المؤرخين العرب وشاشبور أو اسكالاندا الكوفي واج المعصوم على أي حال فان الاسم الذي تصرف به الآن هو اج أو اش .

والمدينة القديمة تقسم الى عدة أحياء يعيش في كل حي اتباع أحد الأولياء المشهورين اج الجيلاني اتباع بانداغيني محمد غاوس المشهور بالجيلاني الثاني اج البخاري وكانت أكبر قسم من المدينة بخدماتها وبيوتها يسكنها اتباع البخاري المخدم في حين اج مغلّة Mughla كانت مركز المقاطعات الادارية للسلطنة الدهلية حيث يعيش نخبة أهل المدينة والمهاجرون المغول . وقد دعمت المناطق الثلاث من وقت لآخر بالحصون وبالبوابات القوسية ويفصل ٣٠٠ ياردة بين اج البخاري واج الجيلاني بينما تقع اج مغلّة نائية منهما ولا تبدو هذه الفواصل في المدينة الآن مع أن معالم هذا التقسيم يمكن تمييزها فما تزال اج الجيلاني واج البخاري تزدهران منطقتين من مناطق المدينة على حين اج مغلّة أصبحت قرية قريبة على الأرباض . وثمة عدد لا يحصى من المباني الخربة والأكوام التي تدل على حضارة بائدة تتناثر هنا وهناك وتذكر بالماضي المجيد . المساجد والخانقاهات وأضرحة الشيوخ تلقى التقدير والاحترام الذي تستحقه ولا بد أنها كانت ، أيام الازدهار ، تزين مختلف الأماكن في المدينة لقد صممها المعلم المماري ونفذها بكفاءة عالية وبها نشأ أسلوب جديد في فن المعمار متميز عن الفن الذي كان مألوفاً في الأماكن الأخرى المجاورة فقد كان السقف المسطح تطوراً حقيقياً والأضرحة ذات القباب والمساجد كانت اشتقاقاً رقيقاً ومتطوراً لأسلوب ملتان في فن العمارة ولكن تميز شخصية فن العمارة في اج أمر بديهي في البناء كما في التزيين .

ويلقي المؤلف نظرة تاريخية على المنطقة ماراً بالمهود القديمة ثم بفتح الاسكندر والحكام اليونان حتى يصل الى الفتح الاسلامي فروي سببه كما ورد على لسان المؤرخين العرب ونسمح لأنفسنا عرض تلك الرواية مسهبة نظراً لقلة تداولها ورغبة في التذكرة .

« الحجاج بن يوسف الثقفي سيّر عبدالله بن نبهان الى خور الديسل لتخليّة النسوة اللاتي ولدن في جزيرة الياقوت مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجاراً فأراد ملكها التقرب بهن الى الحجاج فأهداهن اليه فمرض للسفينة التي كن فيها قوم من ميد الديبل في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع يا حجاج ! وبلغ الحجاج ذلك فقال لبيك ! فأرسل الى داهر يسأله تخليّة النسوة فقال انما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم فأغزى الحجاج عبيدالله بن نبهان الديبل فغزاهم وقتل في ذلك الغزو بارض السند في فتوح البلدان (٣) »

ثم استأذن الحجاج الخليفة وسير محمد بن القاسم الثقفي ومع ستة آلاف مقاتل وجهه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط ، فسار محمد الى مكران فأقام بها أياماً ثم أتى فترزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقاً يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل (الدقل الخشبة المظلمة يرفع عليها القلح الذي تجري به السفينة وهو السارية المظلمة) عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذابت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور ، والبند صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان محمداً أتى وناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردّهم الى البلد وأمر بالسلالم فنصبت وصعد عليها الرجال وفتحت عنوة ٠٠٠ ثم عبر محمد مهران مما يلي بلاد راسل الملك على جسر عقدة - وذاهر مستخف به - فلقبه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا وقال قاتله :

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد
اني فرجت الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت المعراج مجندلا متعفر الغديين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لذاهر فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواربها وجميع مالها ثم سار الى برهمناباذا المتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ ، كان موضعها غيضة وكان فيها المنهزمون من الكفار فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وسار يريد الرور وبغور فلقبه أهل ساوندي (أي أج) فطلبوا الأمان فأعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم أسلم أهلها بعد ذلك ثم تقدم الى بسند وصالح أهلها ووصل الى الزور وهي من مدائن السند على جبل فحصرهم شهوراً فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى اللتان فقاتله أهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه فمطشوا فألقوا بأيديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البند

وهم ستة آلاف وأصابوا ذهباً كثيراً فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقي إليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر . وكان يد الملتان تهدي إليه الأموال ويحج من البلاد ويخلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبي ﷺ وعظمت فتوحه ونظر العجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين ألف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف فقال ربنا سنين ألفاً وأدركنا ثأرنا ورأس ذاهر (١) .

كان محمد بن القاسم الثقفي في السابعة عشرة من عمره عندما فتح السند ثم مات الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق وولي يزيد بن أبي كثير السكسكي السند فحمل محمد بن القاسم مقيداً مع معاوية بن المهلب فقال محمد متمثلاً :

أضاعوني وائي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل الهند على محمد وجبه صالح بواسط فقال :

فلئن ثويت بواسط وبارضها رهن الحديد مكبلاً مغلولاً

فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلاً

وعذبه صالح في رجال من آل بني عقيل حتى قتلهم وقال حمزة بن بيض الحنفي يرثي محمداً :

ان المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سودداً من مولد

وكانت وفاة العجاج في شوال سنة خمس وتسعين ووفاة الوليد وتولية سليمان في جمادى الآخرة سنة ستة وتسعين وفي تلك السنة عذب محمد وقتل بواسط كما في الكامل وفتوح البلدان وغيرها من كتب الأخبار .

واليوم لم تفقد أج على صفرها مكانتها مركزاً دينياً يقصده المؤمنون لمشاهدة مزاراتها وقبور الصوفية والأولياء المشهورين أمثال أبي حنيفة الكاظمي وبيبي جاوندي . وقد كان أعيد إصلاح المزارات وترميمها في القرن التاسع .

كتاب أج يقع في ١٠٠ صفحة من القطع الكبير وهو مزين بالرسوم والصور واللوحات .

الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني

كتاب يضم أبحاث الندوة التي دعا إليها المعهد العربي للتدريب والبحوث الاحصائية في بغداد وعقدت في تونس في الفترة بين ١٣ - ١٥/١٠/٨٤ وحضرها نخبة من الديمغرافيين العرب ليمالجوا المسألة السكانية للشعب العربي الفلسطيني من كافة جوانبها الفكرية والاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية مع كيفية استخدام المقاييس المباشرة وغير المباشرة ولا يخفى ما لهذا الكتاب من أهمية نظراً لأنه يتناول بالبحث حالة مفردة لشعب يتعرض كل يوم لمحاولات الابادة ولا يشع ألوان الاستعمار الاستيطاني الذي يقتلع مجموعات من البشر من أراضيهم ليصبحوا الاجئين ويحتلب مكانهم شذاذ الأفاق من كل أقطار المعمورة ليصنعوا وطناً كسيعاً في أرض لا يمتلكونها .

يقع الكتاب في ٦٩٣ صفحة ، بعض مقالاته كتب باللغة الانكليزية وطبع في بيروت، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٨٥ .

★ ★ ★

ملخص حول الأوضاع والامكانيات الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني

صدر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وطبع في الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٨٥ . وهو دراسة موجزة ومكثفة للأوضاع والامكانيات الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني الموزع حالياً في مختلف بلدان غربي آسيا نتيجة تشرد الجزء الأكبر منه مع قيام العدوان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ ، ووقوع الجزء الآخر تحت سيطرة هذا العدوان المباشرة في الأراضي المحتلة .

وتهدف الدراسة الى التعرف على هول المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون بعد أن جردوا من أراضيهم ومواردهم . وفي الفصل الأول فقرة عن الشعب الفلسطيني من الزاوية التاريخية وفيها فوائد تاريخية وتراثية مهمة منها ما ورد عن تزييف الدعاية الصهيونية فيما يخص جذب فلسطين قبل مجيء الصهاينة . فقد ركز عدد من الصهاينة ومنهم الخبير الزراعي غرانوت والمندوب السامي هربرت صموئيل على مقولة جذب فلسطين فوصف صموئيل مثلاً سهل مرج ابن عامر الذي انتقل الى الحركة الصهيونية بأنه « صحراوي في معظمه وغير مستغل قبل مجيء الاستيطان الصهيوني » على حين ان هذا السهل نفسه ورد ذكره في كتاب لورانس أوليفانت *Haifa or Life of Modern Palestine* عام ١٨٨٧ بأنه « بحيرة ضخمة من القمح المتماوج حيث ترتفع تلاله المتوجة بالقرى كالجزر وسطها وهي تقدم للناظر احدى الصور البالغة التأثير عما يمكن تصوره من الغصب الوفير » وفي عام ١٨٩٧ وصف الكاتب الأمريكي مارك توين فلسطين لدى زيارته لها بأنها « رقعة من الخضرة المتشابكة » لقد كانت فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني أرضاً خصبة عامرة بالزراعة والمزارعين الفلسطينيين .

ومنها ما يعلن للناس جميعاً عداوة بريطانيا المستحكمة للمرب وذلك فيما يتعلق بتطبيق قانون الطابو وهو قانون أصدرته الدولة العثمانية في القرن السابق ولم يتم تطبيقه على نحو شامل حيث بقيت مساحات عديدة من الأراضي غير محددة أو مسجلة واستمر الفلاحون يمشون ويعملون فوق الأرض على النحو الذي كانوا عليه في القرون السابقة . وكان أول اجراء اتخذته السلطات البريطانية عقب احتلالها فلسطين مباشرة خلال الحرب العالمية الأولى وقبل صدور صك الانتداب هو تعليق عمليات انتقال الأراضي وذلك من تشرين أول ١٩١٨ حتى ايلول ١٩٢٠ وعندما أعيد فتح السجلات البريطانية في ذلك التاريخ الأخير تبين وجود استملاكات يهودية تقدر مساحتها بنحو ٦٥٠ ألف دونم ويرجح الدارسون لتلك الفترة بأن هذه الاستملاكات تمت على شكل انتقالات غير مشروعة في غضون فترة التعليق التي استغرقت ٢٢ شهراً .

وفي الفصل الثاني احصاء للشعب الفلسطيني ومناطق توزيعه ثم تتوالى الفصول فتتناول اوضاع الشعب الفلسطيني الاقتصادية والاجتماعية والتقرير يقع في ٢٩ صفحة من القطع الكبير .

□ العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ١٩٣٤ م - ١٩٨٤ م :

مسرد كامل لمقرراته اللغوية ، تسجيل تصوري لمؤتمراته السنوية ١٩٧١-١٩٨٤ بقلم الدكتور عدنان الخطيب .

يسرد الدكتور المؤلف في الفصل الأول وقائع احتفالات مجمع اللغة العربية في القاهرة بعيده الخمسين وقد دامت خمسة أيام من ١٨ جمادى الأولى الموافق ٢٠ شباط حتى يوم ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٤ شباط ١٩٨٤ في هذا الاحتفال يصف الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع ما صنعه المجمعون خلال نصف قرن بقوله : « ان درس المجمعين جاداً وان بحثهم عميق واستقرت لديهم مبادئ لها شأنها فهم يرون ان اللغة ظاهرة اجتماعية تسير بسير الزمن وتتطور بتطور المجتمع وهي ملك لأهلها وفي وسعهم أن يفتدوها بغذاء لا ينقطع واستطاعوا أن ييسروا العربية في الفاظها وتراكيبها ، في كتابتها واملائها ، وبرهنوا على أنها في سرونها واستقامتها ليست أقل كفاية من اللغات الحية الكبرى في مواجهة متطلبات العلم والعضارة واجهت ذلك في الماضي البعيد ولا تزال أهلاً لمواجهة اليوم وللمجمعين في ذلك توصيات وقرارات تملأ صحفهم ومحاضر جلساتهم ويضيفون اليها جديداً كل عام ويقبل الباحثون والدارسون عليها ويفيدون منها ما استطاعوا » .

صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٦ وهو في ٣٦٥ صفحة .

□ نداء اقبال ، مؤتمر اقبال بدمشق :

احتفالاً بذكرى ميلاد اقبال قامت السفارة الباكستانية في دمشق بالتعاون مع وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية بتنظيم ندوة فكرية مدتها ثلاثة أيام في مكتبة الأسد في الفترة الواقعة من ٩ - ١١ تشرين الثاني ١٩٨٥ ألقى فيها مجموعة من العلماء

والمفكرين البارزين بحثاً تتناول حياة الشاعر وفلسفته ولا غرو فان اقبال هو الشاعر الوطني للباكستان ويدعونه شاعر الشرق وكان لا يني يخاطب الأمة العربية في مؤلفاته ويذكرها بأمجادها الغابرة .

طبعَت المعاضرات والقصائد الملقاة في هذا المهرجان في كتاب ليتسنى لمن فاتته سماعها الرجوع اليها والافادة مما تتضمنه من معلومات زاهرة تقوي الأواصر الفكرية المتيدة بين الشعبين السوري والباكستاني صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٦ في ١٨٤ صفحة .

□ العلاقات بين الحضارتين العربية والأوربية :

هذا الكتاب هو سجل وقائع ندوة همبورغ (الألمانية الغربية) التي عقدت بين ١١ - ١٦ نيسان عام ١٩٨٣ وكانت الحلقة الأولى من الحوار العربي الأوربي وشارك فيها عدد من كبار الشخصيات الثقافية والفكرية من البلاد العربية ومن أوربة الغربية وكان الهدف منها تقريب وجهات النظر لدى الفريقين ازاء المشكلات الانسانية المعاصرة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها بروح من التعاون والتفاهم دعماً للسلام العالمي وتحقيقاً للتنمية التي تتطلع اليها الدول العربية وتعميقاً للاحترام المتبادل. وقد أعدت للندوة لجنة متخصصة ضمت ممثلين عن كل من المجموعتين الأوربية والعربية عقدت عدة اجتماعات في السنوات ١٩٧٨ و ١٩٨١ و ١٩٨٢ و ١٩٨٣ وأقرت برنامج الندوة وموضوعاتها .

ولكل موضوع طرح في الندوة دراستان يقدم الجانب الأوربي واحدة والجانب العربي واحدة وكل بحث كان يلقيه مفكر من أحد الطرفين يعقب عليه مفكر من الطرف الآخر .

انتهت الندوة الى اصدار مجموعة من التوصيات منها أن يصار الى طبع وقائعها في كتاب وقد أشرف على هذه الطباعة لجنة من مستشاري وموظفي جامعة الدول العربية الى جانب لجنة من المفكرين الأوربيين والكتاب في ٤٥٨ صفحة وصدر عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٨٥ .

□ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الوطنية والجامعية .

كتاب من منشورات معهد المخطوطات العربية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أعده الدكتور نزيه كسيبي . بعد أن صدره الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مدير معهد المخطوطات العربية قدم له المؤلف فاعطى لمحة عن مكتبة ستراسبورغ وما تحويه من مؤلفات مهمة تتعلق بالحضارة العربية الاسلامية . في المكتبة سبع مجموعات غالباً ما أهملت أهميتها في المصادر البيبلوغرافية .

١ - مجموعة ورق البردي منها ٦٨٠ بردية باللغة العربية .

٢ - مجموعة النقود والمسكوكات ومنها ٥٠٠ قطعة اسلامية .

٣ - القطع الفخارية والمظمية .

٤ - مجموعة الأختام والموازين الزجاجية الاسلامية - المصنوج (١٢٥٠ قطعة) .

٥ - الخرائط ومنها نسخة منقولة بالحرف العربي من خريطة الشريف الادريسي عن البنجاب تاريخ ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م

٦ - مجموعة الكتب المطبوعة النادرة كمؤلفات ابن رشد والزهرائي والكندي المترجمة الى اللاتينية .

٧ - المخطوطات ومنها ٢١٤ مخطوطاً باللغة العربية .

وهذا القسم الأخير هو موضوع الكتاب وقد رتب المؤلف هذه المخطوطات حسب تسلسل الأحرف الهجائية وألحق عمله بفهرس لها حسب موضوعاتها العامة وفهرس للأعلام والأماكن والمصادر والمراجع . والكتاب في ١٩٥ صفحة وصدر عام ١٩٨٥ في الكويت .

□ المدرسة القرآنية :

كتاب يضم محاضرات أو دروساً القاها سماحة الامام محمد باقر الصدر سجلها الناشر صوتياً ثم نشرها دون زيادة أو نقصان تتناول لتفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم ثم السنن التاريخية في القرآن الكريم وأخيراً عناصر المجتمع في القرآن الكريم نشره دار المعارف للمطبوعات في بيروت ١٩٨١ .

وهو يميز بين مدارس التفسير المختلفة اتجاهين مهمين : أحدهما يسميه التجزيئي والمفسر في إطار هذا المنهج يسير مع المصحف ويقرأ سورة تدريجاً بأن يلقي الضوء على مدلول الآيات التي يريد تفسيرها في سياقها الذي وردت به وهذا الاتجاه بدأ في عصر الصحابة والتابعين بتفسير لبعض آيات القرآن وشرح مفرداتها وانتهى بالصورة التي قدمها ابن ماجة والطبري وغيرهما ممن كتب في التفسير في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي فيحاول أن يقوم بدراسة موضوع من موضوعات الحياة المعاصرة أو الاجتماعية كما ظهرت في القرآن الكريم مثل عقيدة التوحيد في القرآن أو النبوة في القرآن أو المذهب الاقتصادي في القرآن . وهو يرى أن هذين الاتجاهين مختلفان في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية . ولكن لا ينبغي أن يكون المقصود الاستغناء عن التفسير التجزيئي وإنما إضافة اتجاه الى اتجاه ثم يختار موضوعاً ليفسره هو سنن التاريخ في القرآن الكريم هل للتاريخ البشري سنن في مفهوم القرآن الكريم ؟ هل له قوانين تتحكم في مسيرته وحركته وتطوره ؟ ويؤكد فكرة السنن التاريخية مستخلصة من نصوص أكد عليها القرآن .

وأخيراً يبحث عناصر المجتمع في القرآن الكريم وهي :

١ - الانسان .

٢ - الأرض أو الطبع .

٣ - العلاقة المعنوية التي تربط الانسان بالأرض كما تربط الانسان بأخيه الانسان .

ويتناول كل عنصر بالدراسة ليصل الى صورة شاملة للفلسفة القرآنية من وجهة نظره . فهو يرى ان القرآن الكريم لا يطرح نفسه بديلاً عن قدرة الانسان الخلاقة ولا عن مواهب وقابلياته كاداً في ميادين الحياة والمعرفة والتجربة وإنما طرح نفسه طاقة روحية موجهة للانسان منجرة لطاقاته محركه له في المسار الصحيح فهو كتاب هداية وتوجيه لا كتاب اكتشاف وعلم .

والكتاب في ٢٥٧ صفحة من القطع المتوسط .

□ آراء حول قديم الشعر وحديثه :

دايت مجلة العربي على اصدار سلسلة فصلية باسم (كتاب العربي) كل عدد منها يتناول موضوعاً واحداً بقلم عدة مؤلفين أو يكون مجموع مقالات أو موضوعات لكاتب واحد .

وقد تناول الكتاب الثالث عشر الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٨٤ الشعر قديمه وحديثه دراسات بقلم عدد من أشهر النقاد العالم العربي نذكر منهم على سبيل المثال الدكتور محمد مندور والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور أنيس المقدسي والأستاذ شوقي بنفادي وغيرهم وقدم لهذه الدراسات الأستاذ محمد الرميحي رئيس التحرير .

والكتاب في ١٧٦ صفحة وفيه آراء طريفة وصريحة ومفيدة .

□ وحدة الوجود في الفكر العربي :

صدر من منشورات اتحاد الكتاب العرب كتاب للأستاذ محمد الراشد بعنوان « وحدة الوجود في الفكر العربي الله والانسان والعالم » . يدرس في المقدمة وحدة الوجود كاشكال حضاري ويبرز أهمية هذه المشكلة فيقول :

« وحدة الوجود من أهم التيارات الفكرية في التراث الانساني عامة والعربي خاصة ولكن أهميتها ذات حدين سلبي وإيجابي فهي التي تساهم باعطاء الحضارة أفقها الوجودي كما أنها قد تساهم بانهايار الحضارة » .

وفي المدخل العام يقدم تعريفات ومواقف ليدخل بعد ذلك الى الفصل الأول فيبحث فيه وحدة الوجود في الشرق الأقصى (الهند - الصين) . في الفصل الثاني يتناول المؤلف وحدة الوجود في الفكر الغربي عند الاغريق والغرب الأوربي وخاصة عند اسبينوزا وفي الفصل الثالث يدرس وحدة الوجود في الفكر العربي القديم . ثم يمّال في الفصل الرابع مواقف الفارابي وابن سينا من هذا الموضوع . في الفصل الخامس يتناول وحدة الوجود في المغرب

المربي عند ابن مسرة وابن السيد البطليموس وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وفي الفصل السادس يصل الى وحدة الوجود في الفكر (العربي) الحديث فيذكر محمد اقبال واحمد حيدر وغيرهما .

ويختم الدراسة في الفصل السابع بوحدة الوجود في الفكر العلمي .
والكتاب معالجة حديثة لتيار فلسفي قديم فيه الكثير من المعلومات المفيدة والكاتب في الختام يرحب بكل حوار أو مناقشة تخطر على بال القارئ وهو في ٢٧٩ صفحة .
□ شعر من المهجر :

ديوان زكي قنصل ج ١ دققه لفويأ وعروضياً ابراهيم جمعة من منشورات وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٨٦ والكتاب يضم بين دفتيه معظم منظومات الشاعر حتى أواخر سنة ١٩٨٤ ولم يراع في ترتيب القصائد التسلسل الزمني .

وفي مطلع الكتاب حياة الشاعر في كلمات مع اشارة الى بداياته الصعبة في أرض المهجر وعصاميته وميله الى المطالعة وتكون ثقافته الأدبية بعد أن سبقه أخوه الشاعر الياس قنصل ووالدهما .

وقد زار الشاعر وطنه سورية عدة مرات ولقي الحفاوة وأعجب بالنهضة العمرانية والثقافية الحديثة .

الكتاب يقع في ٤٧٠ صفحة والشعر رقيق عميق عذب ولا عجب فالشاعر أحد أعمدة أدب الاغتراب الذي يتناول على البعد الام الوطن وآماله بريشة مضخمة بالحنين .
□ جواد العلم للشاعر خوان فان هالين :

صدر عن المعهد الاسباني العربي للثقافة كتاب (جواد العلم) للشاعر خوان فان هالين قدم له بكلمة فرانثيسكو غارفياس ضمن مجموعة ابن زيدون الشعرية برقم ٥ في مدريد عام ١٩٨٥ .

وللمؤلف مجموعة من الدواوين نال عليها جوائز أدبية متعددة ورغم أن المؤلف مولود في محافظة مدريد في قرية توريلدونيس فانه يحس بأنه أندلسي وكتابه ذاك حافل بالأصداق العربية الأندلسية فواح بمواطن تاريخية عميقة الجذور .

□ محنة العرب في الأندلس : تأليف الدكتور أسعد حومد .

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٨٠ في بيروت وهو الآن قيد الطبعة الثانية . ويتألف من مقدمة وخمسة أقسام يمرض المؤلف فيها ما لقيه العرب المسلمون في الأندلس على يد السلطات الاسبانية بعد سقوط دولتهم في غرناطة عام ١٤٩٢ ويشير الى نكبتهم بالمعهد وحنثهم بالايمان الذي قطعوه اذا أسلم العرب المدن والقواعد صلحاً . ثم يقدم مقارنة طويلة بين نكبة الأندلس ونكبة العرب في فلسطين ويخشى أن تكون حبات الاستعمار ما تزال شركاً ممدوداً ويأمل ونامل معه ألا تصبح فلسطين ملكاً مضاعاً !

في القسم الأول من الكتاب تناول المؤلف باختصار قصة الفتح الاسلامي للشمال الافريقي واسبانيا ثم تناول التاريخ العربي في الأندلس حتى سقوط غرناطة وتوقف عند حكم الطوائف الذي كان مقدمة لانتهاء الدولة الاسلامية ثم يذكر سقوط أمهات المدن بسطة وروندة والمرية ومالطة وانتهاك الحكم العربي في الأندلس بسقوط غرناطة .

في القسم الثاني ترمض المؤلف للمعاملة التي عامل بها المسلمون الاسبان ابان حكمهم في الأندلس وفصل في بسط القواعد الأساسية التي وضعها الفقهاء في معاملة أهل الذمة والأحكام التي تطبق على أشخاصهم وأموالهم وأرضهم وأشار الى احترام عهود الأمان التي يعقدونها مع أهل البلاد المفتوحة صلحا ثم يبحث ما لقيه العرب من الحكام الاسبان بعد سقوط غرناطة من المعاملة السيئة التي دامت مدة قرن وربع القرن .

وفي القسم الثالث : تناول المؤلف الثورات التي قام بها العرب وكيف كانت السلطات في اسبانيا تجد هذه الثورات ذريعة لباداة بقايا العرب ونهب أموالهم واجبارهم على ترك أراضيهم .

القسم الرابع جعل عنوانه خاتمة المعنة وتناول فيه أفعال محاكم التفتيش الشنيعة . وفي القسم الأخير أورد المؤلف بعض مآقاله الأندلسيون من الشعر يرثون به أنفسهم وحضارتهم في الأندلس .

في الطبعة الثانية هذب المؤلف الطبعة الأولى وأضاف ثلاثة فصول فتوسع في بسط تاريخ دول الطوائف وفي ابراز المواقف المميزية لبعض ملوكها ابان حروب المصير مع الاسبان وكذلك تناول الأسباب التي رآها قسرت مصير الأندلس وقضت على الحضارة الأندلسية الفريدة .

فاطمة عصام صبري

□ الحواشي :

١ - س أمجد علي ولد وتعلم في دلهي وحصل على درجة الشرف في شهادته الجامعية وحصل على شهادة الماجستير على يد البروفيسور س.ب يونغ . زاول التدريس قبل الاستقلال في دلهي وبعد الاستقلال في لاهور وأصبح رئيس تحرير مجلة فصلية باكستانية وظل يكتب مدى عشرين عاما كما شغل منصب مدير عام لقسم الاسلام والمطبوعات في وزارة الامم في باكستان .

٢ - السلطان ناصر الدين قباجة المعزى الملك العادل كان من مماليك الشهاب محمد بن سمام الفوري خدمه زمانا وقاتل اعداءه ذولا الشهاب السند فملكها وفتح البلاد الى ساحل البحر وفتح لاهور في مرة وساس الأمور وأحسن الى الناس وقاتل جلال الدين خوارزم شاه سنة احدى وعشرين وستمئة وقاتل الفلج سنة ثلاث وعشرين وستمئة هزمهم وتزوج بابنتي قطب الدين ايبك واحدة بعد أخرى وكذلك تزوج بابنة تاج الدين الدز وكان ولي عهده بعده ابنه علاء الدين بهرام شاه سبط قطب الدين ايبك . ووزيره بن الملك فخر الدين الحسين بن أبي بكر الأشعري . وكان من أجواد الدنيا اجتمع اليه السادة والأشراف ووفد العلماء عليه من العراق وخراسان والفر وخرقة وكان عصره احسن العصور وزمانه أنضر الأزمان ولم يزل على ذلك حتى هزمه شمس الدين الايلتمش وغرق ناصر بماء السند في التاسع عشر من جمادى الآخرة خمس وعشرين وستمئة .

٣ - كتاب نزهة الفواخر وبهجة السامع والنواظر .
٤ - الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١١١ ذكر قتل داهر ملك السند ٨٩ .

نشاطات في خدمة التراث

اعداد: عبد اللطيف الأرنؤوط

والثقافة والعلوم ، واتحاد الجامعات
العربية لتحقيق هذا المشروع العربي
الهام .

٢ - ضرورة تدعيم الجامعات العربية
للرابطة علمياً ومادياً بتسهيل مهمة
المقارنين وتوفير الظروف الملائمة للقيام
بنشاطاتهم العلمية والمساهمة في أعمال
الرابطة ومؤتمراتها ودفع أمانات
واشتراكات وتسهيلات أخرى لعمل
الرابطة .

٣ - ضرورة دعوة الجامعات العربية
للرابطة الى أية نشاطات علمية أو
ملتقيات أو مؤتمرات لها علاقة ما
بالأدب المقارن .

٤ - ضرورة تأسيس فروع للرابطة في مختلف
الأقطار العربية لتكون روافد لها ،
وعلى أعضاء الرابطة العمل على تحقيق
ذلك .

٥ - يوصي المؤتمر كل المقارنين العرب
بضرورة مكاتبة الأمانة العامة لاعلامها
بكل ما يجري من مستجدات في مجال

□ توصيات المؤتمر الثاني للرابطة العربية
للأدب المقارن (١) :

بدعوة من رئاسة جامعة دمشق (كلية
الآداب) عقدت الرابطة العربية للأدب
المقارن مؤتمرها الثاني ، في الفترة الممتدة
من ٦ - ٩ تموز ١٩٨٦ وكان موضوع
المؤتمر [الأدب العربي المقارن : مجالاته
النظرية والتطبيقية] وحضر المؤتمر باحثون
جامعيون من ثمانية بلدان عربية هي :
سورية - الأردن - فلسطين - الكويت -
العراق - مصر - السودان - الجزائر .

وقد دارت الأبحاث العلمية في ثلاثة محاور :

- ١ - الأدب العربي المقارن .
- ٢ - الأدب العربي المقارن والعالم .
- ٣ - الأدب العربي في علاقته مع الأدب
الأخرى .

كما اتخذ المؤتمر في ختام أعماله
التوصيات التالية :

- ١ - ضرورة تأسيس مركز عربي للأدب
المقارن ، ويطلب من مكتب الرابطة
الاتصال بالمنظمة العربية للتربية



وقد اهتم المحور الأول بالتطور التاريخي للمدينة العربية ، التي تعيش حالة من الجذب الدائم بين الأصالة والمعاصرة فهي لم تعد مجرد بنايات معمارية ، يحكم أنها أصبحت خاضعة لمنطق التطور المعاصر . ولكن الجدير بالاهتمام هو البحث في أشكال تطور هذه المدينة لفهم طبيعتها تغيرها حتى تتلاءم مع حاجيات العصر . فهناك جهد ملحوظ لتحديث المدينة العربية الاسلامية ، واخضاعها لمنطق العصر ، ولكن هذا الجهد يحتاج الى تخطيط يأخذ بعين الاعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والديمقراطية والحضرية ، فقد كان للمدينة العربية الاسلامية نظام معين تخضع له ، وتنظم حياتها وحاجياتها وفق ذلك النظام . ولكن هذا النظام بدأ يتعرض الآن الى الاهتزاز ، نتيجة دخول الحضارة المعاصرة بكل ثقلها الى المدن العربية المعاصرة .

فاذا كانت المدينة العربية الاسلامية توفر الأجهزة والمنشآت الدينية والاجتماعية كالجوامع والمدارس والحمام . . فان مقتضيات الحياة المعاصرة تفتقر تغييراً في مورفولوجية المدينة حتى تتلاءم مع حاجيات الحياة .

فالمدينة العربية تواجه عدداً كبيراً من التحديات التي فرضها العالم المعاصر ، ورغم الارتباط الروحي بين هذه المدينة والانسان العربي . فهي لم تعد تعكس اليوم القيم الروحية والجمالية المحيطة بها ، أي أنها أصبحت في شبه قطيعة مع محيطها الخارجي ،

ويتحدث الدكتور شوقي شمت عن أشكال وطرق صيانة مدينة من المدن العربية الاسلامية ، متخذاً من مدينة (حلب) نموذجاً ، ذلك أن البحث في صيانة المدن العربية الاسلامية ليس بالأمر الهين ، رغم تشابه

الأدب المقارن عربياً وعالمياً لنشر تلك المعلومات والأخبار في نشرة الرابطة .

٦ - يوصي المؤتمر أعضاء الرابطة بتزويد الأمانة العامة ، والمقر الدائم بكل نتائج أعضاء الرابطة لتكون أرشيفاً ، ومنطلقاً للبحث .

٧ - تدعيماً لما ورد في بيان المؤتمر الأول بعنوان (١٩٨٤) بشأن ترجمة كتب في الأدب المقارن فان المؤتمر يؤكد ضرورة ترجمة كتب نظرية في الأدب المقارن .

٨ - كما يوصي بضرورة عقد ندوات علمية في مختلف الجامعات حول اسهامات رواد الدراسات الأدبية المقارنة العرب .

٩ - يوصي المؤتمر أن تدور أعمال المؤتمر الثالث (١٩٨٨) حول موضوع : « المذاهب الأدبية وتمثلاتها في الأدب العربي ونقده » .

* * *

□ الآثار الاسلامية في الوطن العربي (٢) :

عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ضمن سلسلة وقائع مؤتمرات الآثار التي تقدم نتائج المكتشفات الأثرية الجديدة في البلاد العربية في شكل بحوث ودراسات ، والتي تناقش مستقبل العمل الأثري . صدر كتاب بعنوان (الآثار الاسلامية في الوطن العربي) وينقسم الكتاب الى ثلاثة محاور تبحث في العمارة العربية الاسلامية والتنقيبات الأثرية والفن والحضارة .

الفنون في العصرين ، وبعد تبين مختلف وجوه الالتقاء والاختلاف ، يخلص الباحث الى أن الجسور متصلة بين الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، وذلك لأن العرب هم مادة الاسلام ، فكان طبيعياً أن ينقلوا تجربتهم الانسانية الى الشعوب التي فتحوها ، ويبلوروا تجربتهم هذه بما يتناسب مع الرسالة التاريخية للاسلام .

أما الدكتور عفيف بهنسي فقد عرض بحثاً عن أثر الفن العربي الاسلامي على الفن الغربي ، ذلك ان الفن العربي الاسلامي ليس الا حصيلة حضارية مجسدة لعالم الشرق العربي ، وكان على الفنانين الذين زاروا هذا العالم ، أن يأخذوا عن هذا الفن أساليب جديدة استحوذت بسرعة على قلوب المتذوقين ، وكان لها رواج بعيد المدى ، مما دفع الفنانين المستشرقين وبسرعة الى أعلى مراتب الشهرة .

وقد استهوى الأوروبيين الفن الشرقي الغريب لديهم والذي يقترب مما أسميناه بالفن التطبيقي ، أما التصوير والنقش ، فلم يكن بطرافة الفنون التزيينية الأخرى رغم تقدمه وتطوره ، خلافاً للاعتقاد السائد بأن الرسم كان ممنوعاً على المسلمين .

وقد ازدهر الفن الشرقي في حياة الأوروبيين ، في البلاد التي كان بينها وبين العرب تجارة مستمرة ، أو مبادلات للتشيل الدبلوماسي كما كان في أيام الحكم العثماني .

وتحدث الدكتور عبدالهادي التازي عن [مصادر الآثار الاسلامية] ، معتبراً أن القرآن الكريم هو أهم تلك المصادر باعتباره قد اهتم بتحديد أقدس الأماكن في عالمنا الاسلامي ، كما أكد على وجود مصدر آخر من المصادر المبكرة أيضاً ، وأعني بذلك

عناصر وجودها ، نظراً للوحدة الجغرافية والتاريخية والبشرية والمقائدية التي كانت قائمة فيما بينها في فترات طويلة من فترات التاريخ .

ثم تعرض باحثون آخرون الى نماذج من المعمار العربي ، شارحين كيفية تطوره ونوع الاهتمام الموجه اليه ، باعتبار أن التراث المعماري جزء لا يتجزأ من فكرة الأمة ووعيها التاريخي .

وفي هذا الجزء الخاص ، تعرض باحثون الى تجارب متعددة في مجال صيانة المدن كشكل من أشكال صيانة الوجه الحقيقي للمدن العربية الاسلامية . وقد كشف هذا الجزء عن ثراء المعمار العربي الاسلامي وغزارة ابداعاته في مختلف المجالات .

ولا غرابة في ذلك لأن المدينة العربية ساهمت مساهمة فعالة في نشر الاسلام وتركيز الحضارة الاسلامية لأن الاسلام دين حضارة ، لا يستوفي كل أغراضه ولا يحقق كل آماله الروحية والاجتماعية الا في إطار المدينة حيث تتوفر الأجهزة والمنشآت الدينية والاجتماعية كالجامع والمدرسة والحمام ...

واذا ما تحدثنا عن الناحية المعمارية في التاريخ العربي الاسلامي ، فلا بد من الإشارة الى أثر الفنون العربية قبل الاسلام في الفن الاسلامي ، من حيث اهتمامها بالمعمارة وتخطيط المدن ، والنحت والتشكيل والفنون الزخرفية ، والكتابة والزراعة وطرق الري ، والمعمارة وتخطيط المدن .

وفي هذا الاتجاه يتحدث الدكتور عبدالرحمن الانصاري عن أثر الفنون العربية قبل الاسلام في الفن الاسلامي مبرزاً جوانب الاستفادة وطبيعة الروابط التي تجمع بين

□ مكتبات المخطوطات في الهند: (٢)

وضع الاستاذ عبدالرحمن عبد الجبار الفريوائي تقريراً عن أهم مكتبات المخطوطات في الهند التي تشتهر بمخطوطاتها ومطبوعاتها القديمة في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية ٠٠ مع الإشارة أن هناك مكتبات قيمة في كل مركز من مراكز التربية والتعليم المنتشرة في أنحاء بلاد الهند :

١ - مكتبة رضا الشعبية :

رام فور (شمال الهند) : وهي من أقدم مكتبات الهند الشهيرة للمخطوطات النادرة ، أنشأها النواب السيد فيض الله خان بهادر والي رامفور في ١٧٩٤ م / ١٢٠٨ هـ ، وطار صيتها في الافاق في النصف الآخر من القرن التاسع عشر الميلادي بفضل جهود الأمير السيد كلب علي خان بهادر ، وازدهرت المكتبة في عصر محمد رضا علي خان بهادر الذي تولى عرش الولاية سنة ١٩٣٠ م ، وعين الأستاذ امتياز علي عرشي أميناً للمكتبة ، وبعد استقلال الهند أدارتها الحكومة ، ويبلغ عدد المخطوطات فيها ١٤٠٠٠ مخطوطة ، معظمها باللغة العربية والاردية والفارسية . ونشر فهرس المخطوطات العربية في ستة مجلدات ، وعدد مخطوطات علوم القرآن والحديث وأسماء الرجال ١٤٢٠ مخطوطة .

٢ - مكتبة خدا بغش للعلوم الشرقية :

بانكي فور بتنة ، (ولاية بهار) : وهي مكتبة عظيمة تمتاز بين مكتبات الهند بمخطوطاتها النادرة في علوم القرآن والحديث ، وضع حجرها الأساسي والد خدا بغش الشيخ محمد بغش (ف ١٨٧٦ م) الذي كان مولماً باقتناء الكتب النادرة ، وترك لابنه خدا بغش ١٤٠٠ مخطوطة حين وفاته ،

مصنفات الحديث الشريف ، وخاصة كتب الصحاح ، البخاري ومسلم ، وما يأتي في منزلتهما من المرويات والمأثورات .

هذه المصادر مجتمعة تؤكد على ثراء المعلومات ووفرتها ، خاصة فيما يتصل بتطور المعمار العربي الاسلامي ، كما لا يفوتنا في هذا المجال أن نبين أهمية الرحلات كمصدر للآثار الاسلامية ، فستظل هذه الرحلات المرجع الأساسي لما شيده المسلمون في الشرق والغرب .

وتضمن هذا الكتاب جزءاً كاملاً تحدث عن الوثائق والنصوص ، المصاحبة لدوة صنعاء . وقد أبرزت هذه الوثائق جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال المحافظة على المدن والمواقع التاريخية ، وسدى تطور الحملة العربية الاسلامية لصيانة مدينة القيروان .

كما تضمن هذا الجزء أيضاً تمريراً بمشروع قانون الآثار الموحد وعرضاً لتقارير الدول العربية عن أوضاع الآثار .

ويأتي هذا الكتاب في نصوصه وتوصياته تأكيداً على الاهتمام العربي في كل المستويات ، بالمعمار العربي الاسلامي صيانة ورعاية واهتماماً ، باعتباره وجهاً مشرقاً من وجوه الحضارة العربية الاسلامية ، وترسيخاً للهوية القائمة منذ عصور تاريخية .

★ ★ ★

كما روى الشيخ عبدالغني في حيدر آباد وهو من أفراد الأسرة ، واشتهرت مكتبة مدراس « بمكتبة أماني » .

٦ - المكتبة السعيدية :

بحيدر آباد : هي مكتبة ثانية لأسرة القاضي بدر الدولة ، وفيها ثلاثة آلاف مخطوطة في الحديث والقرآن والفقه والكلام ، ومديرها العالي الشيخ عبدالغني حفظه الله وكلتا المكتبتين لأسرة القاضي بدر الدولة تملكها السيدة خير النساء زوجة الشيخ محمد غوث ، وهي خالة الشيخ عبدالغني المذكور ، وكلتا المكتبتين في حالة كنيبة ، تحتاج الى نظام وإدارة وتنسيق ومعونة مادية ، وإلا يغشى التلف والفساد عليها .

٧ - المكتبة الأصفيية :

هي مكتبة أنشأها الأمراء المسلمون في حيدر آباد ، والآن تديرها الحكومة وهي كبرى المكتبات في حيدر آباد ، وفيها مخطوطات جيدة ، ومطبوعات قديمة .

٨ - مكتبة متحف سالار جنك :

أنشأها نواب مير يوسف علي خان سالار جنك (الثالث) ، وهي من المكتبات الشهيرة في الهند ، تحتوي على مئتي ألف كتاب من مطبوع ومخطوط ، وعدد المخطوطات فيها ٧٦٥٠ مخطوطة ، والعربية فيها ٢٤٥٩ ، ومخطوطات علوم القرآن والحديث وأسماء الرجال والفتاوى لأهل السنة تبلغ ٢٩٨ مخطوطة . وكتب السنة والتفسير والفقه والفتاوى للشريعة تبلغ ٢٧٤ مخطوطة ، ولها فهرس منشور من دائرة المعارف بحيدرآباد .

وفي حيدر آباد مكتبات أخرى مثل المكتبة العثمانية ومكتبة آزاد .

واستطاع خدا بخش بجهوده الفردية أن يقدم للامة الاسلامية ازوع مكتبة طار صيتها في الافاق ، وسار اليها الركبان ، ويبلغ عدد المخطوطات والمطبوعات فيها ٢٦٢٩٨ نسخة ، وعدد المخطوطات العربية : ٤١٠٦ نسخة ، وقد ظهر الى الآن ٢٢ جزءا من فهارسها ، منها جزءان للحديث وجزآن للقرآن وعلومه ، ويقدر عدد مخطوطات التفسير والحديث حوالي ألفي مخطوطة ، ومن نفائس المخطوطات : مصنف بخط النسخ بقلم ياقوت (٦٨٨ هـ) ، والأمالى لابي القاسم عبدالملك بن محمد بن عبيد الله ، وتاريخ دمشق ، وهي نسخة وحيدة كاملة في العالم .

٣ - مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا :

ايضا من المكتبات الشهيرة في الهند لمخطوطاتها الكثيرة ومطبوعاتها ، ويقدر فيها عدد المخطوطات أكثر من ألفي مخطوطة ، وتديرها حكومة البنغال .

٤ - مكتبة الحكومة الشرقية :

هي مكتبة قيمة عظيمة في جنوب الهند ، وصدرت فهارسها المشروحة في اللغة الانجليزية ، وعدد المخطوطات العربية فيها حوالي ١٥٠٠ مخطوطة ، معظمها في الحديث والتفسير والأدب والكلام .

٥ - مكتبة أسرة القاضي بدر الدولة :

بمدراس : أسرة بدر الدولة من الأسر العلمية التي لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة الاسلامية في الهند ، وهاجر بعض أصحابها الى حيدر آباد واشتهر من هذه الأسرة الأستاذ الدكتور حميد الله (فرنسا) ، وتوجد في هذه المكتبة ٧٠٠٠ مخطوطة ، غالبها في علوم القرآن والسنة والفقه والكلام والعربية ،

١٤ - مكتبة ندوة العلماء - بلكناؤ :

هي مكتبة لدار العلوم ، وكبيرة جداً ، يرجع تاريخها الى وقت تأسيسها قبل ست وثمانين سنة ، واهدت اليها مكتبة العلامة عبدالحى الحسيني ومكتبة النواب نجم الحسن ومكتبة النواب علي حسن خان بن النواب صديق حسن خان . وعدد المخطوطات فيها : التفسير ٧١ مخطوطة ، وعلوم الحديث والمصطلح وأسماء الرجال ٢٢٠ مخطوطة ، والفقه وأصوله ١٥٠ مخطوطة .

١٥ - المكتبة الناصرية :

في لكاناؤ وهي مكتبة مشهورة بكتبها القيمة النادرة ، وفيها مخطوطات جيدة .

١٦ - مكتبة دار المصنفين :

أعظم كره : دار المصنفين تعتبر أكاديمية علمية ، اسلامية كبيرة ، أسسها العلامة شبلي النعماني بعد أنغزاله عن دار العلوم (ندوة العلماء) ، ثم خلفه تلميذه البارالعلامة السيد سليمان الندوي ، ثم اجتمع في هذه الأكاديمية نخبة ممتازة من المؤلفين ، وبجهودهم صارت مكتبتها من نفائس المكتبات في الهند ، ويوجد فيها عدد من المخطوطات العربية ، وهي أكبر مكتبة في شمال الهند للكتب الدينية والاسلامية .

١٧ - مكتبة طوك :

وقد أخبرني بعض الاخوة أن في طوك عدداً كبيراً من المخطوطات الجيدة في مختلف العلوم والفنون الا أن مكتبة طوك غير معروفة ، ولذلك لا نستطيع القول فيها أكثر من ذلك .

١٨ - مكتبة بومباي :

وهي مكتبة شهيرة تحتوي على كتب قيمة وفيها بعض المخطوطات ، وقد سمعت من

وزرنا بعض أمر النواب ورأينا هناك مئات من المخطوطات يعرضونها على المشتريين يبيعونها بثمن بغس .

٩ - مكتبة المعهد الهندي :

للدراستات الاسلامية (تابعة لمؤسسة همدرد بدلهي) : هي مكتبة حديثة أنشأها الحكيم عبدالحميد الدهلوي ، وصارت المكتبة من كبرى مكتبات الهند من حيث المخطوطات توجد فيها خمسة آلاف مخطوطة معظمها بالعربية . وجدير بالذكر أن فيها مخطوطات كثيرة مصورة من مكتبات روسيا ، وهي من أبداع المكتبات في تنسيقها ونظفها وإدارتها .

١٠ - ١١ - مكتبة الجامعة العربية : بدلهي ومكتبة أبي الكلام - آزاد بدلهي :

مكتبتان قيمتان ، وفيهما عدد غير قليل من المخطوطات ، والجدير بالذكر أن ما في مكتبة الجامعة المليية أهديت اليها من مكتبة دار الحديث الرحمانية وقت استقلال الهند سنة ١٩٤٧ م التي كانت من أهم مكتبات الهند .

١٢ - مكتبة آزاد بالجامعة الاسلامية بدلهي كره :

وهي مكتبة عامة للجامعة ومن كبرى مكتبات العالم وفيها عدد من المخطوطات العربية من الكتاب والسنة والفقه والأدب .

١٣ - مكتبة دار العلوم ديوبند :

هي مكتبة عظيمة شهيرة في الهند ، تحتوي على آلاف من الكتب القيمة ، وفيها عدد كبير من المخطوطات ، الا أن شهرة المكتبة من كثرة الكتب المطبوعة القديمة .

ونظراً لأهمية المخطوطات أصدرت الحكومة الهندية قراراً بمنع إخراج المخطوطات من الهند إلى البلاد الأخرى ، ومن المعلوم أن هناك مكتبات أهلية ، يعض عليها أصحابها بالنواجد مع عدم إمكاناتهم ليحتفظوا بها .

★ ★ ★

□ سلسلة « نصوص تراثية » : (١)

تقرر إصدار سلسلة تراثية من مائة كتاب بعنوان « نصوص تراثية » : وقد وضع السيد محمود الأرنؤوط الذي كلف بالإشراف على السلسلة منهجاً لها وهدفاً ، تم التأكيد من خلاله على تقديم نصوص مختارة بعناية ودقة من بطون المصنفات والمجاميع التراثية المخطوطة ، أو المطبوعة من كتب التراث ، على أن يكون لها تأثير طيب النتائج في الأوساط الاجتماعية كافة ، كما تم التأكيد على أن هذه السلسلة مفتوحة لمشاركة الأساتذة الباحثين في كل مكان من الوطن العربي ، بشرط أن يلتزم المشارك بالمنهج الموضوع .

وجاء في التقديم الذي كتبه الأستاذ محمود لأول نص صدر من السلسلة - وهو نص « الأوائل » من كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ بتحقيق محمد بدر الدين القهوجي - جاء فيه :

لقد كانت غايتنا من إصدار هذه السلسلة هي تقديم الزاد الثقافي إلى القراء على طبق من ذهب ، فكان أن اقتصرنا في البرنامج الذي وضعناه لها على تقديم نصوص مختارة بعناية ودقة من بطون بعض المصنفات والمجاميع التراثية المخطوطة . وربما انتقينا مجموعة من النصوص مما

بعض الأخوة عنها كثيراً ، ولكن ليس لدي معلومات عن المكتبة .

١٩ - مكتبة الجامعة السلفية :

بنارس : مكتبة حديثة أنشئت سنة ١٩٦٦ م ، وقد أهديت إلى المكتبة بعض المکتبات الأهلية كمكتبة العلامة محمد أبو القاسم المحدث البنارسي التي يبلغ عددها قرابة خمسة آلاف كتاباً من نفائس كتب التفسير والحديث والأدب .

٢٠ - مكتبة بومباي :

مكتبة شهيرة تحتوي على كتب قيمة وفيها بعض المخطوطات وقد سمعت من بعض الأخوة عنها كثيراً ، ولكن ليس لدي معلومات كثيرة عنها .

ومكتبة العلامة الأديب عبد المجيد الحريري البنارسي التي تحتوي على أكثر من ألفي كتاب في علوم الأدب واللغة ، والحديث والتفسير ومكتبة عبد الرحمن بقا الغازيفوري ، وبعض مكتبات ميرته وغيرها . وبهذه المكتبات الأهلية صارت هذه المكتبة من أنفس المكتبات للكتب القديمة .

هذه هي نبذة عن المكتبات الإسلامية التي نالت شهرة عظيمة في بلاد الهند ، وطال صيتها في الآفاق ، ومعظم هذه المكتبات تحتاج إلى مساعدة مادية وتشجيع أدبي ، فإن قلت وجود الخبراء في مكتبات الهند بلغت إلى حد كبير ، وقد لاحظنا في بعض المكتبات سوء التنظيم والتنسيق ، وهذا لقلّة إمكاناتهم المادية والأدبية ، حتى رأينا في بعض المكتبات القيمة أن بعض المخطوطات النادرة قد أكلتها العشرات ، وتحتاج الكتب إلى تجليد جديد ،

كان من الأعلام ، مقاس المخطوطة والمصادر والمراجع التي ذكرت المخطوطة ومؤلفها ، بالإضافة الى الألبان الى طبقات المخطوطة ، اذا كانت قد طبعت ، والاشارة الى كونها محققة أو غير محققة ، وآخر طبعة صدرت لها .

ومن نواذر المخطوطات التي تضمنها الفهرس نسخة من « سحر البلاغة وسر البراعة » للشعالبي ، كتبت في عام ٤٨٢هـ و « ديوان المستنصرين » بخط ابن أبي الحديد ، و « ديوان العماسة الكبرى » لأبي تمام كتب ٥٠٤ هـ ، و « نهج البلاغة » كتبت ٥٥٦ هـ ، ونسخة فريدة من « الفصول الأدبية والمراسلات العبادية » للصاحب بن عباد ، كتبت ٦٢٨ هـ ، ومجموعات تضم كتباً ورسائل فريدة ، منها « فصول التماثيل في تبشير السرور » لابن المعتز ، و « دارات العرب » للصمعي ، و « وصايا أفلاطون » و « المختار من شعر ابن المعتز » ، كتب ٦٤٥ هـ .

وذكر المدان أنهما فصلا الحديث عن المجاميع الشخصية ، التي هي أشبه ما تكون بالذكوات الخاصة ، والتي تنقل الكثير من الرسائل والفصول والقصائد غير المعروفة ، كما في « المجموعة الوسطى » لأبي الشفاء الألويسي . . . كما أن بعض المجاميع تضمنت حكايات ومحاوالت شعرية ومناظرات وخواطر وتعليقات وردوداً ونقولات ، إضافة الى تسجيل بعض الأحداث والأخبار والفوائد التاريخية . . . وبعض تلك المجاميع تمثل نتاجات لما كان يدور في المجالس الأدبية ، ومنها : مجموعة أحمد بن رمضان الهيتي وصالح السمدي الموصلبي وأبي الفتح التونسي الدمشقي و خليل النماجي المقدسي ومحمد أمين العمري وعبد الوهاب النائب ويحيى بن عبد الرحمن البعلبكي وغيرهم ، ومعظم هذه المجاميع كتبت بخطوط جامعها .

جري طبعه من كتب التراث ، على أن يكون للنصوص المختارة تأثير طيب النتائج في الأوساط الاجتماعية كافة ، فكان أن اشترطنا لقبول أي من النصوص التي رشحت للصدور في « السلسلة » - أو تلك التي سيجري ترشيحها مستقبلاً - أن تنال حقها من الدراسة والتحقيق ، بحيث لا يدع محقق النص أي لفظة ترد في النص مما يحتاج الى الضبط ، والشرح ، والتعريف ، والبيان ، والتخريج ، والتوثيق دون أن يفي به على أفضل وجه ، وأن يشير في نهاية كل نقل الى المصدر الذي استقى منه المعلومات التي دونها ، وأن يقوم بفهرسة علمية لجميع ما ذكر في النص من الآيات ، والأحاديث ، وأبيات الشعر ، والأحسان ، والبليدان ، والأماكن ، والموضوعات .

فهرس مخطوطات الأدب في المتحف العراقي (١) :

صدر فهرس بعنوان « مخطوطات الأدب في المتحف العراقي » أعده أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس وضمناء وصفاً لألف وتسع مائة وسبع وخمسين مخطوطة ، فيها أربع مائة ديوان ، من بينها مجموعة مهمة من دواوين شعراء العراق الذين عاشوا بعد القرن الحادي عشر للهجرة ، ومجاميع شعرية وأدبية نادرة .

وقد اشتمل الوصف على ذكر عنوان المخطوطة ، اسم المؤلف ، ترجمته ، اقتباس بعض الأسطر من أول المخطوط ، معلومات عن المحتويات وسبب التأليف والأبواب والفصول والمباحث ، أهمية النسخة ومميزاتها وما تتضمنه من حواشٍ وشروح وتعليقات وتملكات وسماعات واجازات ومقابلات وفوائد وقرارات ، نوع الخط ، اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه وترجمة الناسخ اذا

المؤلفة من كتب العلم والحكمة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل زعم بعض الكتاب أن هذا العمل الشنيع قام به والي مصر عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

بحجة أن المسلمين ليسوا بحاجة إليها ، ولكن هذا الزعم الباطل يسقط أمام كل من تمنع في تعاليم الاسلام ، وتتبع أخلاق المسلمين ، أبان الفتوحات الاسلامية ، إذ يجد أن المسلمين ليس من عادتهم إطلاقاً حرق الكتب الدينية اليهودية والنصرانية ، وإذا حصل شيء من هذا فلا يتجاوز الكتب ، التي تتحدث عن الوثنية ، وتروج لها ، كما يجد حرص المسلمين على الانتفاع بكتب الطب والحكمة ، والفلسفة ، وينفقون الكثير في سبيل ترجمتها ، وتثريتها المسلمين بها . أما أعداء العرب فالتاريخ يشهد بأن هناك ممن يعرضون على طمس معالم الحضارة ، ودك حصون المدنية ، وخير دليل على ذلك - المأساة الكبرى ، التي أصابت البلاد والعباد ، من الهجوم المغولي ، وما رافق ذلك الهجوم من اعتداء على الكتب والمخطوطات ، حتى أن مياه نهر دجلة اصططبت بالسواد (لو نمداد المخطوطات) من جراء القاء الاف الكتب والمخطوطات فيها ، ولم يغادر القائد المغولي (هولاكو) مدينة بغداد الا بعد أن حولها الى خراب ، في حين أنها كانت تعد من أجمل مدن العالم آنذاك .

وبمثل تلك الفظاظة يستمر أعداء الثقافة في ممارسة نشاطهم العدواني تجاه الفكر الانساني ، حتى القرن العشرين ، وخير شاهد على ذلك جرائم اليهود المستهدفة للكتب العربية والثقافة الاسلامية ، ولا أحد يجهل دور الصهاينة البارز في قضية احراق المسجد الأقصى ١٣٨٩/٦/١٧ هـ وما تلك الجريمة النكراء

وقع الفهرس في ٧٨٣ صفحة من القطع المتوسط ، وذيل بكشافين للأعلام والأمكنة استغرقا الصفحات من ٦٦٣ الى ٧٥٨ ، وعرضت في بقية الصفحات نماذج مصورة لبعض المخطوطات .

* * *

□ اهداء المكتبات والكتب التراثية: (٥) :

كتب الباحث الأستاذ (محمد حافظ عبدالله الرفاعي) دراسة قيمة عن اهداء التراث المكتوب ٠٠ والتي نشرت في الملحق الاسبوعي «الوان من التراث» لجريدة المدينة السمودية العدد ٦٠٥٠ ويعدد فيها أبرز وأهم اهداء الكتب والمكتبات التي تضم في خزانها ذخائر التراث العربي والاسلامي وهي :

اولا - البشر :

لعل بعضنا تصيبه الدهشة عندما يسمع بأن البشر من أشد أعداء الكتب ، وبخاصة عندما يقف على الجهود ، التي بذلت ، ولا تزال تبذل ، في المحافظة على الكتب والمخطوطات ، ولكن عجبه سيزول عندما يدرك أن التاريخ سجل لنا أحداثاً أليمة ، ووقائع جسيمة ، أصابت مجموعات هائلة ، وأعداداً كبيرة من الكتب ، كان للانسان دور كبير في وقوعها ، سواء كان ذلك الدور عدائياً ، قصد به الاعتداء على ثمار الفكر الانساني ، أو غير عدائي مقصود ، انما وقع نتيجة الجهل والاهمال وعدم الحيلة .

وعلى سبيل المثال : فقد امتدت يد العدوان على مكتبة الاسكندرية ، قبل الفتح الاسلامي ، وبمده ، فقضت على الآلاف

يترتب عليه اضماف الورق ، وتحول لونه الى بقع كريمة ، ذات لون اسود أو بني ، كما تسبب في جفاف الجلد ، الذي يحمي الأوراق .

أما الرطوبة القليلة التي تقل عن ٣٠٪ فإنها تتسبب في جفاف الورق واضافه وقابليته على التقصف ، لذا يستحسن أن تكون نسبة الرطوبة قريبة من الوسط ، أي بين ٤٥-٥٥٪ فقط .

رابعاً - الحرارة والضوء :

عند تعرض الأوراق للحرارة أو الضوء القوي لفترة طويلة ، ونتيجة سقوط أشعة الشمس عليها ، أو نتيجة الاضاءة الصناعية ، فإنها تفقد لونها وتضعف مقاومتها ، وتصبح هشة ، وسرعان ما تتقصف وتتكسر ، عند أدنى استعمال ، ولكي نحافظ على الكتب القيمة ، والمخطوطات النادرة ، والوثائق المهمة ، أكبر فترة ممكنة من الزمن ، يجب أن نهيم لها الجو المناسب ، بحيث يكون جو المكتبة ، بين ١٨-٢٤ درجة مئوية فقط ، وهذا يساعد على اطالة حياة الأوراق ، ويؤخر تقادمها .

خامساً - الهواء الجوي :

يتمتع الهواء الجوي الملوث مسؤولاً مباشراً عن بعض التلف ، الذي يحدث للكتب نتيجة تفاعله مع المواد الداخلة في تركيب الورق ، وتحلل مواد اللصق والتجليد ، وذلك لتوفر عناصر التحلل والأكسدة فيه (كالأكسجين ، النتروجين ، بخار الماء ، ثاني أكسيد الكربون .. الخ) كما أن الهواء الملوث يصدم الماسن ، ويفقد المادة البرونزية الموضوعة على أغلفة الكتب بريقها ولمعانها .

ألا واحدة من الجرائم الموجهة ضد الفكر الانساني ، بهدف القضاء على التراث المكتوب .

ثانياً - النار والماء :

لا يخفى على الجميع أن ما تلتهمه النار من الكتب ، خلال فترة قصيرة ، قد لا يمكن تعويضه في سنوات ، وربما لا يمكن استعاذته على الإطلاق .

أما الماء فرغم أنه من الوسائل الشائعة في اضماد النار ، إلا أنه غير مجد ضد الكتب والمخطوطات ، وذلك لاحتمال التلف ، الذي قد يسببه وصول الماء اليها من التصاق الأوراق ، واصابتها بالعفن ، الى سيلان المداد بالنسبة للمخطوطات ، وغير ذلك من الأضرار ، التي تصل الى أبعد حد من التلف ، الذي تسببه النار نفسها ، الأمر الذي يجعلنا نعتبر الماء ضمن أعداء الكتب ، شأنه شأن النار .

وحرصاً على المواد المكتبية يجب أن يكون مبنى المكتبة ممدداً لمقاومة الحريق ، ومزوداً بالمنبهات « الأوتوماتيكية » بميداعن شبكة المياه والمجاري المائية ، أما في حالة نشوب الحريق فيجب استعمال الأجهزة ، المحتوية على « ثاني أكسيد الكربون » كما يجب التشديد على عدم التدخين ، داخل المكتبة .

ثالثاً - الرطوبة :

تلمب الرطوبة دوراً هاماً في تلف الكتب ، رغم أن وجودها بنسبة معينة يعد ضرورياً لمرونة الورق . وقابليته على الانتشاء ، فالرطوبة العالية جداً والتي تصل الى ٧٥٪ تعطي الفرصة لنمو الفطر (العفن) الذي

الذي يلحق الكتب ، وذلك بتمزيقه ، أو قصه بعض الصور والخرائط والأوراق من الكتب ، ويكون ذلك إما بدافع العبث ، والطيش ، أو بدافع الأنانية ، وحب التملك ، الأمر الذي يوقع المسؤولين بالمكتبة في حرج أمام القراء والباحثين الآخرين .

ويمكن الحد من هذه الظاهرة الخطيرة بتأمين أكثر من نسخة واحدة ، بالنسبة للكتاب ، وتسهيل عملية الإعارة ، بالإضافة الى نشر الثقافة والوعي المكتبي ، بين عموم القراء المترددين على المكتبة ، وتعتبر عملية ملاحظة القراء عن طريق الشاشة « التلفزيونية » من أنجح وسائل القضاء على ظاهرة العبث ، واختفاء بعض الصور واللوحات والخرائط ! ومن الوسائل الحديثة المستعملة ، لحماية الكتب والوثائق في المكتبات الكبيرة عملية المغنطة الكهربائية و « الألكترونية » بالنسبة لجميع مقتنيات المكتبة ، بحيث تصدر اشارات تنبيهية متتالية ، عند محاولة أي شخص الخروج بأي كتاب أو ورقة ، من داخل المكتبة ، وهذه الوسيلة أثبتت نجاحها وفعاليتها في المحافظة والابقاء على مقتنيات المكتبة .

* * *

أهم مراجع البحث :

- ١ - الاجراءات الفنية للمكتبات : د. أحمد أنور علي .
- ٢ - عالم الكتب والقراءة والمكتبات : د. محمد أمين البنهاوي .
- ٣ - ماذا بعد احراق المسجد الأقصى : عبد الحميد السائح .
- ٤ - أشهر مشاهير الاسلام في العروب والسياسة : رفيق المظلم .
- ٥ - الاسلام وفلسطين : رفيق شاكر الننتشة .

ولكي نتفادى خطورة الهوان لا بد أن يكون بالمكتبة جهاز تكييف مركزي ، يمكن التحكم في درجة حرارته ، بحيث تكون درجة جو المكتبة بين ٢٠-٤٠ درجة مئوية ، وان يتولى فريق الصيانة مسؤولية تشغيل التكييف ، والاشراف عليه ، طوال ٢٤ ساعة يومياً لأن أي تعطيل في التكييف - ولو لمدة قصيرة - تنمكس آثاره الضارة على المواد المكتبية نتيجة التغير الكبير المفاجيء . الذي يحدث في درجة الحرارة والرطوبة .

سادساً - العشرات والقوارض :

هناك عدد كبير من العشرات والقوارض ، بعضها يعيش بين الكتب ، ويتغذى على صفحاتها ، وبعضها الآخر يشن هجومه عليها ، كلما سنحت له الظروف الملائمة ، وقد أمكن التعرف على أكثر من سبعمين نوعاً من العشرات ، كلها بمثابة أعداء الكتب ، منها على سبيل المثال (قارضة الورق ، الأرضة ، دودة الكتاب ، العتة ، الفطريات ... الخ) .

لكن العلماء تمكنوا من ايجاد طرق مقاومتها ، ووسائل القضاء عليها ، ومن هذه الوسائل طريقة التبخير الكامل للمكتبة والمخازن ، وهي طريقة ناجحة في القضاء على العشرات وابادتها ، كما أن هناك طرقاً أخرى ، الهدف منها طرد العشرات ، والقوارض ، ومنعها من زيارة المكتبة ، مثل طريقة توزيع خليط من حامض «البوريك» و « النشا » على ظهور الرفوف والدواليب (وهي طريقة وقائية) .

سابعاً - الأنانية والعبث :

يعتبر جمهور القراء نفسه في بعض الحالات مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن الضرر ،

□ المسرح والتراث العربي: (٥)

في محاضرة للدكتور سمير سرحان عن [المسرح والتراث العربي] يحاول أن يجد العلاقة بين المسرح والتراث العربي . وذلك من خلال المراحل التاريخية التي ظهرو وتطور فيها مسرح خيال الظل . الى أن وصل الى شكله وصيغته المعاصرة . ويرى أن الفن المسرحي الذي أضحي جزءاً من وجداننا لا يمكن بأي حال أن ينمزل عن تاريخ الأمة وعن أصالة تراثها .

ففي التراث العربي المكتوب والمسودون وفي الفولكلور العربي المتوارث مواقف بطولية شامخة ، وشخصيات إنسانية أخاذة وأشكال احتفالية ومسرحيات مؤثرة .

وإذا عرفنا أن الفن الحقيقي الأصيل هو التقاط للظواهر الجوهرية والتيارات الرئيسية في الحياة الإنسانية واستبصار لكل ما هو سطحي ووقتي ، لعرفنا أهمية استلهام تراثنا العربي في صيغته الجدلية التي تبث في كل القيم والخصائص الإنسانية المتميزة في حضارتنا العربية الإسلامية وعندئذ نستطيع أن نركن الى الحصيلة المنتقاة من تراثنا لنستغلها استفلالاً مجزياً في أعمالنا الفنية بالأسلوب الأمثل والتناول الأنفع والمعالجة الأجدى .

من هذه الزاوية يمكننا أن نستنتج الحقائق التالية :

١ - أن المسرح العربي الحالي - في معظمه - يقوم في شكله ومضمونه على التراث المسرحي الأوربي خاصة الإغريقي اليوناني .

وحيث أن تأصيل هذا المسرح مهد جذوره في الثقافة العربية يتطلب إيجاده بديل

في الثقافة العربية فإن أفضل السبل هو العودة الى التراث العربي الذي يختلف عن الحضارتين اليونانية والإغريقية لاستنباط أشكال ومضامين تمثل بحق « الروح » العربية .

٢ - ولأن التراث العربي يحمل طابعا مميزاً خاصاً، هو نتيجة تطور تاريخي للمجتمع العربي الإسلامي بفنونه وآدابه وعلومه فإن استلهام هذا التراث لا بد بالضرورة أن يؤدي الى إثراء أي عمل مسرحي عربي ينشد التأصيل على صعيد الهوية القومية .

٣ - أن التراث العربي هو نتاج الثقافة المدونة والمنقولة والشفاهية وهو يشكل مجموع التكوينات المميزة للشعب العربي في المشرق والمغرب وهذا ما يؤهله لاعطاء البديل الحقيقي لغياب الفعل المسرحي عن ساحة الآداب العربية في الماضي وللمسرح الحالي القائم أساساً على النقل والاقتباس من الغرب أو على الأشكال الغربية في المسرح .

والجيل الجديد الذي تحمل مسؤولية توظيف التراث في المسرح العربي يحاول تأصيل عطاءاته انطلاقاً من تقديم أعمال مسرحية هادفة ابتداء من الستينات حيث عرف المسرح العربي العديد من الأبحاث والدراسات والتجارب التي دارت كلها أو معظمها حول محور أساسي هو : هل عرف العرب المسرح أم لا ؟ وهل بالإمكان التعامل مع التراث العربي كركيزة أساسية للعمل المسرحي العربي ابرازاً للشخصية الثقافية المميزة للأمة ، وانطلاقاً من ضرورة البحث عن صيغة مسرحية عربية مميزة ومختلفة عن المسرح الغربي ؟

مستخدمين أشكالا أوربية ، بل عندما كانوا يكتبون أيضاً عن أوضاع محلية ، كان الوجدان أو الوعي الأوربي هو المائل دائماً وبذلك لم يحصل المسرح العربي على هويته وفرديته . وفي رأي يوسف ادريس أن القول بأنه لم يكن أمام الدراما في الشرق الأوسط الا طريق واحد هو الطريق الأوربي فحسب هو قول مضلل وغير صحيح .

فالأمة العربية قد أوتيت تاريخاً غنياً من الأدب الشعري والفولكلوري ، وشيئاً من الأشكال المسرحية المبكرة بحيث يتاح للكاتب العربي أن يستلهم هذا الموروث الفني من الثقافة العربية الأصيلة .

وفي عام ١٩٦٧م صدر كتاب « قالبنا المسرحي » لتوفيق الحكيم دعا فيه الى ايجاد صيغة مسرحية عربية خاصة تقوم أساساً على الحكواتي والمداح ولكن الحكيم - كمؤلف مسرحي - لم يشأ أو لم تتح له الفرصة لأن يؤلف مسرحية ضمن هذا القالب ، وبالتالي ظلت دعوته دعوة نظرية لم يختبرها في مجال التطبيق العملي .

ويجئنا الكاتب المسرحي سعد الله ونوس من سوريا معتمداً في مسرحياته على شخصية الحكواتي . الشخصية العربية المعروفة في هذا المجال والتي تعتبر إحدى الشواهد التي يدلل بها النقاد والمهتمون على انها تميز مسرحنا العربي .

« فالحكواتي » في مسرح سعد الله ونوس عنصر فعال يغني الحدث وليس مجرد راو يروي الأحداث وينظر إليها من الخارج أو يعلق عليها دون أن تكون له بها أدنى صلة . ويهدف سعد الله ونوس من استخدامه لصيغة

ومن أهم هذه التجارب والدراسات والارهاصات والمحاولات في هذا المجال دعوة الدكتور يوسف ادريس في مطلع الستينات الى ابتداء مسرح عربي أصيل عن طريق الاعتماد على النموذج التراثي المتمثل في مسرح السامر .

وكان يوسف ادريس قد عرض نظريته عن الدراما العربية الأصيلة في ثلاث مقالات بمجلة الكاتب نشرها عام ١٩٦٤م بعنوان « نحو مسرح مصري » .

ويشمر يوسف ادريس أن الكاتب المسرحي لكي يبدع مسرحاً عربياً أصيلاً ينبغي أولاً أن يفتش عن الذات والهوية العربية ، ويقترح في هذا السبيل أن ينظر الكاتب الى ماضي بلاده التاريخي والأدبي ، وهو يشجع الكتاب على البحث عن أدبهم الشعبي المنسي فهناك سيجدون هويتهم الأصيلة . ويعد يوسف ادريس من المصادر القيمة في ابتداء شكل مسرح عربي معتمد على الأشكال التراثية « القافية » أو الحوار المقفى الذي هو لون من الكوميديا المرتجلة يمارسها الناس في مجالات عدة ، وكذلك مسرح السامر والفصل المضحك الذي يوجد في الريف ، وكذلك مسرحيات خيال الظل وأخيراً القراقوز أو الأراجوز .

وفي رأيه أن كل هذه الوجوه من الأدب الفولكلوري كان ينبغي أن تستخدم عندما برزت مسرحيات القرن العشرين ويمتقد يوسف ادريس أن المسرح العربي - حتى الآن - الأخيرة - كان مقلداً للدراما الأوربية في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين . فالكاتب المسرحيون العرب عن طريق الترجمة والاقتباس بل عن طريق الابتكار أيضاً قد عبروا عن أفكار أوربية .

الحكواتي الى ايجاد لغة مسرحية متميزة
تستفيد من التراث العربي مستخدمة الحكاية
الشمسية أو وقائع التراث اطارا وهيكلًا .
وتأتي تجارب مجموعة المؤلفين المخرجين
العرب الذين تزودوا بكل خبرات التجربة
الفنية والفكرية لجيل الستينات بعدما
استعانوا بدراساتهم الأكاديمية والعلمية ،
وبالرصيد الهائل المتطور من الامكانيات
المسرحية التي هياها الأجيال السابقة ليحدد
اختياراته من خلال ادراكه الواعي للتراث .

★ ★ ★

البلاغة والبلاغيون العرب في مجلة الفكر العربي :

تقوم مجلة الفكر العربي بتعظيم عدد خاص بالبلاغة والبلاغيين
العرب . وإيماناً من رئاسة التحرير والهيئة الاستشارية للمجلة بالثقة المتبادلة
والدور المشترك للعاملين في التراث الاسلامي والمشتغلين في الثقافة العربية .
فقد وزعت الرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

تمثل مجلة « الفكر العربي » على تغميص أحد أعدادها لدراسات وأبحاث
محوها البلاغة العربية ورجالها . فأيرائذ من رواد هذا العلم يمكن أن يشغل - من
خلال فكره - عدة أبحاث . وأي موضوع أو مفهوم أساسي في البلاغة يمكن أن يدرس عند
أحد البلاغيين أو عند أكثر من واحد . وإثنا البلاغة العربي من جهة ، ولشخصيات البلاغيين
نرحب بذلك إذ الهدف من هذا المشروع اطلاق القارئ والمثقف على صورة واضحة المعالم
من جهة ثانية . وهكذا يكون أملنا أن ينهض العدد المنشود بجناحين :

١ - البلاغة والبلاغيون من الجاحظ حتى عبدالقاهر الجرجاني .

٢ - البلاغة والبلاغيون من الجرجاني حتى الشريف الجرجاني وكتاب « الاتقان »
للسيوطي .

وقد جاءت علوم البلاغة منتشرة ومتناثرة ضمن أدبيات شتى ، بيننا وبين استقصائها
النظر في أعمال أناس لم يكونوا (بعضهم على الأقل) يفكرون في التأسيس لعلم جديد
هو (علم البلاغة) وأولئك القوم ينتمون الى فروع معرفية متعددة ، فمنهم الموسوعي
كالجاحظ الذي التزم في البيان والتبيين نصوصاً أدبية نثرية وشعرية بالاضافة الى آراء
مختلفة في اللغة والأدب على درجة عالية من الذكاء والمعمقية . ومنهم من ينتمي الى اللغة
والأدب كـ « الكامل » للمبرّد الذي يستهل الباب ٤٦ من كتابه بقوله : « نذكر في هذا
الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال ينفي الملل » فهذه قاعدة
بلاغية تليها ثانية في السطر عينه : ونخلط ما فيه من الجد بشيء من الهزل ليستريح اليه
القلب وتسكن اليه النفس . تلي ذلك أقوال سيقّت كالشواهد لأبي الدرداء وعلي وابن
سمود وابن عباس . ويمكن أن نضيف الى هذين « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب
« النوادر » لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها ، كما جاء في

مقدمة ابن خلدون . ويلي هؤلاء نوع من الكتابة المتخصصة اذ تعددت المؤلفات في الشعر مفصلاً عن النثر من مثل « قواعد الشعر » لشعرب ، و « البديع » لابن المعتز ، و « عيار الشعر » لابن طباطبا العلوي ، و « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر .

ثم جاءت حلقة جديدة من التخصص قائمة على نقد شاعر واحد أو الموازنة بين شاعرين أو أكثر كـ « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » للأمدي ، و « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني .

تبع ذلك المؤلفات الاعجازية حيث قام الاعجازيون بجهد بالغ في الكشف عن أسرار اعجاز القرآن . كأنما جاشت حميتهم ازام التأليف المختص بالشعر أو بالشعر والنثر ، فالف الرمثاني (أبو الحسن علي بن عيسى) كتابه « النكت في اعجاز القرآن » . وتداول النقاد من نظائر الفنون الكلامية والتأليف في قواعد الجمال التعبيري الكلامي ضامين جناحيه المقدس أي القرآن وغير المقدس أي الشعر والنثر . وكان الشريف الرضي حلقة الوصل بين هؤلاء ومن سبقهم ، فكتابه « تلخيص البيان في مجازات القرآن » يشكل اشارة الى اشتراك المجاز في القرآن مع المجاز في الشعر والنثر بالاسم ، كما اشرك ابن نايقا البغدادي الاثنين في تعبير « التشبيهات » من خلال عنوان كتابه « المجاز في تشبيهات القرآن » . ويقابل هذا الالتفاف كتب مثل كتب « الصناعتين : الشعر والنثر » ، لأبي هلال العسكري . واستفاق الفلاسفة فتناولوا موضوع العبارة اللفظية وبالتحديد الفنية . فكتب ابن سينا : « الحكمة المروضية في معاني الشعر » ، ولا يمنع ذلك من التأثر بكتاب الفارابي « الموسيقى الكبير » (بغض النظر عن تأثرهما بأرسطو) . ويكون بذلك قد انتقلت المدوى الى نظائر جدد يتطلعون الى الجمال التعبيري من زاوية تختلف عن زوايا من عداهم ، نعتي بهم أصحاب النظر والحكمة .

ظلت الدراسات البلاغية ملتبسة بغيرها من ظروف القول حيث تؤخذ الفكرة البيانية أو البلاغية الى عند هذا النص من النثر أو هذه المقطوعة من الشعر حتى قبض للبيان رجل عالم عاشق لعلمه ، فاستقدم الى أفكاره النصوص من القرآن والشعر الجاهلي وغير الجاهلي والأقوال والخطب وغير ذلك - مبرراً ذلك بقبول الاسلام النظر في ما هو موضع اشكال - ليبنى أول مؤلفين في ما يصح أن نسميه (البلاغة العامة) وذلك في كتابيه الشهيرين : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » يشير الى تحرره من عقدة الفصل بين كلام الخالق وكلام المخلوق . وظهر أنه غير متمصب لشيء أكثر من تمصبه للمعلم الذي وضع « أسرار » : البلاغة كعلم محور تدور بجاذبيته وبدورانه سائر النصوص المقتطفة من الكلاميين .

بعد الجرجاني ، اتضح في المؤلفات الأدبية النقدية فرعان : فرع واصل النظر في علم البلاغة ، مهتدياً بهدي صاحب « الأسرار » ، وفرع واصل النظر والمضاهاة في المباحث الأولى : اعجاز القرآن ، وتفسير الدواوين و « بديع الشعر » والنثر وسرقات الشعراء .

غير أن مؤلفات البلاغة ، على خطى عبدالقاهر ، لم يسمها أن تفوق أستاذها مع أنها ناقشت مفاهيم من مفاهيمه وراثتها غير مآراًها ، فبدلت في تمرينها ، وبعضهم فرّع على أصول

الجرجاني وفروعه . ثم تلا هذه المرحلة مرحلة التطويل والاختصار أو التلخيص والتنسيق ثم الشروح ومواقف مختلفة .

الى أن كان النظر المعاصر في قضايا اللغة والأدب بقيام سور في التأسيس لعلم اللسانية فانهرفت الأنظار نحو الأسس التي جاء بها الرجل . وتفرعت الدراسات اللسانية تفرعاً غير تفرع دراسات النقدية ثم البلاغية . ولم يفتح بعد مجرى دراسات التعبير بالكلام على آفاق دراسات البلاغية بمثل ما تستحقه . ولذلك ظلت علوم البلاغة والبيان المرهبي في حالتها الأولى دون أن يسمح التيار باستشراف آفاقها في ضرورتها منصة للانطلاق نحو الطور الثاني من علم البلاغة .

فانطلاقاً نحو هذه المرحلة الجديدة المؤمل فيها ندعو ككتابنا الى مراجعة دفاترنا بما عندنا من فكر بلاغي ، والتعريف برجاله من خلال مخاضهم ونشاطهم طريق التأسيس لعلم البلاغة والبيان . فعلينا أن نستبر هذا العلم ونصيده من مظانه في المؤلفات التي تعتبر بلاغية والتي تنتمي الى دراسات علم النطق سواء كان ميدانها الفلسفة أو الدين أو النقد الشعري والنثري أو الدراسة اللغوية بشتى فروعها ، سواء كانت أشتاتاً في مجامع القول أو تتناولها الألسن مشافهة بما حفظه القرآن الكريم في مثل هذه الآية الكريمة : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » .

وبما أن طموحنا كبير وقدراتنا في مجال ضم الجهود البلاغية الى بعضها يمكن أن تنمو شيئاً فشيئاً ، فانا نقصر عددنا الحالي من مجلة « الفكر المرهبي » على أبحاث في البلاغة البلاغيين الأصوليين راجين أن يربو العمل الذي ننتظر على ما هو في الانتظار . وعلى المكافأة المتواضعة التي نخصص له . وانا نرسل ربطاً قائمة بأسماء المشاهير من علماء البلاغة والنقد مع أسماء مؤلفاتهم المتداولة وقد رتبناها زمنياً لتوخي رؤية التطور من رجل نقدي أو بلاغي الى آخر وللتركيز على الوجهة العامة للدراسات التي نطلبها . ان في هؤلاء الرجال من خلال أعمالهم . وان في فرع من علوم البلاغة تناولته مختلف الأقلام تناولاً جديراً بالرصد البحث . ونحن على استعداد للتشاور معكم ، أخي الكاتب ، في الموضوع الذي تريدون . فنرجو أن توافقونا باسم موضوع البحث الذي اخترتم مع صورة أولية للتصميم لتكون على اتصال وتشاور في ما يلزم . ونحب لو تزودون خزانة مجلتنا بقائمة من أعمالكم المنشورة تبين تاريخ ومكان النشر لغير نرجوه لسعيكم سعينا . ونرجو لكم التوفيق .

رئيس تحرير مجلة الفكر المرهبي
د. حسن قببسي

مستشار المدد
نعيم حلوية

بعض رواد النقد والبلاغة

مع بعض مؤلفاتهم وتسلسل وفياتهم

- ١ - ابن سلام الجمعي طبقات فحول الشعراء ت ٢٣١ هـ
- ٢ - الجاحظ البيان والتبيين ت ٢٥٥ هـ
- ٣ - ابن قتيبة الشعر والشعراء ، أدب الكاتب ت ٢٧٦ هـ
- ٤ - المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد الكامل في الأدب ت ٢٨٥ هـ
- ٥ - ثعلب ، أبو العباس أحمد بن ثعلب قواعد الشعر ت ٢٩١ هـ
- ٦ - ابن المعتز البديع ت ٢٩٦ هـ
- ٧ - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ت ٣١٠ هـ
- ٨ - ابن طباطبا العلوي عيار الشعر ت ٣٢٢ هـ
- ٩ - ابن وهب (أبو الحسن اسحق الكاتب البرهان في وجوه البيان ت ٣٣٥ هـ
- ١٠ - قدامة بن جعفر ، أبو الفرج نقد الشعر ، (نقد النثر ؟) ت ٣٣٧ هـ
- ١١ - الفارابي ، أبو النصر الموسيقى الكبير رسالة في قوانين ت ٣٣٩ هـ
صناعة الشعر - كتاب الخطابة -
كتاب الحروف
- ١٢ - القاضي الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ت ٣٦٦ هـ
- ١٣ - الأسيدي الموازنة ت ٣٧٠ هـ
- ١٤ - الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى النكت في اعجاز القرآن ت ٣٨٤ هـ
- ١٥ - المرزباني ، (أبو عبد الله محمد بن عمران) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ت ٣٨٤ هـ
- ١٦ - العاتمي ، أبو علي محمد بن الحسن سرقات أبي الطيب المتنبي ت ٣٨٨ هـ
وساقط شعره
- ١٧ - ابن وكيع التنيسي المنصف للसारق المسروق ت ٣٩٣ هـ
- ١٨ - أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين ت ٣٩٥ هـ
- ١٩ - أبو حيان التوحيدي الهوامل والشوامل ، الامتاع والمؤانسة ، المقايسة ت ٣٩٣ هـ



- ٢٠- الباقلاني ، أبو بكر اعجاز القرآن ت ٤٠٣ هـ
- ٢١- الشريف الرضي تلخيص البيان في مجازات القرآن ت ٤٠٦ هـ
- ٢٢- القاضي عبد الجبار اعجاز القرآن ت ٤١٥ هـ
- ٢٣- المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد شرح ديوان الحماسة ت ٤٢١ هـ ابن الحسن
- ٢٤- ابن سينا الحكمة المروضية في مكاني كتاب ت ٤٢٨ هـ
ريطوريا - رسالة في البلاغة والخطابة -
الفن التاسع : الشعر - أسباب
حدوث الحروف
- ٢٥- ابن رشيق القيرواني العمدة ت ٤٥٦ هـ
- ٢٦- ابن حزم (أبو محمد علي الأندلسي الاحكام في أصول الأحكام ت ٤٥٦ هـ
- ٢٧- ابن سنان الخفاجي سر الفصاحة ت ٤٦٦ هـ
- ٢٨- الجرجاني ، عبد القاهر أسرار البلاغة ، دلائل الاعجاز ت ٤٧١ هـ
- ٢٩- الشنتمري ، (يوسف بن سليمان) في علم مجازات العرب - شرح ت ٤٧٦ هـ
شواهد سيبويه
- ٣٠- ابن نايقا البغدادي الجمان في تشبيهات القرآن الشافيت ت ٤٨٥ هـ
- ٣١- الراغب ، الأصبهاني ، أبو القاسم محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ت ٥٠٢ هـ حسن بن محمد
- ٣٢- الغزالي (أبو حامد) المصطفى من علم الأصول ت ٥٠٥ هـ
مقيار العلم في فن المنطق
- ٣٣- الزمخشري أساس البلاغة ، تفسير الكشاف ت ٥٢٨ هـ
عن حقائق التنزيل
- ٣٤- الشهرستاني ، محمد نهاية الاقدام في علم الكلام ت ٥٤٨ هـ
- ٣٥- أسامة بن منقذ البديع في نقد الشعر ت ٥٨٤ هـ
- ٣٦- ابن رشد (أبو الوليد محمد) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ت ٥٩٥ هـ
- ٣٧- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ت ٦٠٦ هـ
التفسير الكبير : مفاتيح الغيب

- ٣٨- علي بن ظاهر بن حسين الازدي بدائع البدائه ت ٦١٣ هـ
 ٣٩- أبو البقاء المكي التبيان في شرح الديوان ت ٦١٦ هـ
 ٤٠- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر مفتاح العلوم ت ٦٢٦ هـ
 ٤١- ابن الأثير (ضياء الدين) الجامع الكبير في صناعة المنظوم ت ٦٣٧ هـ والمنثور
 ٤٢- ابن يمين (موفق الدين أبو البقاء) شرح المفصل للزمخشري ت ٦٤٣ هـ شرح التصريف الملوكي
 ٤٣- ابن الزملكاني (أبو المكارم) التبيان في علوم البيان ت ٦٥١ هـ
 ٤٤- الزملكاني (كمال الدين) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ت ٦٥١ هـ
 ٤٥- ابن أبي الاصبع المصري تحرير التعبير ت ٦٥٤ هـ
 ٤٦- حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء ت ٦٨٤ هـ
 ٤٧- الخطيب القزويني ، جلال الدين التلخيص في علوم البلاغة ت ٧٣٩ هـ
 ٤٨- يحيى بن حمزة العلوي الطراز ٣ ج ت ٧٤٩ هـ
 ٤٩- التفتنازي ، (سعد الدين مسعود بن عمر) المطول في شرح تلخيص المفتاح ت ٧٩١ هـ
 ٥٠- الشريف الجرجاني (السيد أبو الحسن) حاشية السيد على المطول ت ٨١٦ هـ
 ٥١- السيوطي الاتقان في علوم القرآن ت ٩١١ هـ



□ منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية :

أصدر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول - تركيا ، عددا خاصا من نشرته الاخبارية ، استعرض فيها أهدافه ونشاطاته ومنشوراته . وفيما يلي قائمة بالأعمال التي نشرها المركز المذكور :

- ١ - النشرة التمريرية المصورة لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، ١٩٨١ . (نفذت) .
- ٢ - دليل المؤسسات الثقافية الإسلامية ، باللغة الانجليزية (نفذ) .
- ٣ - النشرة الاخبارية (صدر العدد الأول منها في شبان ١٤٠٢ هـ مايو ١٩٨٢ باللغات الثلاث) .
- ٤ - أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين ، بالعربية والانجليزية . (نفذ) .
- ٥ - عناوين المؤسسات الثقافية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي ، بالانجليزية ١٩٨٢ (نفذ) .
- ٦ - الفهرس الموحد للتقاويم الثمانية (السالنامات والنوسالات) بالعربية والانجليزية ، ١٩٨٢ . (نفذ) .
- ٧ - مركز الأبحاث . . نشرة تمريرية مصورة ، باللغات الثلاث ، ١٩٨٣ . (نفذ) .
- ٨ - الأشرطة الوثائقية (شريطان وثائقيان ، أولهما بعنوان « حياة الخطاط حامد

الأمدي وآثاره الهامة وفن الخط الاسلامي » وثانيهما : « فن التذهيب والزخرفة
الاسلامية » . والشريطان بالعربية ، وقد أرفق بهما نص بالانجليزية .

- ٩ - الدليل الدولي للمؤسسات الثقافية الاسلامية .
- ١٠ - فهرس مخطوطات الطب الاسلامي (يشمل حصراً لكتب الطب الاسلامي في ١٢٩
صفحة مكتبة في تركيا) .
- ١١ - التعليم العربي الاسلامي في السنغال .
- ١٢ - بيبليوغرافيا لأقدم كتب الكيمياء ، ١٩٨٥ .
- ١٣ - البيبليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم ، بالانجليزية ، ١٩٨٦ .
- ١٤ - فهرس المخطوطات الاسلامية في مكتبة كوبريلي باستنبول ، بالعربية ، ٣ مجلدات
(٢٠٠٠ صفحة) ، ١٩٨٦ .

★ ★ ★

□ الجمعية المغربية للتراث :

أسست مجموعة من أساتذة الجامعات المغربية جمعية علمية أطلقوا عليها اسم
« الجمعية المغربية للتراث » ، وذلك بهدف احياا تراث الأمة العربية في مختلف ميادين العلم
والمعرفة . وقد اعتمدت الجمعية عدة وسائل لتحقيق أهدافها ، منها : الفهرسة - التصوير
- التحقيق - الطبع والنشر والتوزيع - التأليف والدراسة - الترجمة - اصدار
النشرات والمجلات المتخصصة - تنظيم الندوات والمحاضرات - عقد المؤتمرات واللقاءات
الثقافية والمشاركة فيها داخل المغرب وخارجه .

وتمتد الجمعية آمالا كبيرة على المعاهد والمؤسسات والجمعيات المعنية بالتراث .
وعلى الأفراد من الباحثين والعلماء ، في مساعدتها ومد يد العون لها لوضع أهدافها
موضع التنفيذ ، كما تضع بالمقابل كل امكاناتها المتواضعة في خدمتهم .

★ ★ ★

□ المصادر :

- ١ - نشرة (الباء جامعة حلب) .
- ٢ - نشرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العدد ١٢ آب ١٩٨٦ .
- ٣ - اخبار التراث الاسلامي العدد ٢ السنة الثانية مايو ١٩٨٦ .
- ٤ - نشرة « اخبار التراث العربي » العدد ٢٦ تموز - آب ١٩٨٦ .
- ٥ - صحف ومجلات مختلفة من البلاد العربية والاجنبية .

في رحاب الرحمة والخلود

كان هذا العدد من مجلة التراث قد خُتِمَ صفته حين نَمَى مجمع اللغة العربية بدمشق رئيسه الأستاذ الدكتور الحاج حسني يحيى سبح الذي انتقل الى رحمة الله ورضوانه يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع الآخر = ٣٠ كانون الأول ١٩٨٦ وفي ليلة الأربعاء قبيل منتصفها بعد أن ملأ صدر حياته الفاضلة كلها حتى آخر يوم منها علماً وتديساً وعملاً وجهداً في خدمة الطب واللغة العربية والادارة العازمة الحسنة .

وكان فيمن شيّعه عصر يوم الأربعاء تلاميذه الأطباء الكثر وأعضاء مجمع اللغة العربية ، وقد أثنّاه فيمن أثنّاه عند مشواه الأخير الدكتور عبد الكريم الياني عضو المجمع بهذه الأبيات :

سمعت بنعيه فوجمت حزناً	وكيف وانه الركن المنيع
لمجمعنا فوا أسفا عليه	لتندبته المجمع والربوع
فكم خدم العلوم وذاد عنها	له في افقها العالي سطوع
الا انّ النجوم على علاها	يصير الى الغروب بها الطلوع
ومن للطب بعد أبي نصير	ومصطلحاته وهو الضليع
حياة من طبيعتها الرزايا	ولكنّ العلوم هي الشفيع
نشيّعه ونعرف من فقدنا	ولا يغني التفجع والدموع
نؤبّته وتكمل ما بناه	ويعصر حبة القلب الغشوع
مضى عبقّ الشمائل والمزايا	طوال العمر يحمده الجميع
مآثره كثير ليس تنحصى	ففي الجنّات منزله رفيع

أسبغ المولى الكريم على الفقيد الغالي فيض رحمته وجميل رضوانه .

رسالة من اتحاد الكتاب العرب الى الكتاب والأدباء والأصدقاء في العالم

الأصدقاء الأعزاء :

نتوجه اليكم مثقفين وزملاء قلم ، تننون بالحقيقة وتبحثون عنها ، تؤسسون قناعاتكم في ضوء وقائع وقيم أخلاقية وروحية وإنسانية معكمين في ذلك العقل والضمير والوعي العربي وترفعون أصواتكم مع الحق والعدل ، مهما كانت القوى التي تمارس الظلم وتتحكم بالواقع .

لا نشك في أنه تنأى اليكم ما غناه شعبنا العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة من ويلات الحرب والاضطهاد والتشريد منذ نفذ الاستعمار البريطاني تصريح بلفور باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، حيث أعطى الذي لا يملك للذي لا يستحق وطن شعب بات مشردا وملاحقا بالمذابح وأنواع الارهاب الرامية الى ابادته لاثبات الكذبة الكبرى التي روجتها الصهيونية بأن فلسطين أرض بلا شعب .

واستمرت منذ اقامة دولة اسرائيل في فلسطين أعمال المدوان واحتلال الأراضي بالقوة واضطهاد الشعب الفلسطيني وملاحقته وابعاده وتشريده ، كما استمرت الحروب وعمليات الاستنزاف الدورية لطاقت شعبنا العربي وثرواته بهدف منعه من التحرر والتقدم .

وانكم تذكرون دون شك حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧

واكتوبر (تشرين) ١٩٧٣ وغزو اسرائيل للبنان وحصارها لبيروت عام ١٩٨٢ ومذبحة صبرا وشاتيلا التي كانت آخر سلسلة المذابح العلنية التي ارتكبت ضد شعبنا ، وتذكرون عمليات الارهاب الدولي التي مارستها اسرائيل مثل عملية مطار عنيتبي ، ومهاجمة المفاعل النووي العراقي ، والهجوم على تونس ، وممارساتها الارهابية اليومية ضد الشعب اللبناني واحتلالها لجنوب لبنان والجولان السورية ، واقدامها على اعتراض الطائرات العربية المدنية وأحياناً تدميرها كما حدث لطائرة ليبية فوق سيناء .

هذا عدا ممارساتها اليومية لأنواع وأشكال تشويه الثقافة الوطنية والتاريخية ونهب الآثار وتزوير الحقائق في المنطقة .

وتقوم اسرائيل بكل ذلك بدعم مستمر يغذي احتلالها ونزوعها العدواني يأتي بالدرجة الأولى من الولايات المتحدة الأمريكية حيث يبلغ متوسط الدعم السنوي في الثمانينات ثلاثة مليارات دولار سنوياً عدا المساعدات العسكرية المستترة .

ولأن سورية بقيادة الرفيق حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية وقفت وتقف في وجه المخططات اميركا واسرائيل للسيطرة على المنطقة وتصفية القضية الفلسطينية على نهج كامب ديفيد الذي رفضته جماهيرنا ، ولأنها أحبطت خطة اميركا التي قادت الدول الاستعمارية للسيطرة على لبنان وتقسيمه واحتلاله من جديد وواجهت بحزم المخططات والمؤامرات الامبريالية والصهيونية في المنطقة ، وقادت حركة التحرر العربي مطالبة بالحرية وبحق تقرير المصير لشعبنا العربي عامة وللפלستينيين خاصة فقد قررت الامبريالية الأمريكية والصهيونية بتخطيط وتعاون مع بريطانيا حصار سورية ومنعها من ممارسة دور تحرري في المنطقة ، وقد مارست ضدنا حصاراً اقتصادياً وسياسياً بعد طرد القوات الأمريكية من لبنان والغاء اتفاق /١٧/ أيار الذي فرضته اسرائيل على اللبنانيين بقوة الحديد والنار ، وعندما لم تفلح بتركيع سورية لجأت الى تشويه سمعتها الدولية ، وبثت ضد أبنائها خاصة وضد العرب بشكل عام روح العداوة والعنصرية التي أخذت تفوح من بعض المواسم الامبريالية متهمة اياها بممارسة الارهاب وتم التواطؤ بين أجهزة المخابرات

الأميركية والبريطانية والإسرائيلية لافتعال قضية (هنداي) في مطار لندن من أجل تصعيد حملة العداء ضد سورية وذلك تمهيداً لشن عدوان مباشر عليها تحت ستار مقاومة الارهاب ، تدبره إسرائيل وأميركا وبريطانيا على نسق ما سبق ومارسته تلك الدول من ارهاب دولي في هذا العصر منذ حرب السويس وحتى آخر عمليات قوات التدخل السريع الأميركية مروراً بالعدوان على السكك الشخصية للمقيّد القذافي في طرابلس وعمليات بريطانيا ضد جزر المالديف وممارسات الأساطيل الأميركية ضد الشعوب في البحار والمحيطات وتهديدها المستمر لتلك الشعوب .

ان شعبنا الذي كان ضحية الارهاب ، ودفع وما زال يدفع أغلى ثمن لأبشع عملية ارهاب دولي في العصر الحديث وهي انشاء إسرائيل في فلسطين على حساب الشعب الفلسطيني ، يكره الارهاب ويدينه ويقاومه ولكنه يفرق بين الارهاب والمقاومة الوطنية المشروعة لتحرير الأرض والارادة واستعادة الحقوق المقتضية وتثبيت حق تقرير المصير للشعوب في أوطانها بحرية ، ويرفض محاولات بريطانيا وأميركا وإسرائيل تشويه صورة المقاومة الوطنية وخلق أوراق المقاومين على أرضهم ضد الاحتلال بأوراق الارهابيين الجبناء .

اننا من موقعنا كزملاء لكم في البحث عن الحقيقة والدفاع عنها ، وفي الحفاظ على حقوق الانسان وحرياته وكرامته ، نعلن ادانتنا لكل أشكال الارهاب وخاصة تلك العمليات التي توجه ضد المدنيين والطائرات ، ونعلن وقوفنا الى جانب المقاومة الوطنية التي تعمل بشرف من أجل حرية أوطانها وحقوق شعوبها وحرية الانسان وحقوقه الأساسية ، وننتطلع بأمل كبير الى تفهمكم العميق لمخاطر تشويه صورة الشعوب والبلدان التي تدافع عن وجودها ومستقبلها وحرياتها وحقوقها في تحرير أراضيها وتقرير مصيرها .

اننا نتوجه الى وعيكم وضمائركم وقيمكم النبيلة وحبكم للحق ، لثملنوا موقفكم بصدق ووضوح من ممارسات بريطانيا وإسرائيل وأميركا ضد شعبنا وبلدنا وثقافتنا ، ولتنبهوا وتنبهوا العالم الى التهديد والتمهيدات التي تتم الآن لشن عدوان جديد على شعبنا في سورية لأننا نرفض أن نستسلم ونرفض

أن نقدم أرضنا المحتلة الى اسرائيل ، ونرفض أن نخضع للاستعمار الأميركي ومخططات الهيمنة الامبريالية ، ونصر على أن نعيش بحرية وشرف واستقلال في اوطاننا .

ان الحرص على السلام العادل لجميع الشعوب ، وعلى توجيه الطاقات والثروات البشرية والجهد العلمي والتقني لخدمة الانسان ولترسيخ قيم الحضارة والسلام على أسس دائمة وثابتة ، وعلى حق تقرير المصير لجميع الشعوب هو الذي يوجه طاقاتنا الابداعية وجهودنا اليوم من أجل عالم ينتفي فيه كابوس التهديد النووي عن البشرية ، وتزول عنه آلام المرضى والمقهورين ، ولا يموت فيه الأطفال جوعاً ، ولا تخرب فيه البيئة ، ولا ينم في الانسان بشمس الوعي والحرية نتيجة الأمية والاضطهاد والجهل ، من أجل عالم لا تتحكم فيه نزوعات السيطرة على الآخرين والاستلاب والثقافة الاستهلاكية ، والتزييف الاعلامي وأجهزة المخابرات .

يا زملاء الكلمة ، ان شرف كلماتنا يستنبت في الحقيقة والحرية والالتزام بالحق والانسان ، والدفاع عن المظلومين وعن الشعوب ، من أجل السلام العادل والمستقبل الأفضل والوعي الأعيق بالذات وبالآخر ، من أجل رفع أشعة الأمل أمام البشرية لتعيش بسعادة وهذا ما ندعوكم الى الدفاع عنه في وجه الارهاب الدولي والمدوان والافتراء الذي تمارسه أميركا وبريطانيا واسرائيل وأطراف الأحلاف الاستعمارية ضد شعبنا وبلدنا ، وضد الانسانية ، والنصر للحق وللکلمة الشريفة وللانسان .

المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب

★ ★ ★